جامعة القاهرة
معهد البحوث والدراسات الأفريقية
قسم الأنثروبولوجيا

وقائع ندوة

التوتسى وأزمة البحيرات العظمى

٢١-٢٢ أبريل ٢٠٠٢

المحتــويـــات

كلمة مقرر الندوة

- تبدأ أعمال المؤتمر السنوى لقسم الأنثروبولوجيا، وتركز فعالياته هذا العام حول التوتسى وأزمة البحيرات العظمى.
- وأود في البداية أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور/ نجيب الهلالي جوهر رئيس الجامعة وراعى المؤتمر، وخالص شكري وتقديرى للأستاذ الدكتور/ السيد فليفل عميد المعهد على رعاية الندوة.
- تعد الحروب الأهلية من أخطر الظواهر التى شهدتها القارة الأفريقية منذ الاستقلال وحتى الوقت الراهن، بحكم ما أدت إليه هذه الحروب من قتل مئات الألوف من البشر وتشريد الملايين منهم كنازحين أو لاجئين، وتدمير البنية الأساسية الاجتماعية والاقتصادية وما أسفرت عنه هذه الحروب من تدخلات دولية.
- والصراعات الأهلية التى تمزق القارة الأفريقية الآن تعتبر نتيجة للإفرازات التى خلفها الاستعمار، كما ترجع لأسباب وعوامل إفريقية ذاتية أهمها عمق الانتماء القبلى والعرقى بحيث أصبح أشد من الانتماء للوطن وأيضاً التدخلات الأجنبية الخارجية.
- والصراع السياسى في منطقة البحيرات العظمى يدور حول السلطة والثروة وتوزيعها، فالصراع قديم بين الهوتو والتوتسى،وقد استمر العنف لأن الشعبين لم يمتزجا أو يندمجا معاً، واحتفظ كل شعب حتى يومنا هذا بذاته مستقلاً عن الآخر، ولم تحدث إذابة اجتماعية ، وظل كل شعب ينظر إلى جاره على أنه " آخر " وليس " هو " ذاته.
- ولاشك أنه توجد علاقة ارتباطية هامة بين طبيعة الترتيبات الإقليمية في البحيرات العظمى، وما تعكسه من مصالح القوى الإقليمية والدولية الفاعلة، والمصالح الاستراتيجية المصرية في المنطقة.
- وتكتسب الصراعات والتوازنات الإقليمية في منطقة البحيرات العظمى

أهمـــية كبيرة لاسيما بعد الحرب الباردة، وربما يرجع ذلك لعدة عوامل من بينها:ـــ

- أنـــه لا يخفى أن نهر النيل ــ مصدر المياه الرئيسى لمصر من المياه العذبـــة، ينبع من منطقتين جغرافيتين هما حوض النيل الأبيض والنيل الأزرق. ويستمد النيل البيض مياهه من البحيرات العظمى والاستوائية، وتشـــمل مـــنطقة حوض النيل الأبيض دول تنزانيا ورواندا وبوروندى وأوغندا والكونغو الديمقراطية وكينيا والسودان.
- أنها غنية بثرواتها الطبيعية، فثمة مخزون هائل من المعادن ذات الأهمية الاستراتيجية مثل الكوبالت إضافة إلى النحاس والماس والذهب.
- ارتـــباط الصراع في المنطقة بالتفاعلات العدائية بين الهوتو والتوتسى، وهو الأمر الذى أفضى إلى تحالفات وارتباطات إقليمية على أساس إثنى قبلى مثل الارتباط بين حكم موسيفينى في أوغندا وحكم الأقلية التوتسية في كل من رواندا وبوروندى.
- ومن المؤكد أن علم الأنثروبولوجيا يمكن أن يؤدى دوراً هاما في تقوية العلاقـــات المصـــرية الأفريقية، وبالذات مع دول حوض النيل، حيث إن البـــناء القبلى أو العرقى بالمفهوم الأنثروبولوجى الحديث، قد شكل البناء السياسى للدولة الأفريقية بعد الاستقلال، وأدى إلى سيطرة العقلية القبلية، ومـــن ثـــم إلـــى ضعف المحاولات السياسية للاندماج والوحدة الوطنية. والـــتعامل مـــع تلـــك الشعوب يتطلب معرفة التاريخ القبلى، وخصائص ثقافاتهـــا، والـــنظم والمؤسســـات الاجتماعية التقليدية، التى لاتزال قائمة بفاعليتها حتى الآن.
- وهناك ضرورة لتوظيف المعرفة الأنثروبولوجية عن القارة الأفريقية في خدمة السياسات المصرية وأهدافها وعمليات التنمية والتحديث والاندماج الواعى مع الثقافات الأخرى.

• والواقع أن مؤتمرنا هذا يشرف بأن يشارك في أعماله نخبة متميزة من

- الأكاديميين والخبراء المتخصصين في الشئون الأفريقية من تخصصات متنوعة، مما يكشف عن تكامل العلوم الإنسانية والاجتماعية في الدراسات الأفريقية، الأمر الذى يجعل هذا المؤتمر بمثابة بوتقة تنصهر فيها الخبرات العديدة والآراء المتنوعة، لسبر أغوار الصراع في منطقة البحيرات بطريقة علمية وموضوعية للمساهمة في وضع الحلول لها.

وتغطى محاور الندوة :-

المحور الأول : الجذور الأنثروبولوجية والتاريخية للصراع.

المحور الثانى : البيئة الطبيعية والسمات الثقافية للتوتسى.

المحور الثالث : الجوانب الاقتصادية للصراع.

المحور الرابع : الجوانب السياسية والاستراتيجية للصراع.

المحور الخامس: الموقف الإقليمي والدولى ومبادرات الحل.

وأخيراً أتوجه بالشكر والتقدير

* للسادة الأفاضل الذين استجابوا لدعوتنا لتقديم بحوث إلى الندوة، والذين تفضلوا بالحضور، واثقاً أن مشاركتهم ومدخلاتهم سوف تثرى أعمال ندوتنا من أجل صالح قارتنا الحبيبة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

كلمة الدكتور / السيد فليفل

عميد المعهد

عقد قسم الأنثروبولوجيا بالمعهد فى يومى ٢١-٢٢ أبريل ٢٠٠٢ مؤتمره السنوى حول موضوع " التوتسى وأزمة البحيرات العظمى " مواصلا بذلك السنة التى استنها لنفسه لدراسة الجماعات الأفريقية الكبرى ذات الصلة بالمناطق الحساسة والملتهبة بالقارة الأفريقية . ولقد كانت الجماعة الأولى هى جماعة الدينكا التى تشكل العمود الفقرى للجيش الشعبى لتحرير السودان ، وهو مركز المعارضة المسلحة الرئيسية بالسودان والتى تجاوزت حد تمثيل الجنوب إلى حد تمثيل كل المهمشين " بالسودان .

وليس خافيا أهمية دراسة هذه الجماعة وذاك الأقليم ، بما لهما من أهمية قصوى وخطورة على مصالح مصر وأمنها القومى ، ناهيك عن صلتهما المباشرة بكيان الدولة السودانية ، التى تعتبر الجسر الحقيقى للصلة بين العرب والأفارقة .

ولا تقل جماعة التوتسى مكانة ومنزلة فى قلب الهضبة الاستوائية عن جماعة الدينكا ، فهى ذات انتشار جغرافى فى كل من رواندا وبوروندى ، فضلا عن أوغندا والكونغو ، كما أنها جماعة نشيطة ، لها دور حاكم فى النظام السياسى فى الدول المذكورة ، كما لها وضع مسيطر على ثروات المنطقة ، استنادا إلى إمبراطورية تاريخية عاشت فيها عبر قرون سابقة على الاستعمار الألمانى البلجيكى .

ويعتبر التوتسى جماعة أقلية فى كل الدول المذكورة ، لكن دورها يجعلها الجماعة الأولى فى كل من رواندا وبوروندى ، بل ولقد أدى نشاطها الرعوى ، وحركتها الدائبة من ثم ، ودورها القيادى وهيمنتها على القوات المسلحة ، وامتلاكها الخبرات الفنية والمهنية اللازمة لإدارة الدولة إلى أن صار لها قول مسموع فى شئون هضبة البحيرات بصفة عامة .

وبهذا يمكن القول أن معالجة قسم الانثروبولوجيا تقدم تفسيرا ينطلق من أحد أهم العلوم الاجتماعية ، لما يدور فى هضبة البحيرات وأن دراسة الجماعات المهمة يعد مدخلا – إنسانيا – لفهم معطيات معطيات تتعلق بالدافع السياسى فى الدول الأفريقية من ناحية ، وتتعلق أيضا بالواقع الدولى والإقليمى من ناحية ثانية . حيث استقطب الصراع فى المنطقة تنافسا أمريكيا فرنسيا ملحوظا، فضلا عن تدخل دول الجوار الافريقى فى الصراع، بعد ما انتشرت دوائره الى الكونغو وأنجولا.

وقد كان عقد المؤتمر سببا فى إثارة حوار خلاق حول هضبة البحيرات وما يدور بها من أحداث ، فساعد ذلك على جذب اهتمام المصريين إلى منابع حياتهم ونهرهم الخالد ، كما ساعد على لفت أنظار مسئولى الدول الأفريقية فى المنطقة الى القاهرة والى معهدنا ، وشعروا باهتمامنا بهم ، وأسفر ذلك عن مشاركة فاعلة فى أعمال المؤتمر من سفراء دول المنطقة وغيرهم من السفراء الأفارقة ، كما تابع الرئيس الأوغندى يوويرى موسيفينى أعمال الندوة ، وأبدى ملاحظات شتى بشأنها ، بل وطلب أن يتحدث إلى أساتذة المعهد بشأن قضية الصراعات الدائرة فى أفريقيا وتحليله لها ، وهو ما تم فى صيف عام ٢٠٠٢ ، حيث دار حوار خلاق بين فخامته وأساتذة المعهد ، لينفتح الباب بعد ذلك رحبا أمام التعاون العلمى بين جامعة القاهرة (معهد البحوث والدراسات الأفريقية) والجامعات الأوغندية .

ولاشك أن المنظور الانثروبولوجى لدراسة أوضاع التوتسى والأنساق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المختلفة لهذه الجماعة ، قد جعلنا أقرب إلى الفهم الدقيق لها ، وأخرجنا من دائرة الأكتفاء بما توافر من معلومات عنهم من المستعمرين الألمان والبلجيك ، أو من كتابات الفرنسيين . كما أن من شأن أمثال هذه الدراسات أن توصل لعلاقة علمية وثقافية مباشرة مع المجتمعات الأفريقى ، لاسيما فى مناطق حوض النيل المختلفة ، والتى تقتضى الضرورة أن نكون على المام بها ، وبتطوراتها ، وألا نترك غيرنا يرتع فيها حيث يشاء ، بل وقد يفرض على علاقاتنا بها قيودا ضارة ، أو يفرض تصورات معوقة ، أو يرسم صورا سلبية .

وإذ قد تمت البحوث المنشورة هنا بالقاهرة غالبا ، فإننى أتطلع إلى يوم نتمكن فيه من توفير التمويل اللازم لجعل دراساتنا ميدانية ، تقوم على المشاهدة والملاحظة والتسجيل المباشر من قلب أفريقيا ، وهو أمر تحول إ مكانات المعهد الراهنة دون إنجازه ، لكن اقتراب المعهد من هذه المناطق بدراساته النظرية تفتح الباب لزيارتها ميدانيا ، وللمطالبة بذلك بإلحاح بحكم الضرورة العلمية ، والفائدة المنتظرة من الأبحاث الميدانية المبتغاة .

فتحية لجهود الباحثين الأعزاء ، وفق الله جهودهم ، وسدد خطاهم .

الدكتور . السيد فليفل

كلمة الأستاذ الدكتور / نجيب الهلالى جوهر
رئيس جامعة القاهرة

* يسعدنى أن أتوجه إلى معهد البحوث والدراسات الأفريقية والسادة القائمين عليه بكلمة شكر وتقدير، على مبادرة قسم الأنثروبولوجيا بالمعهد بعقد هذه الندوة تحت موضوع (التوتسى وأزمة البحيرات العظمى ٢١-٢٢ أبريل ٢٠٠٢) والتى تنعقد فى وقت تتفاقم فيه عدد من المشكلات والصراعات الداخلية والإقليمية في أفريقيا.
* وتكتسب هذه الندوة أهمية كبرى بفعل تأثير الصراعات في منطقة البحيرات العظمى على مصالح مصر الاستراتيجية، وعلى دورها الفاعل فـي القارة الأفريقية، هذا الدور الذى يمتد عبر التاريخ المشترك والطويل لعلاقـات مصر الأفريقية، حيث كانت مصر دائما طرفا أصيلا ومؤثرا في الأحـداث التى مرت بها القارة ، وهي كدولة من دول القارة ، تتطلع إلى اسـتقرار الأوضاع في أنحائها ، حتي تتفرغ شعوبها للتنمية والبناء ، ولا تهدد طاقتها في الحروب والصراع .
* ونلاحـظ في الوقت الحالى على الساحة الأفريقية ــ وعلى الأخص منطقة البحـيرات العظمـى والـتى تمـثل أمن مصر القومى، بؤراً مشتعلة من المواجهـات المسلحة وتكاد تردها إلى المراحل الأولى من تاريخ البشرية، حيث القبلية والصراع، والتمزق.
* ومهمـا كانـت الأسـباب والدوافع التى تقف وراء هذه الصراعات سواء العوامـل الداخلية أو الخارجية ، فإن البحث العلمى الموضوعى فى دراسة هـذه الدوافـع والأسـباب كفـيل بوضـع الحلـول العلمية والعملية لهذه الصـراعات، ولـيس هـناك وسيلة أفضل من أن تعكف نخبة من العلماء والخـبراء المتخصصين في الشئون الأفريقية من أجل المساهمة في وضع حلول لهذه الصراعات إذ أننا في عصر العلم ولابد أن تحل مشكلاته بطرق علمية سليمة.

* إن مـــنطقة البحيرات العظمي تشهد سقوط كميات هائلة من المياه ، تتحول فـــي الحال إلي الأنهار والبحيرات ، فضلاً عن البرك والمستنقعات . وإن خير وسيلة لإستثمار هذا المورد الطبيعي الهائل هو تحويله إلي طاقة مائية نظـــيفة ورخيصـــة ، أو توجيهه إلي الأنهار لكي يروي مناطق تعاني من نقـــص هائل في مياه الشرب والزراعة . وليس أفضل لذلك من مشروعات تقوم علي التكامل والتعاون الدولي ، لاسيما في ظل تجمع إقليمي كبير مثل الكوميســـا الـــذي يضـــم دول حوض النيل ، والذي يمكن أن يحقق طفرة تـــنموية ، تدفع عوامل الصراع إلي الوراء ، وتطرح برامج الخير والنماء إلـــي الأمـــام مـــن أجل صالح كل شعوب القارة ، وبخاصة شعوب منطقة البحيرات العظمي التي تخلفت كثيراً عن بقية شعوب القارة ، وتخلفت أكثر عن ركب الحضارة الإنساني في القرن الحادي والعشرين .
* وأنـــنى إذ أحـــيى معهد البحوث والدراسات الأفريقية لمناقشة هذه القضايا الصعبة، أتمنى التوصل إلى مقترحات وتوصيات بناءة تعتمد على البحوث المقدمـــة مـــن أجـــل وضع حد لهذه الصراعات والتى تنعكس آثارها على التنمـــية الاقتصـــادية والاجتماعية والسياسية في أفريقيا عامة وفى منطقة البحـــيرات العظمى خاصة ، واقتراح أفضل السبل لتحقيق الطفرة التنموية المنشودة .

وفقكم الله ورعاكم وسدد على طريق العلم خطاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

"ندوة التوتسي وازمة البحيرات العظمى " معهد البحوث والدراسات الأفريقية ،
جامعة القاهرة ، ٢١-٢٢ ابريل ٢٠٠٢ : ص ١٠ - ٤٥

الأصول التاريخية للتوتسي

د. سعد عبدالمنعم بركة
أستاذ مساعد بقسم الأنثروبولوجيا
معهد الدراسات الأفريقية

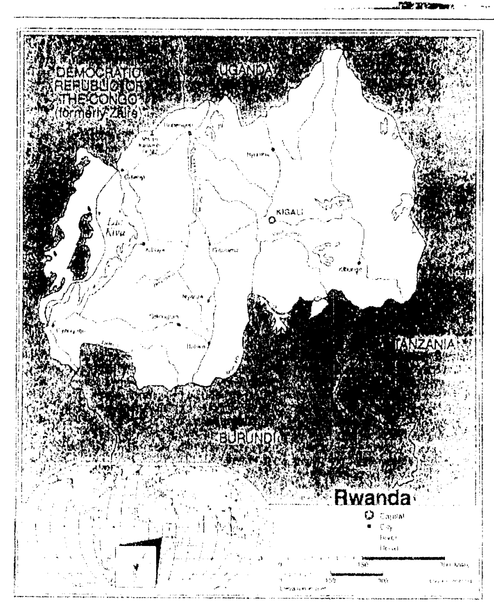
مجتمع الدراسة:

* يعـيش الهوتـو والتوتسـي في دولتي رواندا وبوروندي، وهما من الدول الداخلية في وسط أفريقيا في غرب هضبة البحيرات الاستوائية على الحافة الشرقية للفرع الغربي للأخدود الأفريقي العظيم، وتشترك معهما في حدود سياسية كل من زائير (جمهورية الكونغو الديمقراطية) في الغرب وتنزانيا في الشرق وأوغندا بالنسبة رواندا من الشمال، وتنزانيا بالنسبة لبوروندي من الجـنوب[١] (خـريطة ١). ورواندا مجتمع الدراسة، وهي إحدى دول إقليم البحيرات العظمى الأفريقية وعاصمتها كيجالي وهي دولة صغيرة المساحة، حيث مساحتها ٢٦٣٣٨ كم٢ وعدد سكانها طبقاً لتقديرات أواسط التسعينيات حوالـي ٧,١٦٤,٩٩٤ بكثافة سكانية ٢٧٤,٧ لكل كم٢ وبمعدل نمو سنوي ١,١٤%، ونسـبة سكان الريف للحضر ٦,٩٤، وهذا ماجعل رواندا تحتل المرتـبة الثانـية بعـد سيشل على مستوى القارة الأفريقية من حيث كثافة السـكان، وربمـا كانت هذه الكثافة العالية أحد أسباب العنف الإثني الذي شهدته البلاد على مدى الأربعين عاماً الماضية [٢] كما سيتضح من الجدول التالي:ـــ

	السكان	متوسط الكثافة العامة	الكثافة الواقعية
١٩٣٤	١,٥٩٥,٠٠٠	٦١	٨٥
١٩٥٠	١,٩٥٤,٠٠٠	٧٣	١٠٢
١٩٧٠	٣,٧٥٦,٠٠٠	١٤٣	٢٠٠
١٩٨٠	٥,٢٥٧,٠٠٠	٢٠٠	١٨١
١٩٨٩	٧,١٢٨,٠٠٠	٢٧٠	٣٨٠

Ramsay (2001) , p . 65

- واحتمالات السكان عام ٢٠٠٠ حوالى عشرة مليون نسمة أى بزيادة ٥٠% كل عشر سنوات [٣] وينقسم السكان إلى ثلاث جماعات إثنية، وهى التوا Twaوالتوتسى Tutsi والهوتو Hutu. والتوا جماعة هامشية لاتزيد نسبتها على ١% من السكان وهم أقزام يعيشون على الصيد والقنص وجمع الطعام، ويشكل الهوتو الأغلبية فى حدود ٨٥% من السكان، يعيشون على الزراعة مثل معظم الشعوب البانتوية المجاورة لهم فى أوغندا وتنزانيا، والتوتسى فى حدود ١٤% من السكان.[٤]



Ramasg, 2001, p.65

(خريطة رقم ١) موقع رواندا وبوروندى

* وبالإضافة الى بساطة التركيب الإثنى، فان مايجمع الهوتو [٥] والتوتسى أكثر ممايفرقهم، فهم يتحدثون لغة وطنية واحده، وهى الكينيا رواندا، كما يدين معظمهم بالكاثولوليكية، وكانوا فى الماضى يؤمنون بالإله التقليدى " إيمانـــا " رب رواندا وجميع الرو انديين، كما تتشابه الجماعتان من حيث نمط التنظيم الاجتماعى، حيث ينقسم كل منهما إلى عدد من القبائل والتى بدورهـــا تنقسم الى عدد من البدنات والعشائر، كما تتداخل مناطق إقامة الجماعتيـــن جنـــبا الى جنب، على تلال رواندا الخصبة على مدى قرون عديدة.[٦]
* والتضـــاريس العامـــة لأراضى رواندا أرض الألف تل عبارة عن هضاب يـــزيد إرتفاعها عن ٤,٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، وتمتد سلاسل التلال من الشـــمال الشـــرقى فـــى الجانب الأوغندى الى مرتفعات موفمبيرو البركانية (٤٥٠٧م) فى الغرب.[٧]
* والوادى الأخدودى فى رواندا مملوء بالبحيرات الكبرى مثل تنجانيقا وكيفو التى تفصل رواندا عن زائير، والسهول المنخفضة والتى تنحدر تدريجيا فى أقصى الشرق، تشغلها المستنقعات الممتدة لحدود تنزانيا.
* وفى السهول المنخفضة حيث الأراضى الخصبة فى منطقة خطوط العرض الوســـطى، يعيش معظم سكان رواندا، والمناخ أيضا ملائم للمعيشة بمعدل حـــرارة ١٨ ° مئوية ومعدل مطر سنوى يتراوح مابين ٩٠٠-١٦٠٠مم، ويقســـم العـــام لأربعـــة فصول مناخية وفقا لمعدلات المطر وليس درجة الحـــرارة، فـــرواندا يمكن أن تسمى جزيرة مناخية وأيكولوجية، مما يؤثر على النشاط الاقتصادى للسكان.[٨]
* فالدولـــة بصـــفة عامـــة تشـــبهَ البستان الضخم، فالزراعة مزدهرة وأهم المحاصـــيل الـــذرة والدخـــن والبطاطس والبطاطا والكسافا واليام، والبن والشاى كمحاصيل نقدية وتمتلك رواندا ثروة حيوانية وفقا لتقديرات منظمة الفاو عام ١٩٩٨ بحوالى ٦٥٠ رأس من الماشية، ١٤٩ ألف خنزير، ٢٧٩ رأس مـــن الأغنام، ٦٩٨ رأس ماعز، وأهم المعادن النفيسة فى رواندا

ذات أهمية استراتيجية الكوبالت إضافة الى النحاس والماس والذهب والأحجار الكريمة وفوق ذلك كله خزانها المائى الضخم، وعلى صعيد الطاقة الكهربائية الهيدرولوجية يمكن القول بأن سلالات انجا Inga – Falla تكفى احتياجات القارة الأفريقية بأسرها.[٩]

* وبيئة رواندا ليست سخية فقط بالزراعة والرعى والثروة المعدنية، ولكن أيضا ساعدت المرتفعات على حماية رواندا وغاباتها الطبيعية من ذبابة تسى تسى والملاريا، وأيضاً كانت حاجزا طبيعيا محصنا ضد غارات القبائل المعادية، وضد حملات الغارات الساحلية فى القرن ١٩ لجلب العبيد من أفريقيا.[١٠]
* ولعبت مرتفعات رواندا دوراً فى أن تظل رواندا خالية من التدخل الأجنبى حتى وصول الإنسان الأبيض وأدى هذا الرخاء النسبى والأمن الطبيعى وعدم انتشار الأمراض إلى الكثافة السكانية العالية.
* وتعتبر بيئة رواندا من أفضل البيئات التى تضم فى بيئة واحدة متشابهة نماذج متعددة من أشكال القامة، فهناك العمالقة التوتسى وطوال القامة الهوتو، ثم هناك الأقزام التوا، وفى هذا دليل على أنه ليس هناك ترابط بين الظروف الجغرافية أو عوامل البيئة وبين ارتفاع القامة.

<u>الغرض من الدراسة:</u>

أولاً:- تسعى هذه الدراسة الى البحث عن الأصول التاريخية لنشأة الحضارات الأفريقية المعاصرة لمنطقة البحيرات العظمى وبخاصة التوتسى والهوتو.

ثانياً:- توضيح مراحل تطور حضارات وسط إفريقيا من عصر الحديد المبكر إلى العصر الحالى، ووسائل تكيفهم مع البيئات الجديدة التى انتشروا إليها من موطنهم الأصلى.

ثالثاً:- تحديد الموطن الأصلى للهوتو والتوتسى، والعوامل التى ساعدت على الانتشار، والطرق التى سلكتها الهجرات، وكيفية الانتشار، وذلك فى ضوء الأدلة الأثرية واللغوية والأنثروبولوجية المتاحة.

رابعـــاً:- دراســـة التـــنوع الاثـــنى فى رواندا لفهم طبيعة ونوعية هذه الجماعات ومايقوم بينها من صراع.

أهمية الدراسة:

أولاً:- تشكل منطقة البحيرات العظمى أهمية استراتيجية للمصالح المصرية لاسيما المائـــية مـــنها، إذ لايخفى أن نهر النيل الذى يشكل جل مصادر مصر من المـــياه العذبـــة، ينـــبع من منطقتين جغرافيتين هما حوض النيل الأبيض وحوض النيل الأزرق، ويستمد النيل الأبيض مياهه من البحيرات العظمى والاستوائية، كما أنه يستفيد من النظام المائى فى بحر الجبل. وتشمل منطقة حـــوض النـــيل الأبيض دول تنزانيا ورواندا وبوروندى وأوغندا والكونغو الديمقراطـــية وكينـــيا والسودان. أما النيل الأزرق فإنه ينبع من مرتفعات إثيوبيا وإريتريا.(١١)

ثانياً:- ارتباط الصراع فى منطقة البحيرات بالتفاعلات بين الهوتو والتوتسى، مما يستوجب دراسة الجذور الثقافية للصراع.

ثالثاً:-أضفى الأنثروبولوجيون الاستعماريون ظلال عنصرية على العلاقات الإثنية فـــى رواندا، من خلال التأكيد على اختلاف الأصول العنصرية للجماعات الـــرواندية، وأن بعضها يتمتع بالتفوق العنصرى إزاء الجماعات الأخرى، واســـتناداً الـــى الحق التاريخى والتفوق الطبيعى المزعوم، أصبح التوتسى يشعرون أنهم فعلا من أصل عنصرى متفوق يختلف عن الهوتو والتوا.

منهج الدراسة:

- تعتمد هذه الدراسة على المنهج التاريخى استنادا الى الأدلة الأثرية واللغوية والـــتراث الشفاهى خلال عصر ماقبل التاريخ والعصور التاريخية لمجتمع روانـــدا، للكشـــف عن تاريخ ثقافة الهوتو والتوتسى، ورسم المراحل التى مـــرت بها خلال تاريخها وتطورها والطرق التى سلكتها فى انتشارها وما طرأ عليها أثناء ذلك من تقديرات مع التركيز على نظرية الانتشار الثقافى الـــذى اتخذ شكل الهجرة الشاملة، بمعنى أن المركب الثقافى انتقل بكل ملامحه وســـماته وعناصـــره سواء مركب اســـتئناس الـــزراعة ومعـــرفة الحديد

بالنسبة للهوتو أو مركب الماشية بالنسبة للتوتسى.(١٢)

* فالمنهج التاريخى يهتم بدراسة تاريخ ثقافة مجتمع محدد بالذات، ويرى بواس Boas أنه يتعين على علماء الأنثروبولوجيا قبل أن يقدموا على مثل هذه الدراسة أن يدرسوا أولا ديناميات الثقافة، وعمليات التغير الثقافى التى تحدث بالفعل فى ثقافات محددة بالذات دراسة تفصيلية مركزة ومن هنا فاننا نجد أن أهم مايميز الدراسة التاريخية والمنهج التاريخى هو الوصف التحليلى لمجموعة من الظواهر الثقافية فى موقف معين، مع الأخذ فى الإعتبار عنصرى الزمان والمكان.

<u>الأصول التاريخية للتوتسى:</u>

* يغلب أن يكون التوتسى شعبا وافدا الى موطنه الحالى فى رواندا وبروندى، وحاول الأوربيون الذين زاروا منطقة البحيرات منذ أواخر القرن التاسع عشر وضع عدة نظريات عن أصولهم السلالية وبدأت المحاولات بدراسات الرحالة J.H.Speke للبحث عن منابع النيل، الذى اكتشف ما سمى بحيرة فيكتوريا عام ١٨٥٩، وكتب فى الفصل التاسع من مجلة " اكتشاف منابع النيل " الصادرة فى لندن عام ١٨٦٣ عن نظرية غزو الأقلية الراقية لسلالات أدنى، تلك الأقلية الراقية هم أسلاف التوتسى، ناقلى حضارة أرقى الى أفريقيا الوسطى من مئات السنين قادمين من الشمال، وأن الزنوج البدائيين الذين كانوا بالمنطقة لايمكن أن يصلوا لهذا الرقى من الدين والسياسة.(١٣)

* وأول المحاولات لتحديد الموطن الشمالى الأصلى لهم كانت البعثات التبشيرية، حيث أعتقد الأب Pages أنهم من أصول مصرية قديمة، واعتمدوا فى ذلك على تشابه نقوش الماشية ذات القرون الطويلة فى مصر القديمة، مع سلالات الماشية فى رواندا، والتى تشبه قرونها بشكل القيثارة " Lyre " يبلغ طولها من أربعة إلى خمسة أقدام.(١٤)

* ونظرا لصفاتهم الطبيعية الرقيقة والتى تشبه الصفات القوقازية، وبروفيل

إغــريقى جميل (شكل ١)، وحبهم للمال وقدرتهم على التكيف مع أى وضع، اقترح Meinhof، Seligman ، Sergi وغيرهم من الأنثروبولوجيين، أنهم انحدروا من الســلالة الحمراء الأصلية، وأنهم ينتمون الى الساميين، خاصة وأنهم طوال القامة، والأنف رقيقة، ولديهم حس مرهف، وذكاء نادراً مايوجد بين الشعوب البدائية أيضاً هناك أيضاً بعض المحاولات لتحديد الموطن الأصلى للتوتسى من علماء القرن ١٩ ، ولكن دون الاعتماد على أدلة تدعمها، فمثلا اقتراح De Lacger انهم قادمون من مالــيزيا أو آســيا الصغرى، وافتراض البلجيكى Brieg أن التوتسى ربما يكونون آخــر أحــياء القارة الأطلنطية المفقودة، وتشير كتابات أخرى أنهم ساقوا أمامهم قطعان الماشية من إقليم التبت.(١٦)

- ولكــن للأسف محاولات القرن التاسع عشر لم تكن دقيقة، ولم تعتمد على أدلــة تدعمهــا، ونظرية الأقلية الراقية لـSpeke وأن الزنوج لايستطيعون الوصــول الى حضارة راقية من النظم السياسية والدينية، فان تطور العديد مــن الممالك فى منطقة البحيرات العظمى من الزنوج مثل مملكة الباجندا، البوها وغيرها على نحو محلى يخص تلك النظرية.
- وبالطــبع لم يأتوا من مصر القديمة أو التبت، ولكن سماتهم الطبيعية تشير إلــى الأصــل القوقــازى، الــذى حاول علماء القرن العشرين البحث عن الموطن الأصلى لهم فى مكان ما فى القرن الأفريقى ربما إثيوبيا الجنوبية، وفريق آخر يرجع أصولهم إلى الشعوب النيلية فى جنوب السودان.
- افــترض العديد من الأوربيين الرحالة مثل صمويل بكر Baker، Casati مثل الأباء Van den Burgt، Gorju أن أسلاف التوتسى هم قبائل الجالا فــى جــنوب أثيوبيا ويعتقد Lemarchand أن هذا الافتراض يقوم على التشــابه الإثنى الواضح مع قبائل الجالا لجنوب أثيوبيا، حيث طول القامة الواضح والنحيل، ونفس المشية الرشيقة المتراخية الخاصة بالشعوب الشــرقية، ولون البشرة البنى ــ البرونزى، والدليل القوى كصفات أجنبية هو الجباه العالية، وتقوس الأنف، وشكل الوجه البيضاوى الدقيق.(١٧)

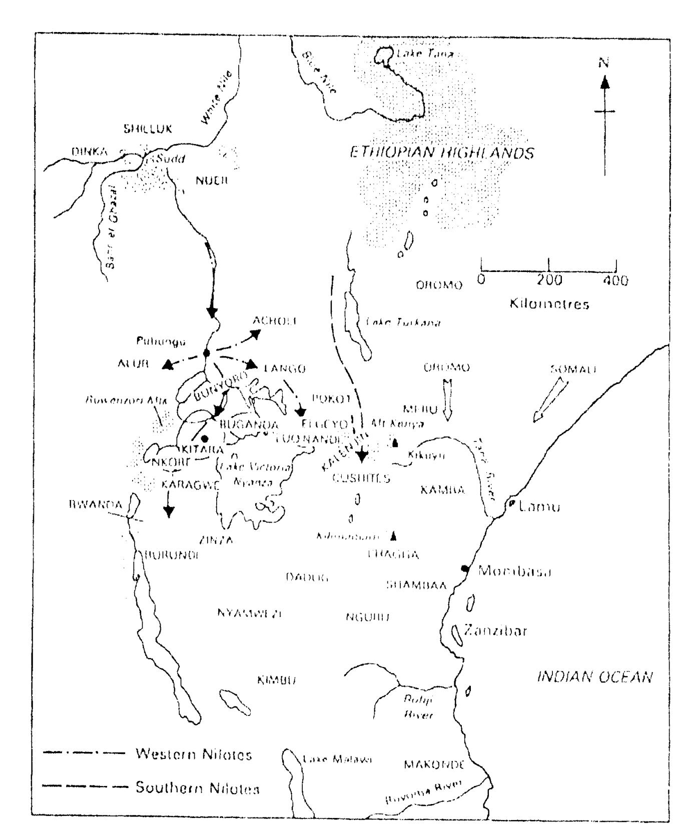
* ويـــندهش المرء الذى يزور رواندا لأول مرة، من قامتهم العملاقة، ورقة وســـمو لغتهم، وأسلوب حديثهم والملابس الأنيقة، وسلوكهم الخلقية النبيلة، وتمتعهم بالهدوء والذكاء، والعيون النافذة الساخطة.
* وكان وصول العنصر الأثيوبى الذى وفد الى المنطقة ليس بالطريق المباشر ولكن بالطريق الجنوبى المحاذى للشاطئ الجنوبى لبحيرة فيكتوريا.(١٨)
* وعــندما وصـــل الأثيوبيون الى المنطقة، كان يوجد قبلهم السكان الأوائل للســـهول المـــرتفعة من الأقزام، الذين عاشوا فى الغابات الاستوائية على الصـــيد والقنص وجمع الطعام، ثم المجموعة الثانية التى دخلت رواندا من الشمال منذ منتصف الألف الأول ق.م. كان الزراع متحدثى البانتوية الذين أنشـــأوا مقاطعـــات زراعـــية علـــى الأرض الخصبة بالقرب من شواطئ البحيرات فى الأودية والمرتفعات ذات الأمطار الغزيرة.(١٩)
* والهجـــرة الثالثة إلى إقليم رواندا كانت الإثيوبيون الرعاة أسلاف التوتسى وذلـــك فى القرن الثالث عشر والرابع عشر، وعندما اندفعوا تجاه الجنوب احـــتكوا بالســـكان الزراع من الهوتو ذوي الأصول البانتوية، وفى البداية عاشوا فى سلام وتعايش مع السكان الموجودين، وتعلموا لغاتهم البانتوية.
* والتـــيار الـــرابع للهجـــرة مـــن الشـــمال الى الجنوب بعد الأقزام والبانتو والاثيوبيين، هو هجرة النيلين الو LUO الى منطقة البحيرات العظمى عند نهاية القرن الخامس عشر الميلادى، الرعاة المحاربين (خريطة ٢).(٢٠)
* هـــؤلاء النيليون أسلاف التوتسى، اكتسبوا مركب الماشية فى نهاية الألف الأول الميلادى، توسعوا جنوباً، حتى واجهوا بانتو البحيرات، ولم يأتوا فى غزو مفاجئ، ولكن من خلاك عملية تسلل بطيئة وسلمية، وبالرغم من أن عددهـــم كان قليلا، إلا أن التوتسى استخدموا امتلاكهم للماشية، وتكنولوجيا عصر الحديد المتأخر الأكثر تقدما عن البانتو أصحاب حضارة عصر

الحديد المبكر، كمصدر للقوة والمكانة الاجتماعية الرفيعة، وحققوا على المدى الزمنى الطويل، السيادة السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الهوتو، وطول القامـــــة الفـــــارع ومظهـــــرهم الأرســـتقراطى أعطاهم الثقة لادعائهم

بأنهم مقدسين وأمروا بتولى الحكم.(٢١)

* والنيلـيون المهاجـرون الـى منطقة البحيرات العظمى، استقبلهم زعماء ورؤسـاء الـزراع من البانتو بالترحيب كرعاة لثروتهم التى وجدوها فى الماشية، وسمحوا لهم برعى قطعانهم فى المناطق غير الصالحة للزراعة، وبسـبب نفعهـم للطـبقة الحاكمة تمتعوا بأوضاع اجتماعية راقية، إلى أن وصلوا إلى الطبقة الإجتماعية الأرستقراطية الحاكمة.(٢٢)
* ومما يؤكد الأصول النيلية للتوتسى، التشابه الكبير فى الاقتصاد والاعتماد علـى رعـى الماشـية كحـرفة رئيسـية ومقياس للثراء وعماد مركزهم الاجـتماعى، وكمصدر رئيسى للغذاء، وأيضاً نظام طبقات العمر، وشعائر التنشـئة الاجتماعـية، والقانون العرقى، والتضحية بالماشية فى شعائرهم وطقوسهم الدينية.(٢٣)
* وتدعـم الشعائر الجنائزية للتوتسى الأصول النيلية، حيث أن جثث الملوك تحـنط وتجفـف، فبعد الموت تحمل الجثة الى الغابة المقدسة المخصصة للدفـنات الملكـية، ويشـيدون كوخا يوضع بداخله جسد الملك على محفة بارتفاع أربعة أو خمسة أقدام عن سطح الأرض،
* وتوقـد النار تحت المحفة لتجفيف الجسد ومنع تحليله، ويحرك الحاضرون الجثة من جميع جوانبها حتى تتعرض كلها للحرارة، وتجف الجثة تماما، ثم تدفن البقايا الملكية على سرير مغطى بجلود الفهد والأسد.(٢٤)
* وفـترة الحـداد عند التوتسى والقبائل النيلية فى جنوب السودان هى أربعة شهور، وأثناء هذه الفترة، يحرم الاتصال بين الأزواج، وتفصل الأبقار عن الثـيران، ويحلـق الـرجال والأطفال رؤوسهم رمزاً للحزن، وتتوقف كل الأعمال فى تلك الفترة، وإذا كانت المحاصيل جاهزة للحصاد، يسمح فقط

بحصـد كميات ضئيلة تكفى لبقاء الحياة للسكان، مع مراعاة أن يتم ذلك بحذر شديد.



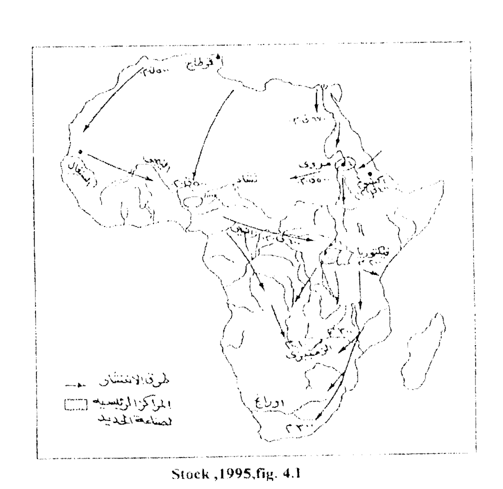
Shillington (1995) , fig 8-3

(خريطة رقم٢)

انتشار النيلية إلى رواندا وبوروندى خلال عصر الحديد المتأخر.

* أمـــا مـــن حيث الأدلة الأثرية، فانه عادة مايشار للفترة مابين القرن السابع والســـادس عشـــر فى إقليم البحيرات العظمى بعصر الحديد المتأخرة The Later Iron age حيث شهد ذلك العصر تغيرات ثقافية والتحول لإستئناس الماشــية نتـــيجة هجرة الرعاة من الشمال، وظهور أنماط جديدة من الفخار،
* وتدعـــم الأدلـــة اللغوية والتراث الشفاهى وجود مثل هذه الهجرات النيلية، ويعتـــبر هذا التغير تطورا طبيعا تلى مرحلة عصر الحديد المبكر الذى شهد تنظيف الغابات المدارية لممارسة الزراعة (خريطة ٣).[٢٥]
* أمـــا عن دوافع الهجرة لرعاة عصر الحديد المبكر من جنوب السودان إلى مـــنطقة الأعشـــاب الملائمـــة فى منطقة البحيرات العظمى، فربما بسبب الجفـــاف، أو بسبب الرعى الجائر لزيادة القطعان، وتظهرهم الأدلة اللغوية علـــى أنهـــم متحدثو عائلة اللغات النيلية الصحراوية، والهجرات الأولى لم تكن بأعداد ضخمة، ولابد أنها كانت بأعداد قليلة جداً فى العدد، ذابت داخل ســـكان البانـــتو فى منطقة البحيرات، وبذلك لم تؤد الى تغيير جوهرى فى لغـــات البانـــتو، وتفترض الأدلة الأثرية أن هذه الهجرات كانت عبارة عن تحـــركات موسمية بأعداد صغيرة وعلى نطاق ضيق للبحث عن مراعى جديدة وبخاصة فى مناطق المرتفعات الجافة.[٢٦]
* وتكشف الأدلة الأثرية عن تغير مفاجئ فى أنماط الفخار خلال القرن السابع عشـــر الميلادى فى منطقة البحيرات، حيث أن الأنية Urewe المصنوعة بشـــكل جيد، ومزخرفة بدقة وعناية وبحواف مائلة جميلة، (شكل ٢) حل محلها نمط جديد من الفخار الخشن سيئ الصناعة زخرفت حوافة الخارجية بأشـــكال مموجـــة تشبة الحبل المعقود، ولذلك سميت الآنية ذات الزخارف المموجة Rouletted.[٢٧]
* ويـــتفق علمـــاء الآثـــار على أن الفخار الخشن ذو أصول نيلية من جنوب السودان، حيث أن صناعته لازالت سائدة حالياً فى وسط وجنوب السودان، وهذا الطراز يرجع إلى العصور المرويه ــ ويبدو أن صناعة الآنية

Urewe كان بواسطة صناع فخار متخصصين، مقابل مكافآت عالية وبالتالى شغلوا أوضاعا اجتماعية متميزة فى عصر الحديد المبكر، بينما الفخار الخشن كانــت صناعته تتم على نطاق أوسع على أيدي صناع غير مهرة، وأصبحت صـــناعته الآن عملا روتينيا تقوم به المرأة، بينما يقوم الرجال برعاية الماشية كحرفة ذات مكانة اجتماعية أرقى.

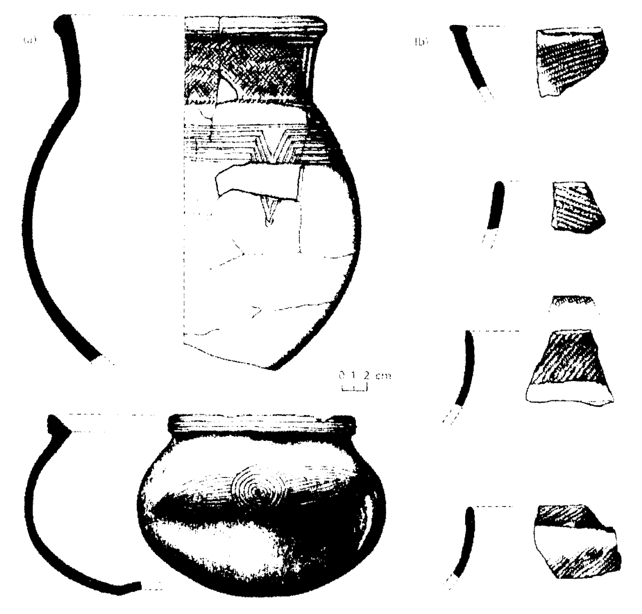


Stock ,1995,fig. 4.1

(خريطة رقم٣)

انتشار تكنولوجيا صناعة الحديد فى أفريقيا.

* وأتبعـت تـيارات هجـرة النيلين اللو إلى منطقة البحيرات العظمى ثلاثة اتجاهات، تيار غربى، وآخر جنوبى، وثالث شرقى.
* وكان النيليون الغربيون يعيشون في منطقة جنوب السودان، عند التقاء بحر الغزال والنيل الأبيض منطقة سهول تغطيها فيضانات موسمية، لذلك كانت بدايـة هجرة النيلين تتوافق مع التحركات الموسمية تجاه الجنوب بحثاً عن مـراعى جديـدة، وفى حوالى ١٤٥٠م تجمع عدد من العشائر النيلية عند Pubungo بالقرب من الحدود الشمالية لأوغندا، ومن هذه النقطة انتشروا فى جماعات صغيرة الى منطقة البحيرات شمال شرق بحيرة فيكتوريا، ثم اتجهوا جنوباً إلى رواندا وبوروندى كأسلاف لشعب التوتسى، وامتزجوا مع السكان المحليين من الهوتو متحدثى البانتوية وتعلموا لغاتهم.(٢٨)
* أمـا التيار الجنوبى للنيلين فيرجع إلى أقصى الشرق فى جنوب السودان، وبـدأت تحركاتهم إلى شرق أفريقيا على نحو مبكر منذ حولى ٢٠٠ق.م. قـبل التيار الغربى والشرقى، ويتوافق هذا التيار زمنياً مع متحدثى البانتو فـى عصـر الحديد المبكر، وتحرك هذا التيار إلى مرتفعات شرق بحيرة فيكتوريا، منها إلى رواندا وبوروندى كأسلاف للتوتسى.
* أمـا التيار الشرقى للنيليين فكانوا أكثر إنتشاراً من التيارين الآخرين، إلى شمال شرق أوغندا ووسط كينيا وتنزانيا ثم رواندا وبوروندى.
* وبعـض الجماعـات الـرعوية المهاجرة من النيلين اختلطوا مع الزراع المحلييـن من الهوتو وغيرهم ونشأت جماعات مختلطة، ولكن التوتسى لم يخـتلطوا أو يتزوجوا من الهوتو واحتفظوا بأنفسهم كسلالة نقية، وبمرور الوقـت، حققوا السيادة على أغلبية الزراع بالمنطقة من الهوتو، من خلال تجـارة الماشية بالتبادل فى مقابل الطعام، ولكن بعد زيادة قطعانهم، أجروا الماشية للزراع فى مقابل تقديم خدمات للرعى.(٢٩)
* وبحلول القرن ١٨ الميلادى، استطاع التوتسى تكوين مملكتين ضخمتين فى كـل مـن روانـدا وبوروندى، وألفوا بعض الأساطير عن أصولهم القديمة والمقدسـة لكى يبرروا وضعهم فى السيادة على الهوتو.



Shillington,1995

شكل رقم (٢) فخار عصر الحديد المبكر والمتأخر فى رواندا

- هـذا يدعى شعب التوتسى أنه من أصول سماوية أو إلهية كما فعل فراعنة مصـر القديمـة وإمبراطوريات الشرق القديم، وألفوا العديد من الأساطير والروايات الشعبية تتحدث عن الأصل المقدس للتوتسى وحقهم الطبيعى فى الحكـم والقـيادة، وبـرروا عـدم المساواة بشكل أسطورى، خاصة وأن التوتسـى يتمـتعون فى المجتمع الروائدى التقليدى بوضع مسيطر سياسياً واقتصـاديا واجتماعيا وثقافيا،بالنسبة للهوتو والتوا على حد سواء، وشمل هذا الوضع المسيطر معظم أنحاء رواندا فيما عدا المناطق فى شمال البلاد وجنوبها الغربى.(٣٠)
- وتحكـى أسـطورة الأصـل المقدس للتوتسى التى كان يحفظها ويرويها الـرواة الملكيـن فـى الـبلاط (**Mwami**)، والـتى تـتحدث عـن بداية تـاريخ رواندا بحكم "Kigwa" الذى هبط من السماء الى الأرض مصادفة مـع أخـيه Nyampundu ، وأحضـروا معهم النار والحديد والماشية، وتـزوج Kigwa أخته وأنجب منها ثلاثة أبناء، وهم Gatutsi وهو أصل التوتسى، وجاهوتو Gahutu وهو أصل الهوتو، وجاتوا **Gatwa** وهو أصل التوا.(٣١)
- وعـندما أراد " كـيجوا " كما تقول الأسطورة، أن يختار خليفته فى الحكم عهـد الى كل من أبنائه الثلاثة بإناء من اللبن، وطلب منه أن يحافظ عليه حـتى الصـباح، وعـندما جاء الفجر كان " جاتوا " قد شرب إناءه، أما " جاهوتو " فقد أهمل ونام حتى الصباح وانسكب إناؤه، أما " جاتوتسى " فقط هو الذى ظل يقظاً وحافظ على إنائه، وأصبح له الحق وحده فى الحكم، وأن يكـون " جـاهوتو " خادماً له، أما " جاتوا " فقد أصبح مطروداً منبوذاً من المجتمع.(٣٢)
- وتتـبع شـجرة النسب التوتسى بعد ذلك سلسلة من الأسلاف الاسطوريين الذيـن يسمونIbimanuka الذين هبطوا جميعاً من السماء، الى أن نصل إلـى الملك Gihanga أول ملك حقيقى لرواندا، ويعنى اسمه " المؤسس "، مؤسـس الجماعـات الحامـية لرواندا وبوروندى وشمال بحيرة كيفو،

ويعتـــبره De Lacger إبراهام التوتسي، وقاد Gihanga هجرة شعبه من الشمال الى منطقة البحيرات العظمى.[٣٣]

- وأقـــام الحاميون في المنطقة بين بحيرة Muhazi وبحيرة Mugesera ، وقســموا Gihanga المنطقة إلى عدد من الممالك الصغيرة يتوارث الحكم فيها حكام الأقاليم، أما مملكة التوتسي فعين ابنه Kanyaruanda وريثاً له على العرش يتبعه حكام الأقاليم. وبعد ذلك تولى الحكم العديد من الموامى، ولكـــن فترة المد والتوسع في عهد الموامى Ruganzu الأول، الذى حكم وفقا للمؤرخين الشفهيين في العقد الأخير من القرن ١٥ الميلادى.
- والفـــترة مـــن القـــرن ١٥م حتى أواخر القرن ١٩ م كانت فترة الصراع والتوســـع وإخضــــاع الممـــالك المجـــاروة، وبخاصه خلال حكم الموامى Mutabazi الأول فـــى منتصف القرن السادس عشر، وشهدت تلك الفترة الصـــراعات بين رواندا وبوروندى، مما خلقت عداوة تاريخية أدت فيما بعد إلى مقاومة ورفض جهود الأمم المتحدة لتوحيدهم سياسياً. وفى نهاية القرن ١٩ م رسخ الملك Kigeri الرابع الحدود بين رواندا وبوروندى عندما وصل الألمان للمنطقة عام ١٨٩٤.[٣٤]
- ويعـــتمد النشـــاط الاقتصادى التقليدى عند التوتسي على الرعى، فهم دائما رعاه رحل، ولايعادل الرعى أية حرفة أخرى في مكانته الرفيعة، ويرعى التوتســـي ســـلالة مـــن البقر تعرف باسم الزيبو Zebu ، وغالبا ما تمتلك الطبقات الأرستقراطية من التوتسي قطعان الماشية حباً في التملك وإظهار للـــثروة والنفوذ والسلطان، ويعيشون بجوار قطعان ماشيتهم التى لايذبحها مـــن أجـــل لحمها ولكن يحيى على ألبانها كمصدر رئيسى للغذاء ويضاف اليها اللحوم والألبان من وقت لآخر.[٣٥]
- وســـيطر التوتســـي علـــى مصادر الثروة التقليدية من الماشية والأرض، وتمكـــنوا من إخضاع الهوتو اقتصادياً واجتماعياً، من خلال ما كان يعرف بعلاقة الأوبوهالى Ubuhakeوهى علاقة بين تابع ومتبوع، أو بين سيد

ولـــى نعمته، هذا الاتفاق استطاع الهوتو بموجبة أن يستخدموا ماشية التوتسى للانـــتفاع بها فى زراعة الأرض، وفى المقابل يأخذ السادة التوتسى من الهوتو الســلع الزراعـــية والخدمـــات الشخصية، كما كان لهذه العلاقة أبعاد شخصية اجتماعية، حيث كان المولى (التابع) يعتبر نفسه من رجال السيد (المتبوع)، كما كان هذا الأخير يبسط حمايته على أتباعه ومواليه إزاء ماقد يتهددهم من أخطار أو أضرار.(٣٦)

* وتـــبلور هذا النظام فى النهاية الى علاقة اثنية بين الهوتو والتوتسى، ونمط إقطـــاعى لـــنظام طبقى، أصبح التوتسى فى ظله أسياداً لامتلاكهم مصادر الثروة التقليدية من الماشية والأرض، والهوتو أتباعاً لأسيادهم من التوتسى وملزمين أمامهم برعاية أرضهم وماشيتهم.
* وأصبحت علاقة الأبوهاكى معياراً للتميز بين الجماعتين، فإذا تمكن أحد من الهوتو امتلاك بعض رؤوس الماشية، بموافقة متبوعة من التوتسى، كان يفقد انـــتماءه للهوتو ويصبح توتسياً، أما إذا فقد أحد التوتسى رؤوس ماشيته فانه يـــتحول إلـــى فـــرد من الهوتو، ويجبر على فلاحة الأرض وزواج أخوات الـــزراع،لأن طـــبقة الـــرعاة كانت طبقة اجتماعية مغلقة، وبخاصة الجماعة الأرســـتقراطية مـــنها، حيث لا تختلط بالطبقات الأخرى والزواج داخلى فيما بينهم.(٣٧)
* أمـــا أقـــزام التوا فيظل دائما توا، لأن هذه الطبقة الاجتماعية تعرف بالوراثة ولـــيس بالحـــرفة المعيشية، ولايتحول أى شخص من الهوتو أو التوتسى إلى توا،فالفلاح الذى يمارس الصيد والقنص يظل فلاحا .
* ويتوزع السكان من الناحية الدينية بين الديانة المسيحية والإسلامية والمعتقدات التقليدية.
* ومفهوم الإله عند الرواندا، هو مايطلق عليه إيمانا Imana ، أنه مـــن القوى غير المادية ، له قدرة عظيمة، وهو الذى يحدد للفرد بعد المولد مباشرة ما إذا كان سعيداً أم شقياً.(٣٨)

* وبعد " إيمانا " يعتقد الأهالى كثيراً فى أرواح الموتى، حيث توضع فى المرتبة الثانية بعد إيمانا، ويعتقدون أن هناك صديق للميت يطلق عليه أيضاً ريانجومبى، يساعده عند الحساب.
* والإله " إيمانا " لايتدخل فى حياة الناس اليومية، ولكن أرواح السلف هى التى تسبب الاضطرابات والمرض، وتبنى لها الأكواخ، وتقدم لها القرابين من المحاصيل والألبان. وتذبح لها الأضاحى من الماشية والماعز، ويصاحب تقديم القرابين الأغانى لمديح الأسلاف وإضفاء روح السرور والهدوء لأروح السلف، لأنهم يسمعون ولايستطيعون الرؤية وفقا لمعتقداتهم التقليدية، وتقديم الطقوس يؤديها رب العائلة عن عائلته، وشيخ العشيرة عن عشيرته، والملك عن مملكة رواندا.(٣٩)
* ويسود مجتمع التوتسى الكهنة والعرافون الذين يتقمصون الأرواح، يفسرون رغبات الإله إلى البشر، ولايزال لهم دور كبير حتى الآن فى مجتمع رواندا وبوروندى.
* وبدخول المسيحية تغيرت الممارسات التقليدية الدينية لرواندا، فخلال عام ١٩٩١ كان حوالى ٦٢% يدينون بالمسيحية للمذهب الكاثوليكى، ١٨% بروتستانت، ١% مسلمين، مع مراعاة أن الديانة التقليدية لاتزال لها تأثير كبير على معتنقى المسيحية أو الإسلام، ولازالت الطقوس الدينية تدمج بين الإيمان بايمانا وبالإله الواحد فى المسيحية والإسلام.
* ويعتمد النظام السياسى فى رواندا على نظام المملكة الهرمى، المبنى على تسلسل جماعات ذاتية القيادة، وبحيث تتجمع كل السلطات التنفيذية تحت السيطرة المباشرة للملك أو الموامى Mwami وكان منصب الملك وراثياً، تتوارثه قبيلة أبانييجينيا Abaniyiginya التوتسية، وتمتع ملوك رواندا من التوتسى بمكانة عالية تصل الى درجة التقديس، حيث كان الملك تجسيداً للإله الروندى التقليدى " إيمانا " ورمزا ماديا لرواند كلها، وقيل أنه العين الذى ينظر بها الإله على رواندا، بالإضافة الى سيادة الاعتقاد بالأصل المقدس للأسرة المالكة.

* وبـــرزت قوة الملك من خلال امتلاكه كل الماشية والتى يوزعها إقليمياً على الـــزعماء باعتبارهم من أتباعه وأيضاً من خلال السيطرة على الجيش القوة الأساســـية فى الضبط الاجتماعى، حيث أن معظم أفراده من شباب التوتسى لتأكـــيد ســـيادة طبقتهم، علاوة على ما كان يعرف بمجلس الأبيرو Abiru ، وكانـــت مهمته أداء بعض الشعائر والطقوس السرية على الملك الجديد، حيث كانت قواعد وطقوس تنصيب الملك سراً، لايفهمه إلا أعضاء ذلك المجلس.(٤٠)
* ويخـــبر الملك مجلس الأبيرو بالابن الذى سيخلفه، وبعد موته يخبرون الناس بالملك الجديد، وإذا مات الملك فجاءة دون اختيار الملك الجديد. وعادة مايكون ابن الملك هو وريث العرش، وإذا لم يكن له أبناء، يتولى أحد اخوته أو أبناء اخوته العرش.(٤١)
* ويعـــاون الملك مجلس يحكم المملكة، وينقسم هذا المجلس إلى ثلاث فئات من حيـــث اختصاصـــهم فكان منهم أمراء المراعى، الذين يشرفون على أراضى الـــرعى؟ ، وأمـــراء الجيش الذين يتولون تجنيد الرجال فى الجيش الملكى، وأمراء الأرض الذين يوزعون الأراضى الزراعية والإنتاج الزراعى وجباية الخـــراج، وكان كل أمير من هؤلاء الأمراء يمارس سلطاته فى نطاق تل من تـــلال روانـــدا الكثيرة، وكان هؤلاء الأمراء من التوتسى بالطبع ، فيما عدا أمراء الأرض، حيث كان بعضهم من الهوتو، نظراً لما لهم من خبرة بشئون الأرض والزراعة.
* وينقســـم تـــاريخ التوتســـى إلى أربع مراحل: مرحلة تكوين البؤرة المركزية للمملكة فى منطقتى بوجانزا Buganza وبواتا كامبوى Bowanacambwe تحـــت قـــيادة رزجـــازا بويمبو Ruganza Bwimbu وكان ذلك فى القرن الخامس عشر.
* وتـــبدأ المـــرحلة الثانية مع بداية القرن السادس عشر حيث بدأ التعاون مع المناطق المجاورة التى تعرف حالياً بالمنطقة الوسطى من رواندا (ندوجا – مارانجارا – Mduga – Marangara) ثم تبدأ المرحلة الثالثة مع ظهور

قـــوة روجانـــزو ندولى Ruganzu Ndali فى القرن السابع عشر، حيث أخمـــدت فكرة استقلال الهوتو فى دولة مستقلة، وأخيراً فى النصف الأول من القرن التاسع عشر انضمت جماعة قوية من التوتسى والتى كانت تمثلها كقوة

- واضـــحة مملكة جيساكا Gisaka فى الشرق، فى تعاون داخل الأمة التى تعرف حالياً باسم رواندا.(٤٢)

الأصول التاريخية للهوتو:

* الهوتـــو جـــزء من زنوج البانتو، الذين يتحدثون أسرة لغوية واحدة، داخل أوطان متلاصقة متجاورة فى مساحة تعادل ثلث القارة الأفريقية، ولايشوب انتشـــارها هـــذا إلا وجـــود ســـلالة ضئيلة العدد مثل البشمن والهونتوب والأقزام، تعيش الى جانب السلالات السائدة من البانتو.
* والاخـــتلافات فى الصفات الفيزيقية بين زنوج البانتو وزنوج غرب أفريقيا قلـــيلة بالمقارنـــة بالاخـــتلافات التى تفصل بين البانتو والسلالات الكبرى الأخـــرى مـــثل السلالة القوقازية والسلالة المغولية، فهناك تشابه قوى مع الـــزنوج الخلـــص فى الجينات ومجموعات الدم Rh, A,B,O وبصمات الأصابع وغيرها.
* والبانـــتو بصفة عامة متوسطو القامة، الرأس طويل، ويتدرج لون بشرتهم مـــن الأسود الفاحم الى البنى المائل الى الأصفر، وبروز الفك العلوى ليس كبـــيراً، كما أن الصفات الطبيعية المعتاد ظهورها بين الجماعات الزنجية كالشـــفاه المقلوبة والأنف العريض تظهر بينهم أيضاً ولاسيما فى الأجزاء الغربـــية، والشعر المفلفل دائما مهما اعتدلت النسبة الأنفية أو كانت الشفاه وبروز الفك معتدلة وتقترب من الصفات القوقازية.(٤٣)

ولكن ماهو الموطن الأصلى للبانتو ؟

- بـــدأ إنـــتاج الطعام واستئناس الحيوان فى أفريقيا أواخر الألف السادس أو أوائل الألف الخامس ق.م.فى مصر، ويعتبر هذا متأخر نسبيا عن معرفة

الـــزراعة واســـتئناس الحيوان فى الشرق الأدنى القديم، وانتشر هذا الاقتصاد الجديـــد بســـرعة حتى وصل إلى شمال إفريقيا. وفى معظم الصحراء الكبرى خلال ٣٥٠٠ –٣٠٠٠ ق.م.

- تلى ذلك فترة توقف، فلم تنتشر طريقة الحياة الجديدة مباشرة تجاه الجنوب،

ويرجع السبب فى ذلك إلي أن ممارسة الزراعة ورعي القطعان المستأنسة فى البيـــئة الغنـــية لأفريقيا المدارية لم تكن من الضرورات لحياة القرى المستقرة، فالنـــباتات الوفيرة والموارد الحيوانية للسافانا الاستوائية والغابات زودت سكان العصـــر الحجرى الوسيط بكل مايحتاجون إليه من غذاء بذات مستوى معيشة الـــزراع النيوليثين الذين مارسوا الزراعة ورعوا قطعان الحيوانات المستأنسة، مع بذل جهد ضئيل فى العمل.(٤٤)

* وعندما بدأت الصحراء الكبرى فى الجفاف ابتداء من حوالى ٢٥٠٠ ق.م. أجـــبر بعـــض السكان النيوليثين على التحرك تجاه الجنوب الى ماهو الآن يعـــرف بالنطاق السودانى، وبذلك ظهرت حرفة الزراعة فى أفريقيا جنوب الصـــحراء كـــنمط معيشـــى جديـــد، فعرف الزراع النيوليثين فى نيجيريا الشمالية، وأثيوبيا وكينيا حوالى ٢٠٠٠ ق.م. وظلت أفريقيا إلى الجنوب من ذلك فى مرحلة الجمع والقنص، حتى بدأت هجرات البانتو قبل بداية العصر المسيحى، وأدت لإحداث تغير جوهرى لاقتصاد القارة فى الجزء الجنوبى، وساعد على ذلك معرفة صناعة الحديد.
* فالـــزراعة وصناعة الفخار والحديد فى وسط أفريقيا مرتبطة ببداية عصر الحديـــد المـــبكر التى صاحبها هجرات البانتو المبكرة، أسلاف الهوتو فى منتصف الألف الأول ق.م.، وهذا ما تأكده الأدلة من موقع Mucucu فى شمال شرق رواندا، حيث عثر على الآنية Urewe ذات الزخارف الدقيقة المميزة لعصر الحديد المبكر.(٤٥)
* وتستبعد الأدلة الأثرية أن يكون رعاه شرق أفريقيا صناع الأدوات الحجرية هم الأسلاف المباشرين لزراع عصر الحديد المبكر أسلاف الهوتو، لأنهم لم

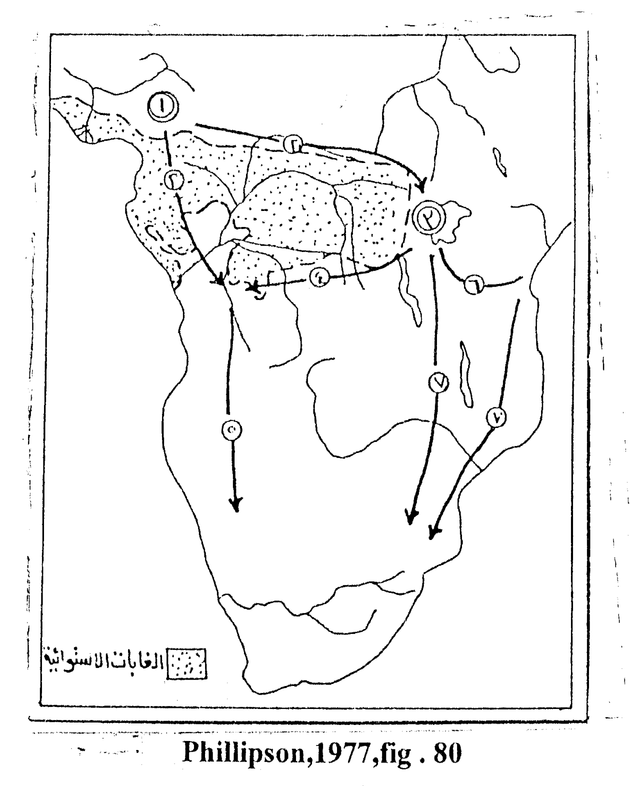
يعرفوا صناعة المعادن، كما أن فخارهم ينتمى الى أنماط مختلفة عن الآنية Urewe المميزة لعصر الحديد المبكر فى منطقة البحيرات العظمى.

فما هو مصدر هجرات بانتو عصر الحديد المبكر ؟

- تشير الأدلة الأثرية الى أن المنطقة الواقعة إلي شمال غرب البحيرات

العظمـــى كانـــت الموطن الأصلي للبانتو ، ومنها خرجت هجراتهم منذ الألف الـــثانى ق.م. ، حيـــث كان يوجد الاقتصاد الزراعى المختلط فى معظم النطاق الســـودانى الـــذى يمـــتد عـــبر أفريقيا بين الحواف الجنوبية للصحراء الكبرى والحـــدود الشمالية للغابات الاستوائية. ومن المحتمل أن جميع المحاصيل التى زرعها فلاحو عصر الحديد المبكر فى منطقة البحيرات العظمى، قد أخذت من أنـــواع استأنست أصلاً فى المنطقة السودانية خلال الألف الثانى ق.م.، كما أن أقدم مركزين لصناعة الحديد فى أفريقيا جنوب الصحراء هما مروى بالسودان وحضـــارة نوك Nok فى نيجيريا، وهما اللذان يقعان بجوار النطاق السودانى الذى انتشرت من خلاله تكنولوجيا صناعة الحديد إلي باقي شرق وغرب القارة وجنوبها .

* فالأدلـــة الأثـــرية تشـــير الى أن الموطن الأصلى لبانتو منطقة البحيرات العظمـــى، يقع فى منطقة الكاميرون الوسطى ونيجيريا الشرقية، وتعد هذه المـــنطقة مـــنطقة سافانا، مارس فيها البانتو الأوائل الزراعة وتعلموا فيها صهر وصناعة الحديد.(٤٦)
* ولكن كيف وصلوا الى السافانا الجنوبية، وتخطوا منطقة الغابات الاستوائية التى لا تلائم الاقتصاد الزراعى ؟ (خريطة ٤)



Phillipson,1977,fig . 80

(خريطة رقم ٤) انتشار متحدثى البانتو

* الطريق المقترح يدور حول الغابات تجاه الشرق الى حوض الكونغو وتجاه الجنوب ليشغلوا نطاق الغابات، ومن مصب الكونغو على ساحل الأطلنطى، الى مصب Ravuna على ساحل المحيط الهندى، حتى منطقة Luba شمال شـــابا (كاتانجـــا) بمنطقة البحيرات العظمى، والانتشار منها الى بقية بانتو أفريقيا الجنوبية. (خريطة ٥)
* وتدعـــم الأدلة اللغوية الأدلة الأثرية هذا الافتراض، فمن دراسة Green berg للغات الافريقية ومحاولة إظهار أوجه الشبه الحقيقية فيما بينها، هداه البحث إلى أن المجموعة اللغوية الأفريقية الكبرى التى سماها لغات النيجر والكونغـــو، والفـــرع الأوســط من هذه المجموعة يتركز فى حوض نهر النـــيجر، وفيه لغات مشابهة للغات البانتو، وبخاصة لغة شعب التيف Tiv وجماعـــات أخـــرى صـــغيرة فى الركن الشرقى من نيجيريا والغربى من الكمرون.(٤٧)
* لهـــذا قـــرر جرينبرج أنه لامعنى للبحث فى أطراف القارة عن أصل لغة البانتو، مع وجود قرابه شديدة لها فى صميم القارة، وهو لذلك يرجع أصول لغة البانتو إلى منطقة نهر بنيو Benue وأن انتشارها كان من هناك شرقاً إلى حوض نهر الكونغو وإلى شرق وجنوب القارة الأفريقية فى جهات كان يسكنها أناس مثل الأقزام والبشمن، ونظراً للتشابه القوى بين لغات البانتو، فانه يرى أن اللغة الأصلية بدأ انتشارها من وطنها الأصلى منذ نحو ٢٥٠٠ عام.

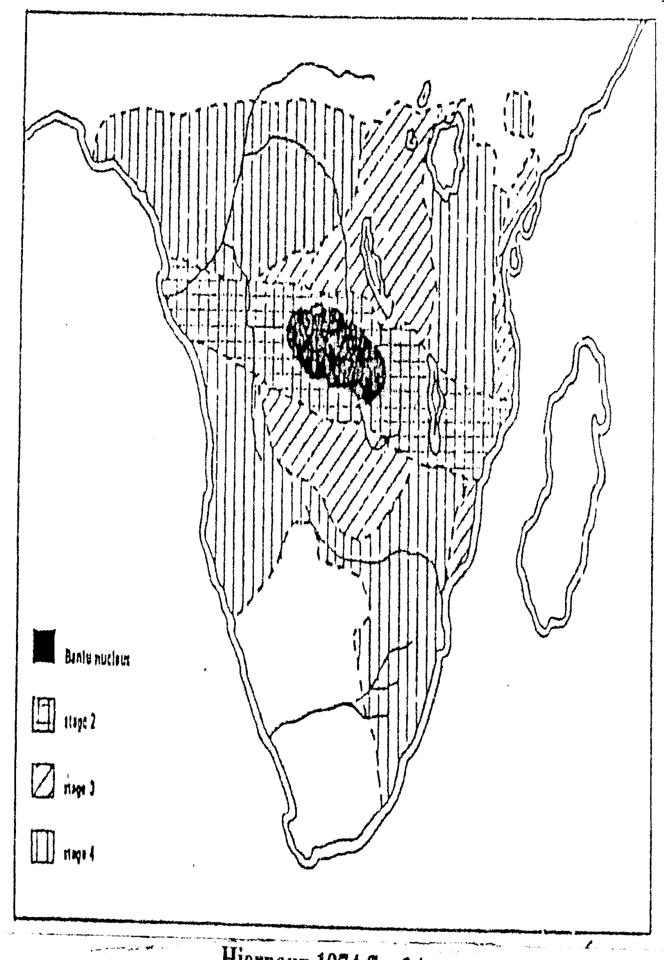
وقد توسع البانتو فى أفريقيا جنوب الصحراء على أربع مراحل متتالية :

* **المـــرحلة الأولى : حيث** بدأت هذه المرحلة فى النصف الثانى للألف الأول ق.م، بســـبب تدفـــق المهاجريـــن من الصحراء الكبرى بعد جفافها حوالى ٢٥٠٠ق.م.، ممـــا أدى إلى الزيادة السكانية لمنطقة حوض بنيوي الأوسط فـــى نيجـــيريا الشـــرقية وتحـــركهم من الشمال إلى الجنوب، من الغابات الاســـتوائية عـــبوراً إلـــى منطقة سافانا غرب أفريقيا، مروراً بمحاذاة نهر الكونغو.(٤٨)

وساعد على الانتشار السريع للمرحلة الأولى، أن سكان البانتو الأوائل كانوا سـكان غابـات وسـيلة معيشتهم جمع الفواكه والجذور وصيد السمك، ثم احـتكوا فـي مـنطقة السافانا الجافة شرق غابة زائير بالشعوب السودانية والكوشية، وتعلموا منهم الزراعة والاستقرار وصناعة الفخار للآتية Urwe لعصـر الحديـد المـبكر، علاوة على التفوق التكنولوجى لمعرفة صناعة الحديد، مما أدى إلى التفوق على السكان المحليين الذين كانوا يعيشون على الصيد والقنص فقط .

المرحلة الثانية: توسع البانتو أثناء القرون الخمسة الميلادية الأولى للنطاق الجنوبى لأرض الغابات .

المـرحلة الثالـثة: حيـث تضمنت التوسع إلى منطقة البحيرات العظمى الأفريقـية ذات الأمطار الغزيرة، وكذا نطاق ساحل شرق أفريقيا. وتعتبر هجـرات الهوتو الى روندا وبوروندى جزء من هذه المرحلة، وساعد على انتشـار هذه المرحلة وصول محاصيل زراعية جديدة لأفريقيا من جنوب شـرق أسـيا مثل الموز واليام والحبوب، عن طريق الرحالة الأندونسيين الذيـن وصلوا لجزيرة مدغشقر وساحل القارة الشرقي حوالى الألف الثانى المـيلادى، وحملـت هـذه المحاصـيل إلى المناطق الداخلية فى منطقة البحيرات العظمى عبر أودية أنهار شرق أفريقيا.[٤٩]



Hiernaux,1974,fig .24

(خريطة رقم٥) مراحل توسع البانتو

المرحلة الرابعة: توسع البانتو لبقية أفريقيا الجنوبية.

أمـا عـــن كيفـية انتشـار البانتو لمنطقة البحيرات العظمى، فكان يتم على النحو التالى:

- فــى الـبداية عـاش البانتو فى معسكرات مؤقتة، ثم انشأوا بعض القرى المستقرة، وبالتدريج نمت القرى والمعسكرات وزاد عدد سكانها، مما أدى لتشكيل وحدات اجتماعية أكبر وهى المقاطعة. ويتاخم قرى البانتو المستقرة العديــد مــن مواقع الرعاة سكان الغابات المدارية المطيرة شرق وجنوب الموطــن الأصــلى بالبانتو وبالتدريج كلما ازداد عدد سكان القرى بالزيادة الطبيعــية وانضمام جامعى الطعام، تحدث المنافسة على الموارد الطبيعية المــتاحة ، ممــا يؤدى إلى هجرة بعض القرى، أو أن يظهر بعض القادة لملهمــين، يجمعون أتباعا حولهم للتحرك والاستيلاء على مقاطعات جديدة، فكانــت المقاطعــة هى الوحدة الأساسية للهجرة. فالواقع أن الأدلة الأثرية واللغويــة لاتؤيــد هجــرة فجائية ضخمة من الصحراء الكبرى إلى جنوب الصــحراء، وأن دخــول محاصــيل زراعية جديدة لا تؤدى إلى الانفجار الســكانى، وانتشــار زراعــة الحبوب من المناطق الشمالية لشرق ووسط أفريقــيا، كان نتيجة إنتشار الأفكار التكنولوجية والتزاوج والانتشار الثقافى، ولــيس لهجرات بشرية ضخمة، فالبانتو الزراع مستخدمو الأدوات والأسلحة الحديديــة، كــانت هجراتهم ثقافية وتكنولوجية وديموجرافية، وحيث أسسوا إمبراطوريات هامة فى منطقة البحيرات العظمى وجنوب أفريقيا.[٥٠]

* ويخضع الهوتو والتوا لسلطة ملك التوتسى، وأعتقد أن الموامى يمثل روح إيمانــا، مصــدر خصوبة الأرض والرخاء، يملك جميع الأرض والماشية والنساء، يمنح القوة والثروة، ويمنعها إذ أراد، المالك الأصلى للأرض عند الهوتــو، ولأن الملك كان مقدساً من التوتسى والهوتو والتوا ، لذلك لايجب الخــروج عــن طاعــته، وإذا حــاول الهوتو الثورة ضد الملك فإن إيمانا سيعاقبهم أشد العقاب، ويفقدون كل شيئ.

* فـالموامى كـان الحـاكم الأعلى لرواندا وبروندى، ولايسمح إلا للتوتسى كمحاربيـن، والـزواج كان شائعاً بين الهوتو والتوتسى، خاصة أن رجال الهوتـو يـتزوجون نساء التوتسى وليس العكس، وأطفال الزواج المختلط ينتمون إلى إثنية أبيهم. وبالرغم من أن المجتمع كان طبقياً، إلا أن الانتقال مـن طـبقة لأخـرى كان ممكنا قبل وصول الاستعمار، فالهوتو يمكن أن يصـبح توتسى بامتلاكه الماشية، والتوتسى الذى يفقد ماشيته يصبح هوتو، أمـا الـتوا فكانت ولازالت جماعة هامشية يتجاهلها الآخرون من الهوتو والتوتسى.(٥١)
* وبعـد وصـول الاستعمار ازدادت الفرقة بين الهوتو والتوتسى، وعمقت كاخـتلافات إثنية، ولم يعد يسمح بالتحول من طبقة لأخرى، كما كان سائداً قـبل الاستعمار، وأصبح الانتماء ثابتاً منذ المولد، وأدت الاختلافات الإثنية بعد الاستقلال إلى الاضطرابات والعنف السياسى بين الجماعتين فى رواندا وبورندى والأقطار المجاورة.

الخاتمة

* الهوتو والتوتسى حوالى ١٤ مليون نسمة على مستوى العالم، يقطنون دول أفريقيا الوسطى فى رواندا وبوروندى، مع وجود أعداد صغيرة فى الكونغو الديمقراطـية وأوغندا وتنزانيا وأوربا وأمريكا الشمالية ويشكل الهوتو فى رواندا وبوروندى حوالى ٨٥% من السكان، التوتسى ١٤% والتوا ١%.
* تشارك الجماعات الاثنية الثلاثة نفس الثقافة، فيتحدثون الكينياروانداا، ويدين معظمهـم بالكاثوليكية، وكانوا يؤمنون بالإله التقليدى " إيمانا " رب رواندا وجميع الرواندين، وتتدخل مناطق إقامة الهوتو والتوتسى جنباً إلى جنب على تلال رواندا الخصبة على مدى قرون عديدة.
* سـيطر التوتسـى الأقلية الإثنية على مصادر الثروة التقليدية من الماشية والأرض وتمكـنوا مـن إخضـاع الهوتو اقتصادياً واجتماعياً، من خلال مايعـرف بعلاقـة الأوبوهاكى، وهى علاقة بين تابع ومتبوع، أوبين سيد وولى نعمته، بموجب هذا الاتفاق استطاع الهوتو بموجبه الاستعانة بماشية التوتسـى فـى زراعـة الأرض، وفى المقابل يحصل التوتسى على السلع الغذائية والخدمات الشخصية. وتبلور هذا النظام فى النهاية إلى علاقة إثنية ونمـط إقطاعى لنظام طبقى، أصبح التوتسى فى ظله أسياداً والهوتو أتباعاً وخضـع الهوتـو والتوتسى لسلطة ملك التوتسى " الموامى "، اعتقاداً بأنه مقدساً، ويمثل روح الإله التقليدى إيمانا، لايجب الخروج عن طاعته، وإلا تعرض لعقاب إيمانا.
* والتوتسـى شعب وافد إلى موطنه الحالى فى رواندا وبوروندى، وقد حاول الأوربيون فى القرن التاسع عشر تحديد الموطن الأصلى لهم، ولكن للأسف لـم تكن دراساتهم دقيقة ولم تعتمد على أدلة تدعمها، فنظرية Speke عن غزو الأقلية الراقية، وأن الزنوج لايستطيعون الوصول لحضارة راقية، فان نشـأة العديد من الممالك مثل الباجندا والبوها فى منطقة البحيرات العظمى يدحض تلك النظرية.

* وبالطبع لم يكن التوتسى آخر أحياء القارة الأطلنطية المفقودة، ولم يأتوا من مصـــر القديمة أو التبت بآسيا كما يقال ، لذلك اتجه علماء القرن العشرين للبحـــث عـــن موطـــنهم فى أثيوبيا الجنوبية أو الشعوب النيلية فى جنوب السودان.
* والأصول الاثيوبية من قبائل الجالا، مبنية على التشابه الإثنى الواضح، من حيـــث القامـــة الطويلة والنحيلة ، ولون البشرة، والجباه المرتفعة، وتقوس الأنف، وشكل الوجه البيضاوى الدقيق، ويقال أن وصول العنصر الاثيوبى لـــم يكـــن بالطـــريق المباشـــر، ولكن بالطريق الجنوبى المحاذى لبحيرة فيكتوريا.
* أما هجرة النيلين الرعاة فى القرن الخامس عشر الميلادى، فكانت من خلال عملـــية تســـلل بطيـــئة وســـلمية من جنوب السودان إلى منطقة البحيرات العظمى، بسبب الجفاف أو الرعى الجائر لزيادة القطعان، وكانت تحركات موسمية بأعداد صغيرة للبحث عن مراعى جديدة، ولذلك لم تؤد إلى تغيير جوهرى فى لغات البانتو.
* وممـــا يؤكـــد الأصول النيلية للتوتسى التشابه الكبير فى الاقتصاد، كرعاة للماشـــية ودورهـــا كعماد للحياة الاقتصادية والثقافية، وتشابه نظام طبقات العمـــر، وشعائر التنشئة الاجتماعية، والقانون العرفى، والشعائر الجنائزية وفترة الحداد وغيرها، وتدعم الأدلة الأثرية واللغوية هجرة أسلاف التوتسى من الشعوب النيلية بجنوب السودان.
* وقد ادعى شعب التوتسى أنه من أصول سماوية أو آلهية، كما فعل فراعنة مصـــر القديمـــة، وألفـــوا العديد من الأساطير عن الأصل المقدس وحقهم الطبـــيعى فى الحكم والقيادة، وبرروا عدم المساواة بشكل أسطورى، وتمتع التوتسى بوضع مسيطر سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافيا فى رواندا على الهوتو والتوا على السواء.
* أمـــا الهوتـــو جزء من زنوج البانتو، حيث تشير الأدلة الأثرية إلى منطقة شمال غرب البحيرات العظمى علـــى أنهـــا الموطن الأصلى للبانتو،

والــذى يقــع فــى منطقة الكاميرون أو نيجيريا الشرقية، وتعد هذه منطقة السافانا، حيث مارس فيها البانتو الأوائل الزراعة وتعلموا صهر الحديد.

* وتدعــم الأدلــة اللغويــة الأدلة الأثرية هذا الافتراض، فمن دراسة اللغات الأفريقية ومحاولة إظهار أوجه الشبة الحقيقية فيما بينها، توصل العلماء إلى أن مجموعــة لغــات النيجر والكونغو، والفرع الأوسط من هذه المجموعة يــتركز فى حوض نهر النيجر، وفيه لغات مشابهة للغات البانتو، وبخاصة لغــة شــعب التيف، وجماعة أخرى صغيرة فى الركن الشرقى من نيجريا والغربى من الكاميرون.

* وانتشار البانتو فى أفريقيا جنوب الصحراء تم على أربع مراحل، تضمنت المــرحلة الثالــثة التوســع إلى منطقة البحيرات العظمى، وتعتبر هجرات الهوتو لرواندا وبوروندى جزءا من هذه المرحلة وذلك خلال القرن الخامس الميلادى.

حواشى البحث

١- فاروق عبدالجواد متولي شويقة: الواتوتسى ، عمالقة أفريقيا دراسة أنثوسسيوبيولوجية، **مجلـــة الدراســـات الأفريقـــية**، معهـــد البحوث والدراسات الأفريقية / جامعة القاهرة العدد ١٩٧٨،٧،ص٧٠.

2- Ramsay,J: Africa, 9 th ed., Mcgraw Hill, Guilford,2001,p.65.

3- Prunier ,G.: The Rwanda crisis 1959- 1994 , History of a Genocide, Hurst company, London, 1995,p.4.

4- Melvern, L.: A people Betrayed, The Role of the West in Rwanda's Genocide, zed Book Ltd., London& New york,2000,p.8.

٥- كلمـــة الهوتـــو: فى لغة الكينيارواندا تعنى الخادم أو التابع، ولفظ التوتسى يعنى أغنياء الماشية. Ibid,p.8

٦- صـــبحى قنصـــوة: العـــنف الإثنى فى رواندا ، ديناميات الصراع السياسى بين الهوتو والتوتسى، **سلسلة دراسات مصرية أفريقية**، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، سبتمبر ٢٠٠١، ص٢.

7- Mair,L.: African Societies, Cambridge uni. press, cambridge, 1974,p.169.

8- Prunier ,G.: op.cit .,pp.1-2.

9- Ramsay,J: op.cit .,p.65.

10- Prunier ,G.: op.cit .,p.2.

١١- حمـــدى عبدالرحمـــن: التوازن الإقليمى فى البحيرات العظمى والأمن المائى المصرى، **مجلة السياسة الدولية**، العدد ١٣٥، أكتوبر ١٩٩٩، ص٢٢.

١٢ - مصطفى عمر حمادة: تطبيقات المنهج التاريخي في الأنثروبولوجيا، في:
محمود عباس: الأنثروبولوجيا مداخل وتطبيقات دار المعرفة الجامعية،
الإسكندرية، ٢٠٠١ ، ص١٠٣.

13- Prunier ,G.: op.cit .,p.7.

14- rr,R.& Halsey,A.:Lond of A Thousand Hills,Viking penguin,Newyork,1999,p.113.

15- Melvern, L.: op.cit .,p.8.

16- Prunier ,G.: op.cit .,p.8.

17- Lemarchand,R.: Rwanda and Burundi,Pall Mall press,London,1970,p.18.

18- Mair,L.: op.cit .,p.168.

19- Maquet,J.: power and society in Africa, world uni. Library,London, 1971,p.142.

20- I bid,p. 142.

21- oP,R: Handbook for Rwanda, U.S.Government printing office, Washingtan, 1969,p.6.

22- Murdock,g.: Africa ,Its Peoples and their Culture History, McGraw Hill, New York, 1959,p.350.

23- Oliver, R.: The cambridge History of Africa, vol.3,cambridge university press, combridge, 1977,p.434.

24- Carr,R.: op.cit .,p.110.

25- Shillington,K.:History of africa, MacMillon Education Ltd.London,1995,p.117.

26- Ibid,pp. 118-119.

27- Oliver, R.: The Nilotic Contribution to Bantu Africa, Journal of African History, vol.23,1982,p.435.

28- Shillington, K.: op.cit .,p.119.

29- I bid,p. 209.

30- Carr,R.: op.cit .,p.110.

31- Nyrop,R.: op.cit .,p.7.

32- Isichet,E.A History of African Societies to 1870, Cambridge university press, ambridge,1997,p.447.

33- Vansina, J.: The politics of history and the crisis in the greatLakes, Africa Today, vol. 5,1,1998,pp.39-40.

34- Nyrop,R.: op.cit .,pp.7-8.

35- Mair,L.: op.cit .,p.169.

36- Nyrop,R.: op.cit .,p.6.

37- Maquet,J.: op.cit .,p.146.

٣٨- فاورق عبد الجواد متولي شويقة: مصدر سابق ، ص ١٢٦.

39- Twagilimana,A.: Hutu and Tutsi, The Rosen publishing Group, New York,1998,pp.31-32.

40- Des Forges ,A.: Leave None to tell the story, Genocide in Rwanda, International Federation of Human Rights, Paris,1999,p.32.

41- Twagilimana,A.: op.cit .,p.16.

42- Scherrer,C.P.: Genocide and Crisis in central Africa, Westport cannecticut, London, 2002,p.17.

43- Hammand-Tooke,W.D.: The Bantu Speaking peoples of southern Africa Routledge & Kegan Poul, London,1980,p.31.

44- Stock,R.: Africa South of the Sahara, The Guilford press, New York, 1995,p.60,

45- De Maret , P: New Survey of Archaealogicall Research and Dates for West Central and north Central africa ,journal of african History ,Vol .23 ,1982 .pp . 5-6

46- Stock,R.: op.cit .,p.60

47- MURDOCK,.:9.p. op.cit .,p.271

48- Nansina, J.: New Linguistic evidence and the Bantu, Journal of African History Vol.36,1995,p.187

49- Shillington,K.: op.cit .,p.55

50- Stock,R.: op.cit .,p.61

51- Twagilimana,A.: op.cit .,p.15

"ندوة التوتسى وأزمة البحيرات العظمى "، معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ،
٢١-٢٢ ابريل ٢٠٠٢ : ص ٤٦- ٦٨

الجذور التاريخية للصراع بين الهوتو والتوتسى فى هضبة البحيرات

أ.د. عبدالله عبدالرازق إبراهيم
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بالمعهد

مقـدمـة :

- شـهدت منطقة البحيرات فى الآونة الأخيرة موجة من الصراع الدموى بل وإبـادة جماعـية بيـن أهم عنصرى سكان هذه المناطق فى كل من رواندا وبورنـدى، وأدى الصراع إلى مذابح وصراعات وإبادة راح ضحيتها مئات الألـوف مـن سكان المنطقة، فضلاً عن نزوح أعداد كبيرة من السكان إلى الـدول المجاورة فى أوغندا وزائير، وشكل هذا اضطرابات وقلاقل فى كل مـنطقة هضـبة البحـيرات، وزاد الطين بله مصرع الرئيسين فى كل من روانـدا وبورنـدى فـى حادث الطائرة العائدة من دار السلام فى ٦ ابريل ١٩٩٤ بعـد مباحثات بين الجانبين الروانـدى والبورندى، وأدى هذا الحادث إلى مذابح وإبادة جماعية ضد عنصر التوتسى.
- يحـاول هذا البحث دراسة فى خلفية هذا الصراع فى محاولة لفهم جذوره التاريخية والعوامل التى ساعدت على تصعيد الأحداث ووصولها إلى ذروة الصـدام والإبـادة للطرفين على مدى سنوات طويلة منذ استقلال الدولتين روانـدا وبورنـدى فى عام ١٩٦٢. ولم تكن هذه الأحداث وليدة اليوم أو الأمس لكنها عوامل تجمعت وتراكمت عبر سنوات طويلة ترجع فى أساسها إلى بداية وصول عناصر السكان إلى هذه المناطق. ثم وقوع المنطقة تحت السـيطرة الأوربـية، والسياسة الاستعمارية التى ساعدت على تصعيد هذه التناقضات والصراعات والتى أدت إلى ثورات وتمردات فضلاً عن تشكيل أحـزاب سياسـية على أسس إثنية أدت فى النهاية إلى المواجهة والصدام

والإبادة الجماعية.

- إن دراســة الخلفــية الجغرافــية لكــل من رواندا وبورندى يعطى بدايات الصــراع فــى هــذه المنطقة لمكتظة بالسكان مع وجود عناصر متباينة جسمانيا، ومختلفة فى طبيعة حرفها. والمعروف أن رواندا مملكة جبلية أى قلــب القــارة الأفريقية، وقد سماها أحد المستعمرين بأنها لؤلؤة أفريقيا.(١) وهــى دولة فقيرة تعتمد أساساً على الزراعة فضلاً عن أنها دولة حبيسة، ويشــار الــيها فــى أحيان كثيرة إلى أرض الألف تل، ومواردها محدودة الاســتغلال ولايهــتم العالم الخارجى بها وتحتل ٢٦,٣٣٨ كم٢ ، وأرضها الصــالحة للــزراعة لاتزيد عن ٣٥%، وتضم المراعى ٢٠%، كما تمثل الغابــات ١١%، وتحدهــا مــن ناحية الشمال أوغندا وتنزانيا، والكونغو (زائير) فى الغرب، وبورندى من الجنوب، وحسب إحصاء ١٩٩٤ وصل عدد سكانها٧,٣ مليون نسمة.
- أمــا بورنــدى فهى شريك لرواندا فيما كان يعرف باسم اقليمى رواندا أو رندى فى ظل الاستعمار الألمانى ثم الاستعمار البلجيكى بعد هزيمة ألمانيا فــى الحروب العالمية الأولى وتوزيع ممتلكاتها الأفريقية، ووقوع الإقليمين تحــت الســيادة البلجيكية فيما يعرف بنظام الانتداب حتى الحرب العالمية الثانية ثم نظام الوصاية بعد إنشاء هيئة الأمم المتحدة والمعروف أن مشكلة الهوتــو والتوتســى تتمثل فى الدولتين بدرجة أو بأخرى لكنه صراع بين غالبــية مــن الهوتــو وأقلــية من التوتسى وسوف نعالج فى هذا البحث النقاط التالية:

أولا : أحوال المنطقة قبل قدوم الأوربيين.

ثانياً : نظام الحكم الأوربى للمنطقة وآثاره.

ثالثاً : الهوتو والتحديات ضد التوتسى.

رابعاً : ثورة ١٩٥٩ وآثارها.

خامساً: إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية.

أولا: أحوال المنطقة قبل قدوم الأوربيين.

* ظلـت روانـدا وبوروندى فى الفترة السابقة للاستعمار الأوربى بلا تاريخ واضح إلا ما عرفناه من خلال الأساطير حيث تشير أسطورة أنه فى بداية تـاريخ روانـدا كلـن يحكمها ملك يدعى كيجوا (Kigwa) وقد هبط من السـماء، وأنجب ثلاثة أبناء وهم جاتوتسى (Gatutsi) وهو أصل التوتسى وجـاهوتو (Gahuta) وهـو أصل الهوتو وجاتوا (Gatwa) وهو أصل التوا.[٢]
* وعـندما أراد كـيجوا أن يخـتار خليفته فى الحكم عهد إلى كل من أبنائه الـثلاثة بإنـاء من اللبن، وطلب منه أن يحتفظ به حتى الصباح، وعندج الفجـر كان جاتوا قد شرب اللبن، أما جاهوتو فقد نام وانسكب اللبن، أمنا جاتوسى ظل يقظاً وحافظ على إنائة وأصبح له الحق وحدة فى حكم البلاد، وصار جاهوتو خادما له وأما جاتوا فقد أصبح منبوذا من المجتمع.[٣]
* لقـد لاحـظ المستكشفون الأوائل أن السكان فى رواندا ينقسمون إلى ثلاث مجموعـات من الهوتو والتوتسى والتوا وهذه ليست قبائل لأنهم يشتركون فـى نفس الديانة ولهم نفس الأساطير، ويتحدثون لغة واحدة هى كينارواند، (Kinyarwanda) ولم تكن هناك منطقة محددة لإقامة السكان وحيث كان الـتوا وهم من الأقزام ويشكلون ١% ويعتمدون على الجمع والالتقاط، أما الهوتـو فيشـكلون الأغلبـية (حوالـى ٨٤%) ويعتمدون على الزراعة، ويشـبهون معظـم السـكان من الفلاحين فى الدول المجاورة فى أوغنداة وتنزانـيا. وأما التوتسى فيشكلون ١٤% وهم أطول من الهوتو وأشد نجافة وهم رعاة ماشية، كما أنهم أخر الجماعات العرقية التى وصلت إلى رواندا وتمكـنوا بفضـل تفوقهـم الفطـرى من بسط سيطرتهم على الجماعتين الاخريـن. وسـيطر التوتسـى على مصادر الثروة التقليدية (الماشية و الأرض)، وتمكـنوا مـن إخضـاع الهوتو من خلال ماكان يعرف بعلاقة الأوبوهاكى وهى علاقة بين تابع ومتبوع، والمعروف أن الماشية هى رمز

الـثروة فـي المجـتمع التقليدى وعلى التابع أن يقدم للمتبوع قدراً من السلع والخدمـات، كما كان التابع يعتبر نفسه من رجال المتبوع (السيد) الذى يبسط حمايـته على أتباعه عند وقوع أية أخطار، وقد تحولت علاقة الأوبوهاكى فى روانـدا إلـى علاقـة إثنية بين الهوتو والتوتسى حيث أصبح التوتسى أسياداً والهوتـو تابعيـن، وصارت علاقات الأبوهاكى معياراً للتمايز بين الجماعتين وبعـبارة أخـرى إذا استولى أحد أبناء الهوتو على قطعة من الأرض وبعض قطعـان الماشـية بموافقة سيدة من التوتسى، فان فى هذه الحالة يفقد الانتماء للهوتو ويصبح من التوتسى والعكس صحيح إذا فقد التوتسى أرضه يتحول إلى فـرد مـن الهوتو، وباختصار ظهرت عمليات التفرقة بين الجماعتين، وصار هـناك سـيد ومسود فى هذه المجتمعات، وصارت كلمة هوتو تعنى التابع أو الخادم، أما كلمة توتسى فتعنى الأغنياء ولديهم ثروة من الماشية.

* لم يتفق المؤرخون والأنثروبولوجيون حول أصل هذه التقسيمات فى تاريخ رواندا أو بوروندى، ويرى البعض أن الهوتو والتوتسى جماعات متميزة. وأنهـم حلـوا محـل التوا الذين عاشوا فى المنطقة وكانوا من الأقزام كما أسـلفنا. وقـد حل المزارعون المهاجرون من الشمال مكانهم، ويقال أن التوتسـى قـد هاجروا من القرن الأفريقى، وتقدموا جنوباً، وسيطروا على الجماعـات الأخرى وقد أثرت هذه الأفكار فى الأوربيين الذين قدموا إلى المنطقة.

* وعـندما زار الرحالة سبيك (Speke) ممالك ودويلات كاراجواى وبوجندا على حدود مملكة رواندا اعتقد أن هناك تقسيماً واضحاً داخل المجتمع وأن هـناك جناس أرقى من الأجناس الأخرى ويختلف فى ثقافته تماماً عن بقية الأجـناس فى وسط أفريقيا، وساد الاعتقاد أن هناك جنس أسمى وليس من المعقـول أن الـزنوج البدائييـن وصلوا إلى هذا القدر من التحضر، وأن التوتسـى جـاءوا مـن منطقة أكثر تحضراً فى الشمال وربما من أثيوبيا، واعتقد بعض الرحالة أن التوتسى يرجعون إلى سلالة قدماء المصريين،

كما أن ملامحهم الدقيقة، وقدراتهم على التكيف مع أى موقف يوحى أن أصلهم من الساميين.(٧)

* لقــد ظهــر مظهر آخر فى تاريخ رواندا وهو ظهور نظام عسكرى قوى، ولعبت السلطة العسكرية دوراً هاماً فى حروب الغزو الرواندية، وانضمت هــذه القوة العسكرية إلى القوات المسلحة للدولة واندمجت فيها عناصر من الهوتــو والتوتسى وصارت القيادة للطرفين، واستطاع هذا النظام أن يجعل روانــدا دولة عسكرية عدوانية يخشاها الجيران، وقد أكدت حروب رواندا العديــدة علـــى أنها لم تكن بين الهوتو والتوتسى بل كانت صراعات بين دويلات متصارعة ضد بعضها البعض.
* لقد اندهش أول رحالة أوربيين للمنطقة لهذا النظام الاجتماعى المعقد والقائم على النظام الإقطاعى حيث توجد طبقة الأسياد والأتباع وهناك نظام إدارى يعــتمد علـــى السلطة المركزية وينقسم إلى أربعة مستويات وهى المقاطعة والحى والتلال والمناطق المجاورة، وكانت المقاطعات تحت إدارة الرؤساء فـــى الجــيش ويعين الملك رؤساء الأحياء، كما يوجد رئيس للأرض وهو مســئول عن ضرائب الزراعة، كما يوجد رئيس الماشية الذى يتولى جمع الضرائب عليها، أما التلال فكانت تحت إشراف رؤساء مسئولين عن ملكية الأرض والضــــرائب وحقــوق المـــراعى، وكانـــت السلطة مركزية من العاصمة.
* وفـــى هذا المجتمع المنظم كانت المناطق المجاورة تحت حكم الهوتو الذين يـــنفذون أوامـــر أسيادهم من التوتسى حيث كان الملك منهم فضلاً عن أن الجيش يشكل غالبية التوتسى، إلى جانب أن التوتسى لهم الأفضلية فى كافة المناصب السياسية.
* لقــد كانت هذه طبيعة المنطقة وسكانها محل الصراع الدموى قبل أن تطأ أقــدام الأوربييـــن نحوها والذين ساعدوا بدورهم على تعميق هوة الخلاف الاثنى بين هذه الجماعات التى عاشت قرونا لاتعرف هذه التقسيمات وتلك النظرة العنصرية.

ثانياً: **نظام الحكم الأوربى للمنطقة وآثارة:**

* بعد مؤتمر برلين ١٨٨٤/١٨٨٥ صارت تنجانيقا ضمن الممتلكات الألمانية بعد أن نجح ناختيجال فى توقيع عدة معاهدات بطرق ملتوية مع حكام هذه المــناطق، وصارت منطقة أوروندى بوروندى ضمن الحماية الألمانية حيث اســتولى الألمان عليها فى عام ١٨٩٠ واستمروا فى حكمها حتى الحرب العالمــية الأولى، وكان حكم الألمان لهذه المناطق يسير حسب النظم التى كانــت سائدة قبل الاحتلال الألمانى، واعتمدت السياسة الألمانية على تأييد الرؤســاء الموجودين طالما أنهم يخلصون للإدارة الاستعمارية، وفى عام ١٩١٢ ســاعد الألمــان نظــام الحكــم الملكى للتوتسى لإخضاع المنطقة الشمالية.
* والمعروف أن الاستعمار الألمانى فى أفريقيا اعتمد على الشركات التجارية الــتى كان كل همها الحصول على أكبر قدر من الربح، وبالتالى لم ترسم ألمانــيا سياســة عامة لحكم المستعمرات، وصار هناك حاكم عام فى كل مســتعمرة التى قسمت إلى عدة أقاليم على رأس كل منها مدير مسئول عن الحكــم المحلــى وإدارة الإقلــيم بعد تلقى توجيهات من الحاكم العام، وفى مناطق التمرد والثورات كان الحاكم العام من العسكريين، وكانت ألمانيا قد عينــت فى عام ١٩٠٧ مستكشفا مشهوراً ويدعى ريتشارد كانت أول مقيم لها فى المنطقة.(٩)
* واعــتمد نظــام الحكــم الألمانى على قانون المستعمرات الصادر فى عام ١٨٨٦ والــذى عدلــت بعض مواده عام ١٨٨٨ حيث حدد سلطات هيئات الحكــم، ونــص علــى أن الحاكم العام مسئول عن إدارة المستعمرات بل ومسئول أمام المستشار الألمانى عن إدارة الإقليم، أى هناك الإدارة الألمانية مباشرة فى كل الأقاليم التى خضعت للحكم الألمانى(١٠)
* ظلت مستعمرات ألمانيا فى أفريقيا تتبع وزارة الخارجية حتى عام ١٩٠٧ عندما أنشئت وزارة خاصة للمستعمرات لكنها لم تعمر طويلاً لسبب أحداث

الحرب العالمية الأولى وخروج ألمانيا صفر اليدين من القارة الأفريقية، وكانت الحكومة الألمانية ترغب فى تعيين الزعماء المحليين المثقفين الذين تلقوا تعليمهم فى مدراس الإرساليات فضلا عن تعيين بعض المدرسين فى وظائف الإدارة المحلية.

* وحاولت ألمانيا قبل الرحيل عن مستعمراتها إحداث تغييرات جذرية فى التعليم ونشر التعليم المسيحى وذلك لخدمة الأغراض الاستعمارية وتحويل المستعمرات إلى مناطق تابعة لألمانيا، وكانت هذه السياسة سبباً فى إحداث تفرقة بين الوطنيين بسبب اعتماد ألمانيا على أحد عناصر السكان دون العنصر الآخر، مما أحدث تفرقة، وعمق من شعور الانتماء إلى النظام القبلى الذى سيكون له مردود خطر على العلاقات بين أبناء الدولة الواحدة، وقد ظهر هذه جلياً فى رواندا وبوروندى، وهكذا يمكن القول أن ألمانيا قبل أن تجبر على ترك مستعمراتها كانت قد وضعت بذور التفرقة ومحاباة عنصر على أخر، وهذا مايزيد من هوة الخلافات بين مختلف العناصر، وما يصحبه من صراعات وحروب تظهر آثارها فى فترة مابعد الاستقلال فى عام ١٩٦٢.(١٢)
* بعد الحرب العالمية الأولى وبالتحديد فى عام ١٩١٦ تمكنت القوات البلجيكية من احتلال المنطقة المعروفة باسم رواندا و أو رندى تحت حكم بلجيكا حسب نظام الانتداب، وقد نص ميثاق عصبة الأمم على التعاون الفعال من أجل الصالح العام ومساعدة الدول الخاضعة لنظام الانتداب للوصول إلى مرحلة الحكم الذاتى والاستقلال. ومنذ ذلك الوقت بعد الحرب العالمية الأولى اعتمدت بلجيكا على أمراء التوتسى ونظام الحكم غير المباشر.(١٣)

وكانت القوات البلجيكية قد تمكنت من إخراج الألمان فى غمار الحرب العالمية الأولى، وظلت رواندا وبوروندى تحت الإدارة البلجيكية من خلال نظام الانتداب فى ظل عصبة الأمم حتى قيام منظمة الأمم المتحدة وفرض نظام

الوصـــاية علـــى المستعمرات الألمانية، ووضعت رواندا و رندى تحت نظام بلجيكى يصعب فيه تطبيق حق تقرير المصير، وطلبت بلجيكا من عصبة الأمم التاكيد على العمل من أجل التنمية، وحرية الديانة وحرية الصحافة.(١٤)

* وفـــى تقرير واضح من الأرشيف الاستعمارى فى عام ١٩٢٠ حدد الوزير البلجيكى للمستعمرات السياسية البلجيكية نحو رواندا وبوروندى والتى تقوم علـــى أســـاس أنـــه لا توجـــد إدارة مباشـــرة وأنه لابد من الاعتماد على المؤسسات القائمة ومساندة السلطة القائمة للواهوتو وحمايتها من الظلم الذى تواجهه.
* إن الذى حدث فى الحقيقة أن الإدارة البلجيكية قامت بالقضاء على سلطات الملـــك فى رواندا وبورندى، واضطر الملك فى عام ١٩٢٢ إلى الاستعانة بممثليـــن مـــن البلجـــيك يختارهم المقيم البلجيكى. وفى العام التالى سلبت ســـلطات الملـــك وحرم من تعيين الرؤساء فى الأقاليم، وزاد الطين بلة أن قامـــت السلطة البلجيكية بعزل الملك موامى موسنجا (Musinga) والذى كـــان قـــد عـــارض السياسة الاستعمارية، وأحلت محله أحد أبنائة ويدعى موتـــارو رودا Mutaro Rudahigwa والـــذى صار معروفاً باسم ملك البيض حيث فضل الزى الأوربى على الزى الوطنى بل وكان يقود سيارته بنفســـه، وتحول إلى العقيدة المسيحية فى عام ١٩٤٦، وكان هذا جزءاً من السياســـة البلجيكية لتشجيع التحول إلى المسيحية بشكل جماعى حيث أنها صـــارت مطلباً **لعضوية النخبة التوتسية**، ولعبت الكنيسة دوراً هاماً فى الحياة السياسية فى مجتمعات رواندا وبورندى، بل وصارت الهيئة الأساسية بعد الدولة.
* تدخلـــت بلجيكـــيا أيضـــاً فى الإدارة المحلية، وفى الحرب العالمية الثانية انقسمت رواندا إلى عدة مقاطعات تحت إشراف مديرين بلجيكيين، وكانوا يتدخلون فى كل صغيرة وكبيرة، وأدخلت العملة البلجيكية، وصار التعليم قاصراً على أبناء الرؤساء.(١٥)

* أنشـــأت الإدارة البلجيكـــية خدمة مدنية أفريقية داخل الطبقة البيروقراطية الـــروانديـة، وتـــتكون من الطبقة الحاكمة التوتسية، وأصبح الحكم البلجيكى قاســـيا مما أجبر مئات الألوف من فلاحى الهوتو على الهروب إلى أوغنده المجـــاورة، ،اصبحوا عمالاً مهاجرين، وفى مناطق التل أجبرت الحكومة البلجيكـــية الرؤساء على فرض العمل الإجبارى على الهوتو خاصة العمل فى رصف الطرق.(١٦)
* وهكذا صار العمل الإجبارى أمراً عادياً يفرض على الرؤساء الذين يعملون حســـب أوامـــر الإدارة الاســـتعمارية التى عينت أميراً مسئولاً عن منطقة معينة. ومنذ عام ١٩٢٦ قامت الإدارة البلجيكية بتنفيذ عدة سياسات عرفت باسم إصلاحات فوازان أدت فى النهاية إلى تقرير وضع التوتسى كما قامت بدمـــج مهام الأمراء الثلاثة (المراعى والجيش والأرض) ووضعها فى يد أمير واحد من التوتسى، كما أقامت سلطة يسيطر عليها التوتسى أيضاً.
* فى عام ١٩٣٣ أعدت الإدارة البلجيكية إحصائية صنفت السكان على أنهم يتـــبعون أحـــد العناصـــر الثلاثة الهوتو والتوتسى والتوا، وتم حصر كل روانـــدى من ناحية الوزن والطول، وشكل العيون، وطول الأنف، وحسب هـــذا التصـــنيف صار التوتسى هم طوال القامة على عكس الهوتو القصار نسبياً وأكثر بدانه من التوتسى النحاف، ولكن كان من الصعب تحديد هوية كل فئة على أساس الشكل الخارجى.
* وبعـــد أن تـــم تصـــنيف كل روانـدى حصل كل فرد على بطاقة شخصية تتضـــمن كافـــة البيانات الخاصة به وعندما أعتنق الملك الديانة المسيحية، واستمرت الاحتفالات بهذا الحدث لمدة ثلاثة أيام، وكان الأثر المباشر لهذا وصـــول العديـــد من البعثات التبشيرية إلى كل مكان فى رواندا، وصارت الكنيسة تلعب دوراً فى الحياة السياسية فى الدولة.
* ومنذ إنشاء الأمم المتحدة، بدأ الاهتمام بتصفية رواندا وبوروندى حيث نص الميـــثاق على أن تنال الشعوب المستعمرة حريتها، وأنشئ مجلس الوصاية

للإشراف على عملية نقل السلطة إلى أبناء البلاد، ثم إعلان الاستقلال.

- فى منتصف عام ١٩٤٨ زارت أول بعثة للأمم المتحدة إقليم رواندا ورندى وتنجانـيقا الـتى كانت تحكم حسب نظم الوصاية، ولاحظت البعثة أن هذه المـنطقة كثيفة السكان، فقيرة الموارد، وأمطارها ضعيفة، ومشكلة الغذاء تشكل عبئاً ثقيلاً على هيئة الوصاية، ولاحظت البعثة أيضاً نقص واضح فى التعلـيم فضلاً عن استخدام القسوة، وضرب الأفارقة لإجبارهم على العمل الإجـبارى. وانـتقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة تلك الأوضاع المتدنية لجمـوع الهوتـو الذيـن أجبروا على العمل الإجبارى مع التفرقة فى كل مجالات الحياة.

ثالثاً: الهوتو والتحديات ضد التوتسى

- فـى عـام ١٩٥٧ جـاء التحدى الكبير للطبقة الحاكمة من التوتسى عندما أصدرت مجموعة من الهوتو بياناً طالب بتحرير وحكم الأغلبية من الهوتو، وكـان هذا بداية الصراع السياسى فى رواندا وبوروندى، ومما شجع الهوتو علـى قـيامهم بهذا العمل ذلك الدعم الذى جاء من الكنيسة فى رواندا، بل وسـاعد أحـد القساوسة فى إعداد البيان، وقد تعاطف القساوسة مع الهوتو الذيـن انقسـمت أقالـيمهم إلـى مجموعات مختلفة من مجتمع الفرانكفون والفلندييـن، وفهم القساوسة مطالب الهوتو من أجل حرية التعبير، وإنهاء التفرقة الإثنية فى الوظائف العامة، وكان تقرير القساوسة يدعو إلى التشاؤم لأنـه لا يوجـد بصيص أمل للتقارب بين الأجناس فى المنطقة، وطالبت بلجيكا ببذل كافة الجهود لتحرير الهوتو.
- وفـى مطلـع الخمسينيات تشكلت أولى الأحزاب السياسية فى رواندا لكنها تشكلت على أساس عنصرى من الهوتو ويدعى حزب **حركة تحرير الهوتو**، والذى نادى بإنهاء استعمار التوتسى قبل التحرر من نظام الحكم البلجيكى وفـى ٣ سـبتمبر ١٩٥٩ تشكل حزب معارضة من التوتسى بحمل اسم " الاتحاد الوطنى الرواندى (UNAR) وكان يساند النظام الملكى ويعارض

السياســة البلجيكــية، كما تشكل حزب ثالث من التوتسى المعتدلين ويطلق علــيه حزب التجمع الديمقراطى (Roder) ويهدف هذا الحزب إلى التنمية الثقافية والاقتصادية لكل من التوتسى والهوتو.(٤٧)

* وهكذا نجد أن تطور نظام الحكم البلجيكى، ودعمه للأغلبية من الهوتو على حساب الطبقة الحاكمة من التوتسى، ثم السماح بتشكيل أحزاب سياسية على أســس عنصــرية، وهذا مادعم من التفرقة والانفصال بين أبناء المجتمع الواحد والذين عاشوا قرونا لايشعرون فيه بهذا التقسيم، وهذه البطاقات التى فرقت جموع السكان إلى هوتو أو توتسى مما عمق من شعور الولاء القبلى علـــى حساب التمازج الوطنى، وقد ظهر هذا فى الأحداث التى تلت تشكيل هذه الأحزاب والتى انتهت بثورة فى البلاد هى ثورة الهوتو فى عام ١٩٥٩ . فما هى أسباب هذه الثورة ؟ وما هى الآثار التى خلفتها ؟ وما آثارها فى البلاد فى فترة ما قبل الاستقلال فى عام ١٩٦٢ ؟
* قــبل الحديــث عن هذه الثورة نقول أن السياسات الاستعمارية قد أحدثت تغيــيرات جذريـــة فى العلاقات الإثنية بين الهوتو والتوتسى حيث تحولت فكــرة تفوق التوتسى ودونية الهوتو وانتوا من أسطورة إلى حقيقة، وصار الوعـــى العام محكوماً بهذه الحقيقة والعنف الإثنى، أى بعبارة أخرى زرع الاســتعمار الأوربـــى قنــبلة العنف العرقى بين الهوتو والتوتسى، وصار انفجارها مسألة وقت فقط وهو ماحدث فى ثورة ١٩٥٩.

رابعاً: ثورة الهوتو ١٩٥٩ وآثارها.

* شهدت رواندا فى عام ١٩٥٩ بداية ثورة الهوتو (الأغلبية) ضد نظام الحكم القــائم والــذى يســيطر عليه التوتسى، وكان موقف الإدارة الاستعمارية البلجيكية حاسماً فى هذا الصراع حيث مالت بلجيكا إلى جانب الهوتو خلال الــثورة والتى قضت على الهيمنة التقليدية للتوتسى، والتى انتهت باستقلال رواندا فى عام ١٩٦٢ فى ظل نظام جمهورى يهيمن عليه الهوتو.(٤٨)
* ففى ٢٤ يوليه ١٩٥٩ مات الملك موتار الذى يبلغ من العمر سته وأربعين

سنه فى ظروف غامضة حيث أعطيت له حقنة مضاد حيوى وهو فى المستشفى، وأكد الأطباء البلجيك أنه مات متأثراً بالحساسية، كما ظهرت شكوك من بعض التوتسى أنه مات مقتولا من جانب البلجيك مع تورط الهوتو فى محاولة قتله، وهو الأمر الذى دفع إلى الانتقام من جانب التوتسى الذين فقدوا أكثر من ثلثمائة شخص فضلاً عن اعتقال ثلاثة عشر شخصاً ناهيك عن آلاف المشردين. وفى البلاط الملكى قامت جماعة من المتطرفين تحطم مفر القيادة عند الهوتو، وانتشرت عمليات القتل والذبح بوحشية، وعندما اشتعل فتيل القتال فى أول نوفمبر ١٩٥٩ هاجمت مجموعة من شباب العسكريين الأمير مبونيوموتو العضو البارز فى حزب باريموتو أثناء عودته إلى منزلة حيث أصيب بجراح بالغة، وسرت إشاعات غير صحيحة عن مصرعه، وعلى أثر ذلك قامت جماعات من الهوتو بمهاجمة التوتسى بعد إجماع البعثة الكاثوليكية فى مدينة جيتامارا (Gitamara).

- واندلع العنف وتوسع من إقليم لآخر، وطبقاً لتقرير بعثة الأمم المتحدة لعام ١٩٦٠ تم اغتيال مائتى شخص من التوتسى الذين قاموا بإرسال مئات البرقيات إلى لجنة الوصاية لمساعدتهم ضد الهوتو، وتشير إحدى هذه الالتماسات إلى أن الصراع بين جماعتين من السكان ليس حقيقياً لأنه منذ زمن طويل كان الأهالى يعيشون فى أمان سوياً، وأن القتل والدمار والحرق يتم أثناء النهار وأحياناً فى وجود البوليس، وطالب الالتماس بسرعة مساعدة الناس الأبرياء، ويوضح هذا التقرير وتلك الالتماسات أن الحكومة البلجيكية تلعب دوراً فى اشتداد هذا العنف الذى صورته الإدارة البلجيكية على أنه مشكلة إثنية بين الهوتو والتوتسى.
- كانت أهم التطورات بعد هذه الأحداث ظهور نخبة من الهوتو التى بدأت تواجه النخبة الحاكمة من التوتسى وجاء بروز هذه النخبة نتيجة التوسع الكبير فى الاقتصاد النقدى، وتصدع هياكل النظام الاجتماعى التقليدى القائم على الاقتصاد المحلى غير النقدى. هذا فضلاً عن تغير موقف الكنيسة

لصالح الهوتو، وتخرج عدد كبير من عناصر النخبة عند التوتسى وعلى رأسهم جريجوار كايبندا أول رئيس لرواندا بعد الاستقلال وهو من خريجى مدارس اللاهوت التابعة للكنيسة.

* حاولت بلجيكا إدخال نسبة محدودة من التمثيل شبه الانتخابى فى تشكيل المجالس الاستشارية القائمة وعلى رأسها المجلس الأعلى للدولة، وكان هذه بداية الممارسة السياسية فى الانتخابات العامة، وهى خطوة كانت لصالح الأغلبية من الهوتو.
* ١١ نوفمبر ١٩٥٦ وضع البلجيك رواندا تحت الحكم العسكرى وأصبحت البلاد تحت إشراف قائد بلجيكى يدعى جوى لوجست (Couy Logiest) والذى بدأ فى استقبال رؤساء التوتسى بغيرهم من الهوتو. وأعلن أنه سيتم إعطاء الأولوية فى الإدارة إلى الهوتو.
* كذا شهدت البلاد فى فترة مابعد الحرب العالمية الثانية سياسة استعمارية تسعى إلى تدعيم الانقسامات الإثنية، وكان المجلس الأعلى من التوتسى قد أصدر بياناً فى عام ١٩٠٧ يطالب فيه بحصول رواندا على الحكم الذاتى تمهيداً للاستقلال هذا فى الوقت الذى أصدر فيه خريجوا كايبيندا مع ثمانية أخرين بياناً مضاداً فى نفس العام عرف باسم بيان شعب الهوتو، وحسب هذا البيان فان المشكلة فى رواندا ليست فى السياسة الاستعمارية البلجيكية، ولكن تكمن المشكلة فى الاحتكار السياسى والاقتصادى والتعليمى الذى يتمتع به التوتسى، ومن ثم فقد اعتبر البيان أن القضاء على هذا الاحتكار يجب أن يسبق أى حديث عن الاستقلال والحكم الذاتى ولهذا اتجهت عناصر الهوتو والتوتسى إلى إنشاء تنظيماتهم السياسية.
* فى عام ١٩٥٧ تشكلت الحركة الاجتماعية للهوتو بزعامة كايبيندا، وتحولت إلى حرب سياسيه فى أكتوبر عام ١٩٥٩ تحت اسم، الحركة الديمقراطية الروائدية، حزب حركة تحرير الهوتو والمعروف اختصارا باسم بارميهوتو (Pormehutu) كما ظهر حزب آخر هو رابطة ترقية الجماهير المعروف باسم ابروسوما

(APROSOMA) بزعامة جوزيف جيتيرا وهو من رجال أعمال الهوتو.

* فـــى نفـــس الوقت قامت النخبة المحافظة من التوتسى فى أغسطس ١٩٥٩ بتشـــكيل حزب الاتحاد القومى الرواندى المعروف باسم أونار (UNAR) واتخـــذ موقفا عادئياً من بلجيكا، وطالب بالاستقلال الفورى للبلاد. وواضح أن هـــذا التشدد، وهذه الأحزاب السياسية وتباين أهدافها ومراميها من أهم الأسباب التى فجرت العنف الإثنى فى البلاد فى عام ١٩٥٩ كما ذكرنا.
* فى ابريل ١٩٦٠ وصلت لجنة تحقيق دولية تابعة للأمم المتدة إلى البلاد، وطالبت بعقد مؤتمر فى بروكسيل لتصفية الأجواء بين الأحزاب السياسية، وفى شهر مايو شكل البلجيكيون قوة حراسة إقليمية قوامها ستمائة وخمسون رجلاً مع غالبية كبيرة من الهوتو، ثم أجريت انتخابات مباشرة فى شهرى يونـــيه ويولـــيه أسفرت عن كسب حزب باريمهوتو ب ٧١% من أصوات الناخبين وهذا ماجعل أونار التوتسى يعلن أن الانتخابات قد زورت.
* فـــى يونية ١٩٦٠ غادر ملك التوتسى ويدعى كيجلى الخامس (Kigeliv) الـــبلاد ولم يعد مرة ثانية، وهرب عشرات الألوف من التوتسى إلى البلاد المجاورة، وقامت الأمم المتحدة بعقد عدة مؤتمرات للمعالجة الوطنية تحت إشـــراف الأمم المتحدة ولجنة الوصاية الموجودة فى العاصمة كيجالى لكنه حـــدث أن قـــام مؤســـس حزب باريمهوتو بتنظيم مسيرة شعبية فى مدينة جيـــتامارا، وتم التصويت لإلغاء الملكية، وأعلنت الجمهورية فى رواندا فى يـــناير ١٩٦١ ولم يطلب زعيم الحركة وهو كابيندا من الأمم المتحدة شيئاً وأمـــام هذا التحدى المباشر أرسلت الأمم المتحدة بعثة أخرى إلى كيجالى. ونظم استفتاء لتقرير مبدأ الملكية إلى جانب إجراء انتخابات مباشرة لجمعية وطنـــية، وحاولـــت الأمم المتحدة الإشراف على هذه الانتخابات لكن أشتد العـــنف، وتوســـعت المواجهات، ونجح كابيندا فى تجنيد شبكة من الخلايا وصار كل زعيم من الهوتو مسئولا عن منطقة معينة من البلاد.
* فى سبتمبر ١٩٦١ كسب حزب باريموتو الانتخابات وحصل على خمسة

وثلاثين مقعداً تشريعياً من إجمالى المقاعد وعددها أربعة وأربعون مقعداً، بينما حصل حزب أونار التابع للتوتسى على سبعة مقاعد، وتم إلغاء الملكية، وأمام هذا التطور لصالح الهوتو طالب حزب أونار إجراء انتخابات جديدة مما أثار الهوتو واندلعت موجة جديدة من العنف ضد التوتسى الذى هربوا إلى خارج البلاد.

* رغم قيام التوتسى بتقديم التماس للأمم المتحدة احتجاجاً على عدم نزاهة الانتخابات التى أسفرت عن فوز ساحق لأحزاب الهوتو، وقد قاطعت أحزاب التوتسى هذه الانتخابات التى أسفرت عن تولى معظم رؤساء البلديات من الهوتو (٢٠٠ رئيس بلدية للهوتو مقابل ٩ رؤساء فقط للتوتسى).
* فى ديسمبر ١٩٦١ بدأت حكومة كابييندا نشر قوات من الحرس البلجيكى المدربة بسرعة لمضاعفة حجمها من ١٣٠٠ جندى الى ٣٠٠٠ جندى، وصار هذا الحرس البلجيكى مسئولاً عن حفظ النظام والأمن الداخلى، وتركزت هذه الوحدات فى كل المقاطعات التسع وتحت إشراف قيادات بلجيكية.

<u>خامساً: لغاء الملكية وإعلان الجمهورية :</u>

* فى أول يونية ١٩٦٢ ألغيت الملكية رسمياً، وتم إعلان كابيند رئيسا للجمهورية فى رواندا، وصار هو أول رئيس للبلاد فى ظل نظام جمهورى يسيطر عليه الهوتو، وكان الملك كيجلى الخامس قد ذهب إلى أوغنده فتم استدعاءه لتشكيل حكومة وحدة وطنية، وفى كمبالا تشكلت مجموعة من النظام الملكى السابق، وجندت ١٥٠٠ رجل من معسكرات اللاجئين، وأطلقوا على أنفسهم اسم ابنييذى أو الكوكوروش (الصراصير) وهى اصطلاح يستخدمه أعداؤهم.
* لم يتوقف العنف الإثنى بين الهوتو والتوتسى بإعلان استقلال رواندا فى عام ١٩٦٢ حيث حاول التوتسى استعادة سلطانهم المفقود، فى الوقت الذى حاول الهوتو الحفاظ على جمهوريتهم الوليدة.

* وفى ١٤ نوفمبر ١٩٦٣ هاجمت التوتسى رواندا من إقليم بورندى المجاور بعــد أن جلبوا حمولة ثلاث سيارات من الأسلحة لكن الذى تصدى لهم كان الحرس الوطنى البلجيكى.[٢٠]
* وفـــى الســـاعة الرابعة والنصف من صباح الحادى والعشرين من ديسمبر ١٩٦٣ قامـــت مجموعـــة مســلحة تضـــم مائـــتى رجل يحملون الرماح والمسدســـات المحلية بغزو رواندا من بورندى فى منطقة نمبا (Nemba)، وانضـــم الـــيهم التوتسى المطيين والذين وصل عددهم إلى ستمائة رجل، وهـــاجموا المعســـكر الحـــربى فى جاكو (Gako) واستولوا على الأسلحة والعربات الحربية، وتقدموا نحو العاصمة كيجالى.
* كـــان رد كابييندا سريعاً وعنيفاً حيث بدأ بالقضاء على المعارضة الداخلية، بـــل وقتل معظم المعارضين السياسيين وبهذا أنهى دور التوتسى فى الحياة العامـــة، وبعد ثلاثة أيام وقبيل أعياد ميلاد المسيح بدأت مذبحة منظمة ضد التوتســـى جعلـــت المـــؤرخ والفيلسوف البريطانى المشهور بتراند راسل (Russal) يقـــول أنهـــا أغرب وأشد عملية إبادة لشعب منذ غزو النازى والقضاء على اليهود، وسبحان الله أن مايحدث الآن فى فلسطين هذه الأيام لايقـــل ضـــراوة ووحشية عن الغزو الهوتو للتوتسى بل وأعنف بكثير من غزو هتلر لليهود وحرقهم.[٢١]
* وبحلـــول عام ١٩٦٥ كان واضحاً أن التوتسى قد خسروا المعركة ولو إلى حين، وهذا ما ساعد الهوتو على تقرير مكانتهم خلال عهد كابييندا (١٩٦٢-١٩٧٣) ثـــم خـــلال عهـــد هابياريمانا (١٩٧٣-١٩٩٤)، وفى ظل حكم كابييـــندا استمر العنف الإثنى وفرار عشرات الألوف من اللاجئين التوتسى إلى الأقاليم المجاورة خاصة فى بورندى فى الجنوب وأوغندا فى الشمال.
* إن حالة الروانديين الذين يعيشون خارج وطنهم ؟صاروا لاجئين هربوا من روانـــدا خـــلال الحملات ضد التوتسى والتى بدأت فى عام ١٩٥٧ عندما أطلق أحد المؤرخين الروانديين على هذه المذابح الثورة الاجتماعية. وقد

شكل هؤلاء الروانديين أكبر مشكلة لاجئين فى أفريقيا، ومثلهم مثل الفلسطنيين أصبحوا بلا دولة حيث أنكر النظام فى كيجالى حق العودة لهم وفى أوغنده لم يحصـــلوا علـــى كـــل الحقـــوق الخاصة بالاستقرار، وفى غرب أوغندا صار الـــروانديون مثار حقد وتفرقة وفى بعض الأحيان اضطهاد واعدام. خاصة فى الثمانينات عندما اشتد الصراع صاروا عرضة للنهب والسلب والقتل.[٢٢]

* فى ابريل ١٩٦٤ أصدرت الجمعية القانونية فى لندن نشرة عن المذابح فى روانـــدا، وأشـــارت إلـــى أنه مهما يكن ماضى التوتسى وسلوكهم إلا أنهم لايســـتحقون الفـــناء كشعب. إن هذه المذابح الصغيرة جعلت رواندا دولة معروفة فى العالم بسبب القتل والإبادة وكان من الأحرى أن تشارك العالم فى مسيرة التنمية.
* لقـــد صار كايبيندا اول رئيس للجمهورية المسئول الأول وأبا للقومية عند الهوتـــو، وهو صاحب السلطة والمدافع عن قضايا الهوتو التى سلبت عبر قرون خلت، بل وصار المسئول الأول عن كل التعيينات فى كل المناصب فـــى الدولـــة، كما أنه يحكم من خلال مجموعة من المستشارين من أبناء مدينـــتة فـــى جيتارما (Gitarama)، وهنا يظهر الفساد والمحاباة والرقابة علـــى كل المطبوعات، وكانه استبدل سيادة التوتسى قبل الاستقلال لسيادة الهوتـــو بعـــد الاســـتقلال ليدخل البلاد فى مرحلة من الصراعات التى لن تتوقف طالما كانت تفرقة بين أبناء الهوتو والتوتسى.
* إن العنصـــر الـــذى خطط للقضاء على التوتسى، والقتل الجماعى فى عام ١٩٦٣ هو نفسة العنصر الذى حدث فى مذابح ١٩٩٤، فالتخطيط والوسائل المستعملة هى نفسها التى حدثت منذ ثلاثين عاماً.
* لقـــد كـــان القـــتل والذبح من أعنف وأشرس الأمور التى يقوم الهوتو بذبح التوتسى حيث بدأت مجموعة من الهوتو المسلحين بالحراب بقتل كل توتسى يـــرونه ســـواء أكان من الرجال أو النساء أو الأطفال وقد تم قتل أكثر من خمسة ألاف شخص وكانت أجزاء من الجثث تجمع فى أكوام على

جانب الطرق، وكانت بعض الجثث تلقى فى مياه النيل، كما قامت مجموعة تضم أكثر من مئات النساء والأطفال من التوتسى بالانتحار غرقاً فى النهر خوفا من هجوم جماعات الهوتو، ان العدد الحقيقى للقتلى من التوتسى غير معــروف وإن كــان مجلــس الكنائس العالمى قد قدرة مابين عشرة ألاف وأربعــة عشــر ألفــا مــن القتلى، وكان عدد كبير من الناس قد لجأ إلى الكنائس.(٢٣)

* وكانــت الكنيسة تلعب دوراً مهماً فى حياة رواندا لأن الدولة مسيحية وتعد الكنيســة هــى الســلطة الثانــية فى الدولة وحيث تزدهر حولها مدارس الإرســاليات الــتى تخــرج طبقة الصفوة من الهوتو فضلاً عن العيادات الصحية ومكاتب الطباعة، وكانت نسبة المسيحيين فى الدولة لاتقل عن ٩٠ % وأكــثر مــن الكنيسة التى جعلت منهم صفوة متميزة فاقت أقرانهم من الهوتــو. أى أن الكنيســة شكلت القومية عند الهوتو الذين اعتبروا القومية عــندهم جزءا من الصفوة التى تعلمت فى مدارس الكنيسة الكاثوليكية، كما كــان رجــال الكنيســة، أعضــاء الحزب الحاكم الذى ينظم عمليات القتل الجماعى رغم أن بعض رجال الدين طالبوا بالمصالحة الوطنية.

* ونظــرا لأن رواندا وبوروندى وقعتا تحت نظام استعمارى مشترك، ونظرا لأن الصراعات بين الهوتو والتوتسى متشابهة فى كلتا الدولتين، فإنهما دائما يتأثرون ببعضهما، ومايحدث فى أحدهما ينعكس على الأخرى خاصة وأن بوروندى عندما استقلت عام ١٩٦٢ كانت الأقلية من التوتسى هى المسيطرة علــى الغالبــية من الهوتو إلى أن حدث فى عام ١٩٧٢ انقلاب من جانب الهوتــو، ثــم مذابح وصلت إلى ٢٠٠,٠٠٠ من الهوتو فى مذبحة منتظمة وقتل جماعى، كما هرب مائتى ألف إلى رواندا نتيجة للمذابح.

* وهكــذا نرى أن مسلسل الإبادة الجماعية ضد كل من الهوتو والتوتسى قد شــغل الحــياة السياسية فى الدولتين منذ الاستقلال وحتى الآن، وهذه هى جــذور الصراعات فى الدولتين بين الهوتو والتوتسى والتى تزداد عنفاً فى أحداث ابريل ١٩٩٤.

الخاتمة

* وفي الختام يمكن القول أن الصراع الإثني بين الهوتو والتوتسي في منطقة هضبة البحيرات هو صراع بين عنصري الهوتو (الغالبية) والتوتسي (الأقلية)، وقد ساعد على إزدياد حدة التوتر عوامل كثيرة سردناها في ثنايا البحث والتي نخلص منها إلى النتائج التالية :

أولاً:— إن الموروث الشعبي لدى الطرفين عن سيطرة التوتسي وقوتهم، وتدعيم السلطات الاستعمارية الألمانية للتوتسي قبل الحرب العالمية الأولى، ثم الإدارة البلجيكية بعد الحربين العالمية الأولى والثانية ثم انحياز الإدارة البلجيكية إلى جانب الهوتو ودعمهم بالمال والسلاح هو الذي فجر المواقف وأحدث تباعد بين الطرفين راح ضحيته الآف الأبرياء من العنصرين وكانت الإدارة الاستعمارية ونظام حكمها كان السبب المباشر لتفاقم الأزمة بين طرفين عاشا قروناً طويلة في مكان واحد متآلفين ومتحابين، ولم يعرفا مثل هذه الصراعات الإثنية التي ذكاها وأشعلها الاستعمار الألماني والبلجيكي .

ثانياً:— أن العنف المتبادل بين الهوتو والتوتسي، وعدم استشارة النخبة المعتدلة من الطرفين، وهذا ما ساعد على ازدياد حدة العنف، وسقوط الألوف من القتلى فضلاً عن تشريد مئات الآلاف من الطرفين، وهو مايسبب مشاكل في الدول المجاورة التي أصبحت تعاني من هذا النزوح الجماعي الذي استعانت به القوى المجاورة في صراعها المحلية على السلطة، وهو مايزيد العنف، ويشعل نار الفتنة في منطقة هضبة البحيرات والتي لاتزال تعيش أحداثاً مأساوية بسبب هذا الصراع العرقي بين الهوتو والتوتسي.

ثالثاً:— إن ظهور نخبة جديدة من الهوتو تحت سيطرة التوتسي خاصة بعد إلغاء نظام الأبوهاكي عام ١٩٥٤ رسمياً، وظهور نظم اقتصادية جديدة، وبروز رجال أعمال أغنياء، من الهوتو، فضلاً عن تحول موقف الكنيسة تدريجيا

إلى صالح الهوتو، مع إدخال بلجيكا نظاماً انتخابياً فى المجالس الاستشارية التى شكلت عام ١٩٤٣ وعلى رأسها المجلس الأعلى للدولة الذى يسيطر على الغالبية فيه وكان هذا من عوامل الصراع الإثنى بين الهوتو والتوتسى الذين كانوا السادة عبر سنوات طويلة.

رابعاً:– إن قيام وتشكيل أحزاب سياسية من الهوتو والتوتسى اعتماداً على نعرات قبلية، جعل هذه الأحزاب وبرامجها لتحقيق الاستقلال يدخل الدولة فى صراعات حول من يفوز بحق تحقيق الاستقلال وبالطبع كانت الكلمة الأخيرة لزعيم الأغلبية وهو كابييدا الذى ألغى الملكية من التوتسى، وأنشأ جمهورية سيطر الهوتو على غالبية المناصب بها، فكان هذا التحدى الكبير للتوتسى ومحاولة الهيمنة عليهم من أهم أعمال العنف والقتل والتشريد، ولو تشكلت هذه الأحزاب على أسس قومية تذوب فيها النعرات القبلية لتشكلت أمة رواندية أو بوروندية يعيش سكانها فى ظل التكامل والتلاحم والتعاون من أجل الدولة وليس من أجل العنصر الإثنى.

خامساً:– إن تدخل القوى العالمية الكبرى مثل انجلترا وفرنسا وبلجيكا والولايات المتحدة، ومحاولة كل دولة مساعدة أحد الأطراف ضد الطرف الأخر من أهم العوامل التى زادت النار اشتعالا، وعمقت هوة الخلاف بين الأطراف المتصارعة على السلطة والسيادة. وكان عجز المنظمات الإقليمية مثل منظمة الوحدة الأفريقية وتجمع السادك لدول الجنوب الأفريقى، والأمم المتحدة عن حل هذه المشكلة الإثنية أثره فى تفاقم الوضع خاصة بعد أن تتبنت فرنسا سياسة عدم التدخل العسكرى فى أفريقيا إلا فى الضرورة القصوى للمحافظة على أرواح رعاياها.(٢٤)

سادساً:– إن محاولة طبقة الصفوة فى كل البلدين فى رواندا وبوروندى فى الوصول إلى السلطة وتقلد مقاليد الحكم على حساب الطرف الآخر سواء أكان من الأقلية التوتسى أو الغالبية من الهوتو، كل هذا فجر الصراعات وعمق الخلافات، وزاد من حدة الصراعات التى أدت على الأخضر واليابس فى

هذه المنطقة من القارة الأفريقية والتى تعانى من كثافة سكانية عالية مع قلة الموارد الطبيعية، وكان من الواجب أن يتجدد الجميع لبناء دولة ديمقراطية بعد الاستقلال وبعد التخلص من آثار الاستعمار الذى أشعل لهيب الخلافات ودعــم الصـــراعات التى تعانى منها رواندا وبوروندى وكل منطقة هضبة البحيرات بل والكونغو الديمقراطية والتى صار فيها شعب التوتسى محور الصـــراع وبؤرة الخلاف إلى أن يتم تفاهم المواقف، وانصهار الجميع فى بوتقة القومية الوطنية بعد تناسى الخلافات والمذابح الجماعية، والصراعات الإثنية التى يكتوى بنارها الهوتو قبل التوتسى.

فهرس

1- Encyclape dia of Africa South of the Sahara vol.4.

2- Antoin, lema: Africa Divided: The Creation of Ethnic Groups Sweden 1993. P.43.

3- Lemarchand, Rene, Rwanda and Burundi London 1970,pp.18-21.

4- Prunier, Gerand: The Rwanda crisis 1959-1994. History of Genocde, London ,p.12.

5- Melvern, L.R.: A people betroyed, The role of the west in Rwanda , genacide,London 1984,p8.

6- Punieirg: Op.cit p. 16.

7- Piollet, J.B: Les mission Catholiques Francaises ou xxxc. Siecle.p.53.

8- Michael: Dravis> Tutsi and Hutu in Rwanda, Tnternet update 21 July 1996.

9- Toylar A.J.P. Germany is First did for colonies 1884-1885 – London 1939,p.7.

١٠- سعد زغلول عبد ربة: الاستعمار الألمانى فى شرق أفريقيا ١٨٨٤/١٩٨٨ ماجستير غير منشور آداب الاسكندرية ص ص.٧٥-٨٥.

١١- شوقى الجمل و عبدالله عبدالرازق إبراهيم: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر الدوحة ١٩٨٦، ص ٢١٤.

12- Oliver, Ronald: The Missionary Foctar in East Africa, London 1952.p.198.

١٣- السعيد إبراهيم البدوى: الصراعات والحروب الأهلية فى هضبة البحيرات – مجلة الجمعية الجغرافية، العدد الخامس والثلاثون السنة الثانية والثلاثون ج١ ص ٥١.

إن نظام الحكم غير المباشر هو نظام طبقته بريطانيا فى مستعمراتها فى غرب أفريقيا خاصة فى دول سوكوتو فى شمال نيجريا والذى طبقه اللورد لوجارد فى مطلع القرن العشرين واعتمد فيه على الزعامات المحلية والنظم الوطنية بعد تعديلها لتتفق مع السياسة الاستعمارية البريطانية، ونجح هذا النظام فى تقليل نفقات الإدارة مع توفير عدد كبير من الموظفين. لمزيد من الدراسة عن هذا النظام انظر.
عبدالله عبدالرازق إبراهيم: نظام الحكم البريطانى غير المباشر فى نيجيريا ١٩٠٠-١٩٤٥ رسالة ماجستير غير منشورة بمعهد البحوث الأفريقية ١٩٦٧، الفصل الثالث.

14- Melvern, L.P.Op.cit.p.10.
15- Rene Lemarchand: Rwanda and Burundi, London 1970,p.73.
16- Rene Lemarchand: Burundi Ethnic conflict and Genocide, London 1994,pp.42-45.
17- Elvern, L.R.OP. Cit.p.14.

١٨- صبحى قنصوة: العنف الإثنى فى رواندا، سلسلة دراسات مصرية أفريقية سبتمبر ٢٠٠١،ص ١٠

١٩- السعيد إبراهيم البدوى: مرجع سابق ، ص٥٢.

20- Elvern, L.R.OP. Cit.p.16.

وأيضا السعيد البدوى: مرجع سابق، ص٥٣.

21- Le monde, 6 Feb.1964.
22- Elvern, L.R.OP. Cit.p.25.
23- Lema: Africa Divided, p.72.

٢٤- السعيد البدوى: مرجع سابق، ص٨٤.

ندوة التوتسى وأزمة البحيرات العظمى "، معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ، ٢١-٢٢ ابريل ٢٠٠٢ : ص٦٩ - ٩٩

" القبلية والصراع على السلطة " فى رواندا وبرندى

" دراسة فى الأنثروبولوجيا السياسية "

د. عبدالعزيز راغب شاهين*

* أصـــبحت القبلية تشكل مصدراً للصراع على السلطة، حيث تعد من أبرز المشـــكلات الـــتى تواجـــه الدول الأفريقية بصفة عامة، وبروندى ورواندا بصـــفة خاصـــة، فالمجتمع الإفريقى مجتمع يتألف من جماعات قبلية حيث يكون الولاء للقبيلة، قبل أن يكون للدولة.
* تـــتألف بروندى ورواندا من ثلاث جماعات قبلية، الهوتو، التوتسى، التوا، تتباين فى الحجم وفى البناء الاجتماعى والسياسى. ولكل من هذه الجماعات نســـق سياسى وإجتماعى يتناسب مع ظروفها، مما أدى إلى أن القبيلة تُعد محوراً مركزياً للهوية الثقافية. فالقبلية كتنظيمات اجتماعية وسياسية، يظل الـــولاء لها دون الدولة بأشكالها الحالية، ومن هنا فإن الولاء القبلى يؤلف حاجزاً كبيراً فى وجه تشكيل دولة مركزية.
* ولـــذا فـــإن وجود جماعات قبلية عديدة داخل الدولة الواحدة، إنما يثير فى أغلب الأحوال صراعات بين هذه الانتماءات المتعددة، التى تسعى كل منها للسيطرة على السلطة السياسية، أو الثروة، بل إن بعض هذه الجماعات قد يلجأ إلى الاستعانة بقوى دولية فى مواجهة الجماعات القبلية الأخرى أو فى صراعه مع السلطة المركزية.
* وقد فشلت جماعات البحث حتى الآن من التخفيف من حدة القبلية أو إيجاد بديل لها كرابطة اجتماعية، ويرجع ذلك لضعف السلطة المركزية، والتى

---

* أستاذ الأنثروبولوجيا الاجتماعية المساعد. معهد البحوث والدراسات الأفريقية — جامعة القاهرة.

- وضــعف أو انعــدام الشعور أو الوعى القومى، إضافة إلى انتشار الأمية، فضــلاً غالـباً ما تكون غير شرعية، وفشلها فى توفير الحماية التى كانت توفــرها القبــيلة لأعضــائها، عــلاوة علــى ضعف الاتصالات، وتردى المواصلات،

عــن عماقــام به الاستعمار من سياسة تجزيئية واضحة على صعيد الوحدات القبلية القائمة.

* ويعــد الصــراع القبلى من أجل السيطرة على السلطة السياسية أو النفوذ، أكثر وضوحاً فى بروندى، ورواندا عنه فى أى مكان آخر فى أفريقيا، لأن الحــدود السياســية لم تتطابق مع حدود الجماعة القبلية، بمعنى أن الدولة الواحدة تضم أكثر من جماعة قبلية، وأن الجماعة القبلية الواحــدة تتــوزع بيــن الدولتيــن، هــذا مــن ناحــية، ومــن ناحية أخرى، يقترن بتفاوت اجتماعــي اقتصادى ملحوظ بين هذه الجماعات، مما انعكس ذلك فى تباين درجــة تأثــيرهما السياسى، مما أدى بالتالى إلى تفجر الصراعات القبلية الاثــنو ـ سياســية، والتى وصلت إلى حد قيام الحروب الأهلية بين قبيلة الهوتو والتوتسى فى كل من بروندى ورواندا.

* وسوف نركز على دراسة هذا الصراع باعتباره. نموذجاً واضحاً للصراع القــبلى من أجل الاستحواذ على السلطة. ولكونه يمثل عينة متميزة من هذا الصــراع، بيــن " الأغلبية العددية " التى تنتمى إلى قبيلة الهوتو، وبين " الأقلية العددية " التى تنتمى إلى قبيلة التوتسى من ناحية ثانية، كما أنه يمثل نموذجا يتميز بسيطرة الأقلية العددية على الأغلبية العددية من ناحية ثالثة، وهــذا بــلا شــك يكون مدعاة لتصاعد الصراع بنسب أعلى مما هو فى الحالات الطبيعية الاعتيادية، أى الحالات التى تسيطر فيها الأغلبية العددية على مقاليد السلطة والحياة العامة فى الدولة.

- ومن هنا كان للقبيلة دور تجزيئى على صعيد الوحدة الوطنية ، فالقبيلة تدفع أفرادها إلى التمايز والانقسام عن القبائل الأخرى، فيصبح لكل قبيلة طابعها

المميز، فالقبيلة تدفع أفرادها إلى الصراع على السلطة السياسية، وبالتالى تؤدى إلى عدم تشكيل دولة موحدة.

- ويتضـــمن البحـــث خمسة موضوعات رئيسية، يتعلق الأول بالإطار النظرى للبحـــث، أمـــا الـــثانى والثالـــث فـــيهدفان إلـــى دراســـة الوضع القبلى، والسوســـيولوجى فى رواندا وبوروندى. ويتعلق الرابع بتحليل طبيعة التنظيم السياســـى القـــبلى التقليدى للهوتو والتوتسى. ويحلل الجزء الخامس الطبيعة المميزة للقبلية فى بروندى ورواندا، ويتضمن الجزء السادس والسابع تحليلاً أنثروبولوجـــيا لطبـــيعة الصـــراع القبلى من أجل السيطرة على السلطة فى رواندا وبوروندى، سواء من الناحية الثقافية ــ النفسية أو الهيكلية، أما الجزء لثامـــن فيتضـــمن دراسة أسباب الصراع القبلى السياسى فى كلا المجتمعين، وأخيراً ينتهى البحث بتوقعات الباحث نحو احتواء أو منع الصراع فى كل من رواندا وبروندى.

- **<u>أولا: الإطار النظرى</u>**

* توضـــح نظـــرية العمل الأثنو ــ سياسى، الشروط التى ساهمت فى عملية التعبـــئة السياسية للجماعات القبلية. وتتمثل هذه الشروط على المعاملة غير العادلـــة مـــن قـــبل الجماعات المسيطرة والتنافس مع الجماعات الأخرى للاقـــتراب من السلطة وتأثير عدوى الاثنو سياسية، وأنماط سلطة وسياسة الدولة التى تغذى الطاقات العرقية[١].

- وتطـــرح هذه النظرية نوعين من الفروض النظرية التى يتم التعامل معها بطـــريقة تركيبية، ويكون تحليل الصراع وفق منظورى: الحرمان النسبى وتعبـــئة الجماعـــة. وتتناول الفرضية الأولى سخط الشعوب إزاء الحرمان الظـــالم والذى يعد الدافع الأول للعمل الأثنو السياسى، بينما تؤكد الفرضية الثانية على التعبئة المحسوبة التى يقوم بها القادة لموارد الجماعة للاستجابة للفـــرص السياســـية المتغيرة. وتكون وجهات النظر المتبادلة فى دراسة " القومية ــ الإثنية "، " أولية " و " أداتية " حيث تهتم الوجهة " الأولية "

بالقومية الإثنية كمظهر لتراث ثقافى متواصل قائم على إحساس أولى بهوية أثنية، بينما تفسر الوجهة " الأداتية " العرقية وتفترض أن الصراع الإثنى استجابة أداتية للمعاملة التفضيلية. ويظهر من بحثنا للصراع القبلى فى رواندا وبروندى أن عملية الصراع تقوم على التفاعل بين العاملين. وتعطى الشكاوى من المعاملة التفضيلية والإحساس بالهوية الثقافية الجماعية الأسس اللازمة لحشد وتشكيل المطالب التى يحددها قادة الجماعة. وحين تكون شكاوى الشعوب وهوية الجماعة ضعيفة، فلن توجد فرصة للتعبئة السياسية من قبل أى منظمين سياسيين استجابة لأى تهديد خارجي، أو فرصة للعمل. ومن جهة أخرى، تتيح الارتباط بين الشكاوى الجماعية مع الإحساس القوى بالهوية الجماعية والمصلحة المشتركة " مادة قابلة للاشتعال "، تغذى العمل التلقائى، عندما تضعف السيطرة الخارجية، وينبعث الربط بين الحركات السياسية القوية والصراع المستمر حين يمكن تنظيمة والتركيز عليه بفعل قادة الجماعة الدين يتولون التعبير عن شكاوى شعوب الأقليات وطموحاتهم(٢).

* وتنطلق هذه النظرية من مدى الضرر الجماعى الواقع على جماعة قبلية من قبل جماعة أو جماعات أخرى، ويعنى الضرر عدم المساواة الاجتماعية وحرمان أعضاء الجماعة من الحياة المادية المثلى أو الصعود السياسى مقارنة بجماعات أخرى.
* وحددت المقولة العامة فى الجزء الأيسر العلوى " مدى الضرر الجماعى " فى شكل (١) أن الصراع المستمر لجماعة مايعتمد على مدى الأضرار ومدى الصراع الذى يؤثر بدورة فى عملية التعبئة السياسية لطاقات الجماعة.
* كما ترى النظرية أن هناك ثلاثة ظروف خارجية تساهم فى بروز هوية الجماعة، وهى قسوة الأضرار الواقعة على الجماعة الطائفية ومدى الاختلافات الثقافية، وكثافة الصراع مع الجماعات الأخرى والدولة. والمقولة العامة فى هذه النظرية هى أن شكاوى جماعة ما وطاقتها للتعبئة والحشد السياسى تتأثر بمدى قوة

الهويـــة الجماعـــية، وتعـــتمد قوة الهوية على الأفراد والتباينات الثقافية وكثافة الصـــراع الماضـــى والحالى مع الجماعات الأخرى والدولة، وتم تصوير هذه العلاقة فى " شكل١ ".

* ويعود الارتباط بين الاحتجاج والتمرد القبلى إلى الهوية الجماعية والتى تعد الـــنافذة الـــتى تغـــذى الصراع بأثر رجعى، وترمز إلى أحد الآليات التى تتواصل بها الصراعات القبلية الممتدة.

* وانطلاقـــاً مـــن العمليات الكونية المشكلة لمحتوى العمل السياسى، " انظر الجانـــب الأيمن العلوى " شكل ١"، فان التغيرات الكبرى فى النظام الكونى مـــنذ سنة ١٩٤٥، قد كثفت من شكاوى العديد من الجماعات القبلية، ومن هذه التغيرات نمو نظام الدولة الحديثة والاقتصاد الكونى، وقد تم دمجها فى الـــنموذج التحلـــيلى للـــنظرية. كما أسهمت الأبعاد السياسية والاقتصادية للتحديث كثيراً فى شكاوى العديد من الجماعات القبلية، ودفعت بعضهم إلى رد الفعـــل أو التمرد أو الصراع، وسهل عاملان دوليان آخران فى عملية التعبـــئة القبلـــية بزيادة الفرص والحوافز للعمل السياسى، وهما:انتشار أو عدوى الصراع القبلى فى كل مكان " انظر شكل ١ "، كما أسهمت النظرية فـــى تحديـــد المحـــتوى السياسى للعمل القبلى وفق الإمكانيات والمؤسسات السياســـية للدولـــة. وتشير دراسة Ted.R.Gurr عن الأقليات الى الإهمية الخاصـــة ثلاثـــة عوامـــل: مـــدى ومجـــال سلطة الدولة، القيمة السياسية وممارسات الديموقراطية، وقد تم توضيح بعض العلاقات بين هذه العوامل المتغيرة والعمل السياسى القبلى فى الجزء الأيمن من (شكل ١).

- تعـــبر هذه النظرية عن نموذج تحليلى لتطور الصراع العرقى، وعن أبعاد الضـــرر الجمـــاعى والمتمثلة فى التباينات الاقتصادية والسياسية والتمييز الجمـــاعى والضغط البيئى والديموجرافى، وعن العلاقة بين مختلف أشكال الضرر، وعن أنواع الشكاوى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للجماعات القبلية، وأن الشكاوى المستمرة لجماعة ماتعتمد على مدى الأضرار ومدى

الشـــكاوى التى تؤثر بدورها فى عملية التعبئة السياسية لطاقات الجماعة، كما تـــبرز هويـــة الجماعة القبلية نتيجة لمدى قسوة الأضرار الواقعة عليها بالنسبة لجماعـــات أخرى، ومدى الاختلافات الثقافية بين جماعة قبلية وجماعة أخرى تتفاعل معها ومع كثافة الصراع مع الجماعة الأخرى والدولة(٣).

كما تشير هذه النظرية الى :

* أن التمييز يؤدى إلى زيادة الإحساس الكامن بالظلم بين المجموعات القبلية وتـــؤدى بالتالى إلى زيادة التعبئة السياسية، كما أن التعبئة السياسية العرقية تعـــتمد على درجة بروز هوية الجماعة وتماسكها وحالة الانتماء للجماعة وبطبيعة الحال فإن تلك العوامل لاينتج عنها علاقة خطية واضحة حيث إن تلـــك الصـــفات لاتتكون تلقائياً ولاتتزايد بنفس القوة كما أنها لاتتواجد فى جميع الأوقات، ويمكن أن نعتبر أن بعض الأفعال التمييزية لمجموعة معينة تؤدى إلى التعبئة العرقية، وتقتصر على سياسات معينة فى بعض الأحيان.
* إن الظروف القومية والدولية التى قد تؤدى إلى تكثيف المظالم القبلية، كما أن توســـع الـــدول عـــن طريق النخب المهيمنة وعملية نشر الديموقراطية والتوسع الاقتصادى على المستوى العالمى قد تؤدى إلى آثار عكسية.
* كمـــا أن هـــذه الـــنظرية توضـــح ثلاثة عوامل دولية أخرى تسهل تعبئة الجماعـــات العرقية تلك العوامل هى التأييد الدولى والقبيلة التى تنتمى إلى أصـــل واحد ولكن تتعدى الحدود القومية، والعدوى التى تنتقل بسرعة من مـــنطقة قبلـــية إلـــى أخـــرى مـــن حيث استخدام القوة والعنف فى تحقيق الأغراض السياسية:
* توضـــح هذه النظرية، وخاصة فيما يتعلق بالتعبئة العرقية، مدى الاحتجاج والصـــراع القـــبلى كدالـــة مرتبطة بمدى المعاناة ودرجة التعبئة للجماعة، وتوضح بشكل عام السبب الذى جعل الجماعات القبلية تتوسع فى أنشطتها السياسية إلى درجة الصراع المسلح، كما تكشف هذه النظرية عن الأسباب التى جعلت هذه الجماعات فى المجتمعات التقليدية يسخطون على الدولة(٤).

ثانيا: الوضع القبلى فى رواندا وبروندى

* يتكون كل من مجتمع " رواندا " " وبروندى " من قبيلتين هما " التوتسى " " والهوتو " مع جماعة قبلية أخرى هى " التوا " حيث تمثل جماعة هامشية، كما ينتمان إثنيا إلى " المجتمع ذات الثنائية الإثنية ".
* رواندا دولة صغيرة تبلغ مساحتها ٢٦٣٣٨ كم٢ ، وعلى هذه المساحة يعيش نحو ٧,٥ مليون نسمة، وهو مايعنى كثافة سكانية عالية على مستوى القارة الأفريقية من حيث كثافة السكان، وتعد بروندى أيضاً من الدول الصغيرة، إذ لاتتجاوز مساحتها الجغرافية ٢٧٨٣٤ كم٢، أما عدد سكانها فيبلغ ٦,٢٢٣,٨٩٧ مليون نسمة، وهذا يعنى ارتفاع معدل الكثافة السكانية، مما يعد عاملاً مساعداً على حدوث التوترات والاضطرابات بين السكان(٥).
* ويعد التركيب الإثنى فى رواندا وبروندى ــ عكس كثير من الدول الأفريقية ــ حيث يتميز بالبساطة من حيث عدد الجماعات القبلية حيث يقسم السكان إلى ثلاث جماعات قبلية، الهوتو، التوتسى، التوا، ويمثل الهوتو والتوتسى محور الصراع السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى كلا الدولتين، حيث تشكل الهوتو الأغلبية بنحو ٨٤%من السكان، والتوتسى الأقلية بنحو ١٥%، " والتوا " تنتمى إلى الأقزام قاطنى الغابات، ولاتزيد نسبتهم على ١% من السكان، وتعتبر جماعة مهمشة سياسيا، واجتماعياً، واقتصاديا.
* وبالإضافة الى بساطة التركيب الإثنى، فقد عاش الهوتو والتوتسى فى روانـدا وبورندى جنبا إلى جنب، حيث لاتوجد بوجه عام مناطق للهوتو، وأخرى للتوتسى، كما تتحدث الجماعتان لغة وطنية واحدة " الكينيارواندا " ومعظم السكان يدين بالمسيحية، كما كانت الديانة التقليدية فى الماضى واحدة، حيث كان الاله " إيمانا " هو رب رواندا وجميع الرواندييين كما تتشابه القبيلتان من حيث التنظيم الاجتماعى، حيث تنقسم كلتاهما إلى عدد من القبائل (أوبووكو) Ubwoko والتى تنقسم بدورها إلى عدد من العشائر والأسر.

- ولقـد حـدث تزاوج مختلط بين الهوتو والتوتسى، باستثناء الأسرة المالكة التقلـيدية مـن التوتسـى، ومن ثم فإن الفروق الفيزيقية ليست قاطعة بين القبيلتين، بل إن بعض الهوتو قد تعرضوا للاضطهاد، وحتى القتل، على يد إخوانهـم الهوتـو نتـيجة طول قامتهم الفارع والاعتقاد الخاطئ أنهم من التوتسـى. ومن ثم فقد كان الصراع الأساسى بين القبيلتين يستند إلى أسس اقتصادية اجتماعية ومن ثم سياسية(٦).
- كمـا يـرجع الصراع القبلى بين الهوتو والتوتسى إلى تفاعل مجموعة من العوامـل والأسـباب، وبعضها تاريخى يتعلق بميراث العلاقات الإثنية فى روانـدا وبـروندى قبل وخلال العهد الاستعمارى، وبعضها ثقافى ونفسى يـتعلق بالصـور والأنماط والمدركات الذهنية التى شكلت نظرة الجماعة القبلـية إلى نفسها وإلى غيرها، وبعضها اقتصادى، وخاصة مايتعلق بكثرة السـكان وندرة الأرض، وبعضها سياسى يتعلق بطبيعة واتجاهات النخب السياسية القبلية من الهوتو والتوتسى ومدى استعدادها وقدرتها على توظيف الانتماءات القبلية لأغراض سياسية، كما كان للعوامل الخارجية أيضاً دور فـى الصراع القبلى فى بروندى، ورواندا، ولقد كان للنخبة السياسية أيضاً دور رئيسيٌ فى هذا الصراع.
- ونخلص إلى أن الوضع الإثنى فى كل من رواندا، وبروندى يتخلص فى أن كلا منهما لايعانى مشكلة ذات طابع لغوى. لأن جميع السكان يتكلمون لغه واحـدة هـى لغة "Kiundi" وهى لغة وثيقة الصلة بلغة Kinyarwanda المنتشرة فى رواندا، كما أن كلامنهما لايعانى مشكلة ذات طابع دينى، لأن التوزيع الدينى فى كل منهما لايتوافق مع التقسيم القبلى أو الإقليمى، كما أنه لايوجـد ديـن رسمى للدولة حيث تسود حريات واضحة للأديان والرأى الدينى(٧).
- وعلـى الرغم من تجانس القبيلتين، الهوتو، والتوتسى، من الناحية اللغوية والدينية، وعدم توزع كل منهما على دين خاص بهما دون الأخرى، إضافة



* وقبـــيلة التوتســـى هى فى الأصل جماعة وفدت إلى بروندى ورواندا فى القرنيـــن السادس عشر والسابع عشر الميلاديين من الشمال وعلى الأرجح مـــن أثيوبـــيا، علماً بأنها من القبائل النيلية، على عكس الهوتو، الذين هم القـــبائل البانتوية (زنوج وسط وجنوب القارة الأفريقية) والتوتسى هى من القبائل الرعوية التى تهتم بشكل خاص بتربية الأبقار.
* وعلـــى الـــرغم من أنهم وافدون على رواندا وبروندى إلا أنهم استطاعوا السـيطرة على السكان الأصليين للبلاد. أى " الهوتو " من خلال الاستحواذ علـــى الأراضى والثروة الحيوانية، وأن يقيموا نوعاً من النظام الاقطاعى، الـــذى أصـــبح فيه التوتسى، السادة الإقطاعيون والنبلاء، فى حين غدا فيه الهوتـــو، الفلاحيـــن، الذين يعملون فى خدمة هؤلاء السادة، حيث يرعون أبقارهم ويزرعون أراضيهم(١١).
* وهكـــذا فـــإن قـــرونا عـــدة من هذا النمط القبلى/ الطبقى، جعلت التوتسى يشـــعرون بـــأنهم " شـــعب مـــتفوق وذكـــى " بحكم وضعهم الأستقراطى الإقطاعى، على حساب الهوتو الذين اعتبروا فى عداد عبيد الأرض، حيث يشـــكلون الطبقة الدنيا فى المجتمع البوروندى، وأن عليهم ألا يتعارضوا مع هذا الواقع الذى فرضة التوتسى عليهم، وأن يقبلوه(١٢).
* وهـــذا يعـــنى أن الواقع السوسيولوجى، يقوم على نمط " السيد ــ التابع " Patron – Lient أويســـمى باللغـــة المحلية Ubugalire or Ubuhaka والـــذى اعتـــبر فيه الهوتو أتباعاً لأسيادهم من التوتسى، وملزمين أمامهم برعاية أرضهم وأبقارهم(١٣).
* وهـــذا النظام لايزال قائماً الى الآن، وهو أحد أسباب المشكلة، القائمة حالياً فى الدولة، فالاختلاف القبلى يتداخل مع الواقع السوسيولوجى " الاجتماعى " لكلتا القبيلتين، مما جعل الصراع بينهما صراعا ذات طابع قبلى واجتماعى فى آن واحد(١٤).
* وهنا يقول بلاندبية عالم الأنثروبولوجيا السياسية، أن امتياز السلطة فى

السـلطة فـى المجـتمع الـبورندى، والـرواندى، إنما هو ملك لأسـتقراطية ضـيقة، فالحكام الحقيقيون كانوا أمراء ذوى طبيعة ملكـية، وعلاقـات السـلطة تؤثر بخاصة داخل " الطائفة المغلقة (القبلـية) المهيمنة "توتسى " حيث تقدم وسيلة للترقى الاجتماعى. تقـوم هذه العلاقات سواء بالنسبة إلى الماشية، ويكون لها فى هذه الحالة طابع خاص وهى سهلة الفسخ، أم بالنسبة إلى الأرض وهنا يكـون لها بالضرورة معنى سياسى فى الحالة الأخيرة هذه، تخلق نوعـا مـن المحظيين والأتـباع وتتدرج فى إطار " التسلسلات السياسـية – الأرضية ". لكن الواقع المهين فى كلا المجتمعين هو العلاقة الوثيقة القائمة بين تدرج إجتماعى يتجاوز نظام " الطوائف المغلقـة " وبيـن المشـاركة فى السلطة وتتدخل العلاقة المسماه " إقطاعـية " كوسـيلة موضـوعية فى خدمة استراتيجية هادفة إلى المحافظـة علـى السـلطة والملـك، بواسطة أرستقراطية ضيقة واتباعها. يظهر هذا المثل الأخير شكلا جديداً من أشكال الإقطاعية الأفريقية، ويدل على تغيراتها وعلى تتابعها المتكرر. فمثلا، إن أهم مؤشـرات السلطة السياسية فى بروندى منذ الاستقلال وحتى اليوم إنما تتمثل فى:

- اسـتمرار هيمـنة الأقلـية التوتسية على مقاليد السلطة السياسية، والمكانة الاجتماعـية والسـيطرة الاقتصـادية، علاوة على سيطرتهم على الجهاز الإدارى، إذ يستحوذ أبناء هذه الأقلية على ٨٥ بالمئة من المواقع الحكومية المهمة فى الدولة.

اقتصار النشاط السياسى والحزبى على واحد فقط.

- سيطرة الجيش الفعلية على مقاليد السلطة السياسية فى البلاد إن كل ذلك قد ساعد استمرار المشكلة القبيلية الاجتماعية فى البلاد، وأدى ذلك الى حدوث صراع عنيف بين القبيلتين(١٥).

رابعا: التنظيم السياسى القبلى للهوتو والتوتسى.

* أما بالنسبة للتنظيم السياسى القبلى لقبيلة الهوتو، فتقوم الوحدة السياسية " القرية " على أسس إقليمية، وليست على أسس قرابية، بمعنى أن نوع الولاء السياسى، ومدى خضوع الفرد لقواعد قانونية معينة ترتبط بتواجده فى نطقة إقليمية معينة، ويصبح الفرد طوع القوانين التى تصدرها السلطة الاقليمية(١٦).
* أمـا التنظيم السياسى القبلى لقبيلة التوتسى، فمثلها فى ذلك مثل باقى القبائل النبلية ــ الحامية، فتقوم على أنساق التوزيع الإقليمى، والذى يتكون من القرية والمقاطعة، ونظام طبقات العمر وإذا كان نسق التوزيع الاقليمى يقوم بالدور الأساسى فى البناء السياسى، فان هناك نظم سياسية أخرى تلعب دوراً هاماً فى ذلك البناء مستقلة عن نسق التوزيع الإقليمى ومتأثرة به فى نفس الوقت. وأول هـذه النظم هو نظام المعسكرات أو الفرق الحربية الذى يوزع كل الذكور فى المنطقة الواحدة إلى أربعة معسكرات أو فرق ذات قيادة مستقلة.
* كما يقوم نظام طبقات العمر بدور سياسى يتعدى الوحدات الإقليمية والعسكرية خصوصـاً وأن هناك كثير من التداخل والاعتماد بين نظام المعسكرات ونظام طبقات العمر.
* ومـن هنا يمكن النظر إلى البناء السياسى من خلال التفاعل بين أنساق التوزيع الاقليمى والتنظيم العسكرى ونظام طبقات العمر. وتبدو القبيلة كما لو كانت الوحدة السياسية والادارية الكبرى التى لاتخضع لأى نوع من السلطة المركزية. ومعنى ذلك أن الوحدة السياسية لاتقوم على أساس التنظيم القرابى، ولكن هناك تنظيمات أخرى مثل الفرق الحربية " المعسكرات " ونظام طبقات العمر(١٧).

خامسا : الطبيعة المميزة للقبلية فى رواندا وبروندى

* وهـذا يقودنـا إلـى التسـاؤل عن الطبيعة المميزة للقبلية فى كل من رواندا وبوروندى. وعلاقاتها بالقوى الاجتماعية الأخرى خاصة الطبقية. فى الكتابات

تنــتج عــن الــتطور الاقتصادى. ويعتمد الصراع القبلى السياسى فى رواندا وبرونــــــــدى على عــــدم الأهمية النسبية للاختلافات الثقافية. والتركيز الجغــرافى، والاحســاس بالشخصية المستقلة للمجموعة القبلية، وهنا يجب أن نؤكد أن تلك الشخصية المميزة تعتبر عرقية سياسية أكثر من كونها منتمية إلى "الأصــل" ، علاوة على التأثير الشديد للتمييز السياسى والاقتصادى. كما يمثل الصراع فى مجتمعات البحث على نوع "الطبقات العرقية"، فالصراع هنا يكون مقصوراً نسبياً على المجموعات المهاجرة والعنصر الأصلى، الذى تعتبر هاما فى التأثير على صلاحية المجموعات العرقية للتعبئة السياسية(١٩).

سادسا: الصراع على السلطة فى رواندا

* ولقــد عززت السياسات الاستعمارية من هيمنة التوتسى على مقاليد الأمور فـــى روانـــدا، ولقد انعكس ذلك على علاقاتهم بالهوتو، وخلال خمسينيات القـــرن العشـــرين، أخـــذ الموقف الاستعمارى يتغير لصالح الهوتو، وهو ماشـــجعهم فى النهاية على القيام بثورتهم عام ١٩٥٩، وتمكنوا من ثم من إسقاط مملكة التوتسى وإقامة جمهورية تخضع لسيطرتهم.
* وبذلـــك تمكـــن الهوتـــو منذ نوفمبر ١٩٥٩، بمساعدة بلجيكا، من الإحاطة بالنظام التقليدى الذى كان يسيطر علية التوتسى، وفقد التوتسى نتيجة لذلك ماكانو يتمتعون به، على مدى قرون من امتيازات، واضطر آخر ملوكهم، الملـــك "موتـــارا الثالث" إلى العيش فى المنفى. أما الهوتو فقد شرعوا فى تدعيم أركان جمهوريتهم خلال مايقرب من ثلاثة عقود بعد الاستقلال، فى ظـــل نظـــام " كايباندا " (١٩٦٢-١٩٧٣) وخلفة " هابياريمانا " (١٩٧٣-١٩٩٤) حـــتى بدأت خيوط الأزمة تتشابك من جديد منذ بداية التسعينات، لتبدأ مرحلة جديدة من الأزمة الرواندية المعاصرة(٢٠).
* وفـــى مناخ من التدهور الاقتصادى والصراع السياسى بين عناصر النخبة من الهوتو، دخلت رواندا عقد التسعينيات لتشهد أزمة سياسية جادة أدت فى الـــنهاية إلى انجراف رواندا إلى موجات من العنف الدموى لم تعرفها من قبل.

- في أكتوبر ١٩٩٠ تجدد الصراع المسلح في رواندا بهجوم الجبهة الوطنية

الرواندية على البلاد انطلاقاً من الأراضي الأوغندية، وفي نفس الوقت تزايدت الضغوط الداخلية والخارجية من أجل التحول إلى نظام التعدد الحزبي، وأدت هذه التطورات ومانرتب عليها إلى تصاعد التطرف السياسي الإثني بين عناصر النخبة الحاكمة من الهوتو، وفي هذا الوضع المتأزم ، بذلت جهود لتحقيق المصالحة الوطنية في رواندا، ولكن المتشردين الهوتو تمكنوا من إحباط هذه الجهود، ومن ثم أصبح الطريق ممهدا لمذابح الإبادة الجماعية عام ١٩٩٤.

* ومن ثم أصبحت الأزمة السياسية التي مرت بها رواندا منذ عام ١٩٩٠ ثلاثية الأبعاد، أولها تجدد الصراع المسلح على يد الجبهة الوطنية الرواندية وثانيهما عملية التحول الديموقراطي وبروز دور المعارضة الداخلية، وثالثها تصاعد التطرف السياسي، والقبلي بين عناصر النخبة الحاكمة من الهوتو.
* ونتيجة لتجدد الصراع المسلح والتحول الديمقراطي في رواندا، شعرت بعض عناصر النخبة الحاكمة من الهوتو أن مصالحها تتعرض لتهديد خطير، وأن عليها مواجهة هذا التهديد بأية وسيلة، بما في ذلك الإبادة الشاملة للخصوم، سواء كانوا من التوتس أو المعارضين الهوتو .وبدأت الاعتقالات الواسعة من التوتسي، والمعارضين الهوتو، كما تعرض المدنيون من التوتسي لحملات منظمة لقتلهم وتشريدهم.
- ولقد شهد عام ١٩٩٢ بداية عملية المصالحة الوطنية في رواندا، على أساس التفاوض بين الأطراف المعنية من أجل التوصل إلى تسوية متفق

عليها للأزمة السياسية في البلاد، وتم التوصل بالفعل في أغسطس ١٩٩٣، بعد مفاوضات شاقة ومطولة، إلى ماعرف باتفاقات أروشا تنزانيا للسلام، والتي كانت بمثابة فرصة حقيقية للمصالحة الوطنية في رواندا، ولكن في نفس الوقت كان المتشردون الهوتو، يسيرون بالبلاد في اتجاه آخر، كانت نهايته مأساة الإبادة الجماعية عام ١٩٩٤.

- ومع بداية عملية المصالحة الوطنية ١٩٩٢، إزدادت مواقف المتشددين الهوتـو تطـرفا، وأخذوا ينظمون صفوفهم للحيلولة دون تغيير الوضع القائم، بحيـث أنـه فى أواخر عام ١٩٩٢، كان هؤلاء المتشددون قد شكلوا إطارات تنظيمـية موازيـة للهيكل التنظيمى فى الدولة على مختلف المستويات. وذلك للتشـكيك فى مفاوضات السلام وإثارة الاضطرابات السياسية وارتكاب مذابح محدودة ضد التوتسى.
- فعلـى المسـتوى السياسـى والإدارى شـكل المتشددون الهوتو ماعرف "**بمجموعة الصفر**"
- حيث قامت هذه المجموعة بإنشاء "فرق الموت" وعلى المستوى العسكرى، قام بعض ضباط الجيش من الهوتو المتشددين بإنشاء جمعية عرفت باسم " الرصاصات"، وقام أعضاء هذه الجمعية بإمداد الميلشيات الحزبية المتطرفة بالسـلاح. وعلـى المستوى الحزبى تم إنشاء ميلشيات مسلحة عرفت باسم "انتيراها موى" وميلشيات مماثلة عرفت باسم "امبوزا موجامبى" حيث دأبت هذه الميليشيات على بث التطرف والعداء القبلى بين الهوتو والتوتسى.
- ومـع تجـدد الحرب الأهلية، وهزيمة المتشددين الهوتو، وانتصار الجبهة الوطنية الرواندية، أدى ذلك إلى فرار نحو مليونين من اللاجئين الهوتو، إما بسبب الخوف من قوات الجبهة، أو من خلال إجبارهم على النزوح على يد قـوات الحكومة السابقة، وفى نفس الوقت أخذ عشرت الآلاف من اللاجئين التوتسـى فى العودة إلى رواندا، حيث عاد نحو ٤٠٠ ألف منهم الى البلاد بحلول نوفمبر ١٩٩٤، وخلفت مذابح الإبادة الجماعية والحرب الأهلية آثاراً مأسـاوية سياسـيا واقتصـاديا واجتماعـيا ونفسيا، نتيجة تمزق المجتمع الرواندى، وانهيار الاقتصاد وتدمير البنية الأساسية[٢١].
- ويتضـح مـن هـذا التطور أن الصراع فى رواندا يمثل صراعاً من أجل السيطرة السياسية القبلية. فقد بدأ الصراع بين الهوتو والتوتسى عام ١٩٥٩ ، حيـث تمكـن الهوتـو فى أواخر ١٩٦١ من إسقاط مملكة التوتسى عام

١٩٦١ وفى عام ١٩٦٢، استقلت رواندا كجمهورية يسيطر عليها الهوتو،

ومـــنذ ذلـــك الحيـــن، اتبع الهوتو سياسة الاستبعاد المنظم للتوتسى خاصة فى المجال السياسى، كما فشلت محاولات اللاجئين التوتسى للعودة إلى بلادهم حتى عام ١٩٩٠، عندما بدأت الجبهة الرواندية العمل المسلح ضد نظام " هابياريمانا " وأدى تجـدد الصـــراع المســلح واتجـــاه رواندا نحو التعدد الحزبى ثم بدء مفاوضـــات السلام فيا بعد، إلى تصاعد التطرف السياسى الإثنى بين المتشددين الهوتو، الذين عادوا يتحدثون عن مبادى ثورة ١٩٥٩، وديموقراطية الأغلبية — أى " الهوتـــو " وخطـــر " الإقطاعييـــن التوتســـى " ومـــن ثم فقد عمل هؤلاء المتشـــددون علـــى مـــنع التغيـــير القادم بأى ثمن بما فى ذلك الإبادة الشاملة للخصـــوم، وهـــو ماتحقق بالفعل عام ١٩٩٤، وقد اعتبر المتشددون الهوتو أن مـــاحدث عـــام ١٩٩٤ كان تصحيحا لأخطاء ثورة ١٩٥٩، حيث اكتفى الهوتو حينـــئذ بقتل بعض التوتسى دون إبادتهم جميعاً، ولو كان ذلك قد حدث ماتمكن أبناؤهم — أى التوتسى — من تهديد جمهورية التوتسى فى أوائل التسعينات.

* كذلـــك فقـــد كـــان لتوجهات وسلوك النخب السياسية القبلية، وخاصة من الهوتو، دور محورى فى نشأة واستمرار الأزمة الرواندية، فقد نشأ الصراع على السلطة نتيجة الصراع بين النخبة الجديدة من الهوتو، التى كانت تعمل من أجل تغيير الوضع القائم، والنخبة القديمة — الجديدة من التوتسى، والتى كانـــت تعمـــل من أجل المحافظة على الوضع القائم، وتبدلت المواقف فى أوائـــل التسعينيات، حيث أصبحت النخبة المسيطرة من " الهوتو " هى التى تدافع عن الوضع القائم، بينما كانت عناصر النخبة من التوتسى فى المنفى تعمـــل من أجل تغييره، وهذا الصراع النخبوى وجد صداه على المستوى الجماهـــيرى، حيـــث دأبت النخبة السياسية القبلية على استخدام جماهير " الهوتو "أو " التوتسى " كأداة فى صراعها السياسى على السلطة.

<u>سابعا: الصراع على السلطة فى بروندى</u>

إن **أهم مؤشرات الصراع** على السلطة فى بوروندى منذ الاستقلال انما تتمثل فى:

اســتمرار هيمـــنة الأقلـــية التوتسية على مقاليد السلطة السياسية، والمكانة الاجتماعـــية، والســيطرة الاقتصادية، علاوة على سيطرتهم على الجهاز الإدارى، إذ يســتحوذ أبـــناء هذه الأقلية على ٨٥% من المواقع الحكومية المهمة فى الدولة.

* اقتصـــار النشاط السياسى والحزبى على حزب واحد فقط هو " Uprona " والذى تسيطر علية قبيلة التوتسى.
* ســيطرة الجيش الفعلية على مقاليد السلطة السياسية فى البلاد، رغم وجود الحـــزب الذى يشكل واجهة سياسية للسلطة وخاصة منذ عام ١٩٦٦، وهو تاريخ أول انقلاب عسكرى فى البلاد.
* إن كـــل هـــذه المظاهـــر قـــد ســـاعدت على استمرار المشكلة " القبلية / الاجتماعية " فى بروندى، وأدت إلى حدوث صراع عنيف ومجازر دموية بين " الهوتو "والتوتسى، ذهب ضحيتها العديد من الأشخاص، كما أدت إلى تحطيم كثير من المنشآت والممتلكات، إذا أن تاريخ بوروندى منذ الاستقلال وحتى الوقت الحاضر، يكاد أن يختزل فى مشكلة المطالب القبلية[٢٢].
* ويمكـــن أن نشـــير فى هذا الصدد إلى مراحل الصراع القبلى على السلطة السياســـية والـــنفوذ فـــى بروندى، لنتعرف من خلالها عن قرب إلى عمق المشكلة القبلية فى هذه الدولة.

المرحلة الأولى ١٩٦٥:

* لم يؤد إستقلال بروندى عام ١٩٦٢ إلى انتقال السلطة تجاه الأغلبية العددية " الهوتو " وإنما استمرت سيطرة الأقلية العددية " التوتسى " من خلال السلالة الحاكمة. وأصبح ملك التوتسى، المسمى " موامبوتا " الرابع Muambtra ملكا على البلاد. وهذا ما أدى إلى استياء " الهوتو " وتذمرهم، وسعيهم إلى تغيـــير الوضع لصالحهم، باعتبار أنهم يمثلون أغلبية سكان البلاد، ولكنهم وجهوا بإجراءات صارمة من قبل الأقلية المسيطرة. ففى انتخابات عام ١٩٦٤، عندما فاز مرشحو " الهوتو " فإن الملك رفض تعيين رئيس وزراء من

أبناء الهوتو، وهذا ما دفعهم إلى القيام بمحاولة انقلابية للاستحواذ على السلطة، خــلال أكتوبر عام ١٩٦٥، إلا أن محاولتهم باءت بالفشل، مما أدى إلى توتر الموقف وحدوث مواجهة دموية بين القبليين.

* وقــد حاول الملك "موامبوتا الرابع" ومن خلال مجلس ملكى معين من قبلة أن يــنظم العلاقــة بين القبيلتين ، مما أدى إلى نوع من التوازن القبلى فى الــبلاد وذلــك لأنه أصبح متخوفا من تحول أو انتقال السلطة إلى الأغلبية العددية " الهوتو "بيد أن هذا الملك ما أجبر على التخلى عن العرش لصالح ابــنه " الغــنى" الأمير " تشارلز نيزى " الذى أعلن ملكا تحت اسم " نتار الخــامس " Ntare V " فــى عام ١٩٦٦. مع تعيين " ميشيل ميكومبيرو " رئيســاً للوزراء، ولكن سرعان ما أعلن نفسة ملكاً للبلاد بعد أن خلع الملك الجديد، وأصبحت بروندى جمهورية فى نوفمبر ١٩٦٦.
* إن إلغــاء الملكية على يد " ميكرمبيرو " أدى الى زوال نوع من الاستقرار القبلى ــ السياسى، الذى أقامه الملك السابق، حيث بدأ الرئيس الجديد، وهو من متطرفى التوتسى، عهده بالقيام بحملة تطهير واسعة لأجهزة الدولة من أبــناء قبيلة الهوتو، ولاسيما من الضباط والسياسيين، مما أدى إلى حصر السلطة، وبشكل شبة مطلق بيد قبيلته " التوتسى "، ويتضح ذلك بشكل جلى مــن خــلال المقــاعد المخصصة لقبيلته فى المجلس الأعلى لقيادة الدولة، والمشــكل عــام ١٩٧١، حيــث كانت مقاعد المجلس المذكور على النحو التالى:٢٣ مقعداً لأبناء قبيلة التوتسى، مقعدان لأمراء قبيلة التوتسى، مقعدان فقط لأبناء قبيلة الهوتو.
* إن هــذه الإجراءات التى قام بها " ميكومبيرو " ومعه بقية المتطرفين من التوتسى، أدت إلى المواجهة بين القبيلتين وإلى المرحلة الثانية من الصراع على السلطة بين " الهوتو " و" التوتسى"[٢٣].

المرحلة الثانية ١٩٧٢

- إن الوضع القبلى المعقد الذى وصلت إليه بروندى فى عهد " ميكومبيرو "

مــن خــلال اســتمرار وتصاعد هيمنة التوتسى على مقاليد الحكم فى البلاد، واســتمرار عمليات التطهير الدورى لأجهزة الدولة من الهوتو، قد دفعت بأبناء الهوتــو إلى التظاهر والتمرد على السلطة، تمهيداً للقيام بمحاولة انقلابية ثانية، وهى المحاولة التى جرت فعلا فى عام ١٩٧٢، بيد أن هذه المحاولة قد فشلت، مما أدى الى تعرض قبيلة الهوتو إلى مذبحة بشرية.

* وحــاول الرئيس " بارتمازا " الذى جاء إلى السلطة بانقلاب عسكرى على حكومــة " ميكومبيرو " عام ١٩٧٦، أن تبذل بعض الجهد لترضية الهوتو وإصلاح الوضع بين القبيلتين من خلال إعطاء الهوتو بعض الحقوق، ومع ذلــك فإن حكم الرئيس " بغازا " مثل أيضاً مرحلة أخرى من مراحل حكم الأقلــية التوتسية، حيث بنيت أجهزة الحكومة والإدارة بيد التوتسى، وظل تمثــيل الهوتــو فى أجهزة الدولة لايتناسب بشكل مطلق مع نسبتهم العددية الكبيرة فى الدولة.

المرحلة الثالثة ١٩٨٨:

* وعلى أى حال فإن عهد بانمازا، الذى انتهى بانقلاب عسكرى فى ١٩٨٧، لم يشهد أحداث دموية ذات شأن بين الهوتو والتوتسى، وبالتالى فإن عهده، على مافيه من مساوئ يعتبر أفضل العهود فى تاريخ بوروندى المعاصر.
* بعد فترة قصيرة من إقصاء الرئيس " بانمازا " وسيطرة النقيب بيار بويايا علــى الســلطة ـــ وهو من قبيلة التوتسى أيضا، حدثت مجزرة بشرية فى أغسطس ١٩٨٨. بسبب احتكاك جنود من التوتسى مع مدنيين من الهوتو.
* إن هــذه الحادثة، وماسبقها من الصراعات القبلية التى شهدتها بورندى منذ الاستقلال، أدت الى تعقيد الحياة السياسية وإلى صعوبة استمرار الحياة على هذه الوتيره، فى بلد تخضع فيه الأغلبية العددية لحكم الأقلية، وهذا مما دفع الرئــيس " بياربويابا " إلى الإعلان فى عام ١٩٨٩ بأنه سوف يعمل على انهاء مظاهر التفرقة التى يعانيها أفراد قبيلة الهوتو، وأضاف أنه سوف ينهى مظاهر التفرقة فى التعليم والتوظيف والقوات المسلحة كما أنه سيقوم

باستئصال مظاهر التفرقة والإقليمية فى البلاد، كما دعى إلى انتخاب برلمان قوى ومستقل، يكون أداة لمراقبة الحكومة وحماية حقوق المواطنين. ومع ذلك فانه رفض أيه فكرة تؤدى إلى سيطرة قبيلة الهوتو، ولوبشكل تدريجى على السلطة، على الرغم من أنها تشكل الأغلبية العددية فى الدولة. وهذا يعنى استمرار المشكلة واستمرار الصراع.

المرحلة الرابعة ١٩٩٣-١٩٩٤:

- لم يكن الصراع بين الهوتو والتوتسى فى بوروندى سمة ظاهرة على المنظور السياسى فى بوروندى بسبب استقرار التقاليد السياسية التى جعلت التوتسى والهوتو فى إطار اجتماعى مرن، وإن اتصف من الناحية الشكلية بالنظام الطبقى. ولايخفى أن التطورات المتقابلة، والمتعاكسة فى كل من بوروندى، ورواندا، منذ نهاية الخمسينيات حيث تولت فى رواندا حكومة الهوتو فيما بين ١٩٥٩ -١٩٩٤، بينما ظل الحكم منعقدا للتوتسى فى بوروندى باستثناء الأشهر الثلاثة التى انتهت باغتيال رئيس الدولة (الهوتو) وانتماء النظام الذى أنشأه فى أكتوبر ١٩٩٣، وهى أحداث تعد مؤثرة فى كل من البلدين.
- وقد بدأت الحرب الأهلية والصراع على السلطة فى بوروندى اعتبارا من مارس ١٩٩٤ فى أعقاب انقلاب أكتوبر ١٩٩٣، وعدم قبول بعض قيادات " الهوتو" باحباط نتائج الانتخابات البرلمانية والرئاسية فى يونيو ١٩٩٣، والتى جرت على أساس دستورى وتحت إشراف دولى، والتى تسلم بموجبها الهوتو السلطة من الحكومة الانقلابية التى رأسها الرئيس "بويوبا".

المرحلة الخامسة ١٩٩٦:

- اتسمت هذه المرحلة والتى بدأت مع انقلاب ٢٥ يوليو ١٩٩٦، والذى تسلم بموجبه الرئيس " بويويا " الحكم، بإعلانه منذ اليوم الأول أن الصراع فى بوروندى ليس صراعاً عرقياً وإنما هو صراع سياسى وأن الحرب لن تحسم

المشــكلة ولابد من تسويتها بالتفاوض، وهو أول اعتراف بضرورة التفاوض، أمـــا ثوار الهوتو على مختلف تشكيلاتهم وفى مقدمتهم المجلس الوطنى للدفاع عـــن الديموقراطـــية Conseil National Pour La defesse de lo democratee CNDD. بـــزعامة نيانجوما فقد اعتبروا أن انقلاب " بويويا " يعكـــس رغبة التوتسى فى استعادة حكمهم الذى فقدوه بهزيمتهم فى الانتخابات النيابية والرئاسية ومحو نتائج هذه الانتخابات(٢٤).

ثامنا أسباب الصراع القبلى السياسى :

* يـــرجع الصـــراع علـــى السلطة فى مجتمعى البحث إلى عدة عوامل منها، الميراث التاريخى بين الهوتو والتوتسى، والصور والمدركات النفسية لكل مـــن القبيلتيـــن بالنســـبة لنفسها وللجماعة الأخرى، والاعتبارات الخاصة، خاصـــة مـــن حيـــث ضـــيق الأراضـــى بسكانها وللطبقية الاقتصادية / الاجتماعـــية، وللمواقـــف والظـــروف الإقليمـــية والدولية، وسلوك النخب السياسية الإثنية.
* ويمكـــن الإشـــارة فى ذلك إلى النظرية العامة للعمل الإثنو السياسى والتى تـــرى أن هناك عدة عوامل ساهمت فى عمليات التعبئة السياسية للجماعات القبلية، وتتمثل هذه العوامل فى:

أولا: المعاملة غير العادلة من قبل الجماعات المسيطرة.

ثانيا: التنافس مع الجماعات الأخرى للاقتراب من السلطة.

ثالثا: تأثير عدوى الحركية الاثنو ـــ سياسية فى كل مكان.

رابعا: تأثير سلطة وسيادة الدولة التى تغذى الطاقات العرقية.

* وتطـــرح هذه النظرية نوعين من الفروض النظرية التى يتم التعامل معها بطـــريقة تركيبـــية، ويكون تحليل الصراع القبلى وفق منظورى الحرمان النسبى، وتعبئة الجماعة.
* والمقولـــة العامة فى هذه النظرية هى، أن صراع جماعة قبلية، مع جماعة مـــا، وطاقـــتها للتعبـــئة السياسية، والحشد السياسى يتأثر بمدى قوة هوية

الجماعــة، كما توضح هذه النظرية ثلاثة عوامل دولية تسهل عملية تعبئة الجماعات القبلية، تلك العوامل هى :

التأييد الدولى.

القبيلة التى تنتمى إلى أصل واحد، ولكن تتعدى حدود الدولة.

عدوى إنتشار الصراع الإقليمى.

* وهــنا يمكــن الإشارة الى أن الصراع القبلى السياسى فى مجتمعى البحث لايخــرج عــن مســتوى المعالجة النظرية للنظرية العامة للعمل الإثنو / سياسى، حيث يرجع هذا الصراع الى الأسباب التالية:

<u>١ – العلاقات الإثنية :</u>

* لقــد قامت العلاقات الإثنية على أساس عدم المساواة بين الهوتو والتوتسى، حيــث نجح التوتسى " الأقلية " فى فرض سيطرتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعــية على الهوتو " الأغلبية " ، واستقرت هذه السيطرة من خلال عديد من المؤسسات والعلاقات فى مختلف مجالات الحياه. ومن أهمها نظام " الأوبوهــاكى Ubuhaki وهــو نظام كان يأخذ شكل علاقة بين طرفين، أحدهمــا السيد أو ولى النعمة، وكان يعرف تقليديا " بالشيبوجا Shebuja " وثانــيهما المولــى أو التابع، وكان يعرف باسم الموجاراجو Mugaragu وكانت الماشية رمز الثروة والمكانة فى المجتمع الرواندى، هى محور هذه العلاقة، حيث كان السيد أو ولى النعمة يمنح مولاه التابع رأسا من الماشية للانتفاع بها، وفى مقابل ذلك كان المولى ملزما بتقديم مايحتاجه ولى نعمته مــن ســلع وخدمات يتم الاتفاق عليها، ولم تكن هذه العلاقة قاصرة على الجانب الاقتصادى فقط، ولكن كانت لها جوانب شخصية واجتماعية أيضا، حيــث كــان المولى يعتبر من " رجال " ولى النعمة، أى يدين له بالولاء الشخصــى، ومقابل هذا الولاء كان ولى النعمة يقوم بحماية مواليه والدفاع عنهم ضد مايتهددهم من مخاطر وأضرار.

* وتحولـت هـذه العلاقـة بمـرور الوقت لتصبح علاقة إثنية بين التوتسي والهوتـو، وترتـب على ذلك حرمان الهوتو كقاعدة من امتلاك الماشية أو المرعى، واقتصار هذه الملكية على التوتسي.
* ولقـد كـان هناك تطابق بين السيطرة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للتوتسـي من خلال سلسلة من علاقات الولاء والحماية على قمتها الموامى "الملـك" باعتـباره لمالك الوحيد للأرض والماشية. وفى أدناها الفلاحون الفقراء من الهوتو.

٢- الأفكار العنصرية الاستعمارية والمدركات النفسية :

* ولقـد أدت الأفكار لعنصرية الاستعمارية الى تحويل الوعى الجماعى فى روانـدا إلى وعى ثنى بين الهوتو والتوتسي، بل إلى وعى عنصرى. فقد شعر " التوتسي " أنهم فعلا من أصل عنصر متفوق مختلف عن " الهوتو " و " الـتوا "، وأن هـذا التفوق يستند إلى " أسس علمية " قدمتها الدراسات الأنثروبولوجـية ولتاريخـية الاستعمارية، ومن ثم انتقل الشعور بالتفوق العنصـرى بيـن الهوتـو والتوتسي من الطبقة الأرستقراطية إلى الأفراد العادييـن مـنهم، وفـى المقابل فقد صدق الهوتو أنهم أدنى عنصريا من التوتسـي، وهذا لشعور جعل الهوتو يكنون العداء للتوتسي، وقد ترجم هذا الشـعور فـيما بعد إلى صراع عنيف مع التوتسي، وظلت هذه الأفكار فى الوعى الجماعى للهوتو (٢٥).

٣- سلوك النخب السياسية الإثنية:

* ولقـد أدى ظهور نخبة سياسية من الهوتو فى مواجهة النخبة السياسية من التوتسـي إلـى تسييس الانقسامات الإثنية، حيث قامت عناصر النخبة من الجماعتين بإنشاء تنظيمات سياسية للدفاع عن مصالحها النخبويه الإثنية.
* ولقـد كان لتوجهات وسلوك النخب السياسية الإثنية، وخاصة من الهوتو، دور محـورى فـى نشـأة واستمرار الأزمة الرواندية المعاصرة، فقد نشأ الصراع الحديث نتيجة تغيير الوضع القائم، والنخبة القديمة ــ الجديدة.من التوتسـي والتى تعمل من أجل المحافظـة على الوضع القائم. وتبدلت

المواقــف فى أوائل التسعينيات، حي أصبحت النخبة المسيطرة من الهوتو هى التى تدافع عن الوضع القائم بينما كانت عناصر النخبة من التوتسى فى المـنفى تعمــل من أجل تغييره، وهذا الصراع القائم بين النخب السياسية الإثنــية وجد صداه على المستوى الجماهيرى، حيث دأبت النخب السياسية الإثنــية علــى اســتخدام جماهــير الهوتو أو التوتسى كأداة. فى صراعها السياسى(٢٦).

٤- الظروف الاقتصادية والطبقية الاقتصادية الاجتماعية :

* ولكن ماهى الظروف المعاصرة التى تكثف الصراع بين الهوتو والتوتسى، والإجابــة الموجــزة هــى أن الضغط البيئى والمدركات النفسية والأفكار العنصــرية الاستعمارية، والظروف الاقتصادية التى أدت إلى وجود نظام اقتصادى سياسى اجتماعى قائم على الطبقية، كل ذلك أدى بالضرورة الى التمييز الاقتصادى/ السياسى/ الاجتماعى، وبالتالى أدى إلى الصراع. كما أن الــتوتر البيــئى، أى الضغوط على أرض وموارد الجماعة والضغوط الديموجرافية، عوامل ذات أهمية كبرى فى حدوث الصراع القبلى.
* كمــا يؤدى التمييز والتوتر إلى نشأة المطالب بالحقوق السياسية كما تؤثر الضــغوط الأيكولوجــية والديموجرافــية تأثيراً قوياً فى المطالبة بالحقوق المتساوية، حيث أن التمييز الاقتصادى والسياسى له تأثير بالغ الأهمية على بروز الحقوق السياسية المتساوية(٢٧).

٥- عدم وجود هوية وطنية واحدة :

* فــالواقع الاجــتماعى والسياسى لمجتمعى البحث، يشير إلى أن كل مجتمع لــيس له حــد أدنى من الاتفاق على الأهداف العامة أو الجماعية، وليست هناك مؤسسات أو مبادئ أوقيم عامة يتبناها كل أفراد المجتمع، وإنما هناك جماعــتان قبليتان ذات أصول مختلفة، وتحتفظ كل جماعة بأساليب حياتها الخاصــة، والعلاقــات بين هذه الجماعات على هذا الشكل ليست علاقات تفاعل وإنما علاقات تماس فحسب.

* فمجـــتمعى البحـــث يمـــثلان مجـــتمعات يســـودها قدر كبير من التباينات العرقـــية،إذا أن الهويـــة القبلـــية وما تولده من صراع تعد أقل قابلية للحل بطبيعتها من الصراعات الدائرة حول قضايا مادية.
* ففى مجتمعى البحث، على فترات طويلة سيطرت الأقلية القبلية من التوتسى علـــى الأغلبية من الهوتو، حيث هيمنت الأقلية التوتسية على مقاليد السلطة السياســـية، والمكانـــة الاجتماعية والسيطرة الاقتصادية، ولقد أدى ذلك إلى اســـتمرار المشـــكلة القبلية/ الاجتماعية، والى تصعيد الصراع الإثنى بين الهوتو والتوتسى ولقد أدى ذلك الى عدم الوصول إلى هوية وطنية.

٦- **المتغيرات الاقتصادية وضغوط الزيادة السكانية :**

* نجـــد أن المتغـــيرات الاقتصـــادية، وضـــغوط الزيادة السكانية والتفاوتات الاقتصـــادية، وخاصـــة التمييز الاقتصادى، والتفاوتات السياسية والتمييز السياســـى بالنســـبة لعـــدم المســـاواة فى الحقوق السياسية تعد سبباً رئيسياً للصراع على السلطة.

٧- **عدم تحقيق العدالة الاجتماعية :**

* عـــدم تحقيق العدالة الاجتماعية بين قبيلة "الهوتو" و"التوتسى" أى أن النظم العســـكرية الحاكمـــة فشلت فى أن توفق بين الجماعتين القبليتين من حيث الســـعى من أجل العدالة الاجتماعية، ولا من حيث المشاركة المتصفة فى الثروة.

٨- **القبيلة والحدود السياسية :**

* فقبيلة " الهوتو " تمثل الأغلبية فى كل من بروندى ورواندا، كما تمثل قبيلة " التوتسى " الأقلية فى كلتا الدولتين، وهنا نجد الحدود السياسية تقسم القبيلة الواحدة إلى شطرين فى دولتين متجاورتين . وهكذا تكون العشيرة العرقية فى الخارج عاملا فعالا فى تطور صراع عرقى قبلى يبدوا داخليا بحتا.

٩- **التعاطف الأيديولوجى:**

* الذى يحظى به أحد أطراف الصراع من قوى خارجية، وهذا يؤكد العلاقة

بين الصراع وبين العرقية القبلية والعون الأيديولوجي الخارجي.

١٠-الهوية العرقية والهوية السياسية:

* أغلب الصراعات القبلية تحتوى على خليط من العنصرين، "الهوية العرقية" والهويـــة السياسية ". فالأولى لها جذورها التاريخية فى الوعى الجماعى، وفـــى الثانـــية أنهـــا تستخدم أيضاً من جانب النخبة السياسية لتعبئة التأييد وكسب مساحة محدودة من العمل السياسى.

١١- النظام العرقى الطبقى:

* يتمـــثل هـــذا فى كل من بروندى ورواندا، حيث تشعر قبيلة التوتسى بأنهم شـــعب متفوق ومتميز بحكم وضعهم الأرستقراى الإقطاعى، على حساب قبيلة الهوتو الذين اعتبروا فى عداد عبيد الأرض حيث يشكلون الطبقة الدنيا فى المجتمع البوروندى والرواندى، وهذا واقع فرضه عليهم التوتسى.
* ويعنى هذا أن الواقع الاجتماعى يقوم على نمط السيد والتابع والذى اعتبر فـــيه "الهوتـــو" أتـــباعا لأسيادهم من " التوتسى " وملزمين برعاية أرضهم وأبقارهم. وهذا النظام القبلى/ الطبقى هو أحد الأسباب الرئيسية للصراع.

١٢- الصفوة العرقية والجماهير :

* لـــيس كـــل أعضاء الجماعة القبلية مشاركين بدرجة متساوية فى الصراع العـــرقى، فعادة ماتصوغ الصفوة العرقية، الأهداف والمطالب حتى قبل أن يتبناها أعضاء الجماعة القبلية.

١٣- الاستعمار وتغذية مشاعر العداء الاثنى .

١٤- ضعف قدرة الدولة على تلبية الحاجات الأساسية للجماعات القبلية .

تاسعاً: توقعات منع الصراع :

* ولكـــن مـــاهى توقعـــات مـــنع الصراع ؟ تؤيد التحليلات العامة ودراسة الحـــالات فى هذا البحث الرأى القائل بمبدأ " المواقف " بأن الصراع القبلى ـــ السياســـى فـــى قضـــايا التوزيع الاقتصادى والسلطة، هو النوع السائد للعرقـــية السياســـية فى بروندى ورواندا بصفة خاصة وفى أفريقيا جنوب الصحراء بصفة عامة.

* ولكـــن مـــاهى النتائج التى توصلنا إليها من دراسة الحالات الموضحة فى البحـــث والتى يمكن استخدامها لتحديد العوامل أو الظروف التى تؤدى إلى منع الصراع القبلى السياسى فى رواندا وبروندى ؟

نرى أن الصرع القبلى ــ السياسى يأتى نتيجة :

للمساوئ والمظالم من قبل القبيلة المسيطرة.

التميز الطبقى/ الاجتماعى .

الخوف من الإزاحة من الائتلاف الحاكم أو فقدان السلطة داخل الائتلاف.

ويمكن احتواء ذلك الصراع عن طريق: ــ

التوسع فى العملية الديموقراطية.

* الحاجـــة إلى تنظيم قوى، وتعدد للأحزاب السياسية واشتراك عدد كبير من المواطنين العاديين، وهو مالم يتحقق فى بروندى ورواندا.
* يجـــب أن تشتمل تلك الأحزاب على ائتلافات متعددة الأعراق، ويمكن أن تحقق مزيداً من الاستقرار بإدخال الشخصيات العرقية الهامة الأكثر فاعلية، وإدخال الأساليب التى تسمح بالتفاعلات السياسية الداخلية.
* يجـــب أن تتواجد المنافسة بين الأحزاب، ويجب أن يشعر جميع الأطراف بأن فرصة الفوز متاحة للجميع.

توجيه التعبئة السياسية للجماعة القبلية المتصارعة إلى القنوات الشرعية.

* إن تفويض السلطة للحكومات المحلية وليس للحكومات الخاصة بالمقاطعات يجـــب أن يكون بأسلوب جوهرى حقيقى ومنظم حتى تكون الفرصة متاحة أمام الأفراد العاديين للتعبير عن رأيهم.
* الاهـــتمام بالتنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية وخلق مزيد من المساواة بين المجموعات العرقية السياسية وخاصة فى الطبقات المميزة.
* وفى ضوء ماتقدم يمكن القول، إن إنهاء حالة الصراع الدائر فى مجتمعات البحـــث، إنمـــا يتطلـــب تكامل أبعاد المجتمع الإثنية، والثقافية، والسياسية، والإقليمية، والاقتصادية، والاجتماعية.



1- Horowitz D. Ethinc Group in conffict, Berkeley, university of california press, 1985,p.182.

2- Ted robert Gurr, Minorities at risk, A Glabol view of Ethnopolitical conflicts,2000,pp. 115-125.

3- Ibid,op.cit.,p.119.

4- Stev Utterwulghe, Rwanda's Protracted Social Conflict: Considering the Subjective Perspective in Conflict Resolution Strotegies 2001,pp.1-25.

5- Rayan, Ethnic Conflict and international relations, Aldershat, Dortmouth,1990,p.x.

6- E- Azar " Protracted international Conflicts ten Propsitions, in J. Burton and F. Duke Conflict reading in Management and resolution, London, Macmillan Presz 1990, P.I,Gkwudia Nmoli. " Ethnic Conflict in Africa, Codesria Bulletin, Dkar, Sengal, N.,4,1999,p.7-8.

7- See amang others, M. Broun Causes and implication of Ethnic Conflict, " in M.Brow, Ethnic, Conflict and international Security, Princeton University Press 1993,pp.3-27. T. and Regional Dimension of international Conflict , in M. Broun (ed)", the international Conflict, Combridg, the Mit Press, 1996,pp.571-603.

8- D.Horowity, Ethnic Groups, of cit.,pp.160-167.

9- O.Igwara. Ethnicity, Nationalism and Genocide in Rwanda " in Igwara (ed), Ethnology and Genocide in Rwanda, London Asen Publication 1995,pp.4-19."

10- M.Banton, Ethnic and Rocial Consciousness, London, Longman, 1997-p.72.

11- G.Prunier, the Rwanda Criss : History of Genocide, London, Hurst and compay p.121-122.

12- D.Waller , Rwanda: which way Now ? Oxford: Oxfam UK and ireland, 1993-p.6.

13- J.Bayo Adekanye, Rwanda/ Burundi. Uni – ethnic Daminance and the Cyile of Armed formations, of it,p.41.

14- C.Koufmann, " Possible and impossible solutions to Ethnic civil wars," in international, vol.20 No – 4.1996,p.140.

15- G. Prunier, The Rwanda Crisis, of p.39.

16- D.Horowity, Ethnic Groups in Conflict, of cit.p.167.

17- G. Prunier, the Rwanda Grisis,of cit.p.47.

18- R.Lemarchand, Rwanda and Burundi, p.96.

19- Grosse, the Roots of conflict and state Failure in Rwanda, 1999,p.15.

20- Goffney, " Rwanda: A Crissis of Humanitarion Security, 2001-p.19-28.

21- David Waller, Rwanda, Burundi,: Which Way now ? oxford Country studies, 1995,pp.15-16.

" ندوة التوتسى وأزمة البحيرات العظمى "، معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ، ٢١-٢٢ ابريل ٢٠٠٢ : ص ١٠٠ : ١١٧

جغرافية الصراع فى هضبة البحيرات

أ.د. السعيد البدوى

أستاذ الجغرافيا

* لاشك أن الصراع فى هضبة البحيرات العظمى فى أفريقيا يعتبر من أهم بؤر الصراعات فى القارة الأفريقية إن لم يكن فى العالم أجمع وذلك يرجع الى:ـ
* اتساع مساحة الصراع فى المنطقة حيث كان أن يسيطر على منطقة وسط أفريقيا كاملة فضلاً عن أجزاء من شمال أفريقيا الجنوبية، وقد تطور الصراع بحيث أصبحت دول أوغندا، رواندا، الكنغو الديموقراطى، زمبابوى، أنجولا، ناميبيا، ضالعة فيه، يضاف إلى ذلك دول أخرى تأثرت بافرازات وتوابع هذا الصراع مثل تنزانيا وأفريقيا الوسطى والكنغو/ برازافيل ... الخ. سواء عن طريق تدفق اللاجئين إليها أو المشاركة فى الصراع عن طريق التسهيلات (اللوجستية) أو بالميل نحو هذا الطرف أو ذلك.
* عمق التأثيرات التى أدى إليها هذا الصراع سواء على مستوى البشر، عن طريق القتل أو الإصابات أو اللجوء أو النزوح، أو على مستوى التخريب الاقتصادى من مرافق الإنتاج أو الاستهلاك أو التصدير أو تحطيم البنية الأساسية مثل الطرق وشبكة المياه النقية والكهرباء والاتصالات ...الخ. يضاف إلى كل ذلك التحطيم النفسى والأسرى وانتشار الأمراض والأوبئة نتيجة لعدم أونقص الخدمات الصحية التى دمرت أو انقطعت نتيجة للأعمال العسكرية أو مايشابهها.

* توقــف عملــيات التنمية بمعناها الشامل والإنتاج الإقتصادى أو على الأقل انخفاض معدلات النشاط الاقتصادى والتنمية بشكل واضح سواء فى الإنتاج الـــزراعى أو التعديـــنى أو الصناعى، فضلاً عن النشاط الاستهلاكى الأمر الــذى أدى إلى انهيار إقتصادى واجتماعى شامل Socio – Economic Collapse فى أجزاء كثيرة من منطقة الصراع المشار إليها.
* فــتح المجال أمام القوى الأجنبية: غير الأفريقية ــ للتدخل فى شئون هذه المنطقة سواء من القوى الاستعمارية القديمة مثل فرنسا وبلجيكا وبريطانيا أو الجديـــدة مثل الولايات المتحدة الأمريكية بالإضافة إلى إسرائيل، وكان هــذا التدخل ــ ومازال ــ بالأسلحة أو الأموال وكذلك بتدريب القوات أو التوجــية السياســى والاقتصادى للقوى المتنازعة فى المنطقة، ومن أفضل الأمثلة على بلوغ التدخل أقصاه أن أطلس الذى ينتج فى الشمال الشرقى من زائـــير (الكنغو الديموقراطى)، والذى تسيطر على المنطقة التى يوجد بها قوات التمرد فى شرق الكنغو، أصبح يصدر خلسة إلى جهات أجنبية نظير دفـــع المقابل له بالأسلحة والمعدات العسكرية، الأمر الذى يؤدى إلى زيادة أمد الصراع بين القوى المتصارعة.

التشابك والتقاطع بين عوامل الصراع القائم فى المنطقة مع عوامل أخرى تؤدى إلـــى ــ وقد أدت بالفعل ــ إلى أنواع أخرى من الصراع مثل الصراع العرقى بيـــن الهوتو والتوتسى فى كل من دولتى رواندا وبوروندى، كما أن قوى التمرد الـــتى تمركزت فى عام ١٩٩٧ فى شرق الكنغو بقيادة لوران كابيلا إلى الحكم فـــى الكـــنغو الديموقراطى والإطاحة بالرئيس موبوتو، هى نفسها التى أطاحت بـــالأول بعـــد قرابة عامين من الحكم و حل محله إبنه جوزيف كابيلا ومازال الـــتمرد قائمـــاً فـــى شرق الكنغو الديموقراطى. هنا نستطيع القول أن الخيوط العرقـــية تشـــابكت مع الخيوط السياسية والاقتصادية التى تشابكت بدورها مع خـــيوط السياســـة الإقليمـــية المحلية الأفريقية حيث تقف دول معينة مع الكنغو الديموقـــراطى فى حين تقف دول أخرى مع جبهة التمرد والمعارضة. كل هذا التشـــــابــــــك أفـــــرز فــــى النهايـــــة (عقدة) معقـــــــدة من

الخيوط تحتاج إلى صبر وتأن وترضى بين القوى المتصارعة من أجل الوصول إلى حلول مرضية للجميع.

* استمرار أمد الصراع لفترة طويلة وصلت إلى قرابة خمس سنوات ومازال الصراع محتدماً وإن كانت النار توجد تحت الرماد، وقد حاولت المنظمات الإقليمية الأفريقية مثل منظمة الوحدة الأفريقية والدولية مثل مجلس الأمن الوصول إلى نهاية لهذا الصراع وعقدت مؤتمرات واجتماعات بين الأطراف المعنية للوصول إلى حلول للمشكلة ولكنها لم تؤد إلي نهاية وشيكة لإنهاء الصراع، وأصدر مجلس الأمن أكثر من قرار فى هذا الشأن، وتدخلت دول كثيرة أفريقية وغير أفريقية للتوصل إلي حلول بين الأطراف كان أخرها جهود جمهورية جنوب أفريقيا، ومازال الموقف حتى الآن (مايو عام ٢٠٠٢) متوتراً.

* ونظراً لتشعب الموضوع وتداخل خيوطه فقد آثرت أن أتناول هذا الموضوع من وجهة النظر الجغرافية، أو بمعنى آخر، ماهى العوامل الجغرافية التى غذت هذا الصراع ؟؟ هل هى عوامل طبيعية أو بشرية أم أنها اقتصادية وسياسية ؟؟ وبالتالى فإننا سوف نتناول كل نقطة من النقاط الجغرافية على حدة وفقاً لمدى أهميتها وترتيبها المنطقى الجغرافى.

<u>أولا العوامل الجغرافية الطبيعية :</u>

* هناك عوامل طبيعية كثيرة ساهمت إلى حد كبير فى مجموعة السمات سالفة الذكر بالنسبة لصراع هضبة البحيرات تتمثل فى الآتى:

- الموقع والعلاقات المكانية: إذا مانظرنا إلى منطقة شرق ووسط أفريقيا نظرة شاملة عامة فإننا نلاحظ أنها تكون منطقة " مندمجة " Compact متصلة تمتد فيها الظاهرات الجغرافية الطبيعية بصفة عامة من الشمال إلى الجنوب حيث تبدأ بالشريط الساحلى وهو عبارة عن سهل ضيق ثم تبدأ الهضبة الأفريقية فى الظهور، وهى من تكوينات أركية قديمة ويتلو ذلك " خندق " الوادى الأخدودى العظيم الشرقى، ثم تعاود الهضبة الأفريقية فى

الظهـــور ويتلو ذلك الوادى الأخدودى العظيم الذى تحتله بحيرات طولية عميقة وعلـــى جانبيها مرتفعات شاهقة فى الشرق وفى الغرب. وإلى الغرب من هذا الوادى الأخدودى تعود الهضبة الأفريقية مرة أخرى ترصعها الأحواض النهرية ومن أهمها حوض نهر زائير وحوض نهر الزمبيزى.

* هـــذا الموقـــع " المتماســك " الذى يطل على المحيط الهندى قسمته القوى الاستعمارية الأوربية إلى مجموعة من الدول هى: كينيا، وتنزانيا، وأوغندا، إضافة إلى دولتى رواندا وبوروندى، ونتيجة للحدود السياسية " المصطنعة " أصبحت هناك دولتان ساحليتان هما كينيا وتنزانيا وثلاث دول " حبيسة " داخلية هى أوغندا ورواند وبوروندى، ولكن العلاقات الاقتصادية والبشرية ظلـــت رغـــم هذا التقسيم السياسى " المصطنع " ظلت موجودة، حيث تتم عمليات التجارة الخارجية من " الساحل " إلى " الداخل " وبالعكس، وظلت الهجرات البشرية سواء الفصلية أو السنوية أو الدائمة موجودة لدرجة أن ما يحدث فى إحدى هذه الدول ينعكس أثره على بقية الدول المجاورة، ويشابه هـــذا مـــا يحدث بالنسبة للزلزال، حيث تكون بؤرة الزلزال أشد تأثراً بها مجموعـــة من الدوائر التى تتسع باستمرار، وكلما اتسعت الدوائر كلما قل التأثـــير الزلـــزالى ومن هنا أصبحت المنطقة كالجسد الواحد إذا حدث من عطـــب فى جزء منه تأثرت بقية أجزاء الجسد، هذا التلازم والتأثير تكون عـــبر آلاف السنين فى هذه المنطقة لدرجة أن بعض الباحثين ذكر أن (إذا دقت الطبول على الساحل رقصت شعوب وسط القارة).

* التضـــاريس والأمطار والغابة: وهى من العوامل الهامة المؤثرة فى امتداد أمد الصراع فى المنطقة حيث أن المرتفعات التى تمتد بأشكال طولية على حافتى الوادى الأخدودى ـــ سواء الشرقى أو الغربى ـــ لعبت دوراً مؤثراً فـــى مساعدة المتمردين على الاحتماء والاختباء فى كهوف هذه المرتفعات الوعـــرة وفـــى أوديتها خصوصاً وأن عامل المطر والغطاء النباتى السائد يساعد على ذلك. حيث تبين أن وجود المرتفعات فى كينيا وجنوب غرب

تنزانيا وغرب كل من أوغندا ورواندا وبوروندى قد ساعدت على هطول أمطـار أغـزر، وبالتالى نمو شجرى كثيف الأمر الذى يساعد على الاختفاء والاحتماء من جانب المتمردين وسيادة حرب العصابات وقد أدت هذه الظروف أيضاً الى تنوع المحصولات الزراعية، حيث تنمو على المرتفعات محصولات الموز والطباق والبن والمانجو أما على سطح الهضبة فتنمو محصولات القطن والذرة الرفيعة والذرة الشامية والفول السودانى، وعلى سفوح المرتفعات يزرع الطباق والسيسل، أما فى عمق الوادى الأخدودى حيث البحيرات فتوجد الكسافا والأسماك والملح.*

* ومـن الملاحـظ أن هـذه الظـروف الطبيعية السائدة فى هذه المنطقة سواء التضـاريس أو الأمطار ومايترتب على ذلك من أمطار غزيرة أدت أيضاً الى سـيادة الحشرات الناقلة للأمراض مثل البعوض (مرض الملاريا) وذبابة (تسى تسى) التى تنقل مرض النوم،...الخ هذه فضلا عن أن وعورة بعض الأجزاء فـى هـذه المـنطقة يجعـل من الصعب إن لم يكن من المستحيل شق الطرق وإنشاؤها أو نقل المعدات العسكرية أو الحرب المنتظمة، الأمر الذى يجعل من الصـعوبة بمكان السيطرة على هذه الأجزاء الوعرة وإخماد نشاط المتمردين، خصوصـاً وأن القـوات النظامـية (الحكومية) ليس لديها. المعدات والآليات المـتقدمة اللازمـة للتغلـب علـى هـذه الصـعاب الطبيعية سواء الطيران (المـروحى)أو الأجهـزة المتقدمة التى يمكن أن تكتشف المتمردين عن بعد أو الأسـلحة المـبرمجة الـتى يمكـن أن تتـبع هـؤلاء المتمرديـن أو أسلحتهم الخفيفة.

ثانياً: العوامل البشرية :

* وهذه العوامل كثيرة ومتنوعة ومتداخلة وتؤدى أيضاً إلى النتائج التى سبق أن أوضحناها فى صدد هذه البحث ولعل أهمها مايلى:

---

* لمزيد من الاطلاع على الظروف الطبيعية انظر:
Minns, W.J: A geography of Africa, pp.7-9.

التنوع البشرى :

يعيش فى المنطقة ثلاث مجموعات بشرية أساسية هى:

أ ــ الأفارقة ب ــ الآسيويون ج ــ الأوربيون.

* ورغم أن هذا التقسيم غير دقيق من الناحية العلمية الأنثروبولوجية (السلالية) إلا أنه يعطينا فكرة عن التنوع البشرى الموجود فى المنطقة، خصوصاً وأن كل مجموعة من هذه المجموعات الثلاث تنقسم بدورها إلى فروع أخرى، كما أننا نلاحظ أن الاختلاف الأساسى بين هذه المجموعات الثلاثة هو ــ طريقة الحياة Way of life وبصفة عامة فإن كلا من أغلب العرب، والصوماليين، والجالا، والبوران، والهنود يمكن أن يندرجوا تحت مسمى فروع من " البيض " أو القوقازين، ومن ثم فإنه يمكن ضمهم إلى الأوربيين، مع ملاحظة أن الاختلاف السائد هو اختلاف ثقافى Cultural أكثر من سلالى Racial وفيما يلى نبذة عن كل مجموعة:

أ‌ــ **الأفارقة** : يكونون حوالى ٩٨% من مجموع السكان فى المنطقة وأغلبهم من البانتو ــ وهذا الاسم يرجع إلى اللغة وليس السلالة، ومعظم هؤلاء السكان يعملون بحرفة الزراعة، كذلك يوجد من الأفارقة النيليوتيون Nilatic People وقد تحركوا فى المنطقة قادمين من الشمال والبعض منهم يعمل بالزراعة والآخر يعمل بالرعى، أما الشعبة الثالثة من الأفارقة فهم من النيلين الحاميين وهم يعملون أساسا بحرفتهم المفضلة وهى الرعى بصفة أساسية ويرتبطون بالحيوانات بصفة أساسية وإن كانت بعض فروع منهم تلجأ إلى الزراعة بجانب الرعى. أما بالنسبة للشعبة الرابعة من الأفارقة فهم قبائل البدو الرحل من الجالا والبوران فى المنطقة الصحراوية من شمال كينيا وهم حاميون خلص مثل الصوماليين.

بــ **العرب** : وقد استقروا فى المنطقة منذ قرون عديدة ويتركزون بصفة أساسية فى النطاق الساحلى. أما الباكستانيون والهنود فقد جاءوا بأعداد معقولة منذ إنشاء خط سكة حديد كينيا ــ أوغندا، حيث جاءوا أساساً لإنشاء هذا الخط،

ولكـــنهم استقروا بعد انتهائه واشتغلوا بالتجارة والصناعة وبعض الحرف الفنـــية الأخرى، ولذلك فإنهم يكونون أغلبية سكان مدن شرق أفريقيا، وقد ساهموا مساهمة نشطة فى تنمية المنطقة بشكل سريع.

جـ- **الأوربيون:** وهم يكونون نسبة محدودة من سكان المنطقة، وقد جاءوا أساساً مـــن بريطانـــيا، وإيطاليا، واليونان، وألمانيا، وهولندا، وجنوب أفريقيا وقد عملـــوا قبل الاستقلال فى الجهاز الإدارى، والزراعة والتدريس والتجارة، ولكن بعد الاستقلال جاءت أعداد كبيرة بتعاقدات قصيرة للعمل مستشارين للحكومة وخصوصاً فى مجال الزراعة.

* ويـــبدو ممـــا سبق أن هناك تنوعاً بشرياً واضحاً فى السلالة وفى المظهر بالإضافة إلى الاختلاف فى اللغة وطريقة الحياة والتعليم ومستوى المعيشة، ولـــذا فـــإن مـــن الصـــعوبة بمكـــان أن تتضمن كل مجموعة وجهة نظر المجموعـــة الأخرى، إلا أنه من المهم أنه إذا توصل السكان إلى ذلك فإن هـــذا ســـوف يساعد على تنمية المنطقة عن طريق تنمية الموارد الطبيعية الموجودة والتغلب على المشكلات البيئية التى توجد بها، ولذا ينبغى أن تفهم شعوب هذه المنطقة ـــ بجانب تفهمهم لبعضهم البعض ـــ ظروف المنطقة الـــتى يعيشـــون فـــيها، ويـــتعاملون مع المشكلات من أجل التغلب عليها، والاستفادة من تجارب الشعوب الأخرى حتى يستطيعوا أن يصلوا إلى حياة أفضل.*

الحرفة وطريقة الحياة:

* وقد سبق أن أشرنا إلى أن الجماعات الزنجية من البانتو احترفت الزراعة بصفة أساسية فى حين أن الجماعات النيلوتية والنيلية الحامية فقد ارتبطت بحـــرفة الـــرعى، وقد انعكس أثر هاتين الحرفتين على طريقة حياة هاتين الجماعتيـــن. فبينما أدت حرفة الزراعة لدى البانتو الزنوج إلى الاستقرار، وعدم التطلع إلى السيادة على غيرهم أو حكمهم نلاحظ أن حرفة الرعى بما يترتب عليها من حركة وتنقل وحمل للسلاح ـــ أيا كان هذا السلاح ـــ ولد

لديهم الإحساس بالتعالى والسيطرة، ومن ثم سيطروا على الأغلبية الزنجية المستقرة، وقد ساعد على ذلك اختلاف فى الصفات الجسدية واللغة، حيث يتصف الرعاة بطول القامة والملامح الدقيقة، فى حين أن الزنوج متوسطو القامة، غليظو الملامح ولذلك كانت التفرقة بينهم فى أى صراع واضحة. وقد انعكس هذا الوضع الحرفى على الأوضاع الاجتماعية حيث تكونت الطبقات الاقتصادية ــ الاجتماعية فكان التوتسى (الرعاة أصلا) فى قمة المجتمع اقتصادياً واجتماعياً، يليهم الزنوج (البانتو ــ الهوتو) فى المرتبة الثانية، وأخيراً تأتى طبقة الأقزام (التوا) فى أدنى الطبقات، ومما ساعد على ذلك الأساطير الشعبية المتأصلة لدى الأفارقة جميعاً (سواء التوتسى أو الهوتو أو الأقزام) أن الطبقة العليا لها صفاتها الجسدية والاجتماعية والاقتصادية المتميزة، ولذا ينبغى لها أن تسود المجتمع.

الاستعمار:

حيث ساعدت القوى الاستعمارية على تأصيل الفوارق بين هذه الجماعات الطبقية الثلاث (التوتسى، الهوتو، التوا).حيث استعانت هذه القوى الاستعمارية ــ سواء الألمانية، أو البلجيكية أو البريطانية بالطبقة المتعلمة المثقفة ــ أولاد الأصول ــ فى تسيير دولاب إداراتهم، وظلت الأمور تسير على هذا النحو فترة طويلة من العهد الاستعمارى، هذا فى حين أن الكنيسة البلجيكية كانت تغذى نفوس الهوتو (المظلومين) وتحرضهم للثورة ضد حكم التوتسى (الأقلية) ولذلك بدأت تجمعات الهوتو تأخذ أشكالاً سياسية منظمة للمطالبة بحق الأغلبية ومن هنا بدأ الصراع الدامى بين جماعتى الهوتو والتوتسى فى رواندا وبوروندى ووصل صداه إلى الدول المجاورة خصوصاً أوغندا والكنغو زائير.

الثورة المعدنية الضخمة :

حيث تضم منطقة البحيرات ثروة معدنية ضخمة خصوصاً المعادن الثمينة، إذ انه من المعروف أن الكنغو زائير تحوى احتياطيات ضخمة من خامات المعادن خصوصاً فى منطقة شابا (كاتنجا سابقاً) والتى يطلق عليها البعض اسم (مخزن معادن العالم) حيث يوجد فيها الذهب والقصدير والنحاس والزنك والماس

...الخ ولذلك فإن هذه الثروة المعدنية فى الكنغو (زائير) كانت من العوامل التى لعبت دوراً كبيراً فى (تثبيت) الأوضاع هناك خلال عهد موبوتو لمدة ثلث قرن من جانب الشركات الأوربية والأمريكية. وفى نفس الوقت هى التى أدت إلى مساعدة التمرد بقيادة كابيلا من شرق الكنغو أملاً فى استمرار الأوضاع التى كانت سائدة فى عهد موبوتو هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه بعد أن استقر الوضع لكابيلا فى الحكم وعدم التزامه بتنفيذ ما اتفق علية مسبقاً من جانب مختلف الفصائل المتمردة معه، جعله عرضة للتمرد مرة أخرى من جانب هذه الفصائل، الأمر الذى أدى فى النهاية الى قتله، وإحلال ابنه جوزيف مكانه، ولاشك أن وجود الماس والذهب فى شرق وشمال شرق الكنغو وسيطرة المتمردين على هذه المنطقة كان من العوامل التى مكنتهم من الاستمرار وشراء الأسلحة مقابل الماس والذهب. كما أن وجود الثروة المعدنية فى الكنغو زائير كان بمثابة الدافع القوى للتدخل الخارجى من جانب الدول الأوربية والأمريكية وإسرائيل. كما أن تدخل بعض دول أفريقيا الجنوبية مثل زمبابوى وأنجولا وناميبيا كان نتيجة لعوامل اقتصادية وسياسية للوقوف بجانب نظام الحكم فى الكنغو زائير. وهذا يؤكد ماسبق أن أشرنا إليه أن الصراع المتأجج والكامن فى منطقة هضبة البحيرات متشابك العوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية والاقتصادية والسياسية.

تطور الصراع

كانت البداية فى الصراع الذى بدأ فى الكنغو (البلجيكى) بين فصائل القوى الوطنية الكنغولية، وتدخل بعض القوى الخارجية وانتهى الأمر باغتيال الزعيم الوطنى لومومبا عشية الاستقلال.

ومن الملاحظات أن ذات الدلالة فى هذه الدراسة اختلاف المساحات الخاصة بدول هضبة البحيرات وكذلك عدد السكان وكثافتهم حيث تتضاءل مساحة رواندا (٢٦,٣ ألف كم٢) فقط وتقع فى أقصى شمال بحيرة تنجانيقا وعدد السكان حوالى ٩ مليون نسمة وبالتالى فإن الكثافة العامة للسكان
تصل إلى ٣٠٤ نسمة فى الكم٢ وهى أعلى كثافة فى القارة الأفريقية كلها. أما

بورونـــدى فمساحتها ٢٧,٨ألف كم٢ أما عدد السكان فهو ٦,٥ مليون نسمة والكثافة العامـــة ٢٧٨ نســـمة فى الكم٢ وكلا الدولتين يوجد بهما عنصرا التوتسى (١٤% تقريـــباً) والتوا (١%) أما الهوتو الأغلبية فهم ٨٥% ويتحدث السكان رسمياً اللغة التوتســـية أما اللغة المحلية فهى الكيروندى وتنتشر اللغة السواحلية فى المدن وعلى النقـــيض مـــن ذلك تبلغ مساحة الكنغو زائير حوالى ٢,٣ مليون كم٢ وعدد السكان (٤٧,٤ ملـــيون) أى أن كـــثافة السكان (**٢٠ نسمة/ كم٢**) فقط وكانت هذه المساحة الشاســـعة من ضمن العوامل التى تساعد على نجاح حركات التمرد بالإضافة إلى العوامل الطبيعية والبشرية الأخرى.

وإذا كـــان الكنغو قد سيطر عليه البلجيك واعتبره الملك ليوبولد الثانى ملكا شخصـــياً لـــه فـــإن رواندا وبورندى سيطرت عليهما ألمانيا فى عام ١٨٩٠ حتى ١٩١٦ عندما استسلمت الحامية الألمانية للقوات البلجيكية ومن ذلك الوقت أصبحت روانـــدا وبورندى خاضعتين لبلجيكا وقد عملت الإدارة البلجيكية على تكريس قوة التوتســـى ونفوذهـــم سواء كرؤساء للأقاليم أو ملاك للأراضى، هذا بجانب التراث الشـــعبى الذى يؤصل مكانة التوتسى العالية، وبذلك تأكد النظام العنصرى التوتسى حـــتى انفجرت الأوضاع فى عام ١٩٥٩ نتيجة لثورة الهوتو فى رواندا الذين كانوا يعـــانون من الدونية والقهر السياسى والاجتماعى، ولذلك سارعت الإدارة البلجيكية بإجـــراء انـــتخابات كانـــت نتيجـــتها الفوز الساحق للهوتو الأغلبية، وأعلن النظام الجمهـــورى وتشـــكل مجلـــس تشريعى من الهوتو وأعلن الاستقلال فى أول يوليو ١٩٦٢. وخـــلال فترة حكم الهوتو فى رواندا اضطهد التوتسى الذين فر عدد كبير مـــنهم إلـــى الحدود المجاورة لكى يقودوا حركة تمرد ضد حكم الهوتو الذى استمر حـــتى عام ١٩٩٠، حيث سقط نظام الهوتو أمام توغل (الجبهة الوطنية الرواندية) الـــتى انطلقـــت ١٩٩٢. ولكن الأمور لم تهدأ وأجريت مفاوضات سلام فى أروشا بتنزانـــيا بين الطرفين واتفق على تقسيم المناصب والوظائف بينهما ولكن التطرف السياســـى للطرفين أعاق تنفيذ الاتفاق. ثم كان حادث ضرب طائرة رئيسى رواندا وبورندى بعد عودتهما من قمة دار السلام وهما من الهوتو. وانطلقت عمليات القتل بيـــن الطرفين، وخلال هذه المواجهات العنصـــرية خرجـــت أعداد هائلة من

الطرفيــن خارج الدولة فى شرق الكنغو وتنزانيا وأوغندا. أما بوروندى فإن الأغلبية من الهوتو لم يمكنها الملك (توتسى) من تأليف الحكومة رغم نجاح مرشحى الهوتو (الأغلبيــة) عام ١٩٦٤ وتتالت المذابح بين الطرفين تحت حكم التوتسى رغم بذل الكثــير مــن المحـــاولات لتحسين صورة نظام الحكم وذلك بتخصيص ٢٥% من المناصب الوزارية من جانب الهوتو. واستمرت حوادث العنف حتى اضطر جنرال (بويويــا) (توتســـى) لإجــراء انتخابات فى يوليو ١٩٩٣. وكانت النتيجة المتوقعة وصـــول حكومـــة مـــن الهوتـــو (الأغلبية) إلا أنه سرعان ما اغتيل رئيس الدولة وتصاعدت أعمال العنف وانتخب رئيس جديد من الهوتو وتم الاتفاق على تخصيص ٤٠% مـــن المناصب للتوتسى (فبراير ١٩٩٤) ولكن جاء حادث الطائرة فى أبريل وأطاح برئيسى رواندا وبوروندى وهما من الهوتو كما أوضحنا وساء الصراع مرة أخرى حتى تم انقلاب بويويا مرة أخرى فى ١٩٩٦/٧/٢٥ بعد أن قضى الهوتو فى الحكـــم مـــن عـــام ٩٣ حتى ١٩٩٦ كانت كلها مذابح واضطرابات. وبذلك سيطر التوتســـى فى البلدان على الحكم مع وجود حركات تمرد من الهوتو على النظامين، ولذلـــك فرضـــت الدول المجاورة التسع حظر إقليمى على بوروندى من أجل حملها علـــى الإصلاح السياسى الديموقراطى عن طريق عودة نشاط الأحزاب والجمعية العمومـــية وعودة الحكم الدستورى والتفاوض مع المتمردين الهوتو وإنهاء الحرب الأهلـــية. وقـــد صاحب ذلك تقدم لوران كابيلا للسيطرة على الحكم فى الكنغو كما سبق أن أوضحنا معتمداً على عناصر تمرد من التوتسى (حركة تمرد الكنغو) ولكنه ســـرعان ما أخل بوعوده بعد وصوله للحكم وانقلب على التوتسى رداً دعما للهوتو الأمـــر الـــذى أدى إلـــى اغتياله فى النهاية وذلك بعد أن استعان بقوات من أنجولا وناميبـــيا وزمبابوى للسيطرة على الموقف ومن المحتمل أن الإصلاحات السياسية والاقتصـــادية الداخلية فى بوروندى يمكن أن تؤدى الى تضييق الفجوة بين الحكومة والمتمردين ربما تؤدى فى النهاية إلى مصالحة وطنية، كما أن وصول كابيلا الابن وإصلاحاته يمكن أن تؤدى أيضاً للتهدئة وبذلك أصبح الموقف فى المنطقة يتلخص فى الآتى:

١- سيادة الحكم التوتسى فى رواندا وبوروندى مع وجود تمرد من الهوتو.

٢- بعد اغتيال كابيلا الأب حل محله كابيلا الابن وزعم أنه سوف يقوم باصلاحات سياسية واقتصادية.

* وجود حركة معارضة وتمرد فى شرق الكنغو ضد كابيلا الابن بقيادة عناصر التوتسى.

وجود قوات للدول المجاورة من أنجولا وناميبيا وزمبابوى فى الكنغو زائير لدعم حكومة كابيلا، فى نفس الوقت الذى تدعم فيه أوغندا ورواندا حركة التمرد فى شرق الكنغو.

ذلت محاولات كثيرة ومتنوعة لرأب الصدع بين حركة التمرد فى شرق الكنغو وحكومة كابيلا الابن باءت معظمها بالفشل الذريع . وتدخل مجلس الأمن وأصدر قراراً بوقف إطلاق النار وإرسال قوات مراقبة. وقد زارت بعثة من مجلس الأمن الدولى دار السلام فى تنزانيا فى إطار جولة فى أفريقيا لدفع عملية السلام فى الكنغو الديموقراطى وبوروندى ومن المقرر أن تزور رواندا وبوروندى أيضاً بجانب بعض الدول الأخرى ابريل ٢٠٠٢.

أعلن فى أبريل أيضاً (٢٠٠٢) فشل مباحثات السلام بين متمردى الكنغو والحكومة فى كنشاسا من أجل تشكيل حكومة وطنية، ويرجع السبب فى فشل المباحثات فى جنوب أفريقيا إلى رفض (حركة التجميع الكنغولى من أجل الديموقراطية) للاتفاق الذى تم بين حكومة كابيلا والفصيل الثانى من المتمردين ويدعى (حركة تحرير الكنغو) حيث يدعم الأول رواندا ويدعم الثانى أوغندا، وينص الاتفاق إلى تقاسم السلطة فى فترة انتقالية حتى إجراء انتخابات مع بقاء كابيلا رئيساً للبلاد وتعيين زعيم الفصيل الثانى رئيساً للحكومة وقائداً للقوات المسلحة.

حذر المندوب الفرنسى الدائم فى الأمم المتحدة مجلس الأمن من تقسيم جمهورية الكنغو على يد الفصائل المتناحرة وكان هو رئيس بعثة مجلس الأمن الذى زار المنطقة كما أشرنا. وقال أيضاً (٢٠٠٢/٥/١٤) أن هناك فرصة نجاح إنهاء الحرب فى منطقة البحيرات العظمى التى راح ضحيتها حوالى ثلاثة ملايين نسمة

خـــلال ســـت ســـنوات. واقترح أن تستمر قوات رواندا وأوغندا لبعض الوقت فى الكنغو بجانب قوات الأمم المتحدة، وذلك لمنع قوات التمرد ضد البلدين المذكورين مـــن شن حرب عصابات ضدهما قبل حل مشكلة الكنغو، وقد رحب مندوب الكنغو بهذا الاقتراح طالما أن ذلك لفترة محدودة وفى منطقة محدودة فى بلاده.

عقـد اجتماع إقليمى فى لوزاكا من الدول المتحالفة مع الكنغو وهى ناميبيا وأنجـولا وزمبابوى وذلك بحضور رئيس زامبيا باعتبارة مسئول الاتصالات بين الأطـراف المخـتلفة لتنفـيذ اتفاقية لوزاكا عام ١٩٩٩. إضافة إلى الكنغو كنشاسا والكنغو برازافيل. وأقر الاجتماع جدول زمنى لتنفيذ الاتفاقية المشار إليها مع وجود قوات مراقبة دولية.

<u>هناك ثلاثة عوامل أساسية تحكم الموقف الآن وهى :</u>

أولاً:- العوامـل الداخلـية الكنغولـية وتصـرفات حكومـة كابيلا الأبن ومدى مصداقية تعهداته.

ثانياً:- العامل العرقى (الإثنى) حيث تجمع التوتسى الأصليون من قبيلـــــة (بانيا مولونجـى) والتوتسى الجدد الوافدون من رواندا وبوروندى وأوغندا، إضافة الى عناصر المتمردين من الهوتو ضد رواندا وبوروندى.

ثالثاً:- الصراع القائم بين الهوتو والتوتسى فى رواندا وبوروندى على السلطة.

* هذا بجانب أعداد كبيرة من اللاجئين فى تنزانيا (من الهوتو) وشرق الكنغو (من الهوتو) والتوتسى.*

- ويتـبقى نقطة هامة وهى الآثار البيئية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية الـناجمة عن حروب هضبة البحيرات العظمى التى أدت إلى تحويل أعداد ضـخمة من الهوتو والتوتسى إلى لاجئين فى الدول المجاورة وخصوصاً الكنغو زائير وتنزانيا هذا بالإضافة إلى وجود عشرات الآلاف من الأرامل والأطفال الذين لايحصلون على الحد الأدنى من وسائل المعيشة المستقرة، هذا فضلاً عن التدمير واسع المدى للبيئة الطبيعية سواء للفئات أو

الحـــيوانات والطيور الطبيعية البرية. وبجانب كل هذا التدمير النفسى لكل من شعبى الهوتو والتوتسى فى رواندا وبورندى .

* ولايمكـــن إغفال النهب المنظم وغير المنظم للثروات الطبيعية فى المناطق التى يسيطر عليها المتمردون خصوصاً فى شرق الكنغو حيث يوجد الماس والذهـــب علـــى وجه الخصوص وقد استشرى هذا الموضوع نتيجة لتدخل الشركات والدول الأجنبية لمبادلة الماس والذهب بالسلاح اللازم للمتمردين. وقـــد ســـجل ذلـــك تقرير أعدته مجموعة خبراء الأمم المتحدة الذى صدر تكليف لها من الأمم المتحدة فى منتصف عام ٢٠٠٠ وتم توزيع التقرير فى شهر أبريل ٢٠٠١.*

فهرس

١- إبراهيم نصر الدين: اللاجئون فى المنازعات الداخلية فى أفريقيا : ليبيريا، السودان، روانـدا، بورنـدى، الصـومال، نـدوة الحمايـة الدولية للاجئين، مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة،١٩٩٧.

٢- السـيد جابـر: بورندى محاضرة ألقيت ضمن الموسم الثقافى فى ـ معهد البحوث والدراسات الأفريقية.

٣- السـعيد الـبدوى: الصراعات والحروب الأهلية فى هضبة البحيرات ـ محاضرة ألقيت فى الجمعية الجغرافية أول فبراير ٢٠٠٠ ونشرت فى المجلة العربية الخاصة بالجمعية عام ٢٠٠١.

٤- أيمن شبانة: التدخل الإنسانى كآلية لتسوية الحروب الأهلية الأفريقية بالتطبيق على الحالـة الصـومالية، مؤتمـر الصـراعات والحروب الأهلية فى أفريقيا ـ معهد الدراسات الأفريقية ١٩٩٩.

٥- أشـرف ياسـين: الأزمـة السياسية فى أنجولا ـ مجلة السياسية الدولية ـ أبريل ١٩٩٩.

٦- بطـرس بطـرس غـالى: المـنازعات الأفريقية وتسويتها بالطرق السلمية. مجلة السياسية الدولية، مؤسسة الأهرام، ١٣٤، القاهرة، أبريل ١٩٦٨.

٧- جمال حمدان: أفريقيا الجديدة، دراسة فى الجغرافيا السياسية ـ القاهرة ١٩٦٥.

٨- رشـدى سعيد: نهر النيل ـ نشأته واستخدام مياهه فى الماضى والمستقبل ـ دار الهلال ١٩٩٢.

٩- صبحى قنصوه: الأزمة الرواندية ـ من ثورة الهوتو عام ١٩٥٩ إلى مذابح الإبادة الجماعـية عـام ١٩٩٤، مؤتمـر الصراعات والحروب الأهلية فى أفريقيا معهد الدراسات الأفريقية ١٩٩٩.

١٠- عبدالله عبدالرازق إبراهيم: الحرب الأهلية فى الكنغو الديموقراطية، جذورها التاريخية وآثارها ــ مؤتمر الصراعات والحروب الأهلية فى أفريقيا ــ معهد الدراسات الأفريقية ١٩٩٩.

١١- عبدالله الأشعل: مجلة السياسة الدولية ــ الحظر الإقليمى على بوروندى وسيراليون يناير ١٩٩٨.

١٢- عبدالله الأشعل: الحرب الأهلية فى بوروندى، مؤتمر الصراعات والحروب الأهلية فى أفريقيا ــ معهد الدراسات الأفريقية ١٩٩٩.

١٣- عبدالملك عودة ــ الحرب والسلام فى أفريقيا ــ كتاب الأهرام الاقتصادى العدد ١٧٣ لعام ٢٠٠٢.

١٤- عبدالجيد عمارة: الصراعات والحروب الأهلية فى أفريقيا الأسباب والنتائج ــ مؤتمر الصراعات والحروب الأهلية ــ معهد الدراسات الأفريقية ١٩٩٩

١٥- عبدالله نجيب : الآثار الثقافية للحروب الأهلية فى أفريقيا، مؤتمر الصراعات والحروب الأهلية فى أفريقيا ــ معهد الدراسات الأفريقية ١٩٩٩.

١٦- عبدالعزيز شاهين: التنوع والصراع الاثنى فى بعض مجتمعات حوض النيل ــ دراسة فى الأنثروبولوجيا السياسية، مؤتمر الصراعات والحروب الأهلية فى أفريقيا ــ معهد الدراسات الأفريقية ١٩٩٩.

١٧- عزيزة بدر: التكلفة والآثار الاجتماعية والاقتصادية للحروب الأفريقية ــ مؤتمر الصراعات والحروب الأهلية فى أفريقيا ــ معهد الدراسات الأفريقية ١٩٩٩.

١٨- محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٥.

١٩- محمود أبو العينين: دور الأطراف الاقليمية فى الحرب الأهلية فى الكنغو الديموقراطى فى ظل الجمهورية الثالثة ــ مؤتمر الصراعات والحروب الأهلية فى أفريقيا ــ معهد الدراسات الأفريقية ١٩٩٩.

٢٠- محمــد أبــو الفضل: ظاهرة الحروب الأهلية فى أفريقيا ــ الكنغو الديموقراطى ــ المخاطــر والـتحديات ــ مؤتمر الصراعات والحروب الأهلية فى أفريقيا ــ معهد الدراسات الأفريقية ١٩٩٩.

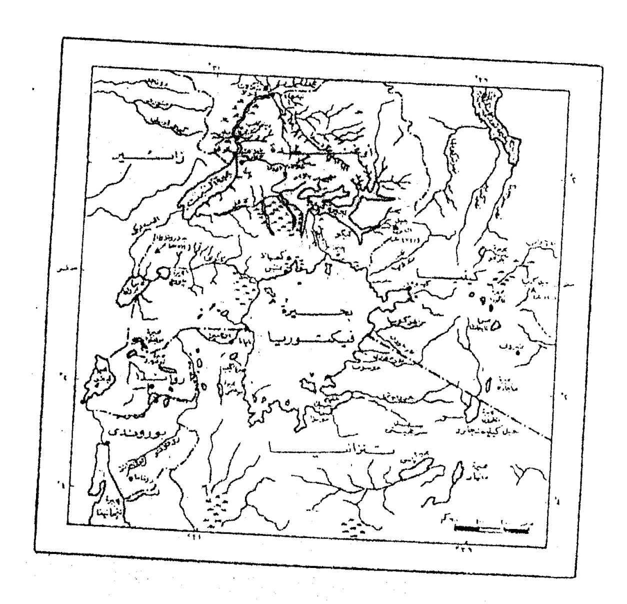
٢١- محمد عاشور: الحدود السياسية والسيادة الإقليمية للدول الأفريقية، رسالة ماجستير غير منشورة ١٩٩٦.

٢٢- هيام الببلاوى: الصراعات الداخلية ومشكلة اللاجئين فى أفريقيا، مؤتمر الصراعات والحروب الأهلية فى أفريقيا ــ معهد الدراسات الأفريقية ١٩٩٩.

٢٣- وفائى زكى عازر: تأثير الحروب الأهلية على البيئة، مؤتمر الصراعات والحروب الأهلية فى أفريقيا ــ معهد الدراسات الأفريقية ١٩٩٩.

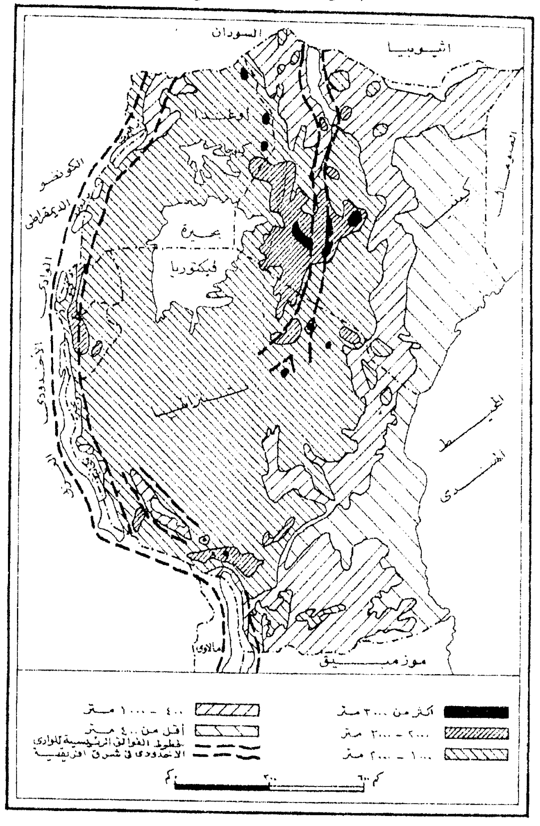
المراجع الإجنبية :

1- Africa Research Bulletin – Democratic Republic of Congo – Vol.35 No.9-1998.
2- Africa Business – October 1998 Carving up the Congo.
3- Africa South the Sahara 1997 Zaire + Rwanda +Burundi.
4- Bozeman, A. B, Conflictin Africa, Primceton Univ. Press, New Jersey, 1976.
5- Burwndi.(ed)Histoire du Burundi.
6- Chand, R.L; Rwanda and Burundi; Pall Mall, London,1970.
7- Hempstone,S; The New Africa, Faber and Faber, London,1961.
8- Homer, Dixon – Population & Conflict Distinguished lecture on Population & development, International conference Pop. Develop. (I.C.P.P.). Cairo 1994.
9- Heath. G; Congo, My Country, Pall Mall, London, 1961.
10- Jeune Afrique – Atlas Of Africa.
11- Kanza, T; Conflict in The Congo, Penguin Books, London, 1972.
12- Murdock, G.P; Africa, its peoples and their culture history, Mc Graw – Hill Book, London,1959.
13- Prunier, G; The Rwanda Crisis, History of a Genocide, Hurst and Company, London, 1995.
14- Pall ,b; Equatorial Africa, London, 1961.
15- Research Inst, for the Study of conflicts & Terrorism. Democratization in Uganda No.317.
16- States man's year Book – Rwanda 1997.
17- States man's year Book – Burundi 1997.
18- Youg,C.Politics in the congo, Princeton, New Jersy 1995.

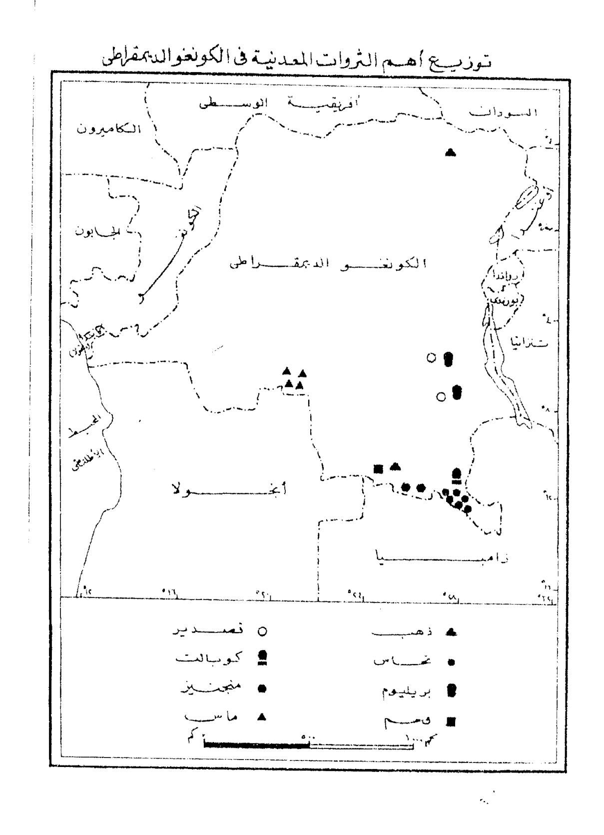


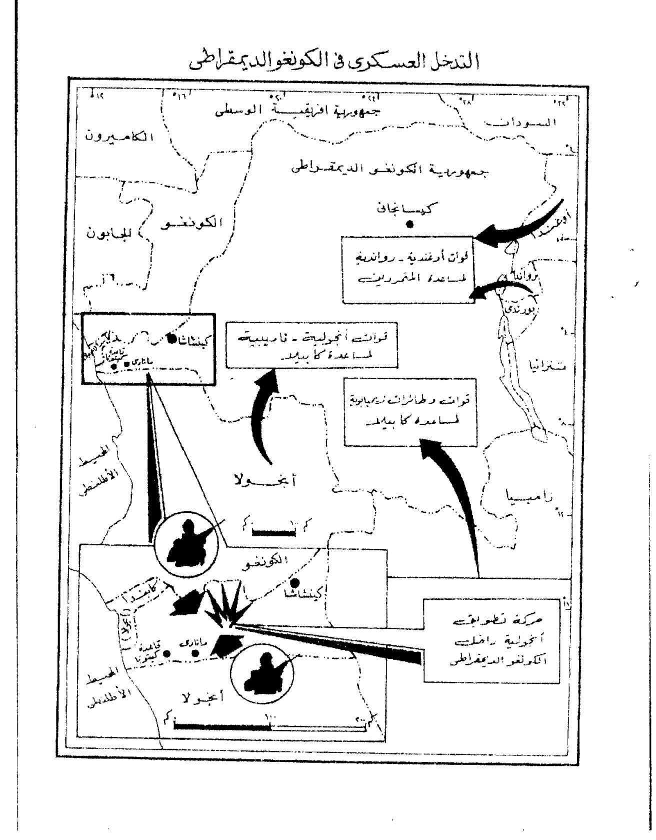
: هضبة البحيرات الاستوائية ١

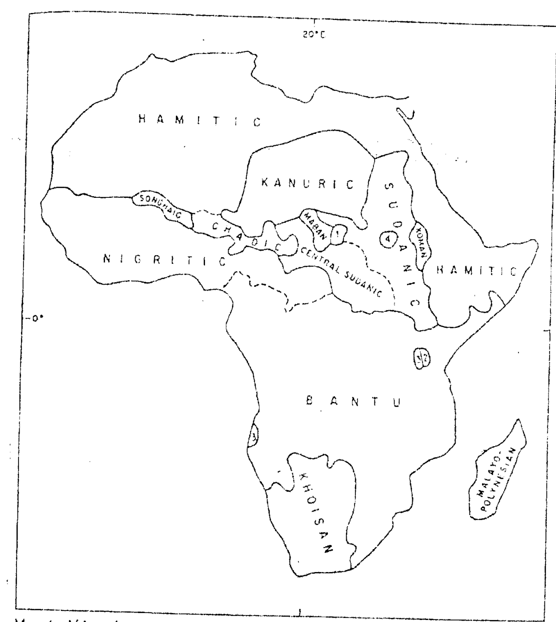
تضاريس شرق أفريقية



توزيع أهم الثروات المعدنية في الكونغو الديمقراطي




التدخل العسكري في الكونغو الديمقراطي
جمهورية افريقيا الوسطى
السودان
الكاميرون
جمهورية الكونغو الديمقراطي
كيسانجاني
الكونغو
الجابون
قوات أوغندية - رواندية لمساعدة المتمردين
رواندا
بوروندي
كينشاسا
قوات أنجولية - ناميبية لمساعدة كابيلا
تنزانيا
قوات وطائرات زيمبابوية لمساعدة كابيلا
المحيط الأطلنطي
أنجولا
زامبيا
الكونغو
كينشاسا
حركة قطعات أنجولية داخل الكونغو الديمقراطي
ماتادي
المحيط الأطلنطي
أنجولا



Map 6. African Languages about A.D. 1500 (1—Furian, 2—Hamitic, 3—Khoisan, 4—Kordofanian)

ندوة التوتسي وأزمة البحيرات العظمى "، معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ، ٢١-٢٢ ابريل ٢٠٠٣ : ص ١١٨ : ٢١٥

ثقافة التوتسي

(رواندا . بوروندي)

أ . د . سعاد شعبان

مقدمة :

* تقع كلا من رواندا ــ بوروندى بوسط الوادى المتصدع بأفريقيا وجنوب خط الاستواء قليلاً، وبحجم متساو تقريباً ومتاخمين لبعضهما البعض، فى أحد أعلا المساحات المرتفعة بالقارة الأفريقية[١]، وتغطى معظم المنطقة بحشائش ومزارع صغيرة، وتوجد أيضاً بالمنطقة، مستنقعات وقمم بركانية، وترتفع معظم الأراضى على الأقل ٣٠٠٠ قدم فوق سطح البحر[٢].
* يعيش معظم السكان فى مساحة المرتفعات المتوسطة، والأرض مثيرة لأفاق الجمال المبهرة التى تتخللها تلال لاتعد ولاتحصى[٣]. كما يصف العلماء هذه المنطقة بالأرض ذات الجمال المثالى بأنها سويسرا الأفريقية. تلك هى الكلمات التى استخدمت بواسطة الرحالة الأوربيين المبكرين ليصفوا ممالك الجبال، التى أصبحت جمهورية رواندا ــ وبوروندى[٤].
* والمناخ مناسب على وجه الخصوص لإقامة الناس بمتوسط درجة حرارة سنوية ١٨، و ٩٠٠ إلى ١٦٠٠ مم من الأمطار فى العام تبعاً للارتفاع.

---

1 - Rene Lemarch and PALL MALL : Rwanda and Burundi Press London 1976.p.13.

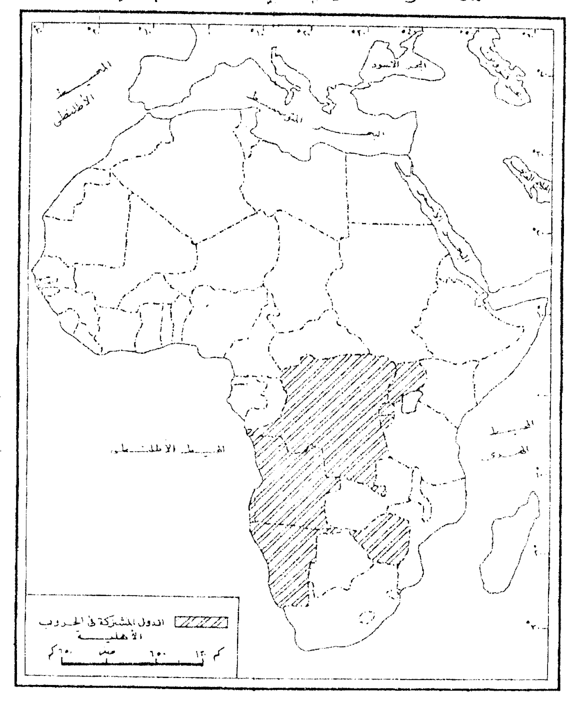
2- Brockhaus F.A: Der Kleine – Brockhaus, Wiesbaden, 1961 p.339.
Brockhaus F.A: Der Volks – Brockhaus, Wiesbaden, 1962 p.666.

3- Hurst and Company : History of a Genocide, London 1995.P.I.

4- Rene : op.cit.p.13.

ويوجـــد أربعة فصول فى السنة مختلفة تماماً عن الفصول الأوربية والتى تقســـم لـــيس طبقاً لدرجة الحرارة (والتى تظل تقريباً متساوية خلال العام كله)، وإنما لسقوط الأمطار.

الدول المشتركة في الحروب الأهلية في منطقة هضبة البحيرات



*يـــرجع أســـاس مـــدن ـــ أوغـــندا العظـــيمة ومناطق مابين البحيرات إلى قبائل رعـــاة متجوليـــن. ربمـــا فـــي بداية القرن الثاني الميلادي، حيث بدءوا التجول فـــي أفـــواج عديـــدة مـــن شـــمال شـــرق مـــنطقة جالا، وقد أتى آخر فوج منذ مايقرب من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ سنة(٥).

واستوطن أسلاف الشعوب المعروفة الآن بالهوتو والتوتسي المكان منذ فترة تزيد على ألفي عام(٦).

وبالبحث في تاريخ رواندا، نجد مجتمعاً يتكون من دولة واحدة (مساحتها أقل مما هي عليه اليوم)، يتألف من ثلاث مجموعات اثنيه، التوتسي والهوتو والتوا.

ويقـــول التوتســـي أنهـــم أحدث المهاجرين في المنطقة، وأنهم أتوا ليسيطروا على المجموعتيـــن الأخيرتيـــن. نشأت مملكة التوتسي صغيرة ثم انتشرت ببطء لتصبح روانـــدا الممـــيزة، ومـــع ذلك فمن المحتمل أن تكون مملكة الهوتو قد ظهرت قبل التوتســـي، ويعـــتقد بعـــض الدارسين أن التوتسي قد نزحوا إلى رواندا من أثيوبيا والصومال(٧).أما التوا فكان احتلالهم لرواندا في تاريخ سابق للهوتو والتوتسي.

ويمثل الهوتو ٨٥% من مجموع السكان، والتوتسي ١٤% والتوا أقل من ١% أي قلـــيلون وهـــم أقـــزام. يمارســـون الصـــيد والجمع أساسا، ويقوم بعضهم بخدمة الشخصـــيات عالـــية المرتبة في عديد من المهام الدينية وتدل ملامح التوا الفيزيقية على احتمال وجود قرابة بوسط أفريقيا.

- ويكـــون الهوتـــو الغالبـــية العظمى من السكان ولهم ملامح فيزيقية شبيهة بالبانـــتو، ولكن التوتسي شئ مختلف في مجموعهم شديدو الطول والنحول وعـــادة ماتبدى ملامح وجوههم حدة. والتوا سلالة مرهفة وهم قصار جداً وعضلاتهم قوية وشعرهم كثيف خاصة على الصدر، ووجوههم مفلطحة وأنوفهـــم عريضة، ولم يكن الهوتو أكثر جاذبية فملامحهم مماثلة تماما للبانتو. وهم قصار عموماً ذوى رأس كبير وأنف عريض وشفاه ضخمة. وهم انبساطيون يحبون المرح والضحك وحياتهم بسيطة.*

---

٥ Bernatzik Hugo , A :.Neue Grosse VoLkerkunde Koln 1968.P.207-209.
٦ - Alison Des Forges : Leave None to tell the St0ry, Paris 2001,P.31.
٧ Christopher C. Taylor: M.L.K, ``Honey and Money London 1992. P.14.

- لكـن التوتسـي يوصفون بمرتبة أعلى ، وهذه السلالة ليس بها أى ملامح زنجـية. إنهـم عادة طوال جداً ١,٨٠ سم. على الأقل غالباً ١,٩٠ سم أو أكثر، وهم نحاف جداً ، ذوو ملامح دقيقه وأسنان لامعة منظمة جميلة.
* ولـدى نساء التوتس عادة بشرة مضيئة أكثر من أزواجهن، وهن نحيلات جـداً ومـتأنقات فـي شبابهن بالرغم من أنهن يملن للسمنة مع تقدم العمر موهوبـات بذكاء مرح:ـ ويظهر التوتسى تهذيب المشاعر التى هى نادرة بين الشعوب البدائية. إنه مولود طبيعى قائد، قادر على ضبط النفس الشديد ووئام محسوب(٨).
* يتحدث كل الرواندين كينيا رواندا، لغة بانتو، وهى لغة تعليم الأربع سنوات الأولى للمدرسة، وبعدها فإن التعليم فى كل المراحل التالية بالفرنسية حيث هى اللغة الرسمية(٩).
* وهم ينطقون عموماً كما يكتبون بنبرة الصوت من المقطع الثانى إلى الأخير من الكلمة، مفرد أو جمع.
* وتستعمل الأسماء توتسى، هوتو ، توا بدون مقطع أول وفى نفس الشكل فى المفـرد والجمـع، وعرفـت كينـيا روانـدا الكتابة فقط منذ بداية القرن العشرين(١٠).
* وكانـت نفقـات التعليم الحكومى فى ١٩٦٨ أكثر من ٢٧% من الميزانية بالمقارنة حوالى ٢٣% لقوى الأمن وحوالى ٩% للصحة.
* والتعلـيم إجـبارى إلى أن يصل الشخص إلى ستة عشر عاما لكن حسب تقديـرات عـام ١٩٦٩ كان حوالى ٦٠% من الأولاد فى السن المدرسى، وحوالـى ٢٥% فقـط هم الذين استمروا فى المدرسة فى الماضى للدرجة الرابعة.
* ونسـبة التعليم فى بداية ١٩٦٩ (معرفة القراءة والكتابة) فى كلا الفئتين ـ كينـيا روانـدا والفرنسـية تراوحـت بين ١٠-٢٥ % (١١) يمتلك معظم

---

8 - Hurst: Op. Cit 1955.P.I.
9 - Richard : Op. Cit 1969.Ch.I.
10- Alison Des Forges, Paris 2001.P.30 : Op. Cit.

الروانديين أسماء خاصة بهم ولايشاركون اسم الأسرة الشائع. وعندما يكون لشخصين نفس الاسم، فيكون ذلك عادة بمحض الصدفة أكثر من أن يشير إلى أنهم أقرباء[12]. كما أن الأطفال يعطون اسماً مستعاراً للطفل الجديد، وبعد عدة اشهر يعطى الأبوان اسماً أخر للطفل (Kwita izina)،ولكن الأطفال يستمرون بتسمية الطفل بالاسم الذى اختاروه له، وطريقتهم فى التسمية توضح رضاءهم ومبادلة هدية الطفل[13].

* وكلمة توتسى " التى وصفت أولا وبوضوح، مركز شخصى، شخص غنى بالحيوانات، قد أصبح تعبير يشير إلى مجموعة الصفوة ككل. وكلمة هوتو، تعنى أصلاً أقل رتبة أو تابع لشخص أكثر قوة وأصبحت تشير إلى عدد من الناس العاديين[14].
* انقسم الروانديون إلى قبائل منفصلة من أصل الهوتو والتوتسى[15].
* ثم اندمجت هذه المجموعات مؤخراً فى خمس عشر قبيلة اثنيه متداخلة[16]. وكانت الوظائف الاجتماعية للعشائر محدودة لحد ما واهتمت بالمحظورات، بالزواج فقط أكثر من تماثل المجموعة[17].
* إننا نجد اليوم أكثر من الحضريين وحتى بعض الريفيين الروانديين، خصوصاً فى الجنوب، لايطلبون معرفة انتسابهم القبلى. ثلاثة من الخمس عشرة قبيلة روانديه ــ الزيجابا Zigaba، الجزيرا Gesira والسنجا Singa قد تحددت (بأولئك الذين وجدوا على الأرض) أى السكان الأصليين، وهم أصلا من الهوتو، وهى عشائر لها علاقة خاصة بالأرض

11- Richard : Op. Cit 1969.Ch.I.
12 - Alison Des Forges. Op.cit.p.30.
13 - Christopher C. Tylor : M.H. and M. op.cit 1992.p.66.
14 - Alison : Op. Cit .P.30
15 - Hertefett. M:Le clans du Rwanda ancien. Tervureni Musee Royal de L'Afrique Centrale, Annales Sciences No.70.1971.
16- Newbury D.: The Clans of Rwanda : A Historical Hypothesis in La civilisation de peuples de Geands Lacs.edited by L. Ndoricimpa etal, 1981.
17- D'Heusch. L.: Le Rwanda et al ' civilization interlcustreBrussels. Universite Libre de Bruxelles 1966.

[18]. فهـؤلاء السكان الموجودون على الأرض يستطيعون السيطرة عليها بدون مخاطرة التلوث الطقسى، فإن هذا الفعل يعتقد أنه خطر على السكان غير الأصليين[19].

* ولاتتحد العشائر الرواندية اجتماعياً أو اقتصادياً. فالقسم الأبوى يتكون من جمــيع أسلاف الإنسان لستة أجيال يكون شيئاً غريباً، بما يعرف فى الفكرة الأنثروبولوجية " مجموعة متحدة " وتستمر هذه الوحدة اليوم عاملة[20].
* وفوجئ المكتشفون الأوائل الذين وصلوا رواندا ـ بوروندى بالحقيقة مع أن المجــتمع ـ متجانس لغوياً وثقافياً الا أنه مقسم الى ثلاث مجاميع، الهوتو والتوتســى والــتوا. وهؤلاء هم الذين كونوا بالصدفة قبائل رواندا، وليس لديهــم أيا من خصائص القبائل التى تعتبر دويلات وشاركوا البانتو لغتهم، وعاشــوا جنــباً إلــى جنب مع بعضهم دون اعتبار عما إذا كانت الأرض للهوتو أو للتوتسى.
* عادة مايتزاوجون فيما بينهم ولكنهم لهم بالمتشابهين ولا بالمتساويين. وكل مجموعة لها متوسط لنمط جسدى سائد[21].
* الباهــيما (عشيرة من التوتسى تختلف تماما بجمال ملامحها ولونهم الفاتح عــن مزارعى البانتو، النمط أدنى، طوال بنسب متناسقة جيدا، ولهم أنوف طويلــة رفــيعة وجباه عريضة وشفاه دقيقة ويقولون أنهم أتو من الشمال ومظهــرهم الحساس والذكى وحبهم للمال وطاقتهم على التطبع لأى موقف يبدو لتوضيح الأصل السامى.
* وعــندما ظهــرت رواندا كأهم دولة فى القرن التاسع عشر وحدد حكامهم ثروتهم وحسبوها فى عدد القطعان، كانت طريقة كسب المدعمين هى إعطاء منحة دائمة أو مؤقتة[22].

18- de Hertefelt. 1971. 45. op.cit.
19- Ibid. P.5.
20- Christopher: 1992.P.15,16 Op.Cit.
21- Hurst and Company 1995.P.5. Op.Cit.
22- Alison Des Forges :Paris 2001. P.31 Op.Cit.

* ليست رواندا بلدة أفريقية عادية رغما عن خلاصة الأخلاق أو القيم، حتى المآســي، لايظهر من فراغ بافتراض وجود بعض الأشياء، وهى صغيرة جداً، بمساحة قدرها ٢٦,٣٣٨ كم٢ فقط. وليس بها أدغال منتجة ولا أدغال رديــئة قاحلــة، ولكــنها لاتعدو أن تكون أرضاً ذات مناخ معتدل رطب، وامتدت كثافة شغل السكان للأرض منذ زمن بعيد لأيه بقايا للحياة الأفريقية الــبرية ولايوجــد أســود أو زراف أو أفــيال. إلا فــى الحديقة الوطنية بأكاجيرا[٢٣].
* ليســت الأرض كــريمة فقــط ولكــن كانت أيضاً حماية القلعة الطبيعية للمرتفعات كدفاع ضد ذبابة التسى تسى وبعوضة الملاريا، إنها أيضاً منطقة محصنة ضد القبائل المعادية. وفى القرن التاسع عشر، ضد العبيد المغيرين للســاحل الســواحيلى. لقد بقيت رواندا دائماً حرة من التدخل الأجنبى إلى مجــئ الرجل الأبيض. هذا الرخاء يمتزج مع الحرية من المرض والأمان الطبــيعى. المكتشــفون الأوائل الذين وصلوا مرتفعات رواندا بعد تخطى الانتشــار الواســع للملاريــا، وتمزيق الحرب لأدغال اللباد وتنجانيقا، قد يصلون إلى مكان مزدحم بالنشاط البشرى والرفاهية.
* لقــد صــممت الأرض بشــكل محكم جداً وغريب لإقامة السكان بتخطيط طبــيعى للأرض حيث يعيش معظم الناس على تلال musozi [٢٤] كل تل يتخلــله عدد من الناس (ingo) (نسل)،التوتسى والهوتو، الزوجى المنافس ردئ السمعة لمجتمع رواندا يسكنون بجوار بعضهم، على نفس المنحدرات التلــية فــى مجــاورة إنجو ingo للأحسن أو للأردأ، للزواج المتداخل أو للمذبحة[٢٥].
* الأرض نادرة فى رواندا وكثير من المساحات الريفية مفرط فى استغلالها، وأخــذت أراضى المراعى فى الاختفاء وغالباً مايحل محلها الأجزاء القابلة للزراعة. والمقامة حديثاً بواسطة الريفيين الفقراء من مناطق مختلفة برواندا

23- Hurst, P.1. Op.Cit.
24- Ibid. P.3.
25- Ibid. P.3.

وهذا ماشجع على الاستيطان وبداية الزراعة. وعلى الرغم من نقص أرض المـــراعى تظل الماشية مهمة من الناحية الاقتصادية وكدلالة على المنزلة الرفيعة. إنهم يرعون أينما استطاعوا. ومازال التوتسى يملكون ماشية أكثر من الهوتو(٢٦).

* ويزرع اليوم أعضاء من كلا المجموعتين الإثنيتين الأرض ويمتلك الماشية كلما أمكن ذلك(٢٧).

* ويـــتكون الـــريف الـــنموذجى من تلال وأودية متفرقة من أشجار الكافور وغابـــات المـــوز متـــبادلة برقع من أراضى المراعى الخصيبة. إنها بقعة خصبة مثالية للرعى والزراعة بمحاصيل الغذاء، ولكنها تختفى بسرعة فى الشـــرق إلـــى مـــنطقة السافانا حيث ربما يتراوح الكساء الحضرى مابين مساحات كثيرة من الأراضى القاحلة وأرض الحشائش عديمة الأشجار إلى الأكاســيا بالأرض الرديئة وغابات البامبو. الكساء خضرى يشابه للسافانا يوجـــد بمـــنطقة Imbo. شريط ضيق لاقليم متعرى يجرى محاذياً لوادى Ruzizi وعلى طول الشاطئ الشرقى لبحيرة تنجانيقا. إذا قارن شخص هذه البيئة بتلك التى رآها الرحالة الألمان المبكرون فى أماكن أخرى فى شرق أفريقـــيا، ويمكـــن أن نفهم بسهولة رد فعلهم الحماسى على اكتشافها، هى أرض تـــتدفق باللبـــن والعسل كما كتبه الدوق (Mecklenburg 1910)، حيـــث كانـــت تنتعش قطعان الماشية والنحالة، وتزرع الأراضى الزراعية بمحاصيل الفاكهة الغنية.

* بـــلاد جبلـــية مكـــتظة بالسكان مليئة بالمناظر الجميلة وتمتلك جوا منعشاً وصـــحيا، أرض ذات خصوبة عالية، ذات مجارى مائية ربما تعرف بأنها مجـــارى معمرة. أرض تقدم أفضل ماليها للمقيمين البيض. وبغض النظر عـــن الانطباع السطحى للخصوبة والرخاء فإن رواندا وبوروندى تعتبر من أكـــثر البلاد فقراً فى أفريقيا عامة. جزئياً بسبب نقص أى مصادر معدنية

26- Christopher: 1992. P. 17. Op.Cit.
27- Ibid.

كافـية، وفـى جزئـية أخرى بسبب غياب المحفزات القديمة للتنمية. فإن اقتصادهم لم يتقدم بعيداً عن حد الكفاية[٢٨].

* أكـثر تركيز للسكان فى وسط الأراضى المرتفعة من ٥٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ قدم. هناك عدد قليل من المدن والقرى والأغلبية الساحقة للسكان تعيش فى تجمعات عشائرية على طول جانب التلال.

* فى أوائل ١٩٦٩ كان هناك تقريبا ٣,٦ مليون رواندى، منهم حوالى ٨٥% هوتـو، ، ١٤% توتسـى، وأقـل مـن ١% توا قبيلة صغيرة من شعب الأقزام[٢٩].

* كان مجتمع وسط رواندا فى حوالى عام ١٩٠٠ سلطة ثلاثية، التوتسى على القمـة والهوتـو فى الوسط والتوا فى القاعدة ولم يتميز شمال رواندا بهذه السـلطة، وكانـت كـل مجموعـة فى وسط رواندا تميل إلى التخصص الاقتصادى والزواج الداخلى وهى سمات قادت بعض المؤلفين أن يعتبروهم طـبقات شـبيهة[٣٠]. بعـد عقـد السلطة الغربية فى ١٩٦٠، تمرد الهوتو وأسقطوا سيطرة التوتسى، ولم يغير موقف التوا مايمكن تقديره[٣١].

<u>**البيئة والسكان :**</u>

* لقـد نما الشعب إلى الحد الذى أصبحت فيه رواندا عام ١٩٩٤ أكثر دولة كثـيفة السـكان فـى القارة الأفريقية[٣٢]. الإنسان بحاجة أن يتذكر مجاعة ١٩١٦، ١٩٤٣ اللتيـن تسببتا فى موت ٥٠ ألف و ٣٦ ألف على التوالى. لندرك حدود وقابلية مصادرهم الاقتصادية للانتقاد.

* يوجـد فـى رواندا كثير من الزراع الجادين والمعقولين وأيضاً متيسرين ويمكـن أن يسـتقروا علـى الأرض بـدون أن يسببوا إجحافا للمواطنين الأصليين.

28- Rene : 1976. P.14. Op.Cit.
29- Richard .F.: 1969. Ch. I.P.I.Op.Cit.
30- CF.de Heusch 1966 Op.Cit.
31- Christopher 1992. P.15. Op.Cit.
32- Alison Des Forges : Op.Cit. p.31.

* ويبلغ عدد المستقرين الحقيقيين عام ١٩٥٨ فى رواندا وبوروندى، مايقرب مــن ٥ ملــيون شخص موزعين تقريباً بين القطرين بما يجعل أعلى كثافة ســكانية فــى أفريقيا، ومعدل تعداد السكان لعام ١٩٥٥ يشير إلى مستوى كــثافة. مــن ٢٢٧ لكل ميل مربع فى رواندا، و ١٨٥ فى بوروندى وبلغت درجة الزيادة (٣٣% سنوياً)، أى يتضاعف السكان تقريبا فى حوالى ثلاثين عاماً. التكديس السكانى يؤدى إلى استمرار الهجرة الجماعية لعمال أفريقيا إلــى المناطق المجاروه. فوق ال ٣٠٠ ألف باينا رواندا Banyarwanda يبحــثون عن عمل فى أوغندا كل عام خلال موسم جمع القطن. كثير منهم مستقرون دائمون فى كمبالا وحولها، ولكن تدفق الهجرة لم يكن متعادلاً مع الــنمو الســكانى، مع أنها سوف تقدم حلاً مؤقتا لبعض الأراضى المشبعة بالمــاء (خصوصــاً فى رواندا) فإنها لم تحدث على مقياس كاف لتخفيض النمو الاجتماعى والتوتر الخاص بعامة الشعب ظهرت من الفاقة والتوزيع غير المتساوى للأراضى الزراعية[٣٣].
* فــالأرض صغيرة وكثافة السكان عالية (وكانت دائما كذلك) والتداخلات الاجتماعــية دائمــة. الكثافة والقيمة المحملة وقد تصل الكثافة السكانية إلى ارتفاعــات لايمكن تصديقها فى أماكن معينة مثل مافى مجتمع شياندا حيث بلغــت ٦٦٨ نســمة للكيلو متر المربع عام ١٩٨٩. وقفز عدد السكان عام ٢٠٠٠ إلــى ماجاوز ١٠,٠٠٠,٠٠٠ عشرة مليون نسمة بزيادة ٥٠% كل عشــر سنوات مؤدية إلى مايزيد عن ٥٠ مليون بحلول عام ٢٠٤٠، وعلى سبيل المثال ٢٠ مرة قدر كثافة سكان فرنسا مالم يكن هناك بعض الإبطاء الديموجرافى. ومايثير الاشمئزاز كما يبدو الإبادة الجماعية فى ربيع ١٩٩٤ والتى قد تعزى جزئيا إلى كثافة السكان واتخاذ القرار بالقتل بطبيعة الحال بواسطة السياسيين لأسباب سياسية ولكن على الأقل جزءاً من السبب لماذا أخــذ هــذا القــرار بدرجــة كلية بجمهور الفلاحين العاديين فى ال ingo (النســل)، هو الشعور بأنه يوجد اناس كثيرون على أرض ضئيلة للغاية،

33- Rene Lemarch : 1976. p.15. Op.Cit.

وأنــه بتخفـيض إعدادهم سيكون هناك أرض أكثر للباقين. والسؤال عن معــرفة من سيكون الضحايا ومن هم الباقون، ليس بطبيعة الحال عشوائياً، ولكن تقرر بدرجة كبيرة بعوامل ثقافية وتاريخية وسياسية(١).

* ابعــد من ذلك فإن هناك ضغطاً على موارد الأرض وهى الكثافة المرتفعة لحــيوانات الناس، تقدر بحوالى ٣٠ مليون فى ١٩٥٦، وكما هو فى معظم المجــتمعات الــرعوية الأخرى فى شرق أفريقيا، فان رعى الحيوانات له مغــزى إقتصادى عظيم، فمالك الأبقار ليس فقط رمزاً لمنزله مهمة ولكن عنصــراً أساسياً فى الأنظمة الاجتماعية السياسية فى رواندا وبورندى. مع إن دورهــم فى المجتمع الواحد لم يعد كما كان. والأبقار ذات القرون التى تشــبه القيــثارة الناعمة التى هى أبقار ندانجا Ndanga ، مازالت منظراً مألوفاً جداً للجميع، ويميل عددهم لأن يعجل عملية تفتت على إزالة الغابات بجانب التلال، جالبة للنوائب التى تؤثر على إنتاجية الأرض.
* نفس العوامل التى تميل لأن تحدد مخالطة الاقتصاد تمنع أيضاً اقتصاد بناء داخلــى. إن الكثافة السكانية مع طاقة لإنتاج كل متطلبات الحياة الأساسية بوفــرة، أدت درجة متقدمة لتركز أشكال السلطة السياسية وبدرجة عظيمة للضــبط الاجــتماعى.وخصــوبة الأرض هــى الصفة الأولى التى حدت المكتشــفون الأوائل وهى واحدة من الأمور استدامت حتى هذا اليوم، وكما لاحــظ مؤلــف حديث فإن الإنسان يمكن أن يلاحظ ربما حقيقيا من خلال التركيب القوى (البناء الاجتماعى) وبسرعه يستلمح حتى التفكك الممكن فى الضبط فى المجتمعات الريفية. وكما سنرى فإن هذا كان عاملا رئيسياً فى المأساة التى انطوت فى ١٩٩٤. وهذا الهاجس الخاص بالضبط ليس راجعاً إلى أى صفة خاصة.

34- Hurst, 1995. P.5. Op.Cit.

الطرق والنقل والمواصلات:

- وبسبب الطبيعة الجبلية للتضاريس الأرضية وغياب المحفز لتطور صناعى علـــى نطـــاق واســـع، فمازالت إمكانيات التواصل ناقصة جداً، حتى على المســتوى الأفريقى. فالسكك الحديدية غير موجودة، وحتى عام ١٩٢٢ لم يكن هناك طرق للعربات.
- المحـــور الأساسى للارتباط بين الدولتين Busiumbura Ka- Kitamba – Kigali لـــم يكمـــل حتى عام ١٩٣١. وفى الوقت الحالى يوجد حوالى ٥,٤٠٠ مـــيل طـــرق معتدلة، ولكن حقيقة ليست طرق ممهدة. وقد وضع تخطيط الطرق فى ١٩٥٩ فى خطة العشر سنوات ولكنها تقدمت قليلاً، فمنذ ذلك أهمل العمل المتواصل للطرق المنتظمة.
- **الموانـــى:** وأكمـــل الميناء الجديد بقوة تعامل تقريبا ١٤٩ مليون طن للتجار ســـنوياً، وهـــو المركـــز التجارى الوحيد للبن والقطن، كما أن النشاطات التجارية والصناعية لم تعد مرتفعة كما كانت قبل الاستقلال(٣٥).

الاستعمار ومابعده:

- لقد استعادت رواندا استقلالها فى يوليو ١٩٦٢، بعد مايزيد عن نصف قرن مـــن الحكـــم الأجنبى، أولا بواسطة الألمان، وبعد ذلك بعد الحرب العالمية الأولى، بواسطة البلجيكين(٣٦).
- وفـــى فـــترة الألمان كانت المنطقة تسمى شرق أفريقيا الألمانى، فقد كونت روانـــدا – بورنـــدى مع تنجانيقا مستعمرة ألمانية فى شرق أفريقيا من ١٨٨٥ – ١٩٢٠ ثم أصبحت تحت الانتداب البلجيكى من ١٩٢٠ وانقسمت المنطقة إلى رواندا وبورنـــدى وأصـــبحت دول ذات سيادة واستقلال منذ ١٩٦٢ فى مرتفعات كهوف وســـط أفريقـــيا حيـــث تـــرتفع حوالى ٣٠٠٠ م وهى مرتفعات مزدحمة بالسكان وعاصـــمتها أوســـومبورا وهـــم يربون الحيوانات (الأبقار) *وزراع ينتجون البن

35- Rene : P. 15,16. Op.Cit.
36- Richard F.Nyrop: 1969 P.I. Op.Cit.

ويصـــنعون الجلـــود ولديهم قصدير وكان بالمنطقة فى عام ١٩٦٢ حوالى ٤,٧٨ مليون نسمة(٣٧).

* كـــلا قوتى الاستعمار حكمت بطريقة غير مباشرة من خلال نظام السلطة التقلـــيدية الـــذى فيه التوتسى أقلية إثنيه، تكون حوالى ١٤% من السكان، حافظـــت لأكـــثر مـــن ٤٠٠ ســـنة علـــى السيطرة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على الهوتو الأكثرية الإثنية بمايقرب من ٨٥% من السكان. وبمجئ عام ١٩٥٠، مهما كان الاعتبارات الديمقراطية والمسيحية بالمساواة والحرية، التى تعلم فى مدراس البعثات التبشيرية، كانت تحث القواد الهوتو للـــتحدى، وفى آخر الأمر لتسقط النظام الاقطاعى السابق. وكنتيجة للشغب المكـــثف فى ١٩٥٩، ١٩٦٠ والانتخاب فى ١٩٦١، سحبت أكثرية الهوتو القوة من التوتسى وألغت سلطة التوتسى، واستعادت رواندا الاستقلال ليس كمملكة إقطاعية ولكن كحكومة ديمقراطية(٣٨).

النشاط الاقتصادى :

* والبيـــئة الطبيعية الغريبة لها تأثير قوى على طبيعة استقرار السكان. كانت الزراعة دائماً مزدهرة جداً، والفلاحون الرواندبون هم فى الحقيقة بستانيون على مستوى كبير. وعلى بعد من مساحات الغابات المتبقية (الجيوش التى فـــى الشـــمال. والـــنخوى فى الجنوب) فإن البلد جميعها تبدو لحد ما أشبه بحديقـــة عملاقـــة معتنى بها، ومهذبة بتماثل أكثر أو بما يماثل أكثر حقول الأرز الأندونســـية أو الفلبينية عنها لنمط الزراعة المكثفة العادية لكثير من الريف الأفريقى(٣٩).

* ويعـــتمد الاقتصـــاد القومـــى كليه- غالبا على الزراعة. حوالى ٩٠% من السكان مرتبط مباشرة بمزارع المحاصيل النقدية كمورد رزق(٤٠).

37- Brockhaus : 1961 P.I. Op.Cit.
38- Richard: 1969 P.I. Op.Cit.

39- Hurst, P.2.Op.Cit.
40- Richard, P.2 Op.Cit.

* وأهـم المحاصـيل الرئيسية هي : البقول والبازلاء والذرة الرفيعة والذرة، والبطاطس والموز، والبطاطا والكسافا.[٤١]

* وتشـمل زراعـة المحاصيل الثانوية التجارية زراعة النخيل على سواحل بحيرة تنجانيقا، والتبغ والشعير والقمح فى مناطق المرتفعات العالية. وحاليا تمارس تجارب في إنماء الأرز فى المناطق الوسطى لرواندا تحت إشراف الأخصـائيين الزراعيـين الصينيين. ولو أن النتائج لاتعتبر مشجعة على الإنتاج الكبير[٤٢].

* والمحصـول النقدى الوحيد هو البن (الصنف العربى) والشاى وأنتج البن أولا بواسطة البلجيكيين فى ١٩٣٢ تحت نظام زراعة إجبارية، تزيد الإنتاج المشـترك لكلا البلدين من ١٠ آلاف طن مترى عام ١٩٤٤ إلى ٣٣,٦٢٩ ألـف طن مترى فى عام ١٩٦١ ولكنه انحسر بحدة بعد الاستقلال. ولو أن زراعـة القطـن قـد خولـت بـبعض الـنجاح فـى بورندى فى منطقة ال Mosso وعلـى طـول وادى الروزيرى. وعلى ذلك فإنها تشكل فقط نسبة صغيرة من الصادرات النقدية الكلية[٤٣]. فى الأزمنة القديمة، كما هو الآن، كـان معظم السكان زراعا يزرعون قطعا صغيرة ويربون قليلا من القطعـان كلمـا أتيحت لهم فرصة، وعدد أقل من ذلك من الناس يحتقرون الـزراعة ويعتمدون على القطعان لمعيشتهم. المزارعون والرعاة يعيشون مبعثريـن فى معظم أنحاء المنطقة، ورغم برد ورطوبة المرتفعات فإن بها قليل من الرعاة. والشرق الحار الجاف لديه أكثر وبواسطة الأرض الخصبة والأمطار فإن المنطقة منتجة[٤٤].

* لقـد مهـر الزراع فى عمل الحرب وقادرين على أن يحشدوا مجموعات كبـيرة مـن الأتباع ظهروا لأهمية خلال النظام الحربى وخاصة فى ظل الحاكم روابوجيرى Rwabugiri فى نهاية القرن التاسع عشر، الذى أدى

41- Rene P.14. Op.Cit , I, Richard P.2 Op.Cit Christopher, P.17. Op. Cit.
42- Rene P.14.Ibid.
43- Ibid.
44- Alison D.F.P.31.Op.Cit.

بـــروانـدا إلـــى أعلـــى قوتها، فى دفعه إلى الأمام لينتشر، هاجمت رواندا الشـــعوب المجاورة، غافلين عما إذا كانوا رعاه أو زراع وغافلين عما إذا كانوا منظمين فى أنساب أو دول(٤٥).

* ويشـــمل الإنـــتاج الحـــيوانى الماشية، الأغنام، الماعز، وأحيانا الخنازير. وتعـــريف التوتســـى **الـــرعاة** كمالكى القوة، والهوتو الزراع كموضوعات أصـــبحت عامـــة عندما وصل الأوربيون أولا فى رواندا فى نهاية القرن التاسع عشر ولكنها لم تثبت كليه خلال الدولة(٤٦).
* يعـــيش **الـــتوا صيادين** جامعى طعام فى مساحات الغابات ويخدم آخرون الشخصيات عالية المرتبة فى عديد من المهام الدينية.
* **والهوتـــو** الذيـــن يكونـــون الغالبية العظمى من السكان فلاحون يزرعون الأرض. وكـــانوا رعاة الماشية "**التوتسى**" من أصول سلالية مختلفة عن الفلاحين المحليين (٤٧).
* وعلى أى حال فإن الرعاة المتجولين ينظرون باحتقار إلى الأهالى الزراع. وتكـــون **الأبقـــار** أهم غذاء أساسى لديهم، **ويعمل الرجال** فى حراسة وسقى القطعان الكبيرة، وحلب اللبن وتنظيف حظائر الحيوانات كل صباح وبصفة مستمرة.
* وتغســـل **السيدات** أوانى اللبن الخشبية ويقمن بعمل الزبد، كما تعتنى أيضاً من وقت لآخر بالعجول (٤٨).
* ويقـــدر ثلثا قوة **العمل المدفوع** بحوالى ٨٠,٠٠٠ ألف شخص يعملون فى الصناعة الخاصة، أساسا فى الزراعة، تخص النباتات، والتعدين. الحكومة، مهما كان، هى أكبر موظف فردى(٤٩).

45- Ibid.P.32.
46- Ibid.P.33.
47- Hurst .P.5. Op.Cit.
48- Bernatzik, Hugo A: 1968, P.207-209 Op. Cit.
49- Richard ،P.2. Op.Cit.

* وهناك أشخاص إضافيون يعملون فى شركات التصنيع والتجارة التى ترتبط ارتــباطاً شــديداً بالــزراعة مع أن معظم المزارعين يعيشون على إنتاج محاصــيل الغذاء، تصدير البن والشاى والبرثرم (حشيشة تستخدم فى إنتاج المبيدات الحشرية). تحسب حوالى ٦٠% لكسب التبادل الأجنبى [٥٠].
* يستخدم معظم محصول الموز لعمل البيرة، الاستهلاك الواسع الذى هو مهم اجتماعــيا منذ أن أصبح معظم الكبار وحقيقة كل الرجال يشربون كميات كبيرة من البيرة فى كل المناسبات الاجتماعية. لقد فشل إنتاج الطعام عموماً أن يحفظ تقدم مع درجة النمو السكانى العالى، والاقتصاد الزراعى، أحياناً بسبب الطقس الردئ وانحدار خبرة الإنتاج الحذر، مسببة مجاعة.
* والعامل الاقتصادى المحدد يتكون من منتجات زراعية قليلة تخص النباتات وتصــنيع بســيط على مستوى الحرف والورش. والتوسع الصناعى يعاق بتقلــيد عائلى رئيسى محدد، ونقص العمل الماهر، وغياب طبقة المقاولين الرواندية والحاجة المنزلية الصغيرة للبضائع الصناعية[٥١].
* لقــد سبق أن ذكرنا أن هناك منحة دائمة أو مؤقتة، كانت هى طريقة كسب المدعميــن. وقد ساعد عدد كبير من المدعمين على القطعان. ولكنهم كانوا فى صراعات دائمة مع الأعداد الأخرى من الصفوة وفى مغامرة خارجية. ولكــن لــيس كــل مالكى القطعان يمتلك مراكز فى الدولة. يعرف الرعاة بالــباجوجوا Bagogwa، يتجمعون فى الشمال الغربى، ومايطلق عليهم باهــيما bahima مستقرون فى الشمال الشرقى يلتمسون تجنب قوة الدولة أكــثر من المشاركة فيه. وعكس ذلك ليس كل أعداد الصفوة ولدوا أغنياء فــى القطعان، مع أن هؤلاء يفتقرون إلى مثل هذه الثروة التى تحتاج عادة على المدى الطويل إلى القوة[٥٢].
* لقــد أحضرت الأفواج الأولى الآتية من (أثيوبيا والصومال) معهم قطعانا كبيرة ذات قرون طويلة (Ankole Cattle).

50- Ibid.
51- Ibid.
52- Alison P.32. Op.Cit.

* وكانت الزراعة لدى الهوتو هى النشاط الأساسى عندهم ويمتلكون بجانبها قطيعا صغير القرون بأعداد صغيرة(٥٣).

البناء الاجتماعى والسياسى:

* الانطـباع الدائم المنقول بواسطة كثير من الكتابات التى تتعامل مع رواندا وبورنـدى هو أن مجتمعاتهم كانت أساساً إقطاعية فى ملامحها، خصوصاً للدرجة التى تضغط طبيعة العلاقات الشخصية بين الأفراد أو تستخدم تعبير مـارك بلـوك Marc Block ، **روابـط الطاعة وحماية مايربط الإنسان بالإنسان.** التشابه الإقطاعى يرسم انتباه لملامح مهمة **لمجتمعاتهم التقليدية.** بتأكـيد خـواص معينة شائعة، مهما كان مصطلح إقطاعى تميل لأن تقيم الاختلافات صليبية الشكل الذى تطور على مر السنين بين هاتين المملكتين، ولذلك تقل درجة من الانتظام فى عالم العلاقات الاجتماعية والسياسية التى لاتوجـد دائمـاً فى كلا المجتمعين. فى تأكيد إعادة النظم السياسية التقليدية لرواندا وبوروندى.
* المصـطلحات الفنـية تـتوحد الإقطـاع الأوربـى يمكن أن يحفظ كبديل للاستقصـاء الـتاريخى، بالإشارة فقط للتاريخ، يمكن أن يوضح الشخص الاختلافات البنائيه والثقافية التى شكلت فى السنوات الحديثة أسلوب تحولهم السياسى(٥٤).
* لقد حافظ السكان الاصليون على علاقات الاحتفالات مع العشائر الرواندية الأخرى، وذلك عندما يرغب الروانديون الأخر فى تأسيس مساكن أو دفن موتـاهم أو الـتوجه للنشاط الزراعى بعد الحداد(٥٥). لقد نقب الإنسان فى الأزمـنة القديمة فى هذه الأرض عن الذهب، الحديد، النحاس والقصدير. حـتى الوقـت الـذى استعمر فيه البرتغال هذا المكان، كان التجار العرب

53- Christopher. 1992.P. 14 Op.Cit
54- Rene, P.18. Op.Cit.
55- Christopher.P. 14 Op.Cit.

يسيطرون على التجارة داخل البلاد، ولقد تم تبادل الذهب والعاج بمواد من الهند ولؤلؤ (١٥٧٠ -١٦٠٢)[٥٦].

* **البناء الاجتماعي:** تستمل الأرض في رواندا الريفية عادة من خلال الروابط الأبوية. ولكن قد يحدث في بعض الحالات أن الرجل يرث أرضاً من عشيرة الأم. ويقسم الرجل ممتلكاته وأرضه بين أولاده الذكور أو يحاول أن يجد أرضا لهم وبادة فإن المرآة خصوصاً التي تبقى بدون زواج أو تعود لأهلها بعد الطلاق سوف تكتسب أرضاً من أبيها. بعض الأراضي تتعلق بالقبيلة ككل وتستغل للمنفعة المشتركة أو توزع حسب ماتراه القبيلة مناسبا[٥٧].

* إن لأكبر الذكور نفوذا قوياً حيث يصدر قرارات تتعلق بالعشيرة ككل، متضمنة توزيع الأرض والحفاظ على الممارسات الدينية التقليدية (استرضاء الأسلاف:الأنشطة الاحتفالية في الشمال والجنوب) وحسم النزاعات على توريث لأرض ويطلق على أصغر قسم أبوى (البيت) الذى يتكون من كل الأسلاف لرجل ما لثلاثة أجيال. ويستخدم في بعض الأحيان ليشير إلى المنزل[٥٨].

* يوجد أيضا في داخل كل مجموعة، مجموعات فرعية ، نتيجة أسلاف شائعين بعيدين والبعض أكثر حداثة للزواج، هذا بين الرعاة، الذين وصل أسلافهم منذ قرون مضت قصار بشكل واضح، ممتلئ الجسم، وبشرة أكثر احمراراً عن الأشخاص الطوال وذوى البشرة الداكنة. سلائل مهاجرى القرن التاسع عشر. هناك زراع اختاروا أزواجاً من أماكن قريبة لمواطنهم غالبا لهم خواص واضحة مميزة لأماكنهم الأصلية في الجنوب، كانوا عموماً أقصر وأضعف من الذين يتزاوجون من مجموعات أخرى، وهذا ليس عادى بدأت تقل عمليا في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن

56- Bernatzik . P.207, 208,209, Op.Cit.
57- Christopher.P. 17 Op.Cit.
58- Ibid. P. 17 Op.Cit.

العشرين عندما اتسعت الفجوة بين الصفوة التوتسى والهوتو العاميين، ولكن عـادت ثانـية بعد أن فد التوتسى القوة فى ثورة ١٩٥٩. وبزيادة الزواج المخـتلط فـى العقـود الحديثة، أصبح الأمر أكثر صعوبة لمعرفة جماعة انتساب الشخص ببساطة بالنظر له أولها. وينظر بعض الناس إلى كل من الهوتـو والتوتسـى فى نفس الوقت. بالإضافة إلى ذلك، يرث بعض الناس خـواص مميزة لمجموعة واحدة، تخص أيضا فى الحقيقة مجموعة أخرى لأن أطفال الزواج المختلط أخذوا فصيلة آبائهم، ولكنهم فى الحقيقة يشبهون أمهاتهم، ولقد حدث فى أثناء الإبادة الجماعية أن بعض أشخاص هوتو قتلوا على أنهم توتسى للشبة الكبير بينهم(٥٩).

- إن المزارع الرواندي هو رجل الروجو rugo وهذه الكلمة لها معان كثيرة فـى الشئون اليومية وتعنى ببساطة محيط أو تركيب الأسرة حول ماتدور إلـيه كـل الحياة إن تعدد الزوجات موجود فى النظام العائلى لديهم، ولكل زوجـه rugo مكـان منفرد فى محيط الأسرة ولكن ال rugo مستوى أقل بكثـير مـن ال ingo (النسـل)، الوحـدة الأساسية للحياة الاجتماعية فى المجتمع الروانـدى وروجو rugo هى الأسرة(٦٠).

<u>العادات والتقاليد:</u>

- بعـض **<u>العـادات</u>** التى كتب عنها بعض العلماء لدى مربى الحيوانات منها: اسـتخدام الـزبد كمرهم، أوانى الحلب الخشبية وغسلها فى بعض الأحيان بـبول الأبقار نتيجة للقيمة المقدسة للأبقار وكل منتجاتها، نار الحاجة، نذر الدولـة، الحلـب بواسطة الدمية، يضاف إلى ذلك عادات تذوق اللبن عند (الأيـنورو)، الأحشاء المقدسة، والأحشاء التى توضع على الرقبة كأدوات زيـنة فى الاحتفالات وتقطيع اللحم أمام الفم. وتعتبر أدوات الزينة الجميلة الرقيقة المجدولة من سمات منطقة مابين البحيرات(٦١).

59- Alison Des Forges: Paris 2007.P.33. Op.Cit.
60- Hurst : London. 1995. P.3. Op.Cit.
61- Bernatzik, P,207, 208,209, Op.Cit.

* وتذكـــر عادات الدفن ببساطة شديدة بما كان فى دولة مونو موتاباً، تدخين الجـثمان، دفـنه فى جلد البقر، وعادة التقاط أول دودة تزحف من جثمان الملـك الميـت بعناية وتغذيتها باللبن، لأنها سوف تتحول فيما بعد إلى أسد (حيوان ملكى)[٦٢].
* وكـان لبـن الـبقر فى الماضى يعطى أحيانا للمحتضرين أو على وشك المـوت، لكى يضع نهاية لمعاناتهم، حيث تأخذ الأسرة اللبن وتصبه تحت حلق الشخص المحتضر إلى أن يختنق[٦٣].

عادات الزواج :

* عـندما يريد الشخص أن يتزوج، تكون الحيوانات مرغوبة لثروة العرس. (بقـرة وأحيانا اثنان) إذا كانت العروس قد حصلت على تعليم عال، تعطى لوالـد العـروس كمهـر (inkwaano)(مهر)، عندما تكون ثروة العرس عجولاً أو أبقاراً ، تعود واحدة من العجول الإناث إلى والد الزوج لكل بقرة أعطاهـا كمهـر. هـذه الهدية المعادة من البقر من والد العروس إلى والد الزوج، ولقد اختفت هذه العادات اليوم (تقديم هذه الهدية المعادة)، دليلاً على أن نظـام نقل الحقوق ومقابل نقل الحقوق التى تميز العلاقات بين أسرتى الزوج والزوجة قد اختفت.
* وقد اختفت عادة أخرى خاصة بالزواج وهى تزيين العريس لعروسه ببعض النـباتات الـتى كانـت تستخدم أيضاً فى الطقوس الملكية. وهذا النبات له زهـور بيضـاء وفاكهة حمراء صغيرة تشبه القرع العسلى، وهى تستخدم عـندما تنضـج فى حفل الزواج، حيث يضع الزوج حزمة من زهور هذا النـبات حـول رأس العروس. ثم يرش خليطا من اللبن والأعشاب إما فى وجهها أو بين صدرها، وعملية تزيين العروس وبخ اللبن والأعشاب تمثل قوتين كبديل للسائل المنوى، أحدها من الأبقار (اللبن) والآخر من النباتات (الـزهور)، وهـذه الحـزمة ترمز لمحتويات العروس بداخل حلقة السائل

62- Bernatzik, P,207, 208,209, Op.Cit.

63- Christopher.P. 75 Op.Cit.

المـــنوى. واللبـــن المرشوش يوجد البذور التى تحتويها العروس عادة لكى تنتج حياة جديدة كزوجة وامرأة، فهى بمثابة اثنتين، احتواء ووعاء.

* وقـــد تغـــير موضوع تزيين العروس بالزهور حاليا وبدلا من ذلك يجلس الـــزوج والزوجة بمواجهة قرعة البيرة ويشربان منها فى نفس الوقت، ثم جمـــيع الأقـــارب فـــى حفـــل الـــزواج فى المقدمة ويشربون من القرعة بالدور (٦٤).
* يتزوج معظم الناس بداخل المجموعة المهنية التى نشأوا فيها، وقد خلق هذا الفعـــل اتفاقـــية جينيه مشتركة بداخل كل جماعة. وهذا يعنى أنه بعد عدة أجـــيال يصـــبح الرعاة أكثر شبهاً بالرعاة الآخرين، طوال نحاف وملامح دقيقة، ويشبه الزراع، الزراع الآخرين، قصار أقوياء وملامح عريضة.

عادات الضيافة :

* الشـــرب والقـــيم الـــتى تحيط به تتركز لدى أفكار الرواندبين العميقة فى المؤالفـــة. هذه الأفكار تواصل أن تكون مهمة فى الأيام الحديثة التى تحكم المجتمع الرواندى. شرب ال urwaag، بيرة الموز وال ikigaage، بيرة الـــذرة الرفـــيعة، أو وعاء بلزنر بير Pilsner ، يتبقى النشاط الاجتماعى الأكـــثر حداثـــة فى رواندا. إنه الموضوع الذى يشاهد فيه بوضوح تقسيم التوتســـى والهوتـــو، من ناحية، والتوا على الناحية الأخرى. نجد التوتسى والهوتـــو يشـــربون معـــاً ويشاركون بوضوح نفس الإناء(igicuma) أو يشـــربون أعشـــاب Umuheha ولكنهما لايفعلون ذلك مع التوا . لوحدث واجتمع التوا مع الهوتو أو التوتسى فإن الأوعية والأعشاب التى يستعملونها يجب أن تنفصل.
* ويبرهـــن الباحـــث على هذا بواقعة حدثت فى وجوده، حيث أنه أقدم على شرب البيرة من إناء موجود للتوا الذين يجلسون بجانبه، فحذرة صديق بأن لايفعـــل هـــذا، ثـــم ناوله أحد الموجودين كوبا من البيرة كان قد احتفظ به لنفســـه، وإذا لـــم يعطيه أى شئ للشرب بالمرة سوف يحدث كسر خطير

64- Christopher.P. 74 Op.Cit.

للإتيكيت. فتقديم السوائل مهم حتى فى الموضوعات العادية للترابط الاجتماعى. عندما يأتى أحد للزيارة، سوف يقدم المضيف عادة للزائر بيرة الشرب. وإذا كان لدى المضيف بيرة ولم يقدمها لأحد ضيوفه Kwiima inzoga بينما يشرب الآخرون الحاضرون يعتبر هذا إهانة خطيرة جداً، ويقال إن العلاقات الاجتماعية الجيدة لايعيش كثيراً مع هذا الشخص حتى فى نهاية الحياة تبرز القيم المشتركة مع هذا السائل(٦٥).

عادات الحمل والولادة:

- قبل الانتشار الحالى لممارسة عملية الولادة فى مستشفى أو مستوصف قروى كان الوضع بالنسبة للمرأة خلال الولادة هو أنها يجب أن تركع على الأربع، وتحاول بعض السيدات أن تقف خلفها لتلقى المولود مجرد ظهوره (٦٦)، ولو أظهر المولود صعوبة فى ترك قناة الولادة، يقول المطببون أنه فى هذه الحالة أحياناً يغطون فم المرأة وأنفها وفى الواقع أن جسمها مماثل لقناة (أنبوبة) مفتوحة من الطرفين، والحركة داخلها يمكن أن تتقدم فى أحد الاتجاهين، إما ناحية الفتحات العلوية (الفم والأنف) أو ناحية الفتحات السفلية (قناة الولادة). فغلق الفتحات العلوية أثناء الولادة، يمنع الجنين من الحركة لأعلى ويتبقى بداخل البطن ويجبر على الحركة لأسفل وللخارج. فإغلاق القمة العلوية يحث لأسفل ويخرج المولود (٦٧). عندما تلد المرأة تحجب لفترة أربعة أو ثمانية أيام تسمى ikilili ولابد أن يستأنف الزوجان الجماع بعد ذلك، لكن ليس بنفس التكرار كما كان قبل الولادة. يقول بعض المطبين أن المهبل يدخل السائل المنوى مباشرة ويساعد على رفع لبن الأم فى الصدر (amashereka) ولكن هذه الطريقة فكرة فطرية. ويدعى آخرون أن فعل الجماع لا يساعد مباشرة على إفراز اللبن أكثر من أى تأثير للسائل المنوى.

65- Ibid. P. 74 Op.Cit.
66- Hurst : London. 1995. P.3. Op.Cit.
67- Christopher.P. 68 Op.Cit.

* صدر المرأة يتكون من دهون، وطبقاً لأراء هؤلاء المطببين يجب أن تذاب هـذه الدهون من أجل إنتاج اللبن في صدر الأم amasherek الجماع مع زوجها يقوى الشعور بالمجانسة للدفء البشرى على المرأة ubushyuuhe هـذا الـدفء الـذي يساعد الدهون في الصدر على الذوبان وتتحول إلى لبن[٦٨].
* عملـية الرضـاعة الجديـدة بالنسـبة لـلأم، تعتبر من اهتمامات الأسرة الاجتماعـية تماما مثل الاهتمامات الخاصة. بعد فترة الحجب ikilili يأتى الـناس لكـى يـروا الأم ويحضروا لها الهدايا، وتسمى هذه الهدايا عدة guheemba (المكافـأة) ويـتحدث الحاضـرون من أسرة كل من الزوج والـزوجة. ويقـدم والـد الـزوجة نوعاً خاصا لل guheemba ، إنهم يحضـرون للزوجيـن ماعزا ولبن البقرة، بيرة ، وبصفة خاصة كمية من بيرة الذرة الرفيعة (igikoma).
* والفكرة وراء هذه العادة أن المرأة إذا شربت ال igikoma (البيرة) بكمية كافـية، سـوف تحصـل على لبن وفير (amashereka) لأن بيرة الذرة الرفـيعة يظن أنها تقوى إنتاج اللبن، لهذا يشارك والدى الزوجين بطريقة غير مباشرة في تكوين جسم طفل ابنتهما من خلال هديتهم. وهدية الأبوان وهديـة الأقـارب مـن البيرة تسمى igikamacy umubyeeyi (البيرة الخاصة بالوالدين)، وال (igikoma) (بيرة الأقارب) (guheemba) (عادة الهدايـا، المكافأة)، توضح التعاون الذى يجب أن يكتسب بين الأقرباء من جهة الأب والأقرباء من جهة الأم في تأكيد نمو الطفل[٦٩].
* عـندما تنتهى فترة حجب المرأة، يحضر المولود الجديد للخارج ويعرض على باقى أعضاء الأسرة والجماعة التالية،(gusohora umwaana) ولكن لاتـتم هذه الشعيرة (خروج الطفل للأسرة). إلا بعد أن يختبر جسم الطفل، ويتأكدون من أنه خال من التشوهات الشرجية[٧٠].

68- Ibid. P. 69.
69- Ibid. P. 69.
70- Ibid. P. 69.

لاتـــتم هذه الشعيرة (خروج الطفل للأسرة). إلا بعد أن يختبر جسم الطفل، ويتأكدون من أنه خال من التشوهات الشرجية(٧٠).

- في هذه الحالة فقط يمكن أن تلعب هذه الشعيرة دوراً ويقدم للحاضرين أكلة، وبصــــفة خاصة للأطفال، حيث يأكلون أكلا مخصوصا، وتسمى هذه الأكلة Kurya ubunnyano وتعــنى أكل براز الطفل " لهذا يقال أحيانا أن كمية صـــغيرة من مادة براز الطفل تخلط بالطعام. ويلبس المولود ملابس تماثل ملابس الملك في الأزمنة السابقة ".
- وحقيقة هذه العملية (براز الطفل)، تعتبر أن جسم الطفل قناة مفتوحة، وهو وعـــاء مناســب لتخلــيد عملية التدفق، حجم الطفل مرتبط بنهاية الشرج، وخـــروج البراز هو هديته الأولى، وأعضاء طبقة سنه هم أول المستقبلين هؤلاء الأطفال هم الذين يضمون الطفل في مجموعتهم الاجتماعية بواسطة تناول طعام رمزي، واحدة من منتجات جسمه.
- إن لبـــن الأم غذاء رئيسي لأطفال رواندا. وتستمر رعاية الأطفال إلى أن يصـــلوا ثلاث أو أربع سنوات، لهذا يفطم معظم الأطفال مبكراً، بين سنه ونصف وسنتين ونصف.
- والحصـــول علـــى لبن الأم (amashereka) بكمية وفيرة هي غالبا مسألة حـــياة أو مـــوت للأطفال الروانديين. مرض نقص البروتين المعروف ب (Kwashiorkor) يلاحظ دائما في الأطفال الذين توقفوا عن الرضاعة.
- المـــرأة الـــتي تفقد لبنها (amashereka) تدعى (igikama)، الاسم الذي يستخدم أيضاً للنساء اللاتي يفتقدن الإفرازات المهبلية (amanyaare) أثناء الجمـــاع. والاســـم (igikama) يأتي من الفعل (guhaama): زرع حقل جففته الشمس أو القيام بعلاقة جنسية مع امرأة تفتقد الإفرازات المهبلية(٧١).

إن الشخص الذي من خارج الحضارة الرواندية لايمكن أن يرى العلاقة أو

70- Ibid. P. 69.

71- Jacab , I.: Dictionnaire Rwandais – Francais, 3. Vols Extrait du dictionnaire de L'Institut National de Recherche Scientifique Kigali , Rwanda:, Imprimerie Scalaire 1984- 87.

الـــرابطة بيـــن امــــرأة تفتقد لبن الأم بعد الولادة وأخرى تفتقد الإفرازات المهبلـــية أثناء الجماع، الرواندية تساوى الاثنين فى (igikama) فقدان لبن الأم(٧٢). كلا المرأتين تفتقد سائل جسدى مهم، فى واحدة منهما السائل الذى يمر من الأم لطفلها، وفى الثانى السائل الذى يمر بين المرأة وزوجها، فى كلا الحالتين النقص يمثّل تسوية لخصوبة المرأة وخصوبة العائلة.

- وتستطيع الأم أن تصبح igikama (لديها لبن) فى حالات متعددة. وانعدام اللبن عندها، حسب مايقول المطبيبون،أن تكون الحالة خلقية منذ الولادة. أو كمـــا هـــو فـــى حـــالات أخرى، انقطاع الحيض، أو طفيليات أو مرض الروانديـــين الـــذى يســـمى ifuumbi يمكن أن يكون السبب وفى حالات أخرى uburozi (التسمم)، ربما يكون الأساس.
- ويظـــن أن التسمم يأتى بين النساء اللاتى يعشن مع رجل واحد، إذا نجحت واحـــدة من الزوجات فى الحصول على بول منافستها (inkali) أو بعض مـــن الســـائل المهبلى (amanyaara)، الذى تخرجه أثناء الجماع، سوف تســـممه مـــن أجل أن تجعل منافستها igihama ، ليس لديها لبن أم، وهى يمكـــن أن تســـتخدم أيضـــاً دم حيض ضحيتها. والمعاملة الصعبة لامرأة أصبحت تعانى نقص لبنها هى أن تكتفى بتناول النباتات mukuzanyana ، amunkamba ، (cleredendrum rotundifolium) نـــبات يعطـــى عادة للعجول لأنه اسمه يقتبس من الكلمات gukuza (ليجعل شيأ ينمو) و inyana (عجل).
- وتســـتطيع المـــرأة ان تذيب الدهن فى جسمها بالنباتات أما لكى ترضع أو تنتج الإفرازات المهبلية بكمية(٧٣) وفيرة.
- ويعتبر الإفراز المهبلى مهم للغاية لأن أسلوب الرواندين لعمل الحب يسمى kunyaaza تحـــتاج أن تنـــتج المـــرأة إفـــرازات غزيـــرة (,ingaari amanyaare) أثـــناء الجماع Kunyaaza وتأتى من الفعل Kunyaara

72- Christopher.: p. 70 Op. Cit.
73- Ibid. P. 71.

(يـــبول)، وتعـــنى أن تعمل تبويل، وهذا يفترض أن الرجل يجعل المرأة (تبول) بسبب التهيج الجنسى والإفراز الوفير.

* وكـــان لديهم اعتقاد قديم وهو أن المرأة يفترض أنها لاتأكل أى شئ جامد بعـــد منتصف النهار، ويجب فقط أن تشرب لكى تكون مبتلة بقدر الإمكان بالليـــل أثناء الجماع، الشفرة الممتدة (imishine)، يظن بعضهم أيضاً أنها تســـاعد الإفـــراز (ولذلك تتمرن الفتيات الرونديات بوعى على المعالجة الـــيدوية لشفرتهن لكى تجعلها أطول (gukuna imishino) يعتبر الجماع مثمراً عندما ينتج الأبوان سائل مساهم، للتصور يظن أنه أكثر احتمالا بعد ما يحدث تهيج جنسى لدى الأبوان[٧٤].

<u>العلاج فى رواندا:</u>

* عندما يحدث المرض أو سوء الحظ، يحاول المداوى أو العراف أولا إثبات عمـــا إذا كـــان المرض عادياً أو غير عادى. إذا كان المرض غير عادى يحاول أن يحدد ما إذا كان أصل المرض روحى أو بشرى. بالنسبة للبشر يمكن استخدام قضية المساعدة لأرواح مختلفة تبتلى الآخرون.

* إذا حـــدث المرض بواسطة شخص أخر، يحاول المداوى كشف من يكون هذا الشخص، وكيف أن التعويذة أو السم المستعمل يمكن أن تعادل أو تحايد أحســـن. هـــذا الـــنمط مـــن العلاج يعتمد على النظرة الإضطهاديه لسوء الحـــظ[٧٥]. فهو يكيف شك الضحايا تجاه هؤلاء الذيـــن لـــه معهم علاقات اجتماعية صعبة[٧٦].

<u>السوائل فى الصحة، الحب، المرض والموت:</u>

* العـــادة والدعابة الأولى التى يلاحظها الشخص والتى تلعب دوراً مهما فى الطـــب الشعبى الروندى هى اللعاب (الريق) (amacaandwe). استخدم اللعـــاب فـــى العـــرافة مـــنذ أن فكر أن يجسد طبيعة الشخص أو جوهرة

74- Ibid. P .

75- Zempleni A.: De la persecution a la Culpabilite . In Prophetisme et Therapeutique, edited by J. Rouch et al, 153-218 Paris: Hermana . 1975.

76- Christopher.: ch .3.p.65 Op. Cit.

(Kumeremuntu) يســتخدم اللعاب فى معظم الممارسات الكهنوتية اليوم فــى العــلاج، وقــبل بداية العلاج. عندما كانت رواندا محكومة بواسطة umwaami، وظفت شعائر القصر . لعاب الملك فى العرافة[٧٧].

- البصـــاق الملكـــى ينــتج فى أفواه الثيران الأضاحى، بعد وفاة الثور يفتح القــائمون بالشــعائر بطنه ويفصحون أمعاءه وهذه واحدة من الطقوس لها مســئولية الحصـــول على لعاب الملك وحفظة فى وعاء خاص. لعاب ال Imaanas ، تصــبغ أيضــاً بخواص غير عادية. وقيل إن ال Imaana أعطى الحياة لأول رجل باستخدام لعابة فى تشكيل صورة طينية للرجل من الأرض. يستخدم المطببون أحياناً لعابهم فى الممارسات العلاجية، وخاصة عندما تكون الأمراض التى يعالجون هى أمراض جلدية. وليس غير عادى أن تراهم يبصقون مباشرة على الجلد (lesion) أذى.
- يقــول بعض المطببين إن اللعاب منتج من المخ، منتجه من تفاعله العادى. ويقال أن المجانين مثلا لديهم أفواه جافة[٧٨]. وبكلمات أخرى إنهم يفتقرون إلـــى رطوبـــة جســـدية هامة، الشئ الذى يعتقدون أنه يحتوى على طبيعة الإنسان. يحتمل أن الخلط[*]، الأكثر أهمية فى حالات التسمم، مهما كانت، هى الدم (amaraso)، ويهاجم السم الدم أولا.
- فى حالات كثيرة يعوق التسمم تدفق الدم بين القلب والمخ (مخ) abwonko ، umutime (قلب)[٧٩]، الذى يصدق أن يعملوا معا فى الإنتاج والحصول على الوعى. عندما يتكلم عن القلب المفقود، إنهم يعنون عادة فقدان الوعى أو ضـــعف القلـــب مقعد السبب، اختيار ورغبة المخ يساعد القلب فى هذه الوظـــائف. يظن أن الدم متشابك فى الإحساس الملموس الذى يضخ خلال

77- de Heusch: 1982, 118. Op.Cit.

78- Christopher.: .p.66 Op. Cit.

* الخلط، أحد الأخلاط الأربعة (الدم والبلغم والصفراء والسوداء التى زعم القدماء أنها تقرر صحة المرء ومزاجه

79- Habimana, E.: Envie Comme cause d'attribution dans les maladies mentales Ibitega " Ph.D. diss. Universite du Quebec a Montreal. 1988.

الأوردة ويســمح للقلــب والمــخ بإحساس عما إذا كان الشئ الذى يلمسه الإنسان ساخن أم بارد، ناعم أو صلب. يقرر المطببون أن) (amarozi) (السموم)، تقلل مقدار الدم الكلى في الجسم، أنها تجفف الجسم أو تجعل الدم يخــرج غير عادى من فتحة جسدية. ويمكن أن يقلل التسمم كمية الدم فى الجسم بأكثر من النصف بدون قتل الضحية.

* عــندما يمــوت شخص من التسمم uburozi ، يكون ذلك لأنه هو أو هى فقدت كل الدم. ويعتقد أيضاً أن لسائل المنوى دم، amasohoro ، لكن فى شــكل مطهر، يقرر بعض المطببين أن إنتاج السائل المنوى يبدأ فى داخل المخ، ثم يمر خلال العمود الفقرى فى وعاء الخصيتين. ويقول آخرون أن إنتاج السائل المنوى يحدث فى نخل الخصيتين فقط.

* والشراب المصنوع من الذرة الرفيعة واللبن يساعد على إنتاج سائل منوى قوى بكمية كافية وكذلك بيرة الموز، شراب أقوى فى المحتوى الكحولى من بيرة الذرة الرفيعة، والويسكى ضار بالسائل المنوى عندما يشرب بإفراط. الإفــراط فى مثل هذه المشاريب يجفف الجسم ويؤخر القذف. فهم يعتقدون أن بيرة الموز أكثر ذكورية عن أى شراب مصنوع من الذرة الرفيعة.

* ومــن هــنا تمــيل النساء أن تعمل معظم العمل الذى يخص زراعة الذرة الرفــيعة وتخمــيرها، بيــنما يميل الرجال لأن يعملوا كل مايخص الموز وتخميره.

* ويمــتلك الــرجال شــيئا يطى القوة للإخصاب، وتمتلك الإناث شيئاً فى دمائهم، ولكنه لايعتبر قوياً مثل ذلك الخاص بالرجال.

* وبسبب ذلك فإن بعض المطببين يقولون إن نوعية الإحساس والحالة النفسية للشــخص يتحكم فيها بصفة رئيسية القلب (umutima) وكذلك أيضاً المخ (ubwonko) وتوريــثها من الأب، وفى حالات أخرى من الأم. أكثر من الأب. ويقررون أن إسهامات الأم والأب فى تكوين الطفل متساوية. ويقول المطبــبون أن عوامل المرأة تتحد بكفاءة غالباً بعد أن يكون الرجل والمرأة قــد وصــلا حــد الارتــواء خــلال الجمــاع، والوقت المناسب لحدوث

الحمل[٨٠].هو الأسبوع الأول بعد انتهاء الدورة الشهرية للسيدات.

* ويعتبر الروانديون هذه العملية ليست فقط نشاطا لإحداث البهجة، ولكنه فعل إنـتاجى، مـن خلالـه يغطى الشريكين intaanga هديتى نفسيهما اللتين تـتحدان لـتخلق الطفل. ويضيف كثير من المطببين أن الزوجين يجب أن يتلاقـيا خلال الحمل ليسمحا للنوعين intaanga بالاستمرار فى الاندماج. وهـذه الممارسـة مهمـة بصفة خاصة خلال المراحل الأخيرة من الحمل ويسميها الروانديون gukurakuza لتستحث اللبن ببطء خلال الخض، مثل مـايحدث فـى فصل القشطة عن اللبن[٨١]. وتوضح وجهة النظر هذه أنهم يربطون بين التزاوج الجنسى للنشاط الإنتاجى متضمنة إدرار اللبن.
* وتأثر بعض المطببين كثيراً بالأفكار الطبية الغربية للصحة. فيما عدا فكرة السائل المنوى الذى له تأثير طويل المدى على تكوين الجنين، ويقولون بدلا مـن ذلـك أن السائل المنوى يقوى المرأة بإضافته لدمائها. وتشيد النساء اللاتـى يتلاقين بصفة مستمرة بأزواجهن خلال الحمل، أنهن أقل نسبة فى فقـد الحمـل، وكذلك الأقل معاناة خلال الولادة، لأنهن لديهن دماء بكمية كافـية، علاوة على ذلك يقولون أن السائل المنوى بعد الولادة يساعد على التآم أى أضرار قد تتبقى من خلال الولادة.
* ويـتفق كـلاً من الروانديين التقليديين وكثير من الغربيين على أن النشاط الجنسـى المسـتمر خـلال فترة الحمل مرغوب. السائل المنوى هو سائل إنتاجى إما أن يساعد على نمو الجنين مباشرة فى الرحم (الفكرة القديمة) أو يساعد على صحة المرأة قبل وبعد الولادة (الفكرة الأكثر حداثة)[٨٢].
* من الأمراض المنتشرة (Ifuumbi) والذى يحتمل أن يكون أكثر علة عادية شـائعة للنسـاء اللاتى يعالجن بواسطة المطببين الروانديين. هذا المرض ممكـن أن يكـون السبب فى أن المرأة تصبح igihama (ليس لديها لبن

80- Christopher.: .p.67, 68 Op. Cit.
81- Jacab 1987, 307 Op cit.
82- Christopher.: .p.68 Op. Cit.

الأم). ولايتسبب هذا المرض عن طريق السم، ولايتفشى عن طريق العلاقة اليومية بين الناس.

* يقول بعض المطببين أن ال ifuumbi يتسبب بواسطة الديدان الطفيلية.
* والبعض الآخر ليس صريحاً حول الأسباب الفاسدة. يهاجم المرض الجزء السفلى للبطن أولا مسببا ألما وخاصة أثناء الجماع أو قبل الحيض. ويمكن أن يسبب للمرأة نزيفا من المهبل أثناء الحمل أو فى الوقت الذى لم تحيض فيه المرأة.
* ونـــزيف الأنـــف يكون غالبا سببه هذا المرض فى الرجال، وأكثر من هذا عندما يصاب الرجل بهذا سيجد صعوبة فى التبول وسوف تتورم خصيتيه، ويفقـــد غالـــبا القدرة على القذف. فهذا المرض يعجز ضحاياه من الرجال والنســـاء. وممكن أن يسبب القئ، الإمساك، مشاكل المثانة والعقم. ويكون أيضـــاً بسبب فى التمزق فى التدفق الجسدى لكلا الجنسين ، تدفق مفرط أو انحصار(٨٣).
* وبعـــد مهاجمة الجزء السفلى من البطن، يدخل ال ifuumbi فى الدم ويبدأ فى تدميره، ويشعر المريض بألم عام، ضعف او دوخة، لذا يمكن أن يتركز المرض فى اسفل البطن أو فى الأرجل ويسبب انتفاخ. وهذا المرض سوف يـــتحرك إلى أعلى فى الجسم، مارا خلال العمود الفقرى فى الفم والرأس، ويمكـــن أن تهاجم الأسنان أيضا، أو يتغير لونها أو تتعفن كلية إذا لم يمنع. وعـــندما يتحرك هذا المرض إلى منطقة الرأس عن طريق العمود الفقرى، ممكن أن ينتشر عن طريق أوتار العضلات والأوردة، والأعصاب ويسبب دوار الـــرأس، وضـــعف البصر وحتى ضعف عقلى، لهذا فإن بعض هذه العلاقات سوف تشابه مرض الزهرى، ولكن المطببون يسرعون فى إثبات أن مرض ال ifuumbi والزهرى يختلفان، والأخير يكون مصحوباً بقرح ، لكن الأول لا.

83- Ibid. P. 71,72 Op.Cit.

* أمـــا النـــباتات الطبـــية فكثير منها يستخدم لمعالجة النساء اللاتى يصحبن igihama (لـــيس لديهن لبن الأم) ويمكن أيضاً أن توظف الأعشاب لتعالج ال ifuumbi ومـــثل هذه الأدوية تتبع نظام المرض فى الجسم، وهى تبدأ فعاليـــتها أســـفل البطـــن ثم تتحرك على طول العمود الفقرى، والأعصاب وأوتـــار العضلات وهكذا. وهناك دواء روانـدى آخر يستخدم غالبا ليحمى ويشـــفى مرض ال ifuumbi لدى البنات والسيدات، وهو يتكون من خليط معقد بعض الشئ من نباتات عديدة وطفل، هذا الدواء الذى يسمى inkuri ، يتضمن العديد من النباتات، مايقرب من ستة عشر نوعا تشترك كلها فى لـــون خشبها الأصفر وزهورها البيضاء وبعض هذه النباتات تحمل فاكهة أيضـــاً صـــفراء والقليل منها يحمل زهوراً خضراء، بجانب استخدامها فى العلاج فإنها تستخدم فى إعداد صبغات معينة.
* وهـــذه الألوان الأبيض والأصفر ترمز إلى أشياء معينة، فالأبيض هو لون اللبـــن والســـائل المنوى. إنه يستعمل ليرمز إلى النقاء والخصوبة وتحديد الصـــباح والأصفر أحد ألوان علم رواندا الحالى ويستخدم غالبا ليرمز إلى السلام.
* ليســـت بالمصـــادفة أن نجد هذه النباتات التى تستحضر زهورها اثنين من الســـوائل المهمة الخصبة، تستعمل ضد المرض الذى هو دليل تعقد وتعميم وإقلاق وتدفق الملاطفات الجسدية.
* يســـتخدم الطبيـــن الخزفى لإعداد inkuri يقوى الفاعلية الرمزية المرتبطة بالألوان، الأبيض والأصفر، إنها توجد فى المناطق التى تسقى فيها القطعان وتبول نشاط يصور التدفق[٨٤].
* بالنســـبة للمـــاء، يدخل القطعان للشرب، ثم يخرجون ثم يدخلون أجسامهم ثانـــية، وطـــبقا لبعض الأساطير أن القطعان قد نشأت من الماء الأرضى لترعة ما.

84- Christopher.: .p.73. Op. Cit.

* فعـــندما يذهب القطيع للشرب عند الترعة، فإنهم يعودون إلى أصلهم. مثل هذه الأماكن، يظن أنها بصفة خاصة مستودعات حسنة الطالع لل imaana وأبعـــد مـــن ذلـــك وعندما يبتلع الحيوان هذه المياه، يتبرز ثم يبتلع ثانية، فتصـــبح imaana مركزة، وتجفيف الطين وإضافة الأعشاب له تقوى هذا التركز.
* ويعالج مرض ifuumbi بأدوية تستحضر مشتركة مع وسيلة تدفق المياه، اللبـــن ، الســـائل المـــنوى والقطيع. تقيم الحيوانات دائما إيجابيا فى ثقافة روانـــدا، مـــثل أى شئ مرتبط بهم. بول البقر مثلا يستخدم غالبا مباشرة كعـــلاج. مخـــتلط مـــع المواد الأخرى فى الطب الشعبى الحيوانات هدية ســـماوية للبشـــر اللذيـــن يعيشون فى اليابسة. هم يوحدون عناصر السماء والمـــاء والأرض هدية الحيوانات التى أصلها فى السماء لمرة واحدة فقط imaana تمـــتلكهم. هـــذه الهدية تمر إذن خلال ماء الترعة على الأرض. تتوســـط الحيوانات بين السماء والأرض بمجرد أن يمر المطر من السماء إلى الأرض، وكما أن الحيوانات تنظم عملية المطر، فإنها أيضاً تنظم الحياة الاجتماعية.
* دم الـــبقر، هذا أيضاً ذو قيمة للحيوانات وتشربه أحياناً المرأة التى وضعت مولـــودا حديـــثا. تجرح البقرة ثم يضاف الدم إلى عصير اللحم المطبوخ. تشـــرب المرأة هذا الخليط بقصد إعادة تخزين الدم الذى فقدته أثناء الولادة ويقـــال إن هـــذا الدم يساعد على إثارة إرضاع الأم لطفلها الجديد (gehe embera)[٨٥].

<u>الديـــــن:</u>

* Kubandwa كانـــت كوباندوا هى الشكل التكريسى الذى من خلاله ظهر الـــبالغون الهوتو والتوتسى تحت حماية روحية من إيماندوا وخلال وأثناء الاحـــتفال فـــإن التلامـــيذ السابقين الكوباندوا لعبوا دوراً كنماذج تكريسية ومايســـمى بالأب الطقس والأم الطقسية الذين يمثلان إيماندوا خاصة الذى

85- Ibid. p.73.

يقلد المبتدئون سلوكياتهم وتعبيراتهم وهم يعلمون المبتدئين اللغة السرية التى يستعملها التلاميذ وكذلك الأغانى التى توفر ريانجومبا وغيره من إيماندوا.

* ويدهن المبتدئون بطين أبيض ويعملون على نطاق واسع ويسمون كلا منهم بالاسم ريانجومب ، وهم يضربون أيضاً ويحلقون أمام أمهاتهم ، وهذه السلوكيات جزء من التنشئة الاجتماعية والاقتداء بالنماذج التى قدمها الأبطال القدامى.
* ويشرب المبتدئون شراباً مراً أحمر وهذا هو رمز الدم مفترضين أن المبتدئين قد شاركوهم نفس الدم وأنهم الآن أصبحوا جزء من العائلة المكونة من كل البالغين(٨٦).
* لقد اتبعت التوتسى والهوتو والتوا ديانتهم الخاصة فى أوائل القرن التاسع عشر قبل دخول المسيحية.

<u>الكائن الأسمى أو الأعلى :</u>

* اعتقد الروانديون قبل وصول الأوربيين فى كائن أسمى يسمى إيمانا Imana (ويعرف الايمانا اليوم بأنه الإله المسيحى). وعرف الايمانا أيضاً بأسماء أخرى تمتدح صفاته. وتضمنت هذه السماء Rugira أى الأسمى أو الأعلى و Rurema أى الخالق و Lyakare الأول و Rugaba الذى يمد بكرم (٨٧).
* ولايمارس الروانديون طقوساً دينية خاصة للأمانا ولو أنهم يلتمسونه فى صلواتهم ويعطون أبناءهم الأسماء التى توقره وكأمثلة على مثل هذه الأسماء هاب إيمانا Habimana وتعنى الرب يكون أعلى وهاباروريما Habaruurema وتعنى أن الخالق أعلى وهابى ياكار Habiyakare وتعنى الأول هو الأعلى وتواجيريمانا Twagirimana وتعنى أن الرب هو الوحيد الذى يمكنه إنقاذنا.

86- Ibid. p.٣٤.
87- Ibid. p.29.

الخلـــــق:

* وفــي عقــول الرواندبين أن الإيمانا خلق الناس الأول وتقرر أحد قصص الخلــق الرواندية أن الايمانا قد أقصى التوتسى من العالم اللاهوتى بسبب غلطـــة فعلـــتها أمهـــم وقد وجد التوتسى عندما وصلوا على الأرض التوا والهوتو يعيشون فعلا هناك وثمة رواية أخرى من قصص الخلق تقول أن الايمانـــا قد خلق الهوتو والتوا على الأرض[88].وغيرها تقول إن المجاميع الإثنـــية الثلاثة فى رواندا كانوا يعيشون فى الجنة وهناك أعطى كل منهم معيشـــته التقلـــيدية، فـــتعلم التوتسى رعاية القطعان وتعلم الهوتو الزراعة وتعلمت التوا الصيد.

الأســـــــــلاف :

* اعتقد الرونديون فى الماضى، وفى أحيان كثيرة اليوم أن إيمانا جيد فطريا لايحتاج شيئاً ونادراً مايتدخل فى حياة الناس ويعتقدون على الجانب الآخر أن الأبـــازيمو Abazimu أى أرواح الأســـلاف عاشت فى العالم السفلى وغالباً ماتضايق البشر.
* وكـــان العـــالم الســـفلى مكانا كريها اشمأزت أرواح الأسلاف من المعيشة هناك، وكانت غالبا ما تترك العالم السفلى وتسبب خللا أو مرضاً فى حياة الأحـــياء. ويقال حتى أن بعض الأرواح تظل على الأرض فى أكواخ بناها لهـــم أعضاء عائلاتهم الأحياء. ولإبهاجهم (إدخال البهجة) وإضفاء الهدوء عليهم فإن أقاربهم الأحياء عليهم أن يبجلوهم ويكرموهم ويعبدوهم والطريقة الرئيســـية لفعل ذلك هى تقديم قرابين قد تكون صغيرة مثل قطرات ضئيلة من اللبن أو البيرة أو بعض البقول المطهيه التى ترمى على الأرض ولكنه فى المناسبات الأكثر أهمية فإن قربانا أكبر يكون بالتضحية بمعزة أو بثور، وتصـــاحب هـــذه الأضاحى أغانى المديح لإسعاد الأرواح التى يمكنها أن تسمع ولكن لاترى.

88- Ibid. p.29,30.

- وعمـــل القرابيـــن للأســـلاف هو عادة مسئولية رب العائلة وللتخلص من الأرواح الشريرة فإن العائلة عليها أن تستدعى متخصصا دينيا أو كاهنا أو عـــرافا وفى بعض الأحيان فإن الكاهن أو العراف يأمر امرأة صغيرة لتنام بجوار المكان المحتل بالروح الشريرة (المثيرة للقلق أو الاضطراب) لتهدئ من روع الروح.

الكهنة أو العرافون:

- يشرح العراف أو الأموفومو umuphumu فى المجتمع الرواندى التقليدى إدارة الايمانا وكان لذلك ينظر إليه على أنه ابن الإله (الرب) ومازال كثير من الرواندين يستشيرون العرافين اليوم.
- ويتخصـــص العراف عادة فى نوع واحد من طرق العرافة أو الكهانة التى تستخدم لتفسير إرادة العرافة التى تستخدم سرعة البديهة والإلهام من العالم الروحانى وثمة طريقة كهانة أخرى تسمى كواجواز انزوزى Kuraguza inzuzi تعنى العرافة باستخدام قطع من الخشب وفيها ترمى قطع صغيرة مـــن الخشـــب(٨٩). علـــى سطح مستو وقراءة الرسائل طبقاً لطريقة ونوع القطع.
- وأبـــا كواجـــواز ـــ أوريجمـــبو Kuraguza Urugimbu فتعنى العرافة باســـتخدام الدهـــن متضـــمنة قراءة الرسائل من أمعاء الحيوانات، ويمكن التضـــحية بالدجاج لهذا النمط من العرافة، أو قد يستخدم العراف دهناً من الماعـــز أو الغـــنم أو الماشية التى سبق ذبحها. ويمزج العراف الدهن مع الأعشاب ويتركها لتجف ثم يضعها فى وعاء موضوع يميل ناحيته ثم يشعل الدهن كالشمعة لساعات عديدة ترقب خلالها اللهب ليفسر رسائله (٩٠).

أرواح الأبطال :

أو الايماندوا Imandwa

89- Ibid. p.31,32.
90- Ibid. p.32.

* تكـــون أرواح الأبطـــال فى الديانة الرواندية التقليدية قوية بصورة خاصة وتتطلـــب عـــبادة خاصــــة. ويعـــرف رئيس تلاميذ إيماندو بالريانجومب Ryangombe الذى يعتقد أنه قد ورث موقعة أو مكانته من والد. وقد قابل الريانجومـــب وولـــده تحدى أماندوا آخر والذى يرغب فى أن يكون رئيساً ويـــنقطع سيادة أو حكم الريا نجومب على الأرض سريعاً بحادث غامض. ويهاجم الديانجومب أثناء الصيد بجاموسة كبيرة بدرجة غير عادية حتى إن الـــناس يشـــكون أن قوى ردوحية متضمنة، وترمية الجاموسة إلى شجرة، وعندما يقع ميتا تحت الشجرة يعلن الريانجومب أن على التوتسى والهوتو والـــتوا. فيما عدا الملك، عبادته أو تقديسه كملك لأماندوا فى احتفال خاص بســـمى الكوبـــاندوا Kubandwa وثمة إيماندجوا آخر معروف جيداً هو ينايـــنجى نيايـــنجى وهـــى سيدة غير متزوجة قتلت وجعلها الايمانا خالدة. وروحهـــا مـــتمردة (ثائرة) يقدسها بصفة رئيسية (أساساً) الهوتو فى شمال وشمال غربى رواندا وفى أوغندا.
* وهـــؤلاء الذيـــن قاوموا سلطة حكام التوتسى والقوى الأوربية الاستعمارية غالباً مايتبعون النظام الدينى لل نيايـنجى.
* وبخـــلاف الـــريا نجومب فإن النيايـنجى يوجهها قساوسة وراهبات يسمون نيابيـــنجى الذيـــن يقفـــون بيـــنها وبين العابدين. وفى الماضى كان هؤلاء القساوســـة قادرين على استخدام وضعهم سياسياً لمعارضة سلطة التوتسى والأوربييـــن وهم يستفيدون أيضاً من تقبل الأضحيات التى يقدمها العابدون إليهم نيابة عن النيايـنجى. وقد تشرف العائلة النيايـنجى بإعطاء فتاة صغيرة إلى راهبة نيايـنجى[٩١].

المسيحية :

* غـــير دخـــول المســـيحية كلية الممارسات الدينية للروانديين وعندما سئلوا ليحددوا ديانتهم الرئيسية عام ١٩٩١ فإن ٦٢% من الروانديين قرروا أنهم

91- Ibid. p.33,34.

كانوا كاثوليكيين، ١٨% بروتستنت، ١٩% تابعين للقيادات التقليدية و ١%
مسلمين.

* وهذه الإحصائيات تحكى جزءاً من القصة ـ وفى الحقيقة فإن أغلب الناس يجمـع بيـن عبادته الأصلية ومسيحية أو الإسلام وكلا الديانتين لاتشجع الممارسات الدينية الرواندية التقلية.
* ولكـى يعمد الشخص فى الكنية الرواندية الكاثوليكية (على سبيل المثال) فإن الناس لابد أن يقولوا أنهم يرضون الممارسات التقليدية مثل الكوباندوا . ولمتطلـبات الدخول فى المسيحية من معارضة لتقاليد الروانديين فقد قبل ذلـك كثـيراً مـن الروانديـين خاصة الجيل الحديث فقد فقدوا معرفتهم بالمعتقدات التقليدية.
* وخـلال أيام الاستعمار فإن كثير من التوتسى أكثر من المجاميع الأخرى دخلوا مدارس مسيحية والتحقوا بمة الكنيسة.
* وبعـد الاسـتقلال فـى عام ١٩٦٢ فإن كثيراً من التوتسى التحقوا بخدمة الكنيسـة كوسـيلة للهـروب من الفرقة العنصرية الإثنيه التى لاقوها فى الوظـائف الأخرى. ولو أن خدمة الكنيسة أصبحت سائدة بمعرفة التوتسى ولكن هذا لم يبعد الهوتو عن المسايرة.
* وقـد أدى العنف الاثنى بين الهوتو والتسى إلى أن كثيراً من الروانديين والأجانب أعلنوا أن المسيحية قد فشلت فى رواندا.
* وذبـح آلاف مـن التوتسى والهوتو بداخل الكنائس الذين أخذوا ملاذا بها معتقدين أنه لايقتل أحد فى مكان مقدس.
* وقد خان بعض القساوسة والراهبات ورعاة كنيسة زملاءهم التوتسى للقتلة أو شاركوهم القتل بأنفسهم(٩٢).

92- Christopher.: .p.35Op. Cit., Ibid.

ديانات جديدة :

* سرعة التغير السياسى والاقتصادى كان مفاجئاً فى رواندا. لقد قادت العملية إلـــى صراعات أو تضاربات عديدة لكل من المجتمع والأفراد فى أى مكان فى أفريقيا، يتعامل مع هذه الصعوبات، فقد أصبحت الوظيفة المهمة للديانة الشائعة والحركات العلاجية.
* أديـــان جديـــدة أو حـــركات مـــتوافقة قـــد ظهرت استجابة للضروريات والتناقضات لعالم الاستعمار ومابعد الاستعمار فى معظم الحالات(٩٣).
* حاولـــت هذه الأديان المبتكرة أن تعبر الفجوة بين القديم والحديث، المقبول والأجنـــبى، فـــى بعـــض الحـــالات، نجد هذه الحركات قاومت التغيرات المستقدمة مع الاستعمار. ويعتنى الطب الشعبى والديانات المستحدثة بتفسير ســـوء الحـــظ ويركز عليه باهتمام شديد، وعلى سبيل المثال، فإن ديانات جديـــدة كثـــيرة لديها ميلاً ملحوظاً باستبدال النماذج التفسيرية كسوء الحظ وتركـــز على المسببات الخارجية لمن يعانى من هذا بجانب تلك التى تؤكد على المسببات الداخلية.
* ومـــثل ذلـــك أيضـــاً الحركات التى تميل إلى استبدال تقنيات التطبيب التى تتضـــمن اتهاماً لهؤلاء الذين ينادون بالاعتراف. تظهر ديانة ساحل العاج هذه الميول ـــ الهارزم Harrism بطريقة درامية بصفة خاصة(٩٤).
* ويلعب السحر دوراً كبيراً لديهم، وبدلا من الكهانة، استخدمت وسائل أخرى للتطبيـــب، مـــثل التعذيـــب والعرافة، والتى تهدف إلى اكتشاف السحر مع الـــرابطة الاجتماعـــية للشـــخص Harrism ملتحمة بالاعتراف بسحرهم الخاص.

93- Jules – Rosette, B. (et al): The New Religions of Africa Norwood, N.J.: Ablex Publishing 1979.

94- Auge M. Logique Lignagere et Logique de Bregbo. In Prophetisme et Therapeutique 219-38.Peris. Hermann 1975. Zempleni, A.: 1975. 153-218.

* ولـــو أن الهارزم تبدو لترحل بصورة جوهرية من النماذج التفسيرية لسوء الحـــظ ـــ قـــبل الاستعمار والتى تؤكد على الأسباب الخارجية، إنها تكون جسرا بين القديم والحديث. ولو أن الشخص يصبح ذاتى التأثير فى الهارزم ، والعبادة تستخدم أفكار ماقبل الاستعمار فى السحر لتفسير الحديث بالتعبير القديم.

* وتضـــيف الديانات الأفريقية الجديدة الأخرى، مثل رامبيا الأسباب الداخلية إلى فكرة الأسباب الخارجية(٩٥).

* الســـحر والأرواح أســـباب خارجية، ربما يبتلى الناس بسوء الحظ، ولكن الـــورع فـــى المسيحية يجعل الشخص أقل تعرضاً لمهاجمتها، ويمكن أن يظهـــر سوء الحظ على الشخص الذى يعانى من عقوبة لخطيئة ما (سبب داخلى)، يستحثة أو يستحثها على الندم والتوبة.

* ديانة جديدة أخرى تسمى Jama in Katanga ، جاما فى كاتنجا (٩٦)، تحاه مشكلة الفصل والتحول بمناطق إنتاج النحاس زائير. بينما أدركت وتفهمت جامـــا طبيعة مشكلة الفصل، وهى تقدم إطارا لتفهم هذه الظاهرة من خلال استخدام طبقات البانتو.

* وتـــبدو الجاما لتقرر أن الأشخاص قد أصبحوا غير معزولين بدرجة كبيرة فـــى عـــالم مابعد الاستعمار، ليس بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية الجديدة كما هى من فشلهم للتمسك بقيم ماقبل الاستعمار.

* وتمد جاما طريقاً لينا للجديد بالتشويش على العروض بين القديم والجديد. ومما هو يلاحظ أن الموضوعات التى ظهرت فى محتوى الديانات الأفريقية الجديـــدة هـــى موضـــوعات رئيســـية فى التطبيب الشعبى لرواندا. وأحد الموضـــوعات يـــتعلق بكـــيف أن الرونديين يعرفون أنفسهم نحو علاقتهم

95- Kileff, C., and M. Kileff: The Massowe Vapostori of Seki: Utapianism nd Tradition in African Church " .In The New Religions of Africa edited by B. Jules - Rosette, 151-167. Norwood, N.J.: Ablex Publishing 1979.

96- Fabian . J,: Jama: A Charismatic Movement in Katanga. Evanston: North western University Press 1971 .

بمجتمعهم الخاص وكذلك للعالم الخارجى اهتمامات أخرى بتقرير مسببات سوء الحظ(٩٧).

* وفــى بدايــة ١٩٦٩، مــع أن مايقــرب من ٥٥% من السكان ملتزمون بالمعتقدات التقليدية الروحية المسيحية، وبصفة خاصة الكاثوليك الرونديين. استمرت هذه الأفكار المسيحية لتكون ذو أهمية أعلى.

* ويقدر الروانديون أن مايقرب من ٨٠% من المدارس الابتدائية، وغالبا كل المدارس الثانوية أسست بواسطة البعثات الكاثوليكية. ومما هو جدير بالذكر أن معظــم قــواد الــبلاد، مــنهم الوزيــر جريجور كايباندا. Gregoire Kaybanda وكثــيرا من مساعديه الأعلى مقاماً كانوا قبل ذلك طلابا فى معهــد لاهوتـــى. بالإضافة إلى اعتبارات كاثوليكية للقانون الطبيعى تكون جزءاً مهما للمؤسسة.

* كان أول من دخل مدارس البعثة الكاثوليكية هم الهوتو المقيمين لاعتبارات شــرعية. وحــتى قــبل الاســتقلال بفترة قصيرة، كان معظم الطلاب فى المــدارس توتسى، وبصفة خاصة التوتسى النبلاء. وفى ١٩٥٠، مهما كان عدد الهوتو الذين درسوا فى مدارس البعثات كبيراً، فانهم قد بدءوا يسألون ع مــبدأ عدم المساواة الذى كرس القوى التى لاتقاد بواسطة البلجيكيين فى أيــدى التوتســى الأقلية. لقد أسس القواد الهوتو الصغار فى ١٩٥٨ فريقا سياسيا، " حزب الهوتو لحركة التحرير "ونشرت بيانا رسمياً يطلب حقوقاً متســاوية وفــى ١٩٦١ عزلــت الســلطة التوتسية وكون الهوتو حكومة الاستقلال المبكر التى تتفاوض وتقرر بنود الاستقلال مع البلجيكين ومجلس الوصــاية تحــت قيادة رئيس، ورئيسها كايباندا بارما، هو Kayibanda Parma, Hutu ســيطر علــى الحوادث السياسية منذ الاستقلال فى بداية ١٩٦٩ كانــت كل الرموز المنتجة والموضحة رسمياً للحكومة تنتمى إلى Parma Hutu وكانت نشيطة الحزب السياسى الوحيد النشيط(٩٨).

97- Christopher.: p.63. Op. Cit.
98- Richard F. Nyrop 1969.P.3. Op Cit.

* لقد خضعت رواندا لعمليات مكثفة من التبشير واليوم نجد مايقرب من ٥٠ % مــن الشـــعب الروانـدى كاثوليكى[٩٩]. بالإضافة إلى عديد من طوائف بروتســتنتينية كثــيرة، تتضمن أعضاء فى الكنيسة الأسقفية، والأدفنتستية، نظامين لاتباع مذهب بروتستانتى، والبابستيون، وعيد الحصاد لدى اليهود الذيــن نجحــوا فى استجلاب اتباع لهم، لقد غير المبشرون صفات الحياة الروحــية الــروانديـة، ولكــنها غــيرت أيضــاً طبــيعة الحــياة الدنيوية الروانديـة[١٠٠].
* لقــد تمــيزت الفترة فيما بين القرن التاسع عشر والآن، مثل أى مكان فى أفريقيا بالاستعمار، والتبشير المسيحى. وربما كان المبشرون الكاثوليك هم أكــثر العوامــل المؤثرة على التغير فى رواندا، وكان تأثيره على المجتمع سياسياً واقتصادياً مثل ما كان دينيا.
* وتظهر الأبحاث الحديثة على شبه الصحراء الأفريقية أن البعثات التبشيرية المسيحية عملت بدون قصد كوسيط للثقافة الرأسمالية[١٠١].
* لقــد تمــتع هابياريمانا بحماية نشطة من الرؤساء واستفاد كثيراً من حماية ســلطة الكنيســة الكاثوليكــية التى تعد ٦٢% من الروانديين بين أتباعهم. الكنيســة أولا دعامــة لمساندة نخبة التوتسى. وقد عملت وساعدت جوانب الــتحول قبل انتشار الاستعمار على أن يعمل الهوتو ثورة مع معظم الذين يخدمــون الديــن المسيحى، أخوة وأخوات الدين هم التوتسى، ٧٠% تبعاً للــتقرير المعروف ٧ من ٨ أساقفة فى أى مكان عند بداية الإبادة الجماعية كــانوا هوتو ، رئيس أساقفة الكيجالى.Mgr . Vincent Nsegiyumva كــان المســتند الغــيور للرئيس، يعرف بأنه يرتدى أو (يتقمص) شخصية Habyarimana بوضع دبوس على معطفه عندما يتحدث إلى الجمهور.

99- Maindron, G.: Des apparitions a Kibeho, Paris, O.E.I.L. 1984, 22.
100- Christopher : .p.17,18. Op. Cit
101- Roberts, A.: Religion and Political Economy among Colonized Tabwa. Africa 54. No 2: 49-70. 1984.
Comaroff. J. Body of Bower spirit of Resistance University of Chicago Chicago, Press 1985, Auge 1975,Christopher, P.51.

لقـد خدم كعضو فى المجلس المركزى لل MRND (حزب الحركة الثورية القومـية مـن أجل التنمية) لسنوات عدة واستقال فقط عندما قررت السلطات الكنسية أن تنهى حكمة السياسى صراحة فى ١٩٨٥.

* معظـم الكـنائس البرتستنتينية، ممثلة ١٨% من السكان ليس لديهم موقف موحد تجاه Habyarimana لكن السلطة الملائكية والكنيسة المعمدة تسنده عموماً. كان رئيس أتباع الكنيسة عضوا لمجلس أتباع الوالى لل MRND فى كيبو Kibu.
* لقد تعاون كلا من الكاثوليك والبروتستانت مع القانونيين بواسطة مرورهم علـى إعلانات الدولة من منبر الوعظ ويخدمه المجلس، خصوصاً هؤلاء الذيـن عرضـوا موضوعات النمو على مستوى الوالى، أو عامة الشعب. وأكثر من ذلك ميل شديد للاتصال من القمة إلى القاعدة لهذا النظام المرتفع البـناء، شـبكة العلاقـات الشخصية. أعضاء النخبة الذين تركوا موطنهم لـيعملوا فى وظائف فى العاصمة أو فى الجامعة، يتمسكون بروابط متينة لشـعبهم الأصـلى، الذى فيه والدتهم أو أى أقارب آخرين . إنهم يزورون الموطـن غالبا وهم رسل الاختيار إذا احتاجوا إلى بعض الأشياء الخاصة لكى ينتقلوا من القمة إلى وظائف محلية. وهذا الوضع موجود منذ زمن قبل أن يأخذ Habyarimana القوة فى ديسمبر ١٩٦٣. فقد عاد الوزراء، مثلا للوطـن ليـنظموا لقتل التوتسى فى الخارج على التلال، ولكنه فجرها إلى أقصى درجة، كما فعل هؤلاء الذين تعهدوا به أثناء الإبادة الجماعية (١٠٢).
* لقـد كـان الأكـازيو akazu أو (البيت الصغير) دائرة خاصة مع الشبكة العظيمة للصلات الشخصية التى عملت التعاون مع Habyarimana ، إنها تتألف غالباً من شعوب موطن Habyrimana ، مع مدام Habyarimana وأقربائها يلعبون دوراً عظيماً لبعض السلطات الممارسة بوضوح.
* إن محـور المظاهر الصناعية للثقافة الغربية هو العمالة المؤجرة والطب الحيوى له تأثير على الممارسات العلاجية فى رواندا اليوم.

102- Alison Des Forges 2001 P.44. Op. Cit.

* وتأثـير ذلـك على توجيه الاقتصاد السياسى، والتغير العقائدى لذلك.[103]
التغير فى روانـــــدا لـــه ظواهر حضرية أولية. والآن تميل العوامل الإيكولوجية فى كل بلد لأن تعوق عرض التغير النظامى فى المجتمع ككل، فلا يوجد قرى حقيقية اليوم كما هو فى الماضى البعيد، وبقيت التلال التى هـــى التركيز الأولى النشاط السياسى فى الريف. بجانب التلال هناك معنى صغير للوحدة بين المجتمعات الحضرية، حتى وإن كان هناك طبقة تكافل، وفـــى غياب الاتصالات الملائمة، فإن طبيعة الطوبوجرافيا المانعة رفعت أكثر العقبات فى طريقة أى قياس كبير للتعبئة السياسية.
* المؤسســات التقليدية السياسية تحذر من التغير، وعلى أى حال فإن التغير بطـــئ نسبياً لكى يخترق فى وضع المجتمعات التقليدية. ولهذا كانت الثورة الـــرواندية عنيفة غير نموذجية فى طرق كثيرة لما يحدث فى أى مكان فى أفريقـــيا : العـــنف، ولكن البطء الشديد للتغيرات يحاول استبدال التخويف بالإقـــناع، ولكن هذا أيضاً غير نموذجى من أجل الظروف التى استعملت تحـــت العـــنف، معـــنى هذا تحت التكهن أو على الأقل بالموافقة الصامتة لسيطرة البلجيكيين.
* للأن ولا واحدة من هذه العوامل تقدم توضيحا كافيا جوهريا لأنماط التغير، لهـــذا فالحقـــيقة تعكـــس طرقا مختلفة جوهريا يدخل فيها التغير فى حدود احترامهم للأنظمة التقليدية[104].
* وروانـــدا فـــى مـــرورها من الاقتصـــاد التلقائى a gift economy إلى الاقتصــــاد السلعى Commodity economy ، دون استثناء لهذا النمط العـــام، قدمـــت البعـــثات التبشـــيرية الكاثوليكـــية لرواندا أول يد لنموذج الممارســـات والمـــتعلقات السلعية، العمل بأجر، الملكية الخاصة، والعقود والمساواة بين البشر والفردية.

103- Christopher.: .p.17. Op. Cit.

104- Rene Lemarch: 1976. P.17. Op.Cit.

* والسؤال الأكثر أهمية لسوء الحظ الذى عرض الرواندبون من خلال الخبرة التبشيرية إلى تصور قصور الضرورات التبشيرية.
* والصورة أن النفس تكون مشتتة وموزعة بين الماديات والقبول بالرشوة أو الفساد (الجسم والروح خالدة أبداً فى صراع مع الجسم كمحفز للخطايا التى تتراكم ولابد الاعتراف بها. وقد قوت الكاثوليكية الميول الفردية الرأسمالية) بالإصـــرار علـــى أن الصراع مع الرغبات الجسدية كانت شخصية وكان لإنقاذ مجازر فردية مكتسبة على حساب الصراع الطويل مع رغبات الجسد الأنانية.
* وبخـــلاف ذلك التغير فى الحالات السياسية الاقتصادية للحياة مالت لإبعاد التغير فى الفكر النموذجى فى رواندا[١٠٥].
* إن الطـــبقات المعـــروفة الغربـــية والفكر الدنيوى أصبحت متعذرة المحو المنطـــبع فـــى نفسية الرواندبين ــ مفهوم الشخص النفس والجسد كلها فى حالة سريان وليست النفس فقط هى التى تم التعرف عليها فى رواندا ماقبل الاستعمار ولكن الجسد أيضاً.
* نفـــس الشئ يمكن أن يقال حول سياسة الجسد، ولكن بروعة أكثر. لم يبق شئ من حكومة التوتسى والحالة السابقة لسيادة التوتسى. واستخدام أكثرية الهوتو أربطة العنق (كرافتات) ونما ذلك مع الكنيسة الكاثوليكية التى قدمت نفسها سياسياً واقتصادياً.
* ويـــرجع اليوم دين أعضاء حكومة الهوتو الرواندية إلى الكنيسة الكاثوليكية ذات الوضـــع الراهن المميز ولقوة مؤقتة والنجاح فى عدم تشجيع الابتداع الذى قد يظهر[١٠٦].

105- Christopher, P.52. OpCit.
106- Ibid. P.52. OpCit.

الفنون:

- تتضمن فنون التوتسى الآداب والموسيقى والحرف وهى ترتبط بشدة ببلاط الملـــك، لأنهـــم ينظرون إلى الملك على أنه مقدس، وهذه الفنون البلاطية يمكن اعتبارها مقدسة، وينتمى الفنانون إلى طوائف حرفية معينة.

الشعر البلاطى :

- وينظم أدب البلاط غالبا بواسطة شعراء الهوتو الذين يخدمون فى البلاط ثم يـــنقلونها إلـــى ســـادتهم ويوجد أربعة أنماط رئيسية لشعر البلاط Lord Ibisigo ويستخدم لغة شعرية راقية جداً لمدح ملوك وأبطال التوتسى.
- والـــثانى هـــو Ibyirigo ويشمل أشعاراً تقليدية تمتدح شجاعة المحاربين وجـــودة ســـهامهم ورماحهم ودروعهم وكجزء من تعليم هذا الشعر هو أن على كل محارب (جندى ــ مقاتل) يجب أن ينظم شعر المديح لنفسه والذى يعيـــنه فـــى أرض المعركة لمحاربة العدو وخلال تدريباتهم العسكرية فإن المحاربين ينظمون مسابقات فى الشعر والرقص وتعقد مساء.
- والنوع الثالث Amazinay inka ويعنى أسماء الأبقار وهو يتضمن شعراً لمديـــح جمـــال وشجاعة الماشية الملكية أو injambo وتعنى الماشية ذات القـــرون الطويلـــة وتصف هذه الأشعار عادة التنظيم المقسم إلى معسكرين حربيين ويمتدح جمال الحيوانات وشجاعتها كما لو كانوا محاربين فى جيش الملك.
- الروايات التاريخية أو Ibitekerezo ، حيث النوع الرابع وهو مصدر مهم للـــتاريخ الرواندى. وهذه الأشعار قد تنظم فى شعر منثور بواسطة طوائف خاصـــة مـــن الشـــعراء تعـــرف uburabwengo والـــتى تعـــنى خلق الحكمة.(١٠٧)

الأدب الشفوى :

- مرت قصص الهوتو والتوتسى من جيل لآخر بالرواية قبل معرفة الكتابة. وتناقلت عادة المأثورات الشعبية والتى تعرف Imigani وتضمنت الصفات

107- Ibid. P.23, 24.Ch2.

فـــى القصـــص (الإلـــه) Imana (الله) والملوك والأبطال وأرواح أسلاف الأبطال والناس والأشخاص العاديين والعناصر الطبيعية والحيوانات وتقدم أغانى التعازى أو السلوى Ibihaza للسيدات حديثى الزواج لتخفف عنهن تركهـــن منازل عائلاتهن (أسرهن). وثمة صور أخرى مألوفة هى أغانى للأطفال عند النوم، والأمثال والألغاز Ibisakuzu والتى مازالت جزءاً من حديثهم اليومى فى رواندا.

* وبعـــد أن أدخـــل الأوربيون الكتابة أصبح لأى شخص، يمكنه القراءة أو الكتابة، مدخلا للآداب. وبكلمات أخرى أصبح الأدب وسائل مألوفة للتعبير الـــذى لايعدو عن أن يركز على البلاط. ولاتعدو عن طائفة الشعراء الذين أتقنوا لغة شعرية معقدة هى لغة بلاط ملكى(١٠٨).
* لقـــد طـــوروا لغة فريدة ومعقدة جداً ــ كينيا ــ رواندا. وعملت مجموعة عمومـــية دينـــية وفلســـفية وخلقت ثقافة تقيم الغناء والرقص والشعر وفن الخطابـــة. إنهـــم يحـــتفلون بنفس الأبطال الأسطوريين، حتى أثناء الإبادة الجماعية، غنى القتلة وضحاياهم المعنيين لنفس القواد من الماضى(١٠٩).

الموسيقى والرقص :

* كانـــت الطـــبول والفلوتات (صفافير) والقيثارات (المعازف) وغيرها من الآلات الصغيرة شائعة بين كلا من الهوتو والتوتسى.
* وكانـــت الطبول مرتبطة بالبلاط الملكى حيث كان الطبالون يسلون الأسرة المالكـــة. وكانت تستخدم الطبول أيضا للنداء على الناس لعقد الاجتماعات الشـــعبية. كمـــا تســـتخدم فـــى عديد من المدارس الرواندية اليوم بدلا من الأجراس لتشير إلى نهاية كل حصة.
* ويتدرب المحاربون intore فى معسكرات التدريب على الرقص الذى يقلد الحـــركات على أرض المعركة، ويؤدى أحسن الراقصين أداءً منفرداً أمام المجموعة كلها وتصاحب الرقصات الطبول والأبواق والصفافير. (الفلوتات

108- Ibid. Ch.2,p.24,26
109- Alison, P.31. Op. Cit.

مـــن آلات النفخ الموسيقية) ويرقص آخرون فى المناسبات الاجتماعية مثل العـــرس والجـــنائز والتجمعات الشعبية، ويصفق الناس فى الزحام بأيديهم لزيادة الإيقاع الرقصى[١١٠].

<u>رموز سلطة التوتسى :</u>

* أعلـــى رمـــوز للملكية التوتسية هو الطبلة الملكية أو الكانينجا Kaninga وهـــى مقدســـة مثل الملك نفسه وتحاط الكانينجا بطبول أصغر وتحفظ فى مـــنزل حيث النار المقدسة تظل مشتعلة، وترش الطبول بدم الثور لإضفاء الشرف عليها ولزيادة قوتها.
* وتلصق الأعضاء التناسلية للأعداء المهزومين بالكانينجا والتى تعتبر رمزا لانتصار التوتسى وتفوقهم على الآخرين. ومثل الكانينجا فهناك شعر البلاط الـــذى يحيى سيادة التوتسى وغالبا مايبرر ويعزز بالجنون. ومثل واحد هو الشعر المعنون إنجانجى كانينجا Inganji Kaninga الذى يعنى الكانينجا المنتصرة.
* ويقـــرر الشـــعر أن الرونديين القدامى كانوا يسمون كيجوا Kigwa، وقد ســـقط مـــن الســـماء بـــأولاده الثلاثة : جاتوا Gatwa جد التوا، جاهوتو Gahutu جد الهوتو وجاتوتسى Gatutsi جد التوتسى.
* وعـــندما حـــان الوقت للكيجو لكى يختار أيا من أولاده فقد قرر اختبارهم فأعطى كلا منهم وعاء أو قدراً من اللبن ليرقبه خلال الليل، وعندما يزوغ الفجر ضوء النهار شرب جاتوا كل اللبن الذى فى وعائهم، وغرق جاهوتو فـــى الـــنوم وانكفأ على وعائه وسكب اللبن، ولكن جاتوتسى فقط هو الذى حرص على وعائه بعناية خلال الليل.
* وقد أوضح هذا أن جاتوتسى كان مسئولاً بدرجة كافية ليحكم، وجعل كيجوا جاتوتسى تابعه وأعفاه من الواجبات المتدنية. وأصبح على جاهاتو أن يكون

110- Christopher, P.28. OpCit.

خادمه لأن جاتوا لايمكن الاعتماد عليه كلية، ويمكن أن يكون فقط مهرجاً أو بلياتشو فى المجتمع.

* واستخدم مدعمو حكم التوتسى فى الخمسينيات هذه القصة لتبرير حق التوتسى لتحكم الآخرين ورفضهم لمشاركة غيرهم لهم القوة.
* ونجد من الفنون أيضاً تصميمات التوتسى الجميلة على السلال والفخار والدروع. وقد انبهر الأوربيون الأوائل الذين زاروا رواندا جداً بتصميمات التوتسى هذه . وزينت أو زخرفت هذه الأعمال تصميمات هندسية جريئة عادة بلون أسود محمر وأبيض [١١١].
* كما أنهم يستعملون أقنعة مصنوعة من الأعشاب لانتقال الأطفال إلى مرحلة البلوغ، وقد وجد هذا النوع من الإنتاج لدى قبائل التوتسى فى رواندا.

111- Ibid. P.24.

الخاتمة

- إن الطبــيعة فـــى هذه المنطقة مثيرة لآفاق الجمال المبهرة ويصفها العلماء بالأرض ذات الجمال المثالى وبأنها، سويسرا الإفريقية. ولقد رآها العلماء الأوائــل بلــداً تــتدفق باللبن والعسل حيث تنتعش قطعان الماشية والنحالة وتزرع الأراضى الزراعية بمحاصيل الفاكهة الغنية.
- إنها بلاد جبلية مكتظة بالسكان ، مليئة بالمناظر الجميلة وتمتلك جوا منعشاً وصـــحيا، أرض ذات خصـــوبة عالـــية ومجارى مائية كثيرة، أرض تقدم أفضل مالديها للمقيمين بها.
- ولقد استوطن أسلاف هذه الشعوب فى هذه المنطقة من فترة تزيد على ألفى عـــام. وتـــتألف هذه الشعوب من ثلاث مجموعات اثنيه: التوتسى والهوتو والتوا.
- والتوتســـى هــم أحــدث المهاجريـــن فى المنطقة حسب قولهم، ولقد أتوا ليسيطروا على المجموعتين الأخريين. ويمثل الهوتو ٨٥% من عدد السكان والتوتســـى ١٤% والتوا ١%. ولكن التوتسى هم على القمة وهم يمارسون الـــرعى والهوتـــو فى الوسط وهم ذراع، والتوا فى القاعدة وهم يمارسون الصيد والقنص.
- وبالـــرغم ممـــا قيل عن المنطقة، فمازالت إمكانيات التواصل ناقصة جداً، فالســـكك الحديديـــة غـــير موجودة، ولايوجد هناك طرق للعربات، وحتى الطرق التى تربط الدول ببعضها ليست ممهدة.
- هذا وقد استعادت رواندا استقلالها فى يوليو ١٩٦٢ بعد مايزيد عن نصف قرن من الحكم الأجنبى. أولا بواسطة الألمان، وبعد الحرب العالمية الأولى بواسطة البلجيكيين.
- أما الاقتصاد فإنه يعتمد كلية غالباً على الزراعة وأهم المحاصيل الزراعية الرئيســـية هى البقول، والبازلاء، والذرة الرفيعة والذرة والبطاطس والموز والبطاطا والكسافا. ويستخدم معظم محصول الموز لعمل البيرة.

* وتشـــمل زراعة المحاصيل الثانوية التجارية زراعة النخيل والتبغ والشعير والقمـــح. والمحصـــول الـــنقدى الوحـــيد هو البن، والشاى ويشمل الإنتاج الحـــيوانى، الماشية، الأغنام والماعز. وأحيانا الخنازير. وتكون الأبقار أهم غـــذاء أساســـى لديهـــم، ويعمل الرجال فى حراسة وسقى القطعان الكبيرة وجلب اللبن وتنظيف حظائر الحيوانات كل صباح وبصفة مستمرة.
* وتغســـل السيدات أوانى اللبن الخشبية ويقمن بعمل الزبد، كما تعتنى أيضاً مـــن وقـــت لآخر بالعجول. وهم يصدرون البن والشاى والبرثرم (حشيشة تستخدم فى إنتاج المبيدات الحشرية). وهناك أشخاص يعملون فى التصنيع والتجارة. تستعمل الأرض عادة من خلال الروابط الأبوية، ولأكبر الذكور نفـــوذ قوى، ويطلق على أصغر قسم أبوى (البيت) وتعدد الزوجات موجود فى النظام العائلى لديهم، ولكل زوجه مكان محدد فى محيط الأسرة.
* ومن العادات التى كتب عنها بعض العلماء لدى مربى الحيوانات: استخدام الزبد كمرهم. غسيل أوانى الحلب الخشبية ببول الأبقار أحياناً نتيجة للقيمة المقدســـة للأبقـــار وكل منتجاتها، الأحشاء المقدسة، أدوات الزينة الجميلة الرقيقة المجدولة.
* وعـــادات الدفـــن من تدخين للجثمان والفن فى جلد البقر والتقاط أول دودة تزحف من جثمان الملك والعناية بها لاعتقادهم بأنها سوف تتحول إلى أسد (حيوان ملكى).
* وفـــيما يخص الزواج فإن المهور تدفع عادة من الحيوانات وخاصة الأبقار وتقدم كمهر لوالد العروس. ومن عادات الضيافة تقديم مشروب البيرة، وإذا لـــم يقدم المضيف شيئا يعتبر هذا إهانة وعدم رغبة فى مواصلة العلاقات معه.
* وفى الحمل والولادة كانت المرأة تركع على الأربع قبل انتشار المستشفيات والمستوصـــفات وتقف خلفها إحدى السيدات لتلقى المولود. وهم يعتبرون جســـم الإنســـان مثل الأنبوبة المفتوحة من أعلى (الفم والأنف) ومن أسفل (فتحة الشرج) وإذا ظهرت صعوبة فى خروج الطفل فإنهم يقفلون فم المرأة

وأنفها لمنع الجنين من الحركة لأعلى.

* وعندما تلد المرأة تحجب لمدة أربعة أو ثمانية أيام، بعدها يأتى الناس لكى يروا الأم ويقدموا لها الهدايا. والهدايا عبارة عن ماعز ولبن البقر والبيرة، حيــث يعتقدون أن البيرة تقوى إنتاج اللبن لدى المرأة، وبهذا يساعد والدا الــزوجة بصفة خاصة وبطريقة غير مباشرة فى تكوين جسم طفل ابنتهما مـــن خلال هديتهم وهذه الهدايا توضح التعاون بين الأقرباء من جهة الأب والأقــرباء من جهة الأم فى تأكيد نمو الطفل ولايخرج المولود مع أمه إلا بعــد أن يختــبر جســمه ويتأكدون أنه خال من التشوهات الشرجية وتقدم للحاضـــرين أكــل، وكذلك للأطفال حيث يقدم لهم أكلة خاصة وهى إضافة جــزء مـــن براز الطفل لها، وحقيقة هذه العملية، أنهم يعتبرون الجسم قناة مفتوحة، ووعاء مناسب لعملية التدفق ــ فجسم الطفل مرتبط بنهاية الشرج، وخـــروج الــبراز هو هديته الأولى للأطفال. وأما طرقهم فى العلاج فهى الذهـــاب أولا إلى المداوى أو العراف لإثبات ما إذا كان المرض عادى أو غــير عادى. وإذا كان المرض غير عادى فانه يحدد أصله إذا كان روحيا أو بشرياً.

* وهــم يعالجون بعض الأمراض باللعاب وخاصة إذا كانت أمراض جلدية. وهــم يعــتقدون أن اللعـــاب ينــتج من المخ، كما أنهم يعتقدون أن نوعية الإحساس والحالة النفسية للشخص يتحكم فيها القلب والمخ، وهى تورث من الأب، وفـــى بعض الحالات من الدم. ومن الأمراض الشائعة لديهم مرض يســـمى (Ifuumbi)، وهـــو يســـبب جفاف اللبن لدى المرأة، ومن أسبابه الديـــدان الطفيلـــية، ويصيب المرض الجزء السفلى من البطن أولا وربما يســـبب نـــزيف للمرأة، ويسبب نزيف الأنف للرجال، وهذا المرض يعجز ضحاياه من الرجال والنساء. ويمكن أن يسبب قئ، إمساك، مشاكل المثانة والعقم. وبعد إصابة البطن يدخل إلى الدم ويسبب ضعف أو دوخة.

* وأما النباتات الطبية فمنها الكثير الذى يستخدم لمعالجة النساء فى حالة قلة اللبن الخاص بالرضاعة.

* وهم يعالجون مرض ال Ifuumbi بواسطة خليط من نباتات عديدة وطفل، معظـــم هـــذه النـــباتات لها زهور بيضاء وصفراء والقليل منها له زهور خضـــراء. أمـــا اللون الأبيض فهو لون اللبن والسائل المنوى، ويرمز إلى البقاء والخصوبة وتحديد الصباح. واللون الأصفر هو واحد من ألوان علم رواندا الحالى. كما تعتبر دم البقر أيضاً ذو قيمة وتشربه أحياناً المرأة التى وضعت مولوداً حديثاً ويخلط بعصير اللحم المطبوخ.
* ويقصد من هذا عادة تخزين الدم الذى فقدته أثناء الولادة . ومن معتقداتهم الدينـــية أنهم يعتقدون فى كائن اسمى يسمى إيمانا وفى اعتقادهم أن الايمانا خلـــق الـــناس الأول. وهـــم يقدمون القرابين لأرواح الأسلاف وهذه عادة مسئولية رب العائلة.
* وأرواح الأبطـــال لديهم قوية وتتطلب عبادة خاصة. ولكن دخول المسيحية غـــيرت كلـــية الممارســـات الدينية للرواندبين. وقرر الرواندبون فى عام ١٩٩١ أن ٦٢% مـــنهم كاثولـــيك، و ١٨% برتســـتنت، و ١٩% تابعين للقيادات التقليدية، و ١% مسلمين.
* ويلعب السحر دوراً كبيراً لديهم، وبدلاً من الكهانة، استخدمت وسائل أخرى للتطبيب مثل التعذيب والعرافة التى تهدف إلى اكتشاف السحر.
* لقـــد خضعت رواندا لعمليات مكثفة من التبشير، واصبح اليوم مايقرب من ٥٠% مـــن الرواندييـــن كاثوليك. ولقد قدمت البعثات التبشيرية الكاثوليكية لرواندا أول يد لنموذج الممارسات والمتعلقات السلعية، العمل بأجر، الملكية الخاصة، والعقود والمساواة بين البشر والفردية، ويرجع اليوم دين أعضاء حكومـــة الهوتـــو الـــرواندية على الكنيسة الكاثوليكية ذات الوضع الراهن المميز ولقوة مؤقتة.
* والفنون لدى التوتسى تتضمن الأدب والموسيقى والحرف وهى ترتبط كثيراً ببلاط الملك.
* وبالنسبة للأدب الشفوى كانت تتناقله الأجيال وتضمن صفات الإله والملوك

والأبطال وأرواح أسلاف الأبطال وكذلك الناس والأشخاص العاديين والعناصر الطبيعية والحيوانات.

* كما أن هناك أغانى تواسى السيدات حديثى الزواج لتركهن منازل عائلاتهن وأخرى هى أغان للأطفال عند النوم والأمثال والألغاز.
* أمـــا بالنســـبة للموسيقى والرقص فقد كانت الطبول والفلوتات (الصفافير)، والقيثارات (المعازف) من الآلات الشائعة بين كلا من الهوتو والتوتسى.
* وكانـــت الطبول مرتبطة بالبلاط الملكى. ونجد من الفنون أيضاً تصميمات التوتســـى الجميلة على السلال والفخار والدروع. كما أنهم يستعملون أقنعة مصنوعة من الأعشاب لانتقال الأطفال إلى مرحلة البلوغ.

المراجع

1- Alison Des Forges : Leave None To Tell the story, paris 2001.
2- Auge M. Logique lignagere et logique de Bregbo. In Prephetisme et Therapeutique, paris, Hermann.١٩٧٥
3- Bernatzik, Hugo, A.: Neue Grosse,Volkerkunde Koln 1968.
4- Brockhaus F.A: Der Kleine – Brockhaus, Wiesbaden 1961.
5- Brockhaus F.A: Der Volks – Brockhaus, Wiesbaden 1962.
6- Christopher C. Toylor: M.I.L.K., Honey and Money London 1992
7- Comaroff, J.: Body of Bower spirit of Resistance Chicago: University of Chicago, Press. 1985.
8- Fabian, J.: Jomaa: A Charismatic Movement in Katange. Evanston: North Western University of Chicago, Press. 1971.
9- Habimana, E.: Envie Comme cause d'attribution dans les maladies mentales Ibitega " Ph.D.diss. University du Quebec a Montreal 1988.
10- Hertefelt, M.: Le Clans du Rwanda ancien. Tervurent Musee Royal de L' Afriqu centrale, Annales Sciences No.70.1977.
11- Heusch, L., Le Rwanda et al civilisation interacustre Brussels:Universite Libre de Bruxelles 1966.
12- Hurst and Company: History of a Genocide, London 1995.
13- Jacob, 1.: Dictionaire Rwandais – Francais, 3. Vols, Extrait du dictionnaire de L;Institut National de Recherche Scientifique Kigali Rwanda: Imprimerie Scolaire 1984-87.
14- Jules – Rastte, B.: (et al): The New Religions of Africa Norwood N.J.: Ablex Publishing 1979.

15- Kileff, C., and M. Kileff " :The Massowe Vapostori of Seki, Utopianism and tradition in African, Church " In The New Religions of Africa edited by. B.Jules – Rosette, Norwood.N.J. Ablex Publishing 1979.
16- Maindron, G.: des apparitions a Kibeho, Paris, O.E.I.L.1984.
17- Newburg D.,: The clans of Rwanda : A Historical Hypothesis in La Civilisation ancienne de Peuples de Grands Lacs, edited by L.Ndoricimpa et al, 1981.
18- Rene Lemarch and PALL MALL: Rwanda and Burundi Press London 1976.
19- Richard F.: Nyrop: AREA Handbook for Rwanda, 1969
.
20- Roberts, A.: Religion and Political Economy among Colonized Tabwa Africa 1984.
21- Zempleni A.: Dela Persecution a la culpabilite In Prophetisme et Therapeutique, etited by J. Rouch et al , Paris: Hermann 1975.

"ندوة التوتسي وأزمة البحيرات العظمى"، معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة، ٣١-٣٢ ابريل ٢٠٠٣: ص ١٧٩: ٢١٥

جماعة التوتسي من منظور حضاري

السفير: جلال عبد المعز عبد الرحمن

مقدمـــة

* وصـــل الـــتطور التاريخـــي للشعوب الأفريقية إلي مرحلة جديدة . الهدف الرئيســـي لهذه المرحلة معلق بحصولها علي استقلالها الإقتصادي ، وإلغاء أشكال الإعتماد والتخلف التي ورثتها عن الفترة ما قبل الإستعمارية والفترة الإســـتعمارية . والطـــريق لإصـــلاح راديكالـــي لهذه المجتمعات مفروش بالصعوبات التي ورثتها عن هاتين الفترتين إضافة إلي ماجد من صعوبات ما بعد الاستقلال السياسي .
* والمشـــاكل الأثنـــية تحتل مكاناً خاصاً بين تلك الصعوبات المتعلقة بالتنمية السياســـية الوطنـــية والوضـــع الأثني لهذه الشعوب داخل الحدود السياسية الحالية الموروثة للدول الأفريقية والتي تتسبب في كثير من المضايقات لتلك الشـــعوب التي قبلت حكوماتها بالوضع الراهن لتلك الحدود تجنباً لمشاكل أكبر .
* هذا الوضع الأثني يثير التساؤل : هل أفريقية الجديدة غدت ساحة لفوضي إثنية ؟ وهل الخطوط العريضة للمجتمعات الأفريقية الكبيرة يمكن التعرف علـــيها من خلال منظور فسيفساني لمسميات إثنية ؟ ما هي العملية الإثنية التـــي تجـــري الآن في البلاد الأفريقية ؟ وما هي خصائصها وماذا تعرف عنها ؟ وأين موقع جماعة التوتسى فيها ؟
* كل سؤال من هذه الأسئلة يحتاج إلي تحريات خاصة ، ولكن لما كانت كل الحقـــائق الخاصـــة بالشـــأن الأفريقي مجدولة في نسيج الحياة الإجتماعية ووجدان الشعوب الأفريقية الحديثة ، كان من الضروري محاولة مسح

تفاعلهـــا حتـــي يمكـــن الخـــروج بخصائص ومظاهر التطور الأثني للشعوب الأفريقية .[١]

* ولقد توصل الدارسون "السوفيت" المهتمون بالشئون الأفريقية مثل "تونخنين" ، و"بابلوشـــوف" ، و"أســـماجيلوفا" وغـــيرهم ، إلـــي أن القبائل الأفريقية والمجتمعات العشائرية بقيت حية في أفريقية – في حالات كثيرة – كشرنقة خارجـــية لا صلة لها بالمحتوي الإجتماعي الجديد . وخلف التباين العرقي الذاتـــي الداخلي كانت مجتمعات إثنية كبيرة قد اختفت بالفعل ، وليس هناك خـــلاف علـــي أن مجتمعات أخري قد تمكنت من البقاء من خلال الوعي العرقـــي القبلـــي في أفريقية ، وهي من بقايا الهياكل العرقية القبلية ، ومن خصائص الظاهرة الإجتماعية للحقب الماضية [٢]

* **وخـــلال النصـــف الأول مـــن القـــرن العشرين ، وفي أوج الإمبراطورية الإستعمارية :-**

– حـــرص الأنثولوجـــيون الإنجليز من أمثال :"مالينوسكي" ، "ورادكليف بـــراون" وآخرين ، علي الإستمرار في الإشارة لأي عادات أفريقية ، حتي تلـــك التى اندثرت، أو كانت مبتذلة . ونفس الشئ فيما يتعلق بآلاف اللغات واللهجات التي تلاشت ، وإدراجها في الخرائط الأثنية واللغوية .

– بينما سجل الأنثولوجيون الألماني ، وعالم اللغويات "تسمان" ، ٢٢٤ لغة وشـــعباً مستقلاً في الكاميرون وحدها في العشرينيات . أما "موردوك" فقدم قائمة تضم ٧٠٠٠قبيلة تضمها الشعوب الأفريقية في مقال له عام١٩٥٩.[٣]

* بينما بني الأنثولوجيون "السوفيت" دراساتهم علي أساس التصور الماركسي للعملية القومية ، والصفة الكونية للمظاهر التاريخية لتطور شعوب العالم . وهـــم يـــأخذون في الاعتبار كذلك التجربة المحدودة للدراسة الإثنوجرافية لشـــعوب بدائية عند تناولهم موضوع القوميات ، حيث العلاقات العشائرية والشـــيوع ، والأبوية ، والإقطاع ، استمرت حية وقائمة بل ومتشابكة مع آخـــر أســـلوب إجتماعـــي وإقتصادي خلال السنوات الأولي عقب الثورة البولشفية عام ١٩١٧ .

(المبحث الأول)

التطور الحضاري الأثني في أفريقية ومكان التونسي فيه

* ومـــن ثم يكون التساؤل الآخر : ما هو سبب التخلف السابق الإشارة إليه . لكثـــير مـــن الشعوب الأفريقية ؟ وهي المشكلة التي تعرض لها كثير من الأنثروبولوجييـــن ؟ ركـــز الكثيرون منهم علي المشكلة الأثنية باعتبارها واحـــدة مـــن المعوقات التاريخية لتطور هذه الشعوب في الماضي البعيد ، عندما كانت الخاصية والتباين في الظروف الجغرافية لها تأثير ملحوظ علي درجة التطور الإجتماعي للسكان في أقاليم وبلدان بل وقارات منفصلة .(٤)
* وقديماً لعبت عوامل عديدة أدواراً مختلفة في التخلف النسبي لشعوب أفريقية جنوب الصحراء مثل :
  - **الظروف الطبيعية للحزام المداري الإستوائي .**
  - **العزلة عن المراكز القديمة للحضارات الزراعية القديمة .**
  - **ضعف التنوع والتباين في القارة .**
  - **صعوبة الموصلات والاتصالات الداخلية .**
  - **الإســتغلال الوحشي الاستعماري للشعوب الأفريقية التي وقعت فريسة له.**(٥)
* ومـــن ثم وضح التباين في درجة التطور التاريخي في الأقاليم المختلفة في القارة في الماضي البعيد ، عندما ولدت الحضارة المصرية القديمة الفريدة ومجـــتمع الطـــبقة والدولتـــية علـــي ضفاف نهر النيل في الألفية الخامسة والرابعة قبل الميلاد . وفي وقت متأخر ظهرت أيضاً دول أخري في شمال شرق القارة مثل "مروي" ، وأثيوبيا ، وأكسوم ، ونباتا التي قدمت زراعة الحبوب وتربية الحيوان الأساس الاقتصادي لقيامها .
* ولقد لعب استخدام الحديد دوراً هاماً في تطوير أشكال متقدمة من الاقتصاد في أفريقية . كما أن التغلغل الواسع للزراعة في مناطق الصيد القابية في

أفريقـــية المداريـــة ، وظهور أنماط لدول الطبقة في الألفية الأولي بعد الميلاد وكذلـــك أوائـــل الألفية الثانية ، في معظم الأقاليم الداخلية للقارة ، يمكن ربطه بشيوع المهارة في صناعة الأدوات والأسلحة الحديدية المتقدمة .

* ومـــنذ القرن الثامن حتي القرن الحادي عشر ، كانت قد تكونت سلسلة من الـــدول الأفريقـــية ســـواء في شمال أفريقية ، أو في جنوب الصحراء من المحـــيط الأطلنطـــي حتـــي الهـــندي ، إرتبط بعضها بطريقة أو بأخري بالحضـــارة العربية . وخلال تلك الفترة ، أدي تغلغل الثقافة العربية واللغة العربـــية والدين الإسلامي إلى شمال وشرق القارة إلي إحداث تغييرات في الجغرافـــية الإثنية لكل الجزء الشمالي من القارة . لقد إعتنق جزء هام من الشعوب القديمة التي كانت تتكلم لغة البربر ، وبالتدريج ، الدين الإسلامي والـــثقافة العربـــية . وكـــان التغلغل العربي في وسط وشرق السودان في العصـــور الوسطي وظهور العرب علي ساحل وفي جزر المحيط الهندي ، أن شجع علي تكوين مجموعات مختلطة من السكان .
* وكانت التشكيلات الأولي لدول طبقة مفردة قد تكونت داخل أفريقية في ذلك الوقـــت كنوع من التبائن عن الأقاليم الأكثر تطوراً في شمال القارة. ومن هـــذه التشـــكيلات : "مونوموتـــاب" (MONOMOTAPS) ، كونجـــو (KONGO) لونـــدا (LUNDA) ، وبوغندا (BUGANDA) وغيرها . وكانـــت محاطـــة بـــالعديد من مجتمعات ما قبل الطبقة في مناطق القارة الإستوائية والجنوبية .[١]
* وفـــي داخـــل حـــدود التشـــكيلات الدولتية، نشأت عمليات توحيد للقبائل المتشـــابهة ، وتحولهـــا إلي مجتمعات إثنية كبري متطورة . كانت هذه العملـــيات متناقضـــة ، بعضـــها يعمل ضد البعض الاخر . كانت هناك عمليات تعمل ضد هذا التوحيد، في شكل اتجاهات انفصالية انقسامية . بينما كانت هناك عمليات أخري تدفع نحو الدمج والتوحيد امكنها تكوين قوميات كبيرة ، في الوقت الذي جري فيه استيعاب الكيانات المفتتة بواسطة

الجـيران الاكـثر تطـورا . كما جري نوع من الخلط والاختلاط الإثني في مناطق معينة من إفريقية المدارية ومازال الكثير من هذه العمليات غير معروف . فهناك صفحات من التاريخ الاثني للشعوب الافريقية لم يتم فك شفرتها وحل رموزهـا واكتشـافها بعد ، ويمكن أن يعزي ذلك الي تعرضها لعمليات اثنية اجتماعـية طويلـة ، تم خلالها بناء خاصية وسمات المجتمعات الاثنية لدولة الطبقة بصورة منفردة. (٧)

* ثـم حـدث تطور لاحق ، ساعدت عدة عوامل علي اعاقته وتأخير نموه ، ومـن هذه العوامل : تجارة الرقيق ، الغزو الأوروبي ، اقامة المستعمرات ... وهـي عوامـل تضافرت وسارت جنبا الي جنب وأدت إلي ابادة سكان مناطق كثيرة واسعة وغنية .
* ففـي بدايـة القـرن العشرين ، كان معظم أفريقية قد وقع تحت السيطرة الاسـتعمارية وبـدأت مرحلة جديدة من التاريخ الاثني للشعوب الافريقية مرتـبطا بهـذه الفـترة الاسـتعمارية الي القضاء علي واختراق الروابط الاقتصادية والثقافية السابقة . وقد أدت الحدود السياسية الجديدة للممتلكات الاسـتعمارية إلـي تمـزيق الاقاليم الاثنية التي تكونت علي مدي طويل ، وتشتيت كثير من الشعوب الافريقية .
* وقد دأبت القوي الاستعمارية علي العمل من اجل تفتيت الشعوب ، وازكاء الفروق والفتنة بكل أشكالها : اثنية ، وثقافية واجتماعية تطبيقا لمبدأ فرق تسـد" وهـو ماتم بين جماعة التوتسي وغيرها من الجماعات في منطقة هضـبة البحـيرات وداخـل الحدود السياسية لكل من رواندا وبوروندي. وكانـت هـناك اتجاهـات توحيدية عكسية في الفترة الاستعمارية كذلك ، سـاعد علـيها ادخال السلع النقدية في الانتاج ؛ وانتشار المزارع الواسعة والابعاديـات من أجل محاصيل التصدير ، وهجرة اعداد كثيرةمن السكان للبحث عن عمل (٨).
* وهبـت حركة واسعة مناهضة للاستعمار ، شجعت علي توحيد الشعوب

المضغوطه، وميلاد وعي اجتماعي معاد للاستعمار قاد الي ميلا دول

مشـــتركة ، ووحـــد بيـــن مصالح السكان من جماعات مختلفة ذات اثنيات وعقائد مـــتعددة، وطور الايديولوجية المشتركة للعشيرة / القبيلة وكان الفصل الاقطاعي ثانويا في هذه السنوات ذات المصلحة المشركة في التحرر .

* واذا كـــان الاســـتعمار البلجيكي لم يسع – شأن الاستعمار الفرنسي – إلي تطابق الحياة البلجيكية مع الحياة الافريقية ، فقد قام علي التفرقة العنصرية والاثنـــية فـــي كـــل المياديـــن من ناحية ، ومن ناحية أخري علي السلطة المركـــزية الصـــارمة ، ومنع النشاط السياسي في المستعمرات ، ومن ثم ســـعي البلجيك إلي فرض ثقافتهم علي الأفريقيين ، وأطلقوا علي من تشبع مـــنهم بالـــثقافة الأوروبية بـــ"المتطورين" (EVOLUES) أو "المسجلين" (IMMATRICULE) [٩] وبالتالـــي ســـادت فلســـفات الســـمو الأثنـــي (HERRENNOLK) لـــدي بعض الأثنيات ذات الحظوة مثل "التوتسي" وشـــعور أو إشعار بالدونية (INEFRIORITY) لدي البعض الآخر مثل "الهوتو" . بمعني شعور البعض بالإستعلاء أكثر مما ينبغي ، وكان مركب السمو والعظمة الذي كان يعاني منه التوتسي هو مركب نقص مقلوب [١٠] ربمـــا راجـــع إلي كونهم أقلية في حالة رواندا (حوالي ١٣% من إجمالي سكان البلاد مقابل ٨٠% للهوتو) ساعدت عليه موروثات من الفترة ما قبل الإســـتعمارية ، وكذلك الرجل الأبيض متمثلاً في المستعمر والكنيسة اللذين قامـــا بازكـــاء تلـــك المشاعر إلي حد الخطر ، ثم انقلبا عليها عندما بدأت الأمور في التداعي . وبعد استغلال الخلافات التقليدية بين الرعاة والزراع ، وبين النيليين والبانتو ...

* علـــي كـــل حـــال ، خلال فترة سقوط النظام الإستعماري في أفريقية من ١٩٥٠إلـــي ١٩٧٠ تشـــكلت الـــدول المستقلة ، وكلها نشأت داخل الحدود الإســـتعمارية السابقة ، والتي لا تتمشي مع الحدود الإثنية ، وهو ما يعتبر مصـــدر قوي للاحتكاك داخل الدولة الواحدة ، وبين الدولة والدول الأخري

المجـــاورة ، والـــذي غالـــباً مـــا تستغله القوي التقليدية لإزكاء الخلافات والنزاعات الحدودية .(١١)

* وجديـــر بالذكـــر هنا ، أن الحركات الأفريقية الساعية للتحرر لم تكن تعي علـــي وجه الدقة من هم هؤلاء الذين تريد أن تضمهم حدودها الإقليمية فلم يكن هؤلاء ببساطة وبصفة عامة سوي هؤلاء الذين تصادف وجودهم بين الحـــدود التـــي رســـمها الأوروبي والتي وجدت بعد الإستقلال .(١٢) وبهذا أصـــبح شـــعار القوميات الناشئة في أفريقية هو "أن تسيطر علي جميع ما تمتلكه" :

(HOLD THAT ALL YOU HAVE) [13]

* ومن ثم فهناك صورة من صور القومية في أفريقية ، ما زالت ماثلة وهي المشـــاعر التـــي تستمر في التعبير عنها الروح القبلية والتنظيمات الأبوية فالقبيلة مازالت قوة فى الحياة الأفريقية ، ويصل الوضع أحيانا بهذه القبليات إلـــي التصارع الشديد داخل الإقليم الواحد ، مثلما هو قائم بين الطوال من قبـــيلة " واتوتســـي" (WA TUTSI) والاقصر منهم من قبيلة أو جماعة "الهوتو " (BU HUTU).(١٤)

المبحث الثانى

موقف الحضارة الأفريقية الأصيلة من الحضارة الغربية الدخيلة

* وهكـذا اختلفـت الحضـارات الأفريقية فى موقفها من الحضارة الغربية الحديـثة . ويمكن القول بصفة عامة أن الشعوب الزراعية من قبيل بعض جماعات البانتو، كانت اكثر استعدادا لاقتباس أساليب الحضارة الأوربية ؛ وعلـى العكس نجد الشعوب الرعوية ومنها الجماعات النيلوتية- بإستثناء الحاميين من الصـوماليين والجالا -أكثر تمسكا بتراثهم ونظمهم وأشد صـلابة فى الدفاع عنها . وبين هذه وتلك نصادف مجموعة ثالثة توصف بالجماعـات الـرعوية الزراعـية ومنها البانتو وهم يعتمدون أساسا على الـزراعة إلى جانب تربية الماشية ؛ وهم أميل إلى سرعة اقتباس مظاهر الحضـارة الغربية . وكان هذا هو وضع التوتسى الرعاة والهوتو الزراع وبصفة عامة امتنعت الشعوب النيلوتية فى كبرياء عن تقبل تأثير الحضارة الأوروبية.[١٥]
* وهـذا الخلاف بين النظم الأفريقية الأصيلة من حيث القدرة على التكيف، كان له أثره أيضا من حيث استعانة السلطات الأجنبية بجماعة أو سواها فى حكـم الشـعوب الأفريقية ، وذلك على أساس مدى قدرتها على استيعاب طـرق السـلوك الأوروبـية . والحقـيقة أن تأثير الحضارة الغربية على الحضارات الأفريقية كان بصفة عامة إضافيا وليس إحلالياً .[١٦]
* وعلى كل حال ، كانت الحضارة الأفريقية تعرف نظما سياسية واقتصادية واجتماعـية وثقافـية خاصة بها قبل أن يستعمرها الرجل الأبيض ، وجاء الأخير بنظم مغايرة فرضها بحكم وجوده القانونى والواقعى ، ونشأت نتيجة لذلـك مجموعة من علاقات التبنى والتكيف والصراع اختلف فيها موقف الـنظم الأفريقـية الأصيلة من الحضارة الأوربية ونظم الحكم الاستعمارية المفروضة .[١٧] وقد أخذ الوجود الأوربى فى القارة الأفريقية صورتين:

- الوجود السياسى : الذى تمثل فى نظم الحكم الأجنبية .
- الوجـود الإقتصـادى والاجـتماعى: الذى تمثل فى مظاهر الحياة اليومية المختلفة.

* كان النظام البلجيكى يعرف بنظام الوصاية الأبوية imperical paternal التى تقوم على القول بأن الأفريقيين مازالو أطفالا محتاجين لمن يرعاهم فى ظل قاعدة . "أبى يعرف أكثر منى" .[١٨] وذلك إبتداء من عام ١٩١٦ عندما تمكنت القوات البلجيكية القادمة من الكونجو من إخراج ألمانيا منها خلال الحـرب العالمية الأولى بعد أن تواجدت فيها منذ عام ١٨٩٤ مع وصول المستكشف الألمانى "جوتسن" .
* كان هناك نظام ملكى مقدس . والملك جيهانجا Gihanga هو أول الملوك التاريخيين للأسرة المالكة ، وهو تجسيد للأله الرواندى . إيمانا، يليه طبقة الأمـراء : للـرعى والأرض والجـيش • ونظـام اجتماعى يعرف ب الابوهـاكى•وسـرعان ماتحول هذا النظام السياسى الاجتماعى • ونظام اجـتماعى يعـرف ب الابةهاكى• وسرعان ماتحول هذا النظام السياسى الاجتماعى الى نظام اشنى عديم الجذور او مازالت جذوره مجهولة ، وكما سـبقت الاشـارة عمل الاستعمار على تكوين ذلك : سياسيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا وعنصريا وثقافيا •[١٩]
* ومن ثم يمكن القول إن الوجود الأجنبى قد نشأ عنه بصفة عامة نوعا من المشاعر القومية فى صورتهت الأولية والمتمثلة فى الشعور بالوطنية •

النوع الأول:- هو الوطنية الإقليمية (EGIONAL PATRIOTIS)

النوع الثاني:- هو ما يمكن أن نسميه تجاوزاً " بالوطنية القبلية " (TRIBALPATRIOTISM)[٢٠]

- بمعني أنه علي الرغم من أن القبائل الأفريقية كانت وما تزال عنصراً كبيراً لأهمـية في الحياة الأفريقية – كما سبقت الإشارة ، فإن الصلة بين الروح القبلية وبين القومية الأفريقية المعاصرة ليست كبيرة [٢١] فالقبيلة التى كان

يعـــيش فـــي ظلهـــا الأفريقيون كانت نوعا من القومية فقد كان لكل قبيلة لغتها ونمطهـــا الخاص في التنظيم الاجتماعي والثقافي والديني ، ومجموعة متميزة من التقاليد ، وصورة معينة من الانتماء والولاء [٢٢] بل يمكن القول أن بعض الـــنظم القبلية الأفريقية لم تكن مجرد صورة بدائية متخلفة للقومية ، بل هي أشبه ما تكون بالدولة القومية (STATE – NATION) التى نعرفها اليوم . [٢٣]

* وهنا نستحضر مقولة السنغالي " مامادو منيا " ... إننا نواجه بقوميات صغيرة (MICRO NATIONALISM) في حاجة إلى أن تروض وأمـــم صغيرة (MICRO NATIONS) في حاجة لأن تنظم ، ولهذا فـــإن من الجوهري لنا أن نبدأ من هذه القوميات الصغيرة والأمم الصغيرة التى هي حقائق في هذا العالم الأفريقي الغريب في القرن العشرين ، وعند ئـــذ نستطيع أن نبني بنجاح وتدرج أسس قومية أفريقية كبيرة ودعائم أمة أفريقية كبري .[٢٤]

(المبحث الثالث)

العملية الأثنية في الحزام المداري الإستوائي

- وإذا كانـــت عوامل الدمج والتوحيد والشد والجذب والتفتيت هي السائدة في العملـــية الاثنـــية في أفريقية بوجه عام ، فإن لكل دولة فيها لها عملياتها الإثنية الخاصة بها وتقتصر عليها ، ولا يمنع هذا من وجود مظاهر عامة تســـمح بتصنيفها إلى أربعة أقاليم لمجموعات إثنية تاريخية رئيسية تختلف من حيث الخصائص النوعية للعمليات الأثنية والثقافية التى جرت فيها[٢٥]

المجموعة الأولي : وتضم بلدان شمال أفريقية

المجموعة الثانية : وتشمل شرق ووسط وغرب السودان

المجموعة الثالثة : وتشمل جنوب أفريقية

المجموعة الرابعة : وتشمل أفريقية الاستوائية

- ويهمـــنا هنا تلك المجموعة الأخيرة التي يمكن التمهيد للحديث عنها بالقول بـــأن تكويـــن المجتمعات التى تطورت بقوة في الفترة ما قبل الاستعمارية علي أساس من المجموعات السكانية المتقاربة في اللغة والثقافة قد احتلت المقدمـــة فـــي كثير منها منذ الاستعمار ، هذه المجتمعات يمكن أن تطلق علـــيها قومـــيات ، وهـــي تخـــتلف كثيراً عن القوميات القديمة وقوميات العصور الوسطي في أوروبا وعن القوميات الحديثة في " الاتحاد السوفيتي " السابق .
- بمعني أن العمليات الاثنية لم تكن تستطيع التقدم بصورة مباشرة إلى الأمام وهـــي مثقلة بالتناقضات بين الاتجاهات التي تعمل من أجل التوحيد والدمج للجماعـــات الإثنـــية التي تتحدث لغات متباينة ، أو توحيد شعوب مختلفة داخل حدود الدولة الأفريقية الحالية ، وبين الاتجاهات التي تعمل من أجل العزلة والفصل وتأكيد العنصر والعرق والحواجز الوطنية . كما تبدي

العمليات الأثنية في كل من أشكال التوحيد لشعوب عديدة – قبائل ومجموعات

قبلـــية – فـــي شعب واحد في شكل استيعاب . وفي كثير من البلدان الأفريقية هناك نوع من الازدواجية للاتجاهات الرئيسية للتطور الأثني ، وهي

– توحـــيد وضـــم المجتمعات الاثنية الكبرى التي تشكلت من المجموعات الاثنية المتقاربة جدا في لغاتها وثقافاتها .

- تقوية وتطوير الهوية السياسية الوطنية داخل الدولة المستقلة

علـــي كـــل حال ، تقدم الدول في أفريقية الاستوائية ، مادة غنية لدراسة العملـــية الاثنـــية ، حيـــث تشهد نماذج لعمليات مختلفة من الضم واندمج والاســـتيعاب ، إضافة إلى درجات وعوامل عديدة من التطور ، وكذلك تـــنوعاً لاشـــكال المجـــتمعات الاثنـــية بدءا من القبيلة حتي الأمة – وقد تـــبدت القوانين العامة للتطور الإنساني ، من حيث كينونتها وشمولها في أفريقـــية الاســـتوائية بطريقة فريدة وخاصة ، تمثلت في مظاهر علاقات العشيرة / القبيلة من حيث العادات ، والشعائر ، والطقوس ، الخرافات ، والـــولاء ... والتي انتقلت من الفترة الماضية ، وما زالت باقية في الدولـــة الأثـــرية المندثرة (VESTIGAL) في البيئات التي تسود فيها الـــزراعة وهـــو الأمـــر الذي استغلته القوى التقليدية وعملت علي تقنيب المجموعـــات الســـكانية ضد بعضها البعض ، وتوجيه الطاقة الناجمة عن الاحتجاج الاجتماعي إلى إثارة النزاع العرقي .

- ولمـــا كـــان الطـــريق بين التكوين القبلي وصولا إلى القوميات الكبيرة قد أســـتغرق عدة قرون في أوروبا فإن عملية إقامة مجتمعات إثنية آخذة في الـــنمو السريع في أفريقيه ، تحت الظروف التاريخية الجديدة ، وفي نفس الوقـــت تضـــم عـــدة مستويات من الوحدات الإثنية / الاجتماعية الدنيا : العائلات – كبيرة وصغيرة – والجماعات الأبوية (PATRIARCHAL) أو الأمويـــة (MATRIARCHAL) التـــي تحولـــت إلـــى " عشـــائر " (CLANS) أو إلـــى قبائل (TRIBES) أو جماعات قبلية متقاربة أو قوميات .[٢٦]

- ونتـــيجة لعملـــيات الضم والاستيعاب ، وعمليات التفتيت والفصل ، أن تكونت مجتمعات أثنية كبيرة ، أو بسبيلها إلى ذلك ، وتتحول إحدي لغات أحـــد التكويـــنات الاثنـــية – عادة الاكثر عدداً وتطوراً – لتكون هي اللغة المشـــتركة وتقوم بمهمة الوصل والربط بين المجموعات المنفصلة كما هو الحـــال فـــي روانـدا ، وينتشر الاسم المشترك للقومية الذي عرفت به بين الجيران ليكون (ETHNONYM) جديد كما هو الحال في روانـدا علي ســـبيل المثال – بينما كانت محاولات الاستعمار في التفتيت صارخة حتي مـــع كـــيان روانـــدا أو روندي الضئيلة أن تركت دولتين منفصلتين هما : روانـدا ، وبوروندي . (٢٧)
- لـــم تكن عمليات التطور الاثني معزولة ، ولكنها كانت لصيقة بالعلاقات الاقتصـــادية والسياسية والعرقية والاجتماعية ، مثلما حدث في روانـدا كما ســـبقت الاشـــارة ، وتعقدت بفضل المقاومة السياسية والاحزاب السياسية التى نشأت مع الاستقلال وبعده .
- علـــي كـــل حال ، في المستقبل ، بما يمكن أن تشكل الأمم الموحدة إثنيا داخل دول منفردة ، إلا أنه في كثير من الدول الأفريقية جنوب الصحراء مـــا زالت عملية الاندماج الوطني بعيدة عن الكمال . (٢٨) ويبدو أنه من المستحيل التغلب علي التخلف في الشئون الاقتصادية والثقافية بدون التحلل من أثقال الماضي ، وأعني به الهشاشة الإثنية .

(المبحث الرابع)

المشكلة الأثنية وإعاقة عملية الإندماج الوطني ودور النخبة

* بعــد أربـــع حقب من الاستقلال ، بالكاد يمكن أن نري أمة أفريقية تتميز بأنهـــا قـــادرة علي البقاء . فقد تقلصت تجربة بناء الأمة في معظم البلاد الأفريقــية ، لتترك وراءها من تجربتها دولاً بدون أداء . بل يمكن القول من الناحية الواقعية ، أنه في داخل بعض الحدود السياسية إنهارت الدولة ، وهـــو ما يطرح السؤال المتوقع : إذا كان الأمر كذلك فمن يجب أن يكون المسئول عن هذا الفشل في تجربة بناء الأمة في أفريقية .
* فـــي معظـــم الدول الأفريقية التي تخلصت من الحكم الاستعماري ، كان العائق الرئيسي أمام الاندماج والتماسك الوطني قد تركز في ظاهرة الاثنية الـــي حد كبير ، ومن ثم لا تخلو دولة أفريقية من جماعات إثنية عديدة ، وولاء كثير من أفراد هذه الجماعات الأثنية هو إلى مجتمعاتهم الأثنية أقرب مـــنه إلى الدولة – الأمة وخلال الفترة الاستعمارية طور الاستعماريون الاثنية في معظم الدول الأفريقية من أجل تسهيل تطبيق مفهومهم السياسي الشامل : " فرق تســـد " .
* وقد بدت تلك السياسة الاستعمارية في الأداء السياسي الذي قامت في نطاقه سياسات إدارية تتميز بالتفرقة والتمييز بين بعض الجماعات الاثنية إلى حد منح الحظوة لبعض تلك الجماعات ، واستبعاد الجماعات الأخرى . كانت هـــناك منافســـة حـــادة غداة الحصول علي الاستقلال بين تلك الجماعات للحصـــول علي السلطة السياسية وهو الأمر الذي أدي إلى نشوب نزاعات سياســـية فـــي كثير من الدول الأفريقية مثلما حدث في رواندا وبوروندي والكونجو حيث عملت الإمبريالية الألمانية ثم البلجيكية علي محاباة التوتسي إلى حد إهمال الجماعات الأخرى كالهوتو والتوا .
* وكما لاحظ (ATO KWESE) لم تكن بعض الجماعات الاثنية فقط قد

جـــري محاباتها بالضرورة ، فقد كانت علاقاتها المتناقضة مع الجماعات الاثنـــية الأخـــرى قد جري تجاهلها تماما . وهكذا لم توضع آية ترتيبات لمواجهـــة أي نـــزاع أثـــنى يمكن أن ينشب ، ولم توضع آلية قابلة للبقاء والاســـتمرار يمكن أن تفض تلك النزاعات التي قد تقوم حول المصالح في الكيان الوطني الواحد .

* وقـــد سعت النخبة التي هيأها المستعمر لتولي السلطة إلى تطوير ولاءات بدائـــية ، مـــن خلال اللعب علي المشاعر الاثنية حتى تتمكن من امتلاك الســـلطة ، ومـــن ثـــم اتجهـــت أنشطتها السياسية إلى ضمان الولاء من جماعـــاتهم الاثنية ، وكان هذا وراء قيام الأحزاب علي مستوي الوحدات الاثنية . (٣٠)
* ويكفـــي أن نشير إلى أن النخب سواء كانت عسكرية أو مدنية ، قد لعبت علـــي المشـــاعر البدائية لشعبي التوتسي والهوتو ، من أجل تبرير الغاء انتخابات كان من الممكن أن تسيء إلى الوحدة الوطنية وقادت إلى حروب أهلية في رواندا وبوروندي إلى حد المذابح . فقد فهم تحريك قاعدة السلطة علي أنه تهديد لمصالح النخبة الأخري .
* الأمـــر المهـــم الذي يمكن التأكيد عليه هو أن طبقة النخبة في معظم الدول الأفريقية هي التي ساعدت علي تفجير النزاعات الاثنية – فالنزاعات بين فصـــائل طـــبقة النخبة فيما يتعلق بسلطة الدولة غالبا ما أدت إلى مواقف نزاعـــية بين الجماعات الاثنية المتباينة منذ أن أثارت المشاعر الاثنية من أجـــل الحصول علي أو الاحتفاظ بالسلطة . وقد أخذ تأثير هذه النزاعات بيـــن النخـــبة اشـــكالا عديدة من العنف ، وهو ما أدي إلى دعم وتدعيم لمصـــالح القـــوة للطـــبقة المســـيطرة بواسطة الطبقة الدنيا في المجتمع ، وحافظت عليهم مقسمين علي طول خطوط اثنية ، وبالتالي اضعاف مقدرة الطبقة الدنيا في المجتمع علي تحدي الطبقات المسيطرة . (٣١)

- وقد حدث ذلك الصراع لأن هناك من يسيطرون ويملكون ، وهناك

مقهورون يسعون إلى التخلص مما هم فيه ، ولان الدولة هي المصدر الرئيسي للموارد المالية ، تدرك الأجنحة المختلفة لطبقة النخبة أن أية جماعة تتمكن من الامسـاك بسـلطة الدولـة سـوف تجد طريقها إلى موارد الدولة التي يمكن اسـتخدامها لتوسيع مصالحها ولعناصرها وجماعاتها .[٣٢] (والظاهرة تسمي : الاستزلام (CLIENTISME)

- هكـذا كـان النضال من أجل الاستيلاء علي سلطة الدولة قد أصبح عنيفا بعدمـا بـدت العملـية مجزية . الدولة التي يجب أن تكون أسمي من كل المصـالح المتباينة للجماعات من خلال هيكلة العلاقات بين السلطة العامة والمجـتمع المدنـي عادة ما أصبحت الضحية في النزاعات بين جماعات النخبة التى عادت ما تسير وفق خطوط أثنية .[٣٣]
- ويذهب (IRELE) إلى أن قضية الاندماج الوطني تحتاج إلى إعادة نظر مـن مـنظور أوسـع ، يقوم بها النخبة أكثر من النظر إإليها من زاوية المصـلحة الأنانية العنيفة التي تكون سائدة في اللحظة ، وأن مفهوم الأمة لابـد وأن يمـتد إلـى ما وراء المشكلة السياسية ليضم كل مناحي الحياة مجـتمعة. [٣٤] وهـو يـري كذلك أن الأمة هي من بني طبقة النخبة التي لحمت الأفراد المشتتين معا بواسطة مأثورات وموروثات شعبية .[٣٥] هذه الموروثـات هـي التـي حملت فكرة الهوية الوطنية الى الناس وأوصت بتصور الشعار الوطني .[٣٦] بمعني أن الأمة لا تحتاج لان تكون متجانسة اثنـيا ، ولكـن يجب أن يكون هناك نوعا من التراث الذي يؤكد الأعمال المشـتركة ، والعادات والتقاليد والرموز والأساطير بين الجماعات الاثنية المختلفة
- وعلـي ضوء ما سبق ، يبدو أن خلق ثقافة وطنية تنتجها عملية التحديث (MODERNIZATION) يمكـن أن يحل مشكلة الاثنية ليس فقط في رواندا وبوروندي وحدهما ولكن في أفريقية كلها ، وأن تكون طبقة النخبة في المقدمة علي طريق خلق هذة الثقافة الجديدة بالنظر إلى أنها الأكثر
-

اســتعداداً ثقافــيا من الطبقات الأخري . بمعني ان طبقة النخبة يجب ان تكون راغبة في التجاوز عن نظرتها الانانية الضيقة في خلق ثقافة وطنية

* والحقــيقة أنه في البداية كان الافريقي عضوا في القبيلة ، وهي جشطلت (أو وحــدة كلية) قوية متماسكة ولكن مع دخول الاقتصاد الجديد ووسائل الحــياة الأوروبــية بدأ الافريقي ينتقل إلى منظمات أو تنظيمات أخري ، أساس الانضمام اليها المصلحة الشخصية الفردية فبدأ بنقل ولاءه من القبيلة إلى التنظيمات والجمعيات والاحزاب ... لقد ترك جماعة هي " جشطلت " قويــة إلـــى جماعة أخري هي أيضا " جشطلت " قوية ولكنها مستندة إلى أسس مخالفة ، فقد ترك جماعة الوحدة (COMMUNION) إلى جماعة الفــريق (EQUIPE) تــرك تلــك الجماعــة التـــي تجسد – علي وجه الخصــوص – تماســك الجماعة علي المستوي الانفعالي إلى تلك الجماعة التـــي تعــد – علي الأخص – تعبيرا عن هذا التماسك في مستوي التنفيذ والعمــل . أو بعــبارة أخــري ، فقــد انتقل الافريقي من جماعة نفسية (PSYCHOGROUP) إلـــى جماعة إجتماعية (SOCIO GROUP) مــن تلــك الجماعــة التي ترتبط بشبكة من العلاقات العاطفية ، إلى تلك الجماعة التى ترتبط بشبكة من العلاقات الوظيفية . (٣٧)

* ومــن ثــم فــإن حــل المشكلة الاثنية يجب أن يسعي اليه علي المستوي المؤسســي ، أي المجــالات الحكومــية ، بل وتتعدي ذلك الي المشكلة الاجتماعــية لانها – كما يري أريل – تعني الامة ، في المفهوم الواسع ، نتاج " النطاق العام " (PUBLIC SPHERE) التي تعطي مفهوما جديدا مــع التركــيز علـــي نــوع الترتيبات التي تقدم لتلك المؤسسة السياسية ، والأشــكال التشريعية والقضائية التي تعتبر بمثابة آلية أو أداة للحفاظ علي تلك المؤسسة في وضع سليم .(٣٨)

* ومــن هــنا ينظر الي الدولة الروانديه باعتبارها حمولة جاءت من الفترة الاستعمارية يتعين عليها ان تستبدل وتحل محلها فكرة جديدة . بمعني أن

تتضـــمن تعاونا نشطا وغير إجباري للمواطنين . [٣٩] أي المشاركة في عملية اتخاذ القرار الخاص بالدولة ، أي أن شكلا جديداً من الثقافة السياسية يجب أن يتم تضمينه ، وهو يعتمد علي ديموقراطية المشاركة

* ومـــن المهـــم العمـــل علي تفادي المعركة الشرسة من أجل إقتناص سلطة الدولة التي قادت إلى نزاع داخلي وصل إلى حد المذابح بين جماعات اثنية معيـــنة . إن مثل هذه المنافسة التي تتعامل مع شرائح متباينة من الادراك الحسي لطبقة النخبة ، تجد تفسيرها في إمتلاك الدولة لأرصدة مالية يمكن أن تخـــدم المصـــالح الشخصـــية لعناصر النخبة وجماعاتهم الاثنية إذا ما اقتنصوا السلطة في الدولة ، ومن ثم تكون هناك حاجة إلى اقتسام ملموس للحكومـــة المركزية ، بمعني يجب أن تكون هناك ترتيبات مؤسسية حيثما تكون السلطة غير مركزة في الوسط .[٤٠]
* كمـــا أنه من المناسب أن يوجد الحد الأقصي من المشاركة الشعبية والذي يترتـــب علـــيه خفضا للسلطة السياسية لجماعة النخبة . بمعني أن هناك حاجـــة إلـــى تحول دراما تيكي مؤسسي ، كما أن هناك حاجة إلى ضمان حق عادل ومتساو ، والتزامات لكل الجماعات الإثنية في المجتمع بصرف النظر عن حجمها العددي ، وهناك حاجة إلى اشراك كل الجماعات الإثنية في عملية اتخاذ القرار علي كل المستويات سواء المحلية أو المركزية
* علـــي كل حال ، إن ما تهدف إلليه توصيات الحلول السابقة ، والاقترابات من المشكلة الاثنية في بلد كرواندا أو غيرها ، هو تغيير الهياكل المجتمعية المؤسســـية بإتجاه نهاية عادلة (EGALITARIAN) إن المهمة الأساسية فـــي التعادلـــية (EGALITERIANISM) هـــي أن لكل فرد حقوق في معاملـــة عادلة ومتساوية ، ويجد مساندة قوية لأي حق عادل من حقوقه ، بمعني إقامة نظام يسود في داخله وتتمتع كل جماعة إثنية بضمانات وحقوق مضمونة وانصبة عادلة من الاقتصاد والحكم والحياة الاجتماعية في الدولة .

المراجـــع

1- B. V. ANDRIANOV: the Specific CHARACTER of ETHNIC CHARACTER OF ETHNIC PROCESSES IN AFRICA COUNTRIES MOSCOW – 1984. Pp. 291 -- 308

ولمزيد من التفاصيل راجع

2 - R.N. ISMAGILOVA : ETHNIC PROBLEMS OF TROPICAL AFRICA, CAN THEY BE SOLVED? MOSCOW . 1978

3 - G.P. MURDOC : AFRICA, ITS PEOPLES AND THEIR CULTURE HISTORY – N.Y. 1959 ,

4 - KARL MARX, VOL.I., MOSCOW, 1975. P. 481.

5 - S.P. TOLOSTOV : SOME PROBLEME OF WORLD HISTORY IN THE LIGHT OF MOSLEM HISTORICAL ETHNO-GRAPHY MOSCW. 1961. PP.11-116 .

6 - YU. M. KOBISHCHANOV : THE SPACE TIME STRUCTURES OF AFRICAN HISTORY. MOSCOW. 1974- PP. 5- 45.

7- B. V. ANDRIANOV : THE PROBEM OF FORMATION OF NATIONALITIES AND NATIONS IN AERICAN COUNTRIES. MOSCOW . 1967- PP: 9-104.

8- IPOTKHIN : THE FORMATION OF NATIONS – IN AFRICA MARXISM TO - DAY MOSCOW – 1958 . PP: 2-10.

9- SITHOLE : AFRICAN NATIONALISM .CAPTOWN – 1959. P: 35.

10 - GLUCKMAN : NATHROPOLOGICAL PROBLEM ARISING FROM AFRICAN INDUSTRIAL REVOLUTION – IN SOUTHAL SOCIAL CHANGE IN MODERN AFRICA CHICAGO 1961. P : 125 .

١١= سفير جلال عبد المعز عبد الرحمن : أفريقية وظاهرة التفاوت الحضاري بين الشمال والجنوب ، مقالة مجلة آفاق أفريقية ، المجلد السنة العدد رقم ص

12- SPIRO : POLITICS IN AFRICAN – PRENTICE – HALL, 1962 PP: 12-

13 - PANIKAR : REVOLUTION IN AFRICA – BOMBAY, 1961, PP :13 -22

١٤= نزيه نصيف ميخائيل : النظم السياسية في أفريقية – دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٦٧ . ص : ٣٨

15- BASCOM AND HERSKOVITS : CONTINUITY AND CHANGE IN AFRICA CULTURES. CHICAGO, 1959. P: 5- 162 – 166 .

١٦= نزيه نصيف : المرجع السابق ص : ١٧

١٧= نزيه نصيف : المرجع السابق ص : ١٧

18- WELLERSTEIN : AFRICA, THE POLITICS OF INDEP- ENDECE – N-Y, 1961 , P : 68

19- WORLD TO – DAY – LONDON – VOL 50 NO 28 – 7 AUGUST – SEPT 1994 – P : 149

20- G – PRUNIER : THE RWANDA CRISES, 1959-1994. LONDON . C. HURST & COMLTD. 1995. PP : 11-12.

٢١= نزيه نصيف ميخائيل : مرجع سابق . ص ٣٦

22- HAYES :ENCLOPEDIA OF THE SOCIAL SCIENCES – 1935 – VOL XI P : 29 (NATIONALISM)

23- AYES : NATIONALISM . OP. CIT. P : 240

24- FORTES AND EVANS – PRITTCHARD : AFRICAN POLITICAL SYSTEMS – LONDON – 1963, P : 5 .

تأثير الحرب الأهلية على المرأة الرواندية

- منظور أنثروبولوجي -

د. سلوى يوسف درويش

أستاذ الأنثروبولوجيا المساعد بالمعهد

تســـاهم المرأة في المجتمعات التقليدية الأفريقية بمهاراتها وخبراتها العلمية والتنفيذية في انتاج الغذاء وتحقيق الدخل للأسرة ، كذلك تساهم المرأة بالدور الأكبر في عملية التنشئة الاجتماعية ، وتحمل كافة الأعباء الخاصة بوضعها الطبيعي داخل الأسرة ، بقدر أكبر مما هو معروف أو مسلم به عموماً. وتتضاعف مساهمة المرأة ، وتــزداد الصعوبات المخولة إليها ، نتيجة تغير أنماط حياتها التقليدية ، بسبب هجرة الزوج أو موته أو حتى موت غيره من أفراد الأسرة .

وتشـــهد العديــد مــن الــدول الأفريقية تغيرات لم يسبق لها مثيل في البناء الاجتماعـــي التقلــيدي ، إذ لــم يعــد من الحقائق المسلم بها استمرار أنماط الحياة الاجتماعـــية والثقافـــية التقليدية، ووجود نمط العائلات الممتدة والعلاقات والروابط القوية داخل المجتمع ، كما تتسبب الحروب والنزاعات العرقية داخل الدولة الواحدة، إضـــافة إلـــى الظروف الاجتماعية والاقتصادية غير المواتية ، في إحداث تغيرات جوهـــرية علـــى وضــــع المـــرأة الأفريقـــية ، وطريقة ممارستها لوظائفها التقليدية المعروفة.

وتعــد روانـــدا إحـــدى أفقـــر الدول في العالم ، وهي تقع في وسط القارة الأفريقية، ويبلغ عدد سكانها حوالي ٨ مليون نسمة .

وتــتكون روانــدا من ثلاث جماعات عرقية ، تعد الهوتو هي أكبرها ويقوم اقتصادها على الزراعة ، وهي أسبق في الوجود من الجماعة الثانية ، أي التوتسي وهــم أقــل عــدداً من الهوتو ، ويعملون برعي الماشية ، حيث تمثل لديهم الثروة والمكانـــة فـــي المجتمع ، أيضاً هناك أقزام التوا وهو أقدم الجماعات الموجودة في رواندا .

وقد انتقلت رواندا من الحكم الاستعماري إلى الاستقلال في أوائل الستينات . وشـــهدت – منذ ذلك الحين – الكثير من حوادث العنف ، التي خلفت وراءها أعداداً كبيرة من اللاجئين إلى الدول المجاورة .

وقــد أدت أعمـــال الحـــرب والإبادة الجماعية سنة ١٩٩٤ من قبل الأغلبية (الهوتو) ضد الأقلية (التوتسي) إلى قتل أكثر من ٥٠٠,٠٠٠ رواندي ، كما أدت إلى إحداث أزمة اقتصادية وسياسية استمرت أربعة سنوات ، سبقها التحريض المستمر، وغرس الكراهية العرقية والتمايز بين الهوتو والتوتسي[١].

وقــد زادت الفاقـــة بشــكل واضـــح بعد الحرب ، حيث نجد أن ٥٣% من العائلات تعيش تحت خط الفقر ، وارتفعت النسبة سنة ١٩٩٧ إلى ٧٠%[٢] ومن ثم تطلــب المجــتمع الرواندي إعادة البناء مرة ثانية وما يستلزمه ذلك من قطع خطى ســـريعة فـــي تنفيذ برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية مع مراعاة عدالة التوزيع سواء على مستوى الأقاليم أو الجماعات العرقية ، هذا بدوره يوقع أعباءً كبيرة على النساء ، حيث تشكيل النساء الأغلبية الكبيرة من العاملين البالغين في الزراعة ، ومن ثم فهن يشكلن الأداة الرئيسية في عملية التنمية الاقتصادية وإعادة البناء علاوة على الـــدور الرئيسي من انتاج الغذاء وتحقيق الأمن الغذائي ، حيث يقوم اقتصاد رواندا علـــى الزراعة ، والتي تشكل الزراعة أكبر القطاعات الاقتصادية أهمية ويلاحظ أن ٧٠% مـــن نـــاتج البلاد الكلي الزراعي يقع على عاتق المرأة ضمن الدور التقليدي الذي تقوم به في المجتمع، لذلك يرتبط مستقبل رواندا بمدى إسهامات المرأة والأدوار المخولة لها في إعادة بناء المجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .

وتشكل النساء في رواندا حوالي ٥٣,٧% من جملة سكان رواندا بعد الحرب ١٩٩٨ ، وكانــت نسبة النساء عقب الحرب مباشرة حوالي ٧٠% من جملة السكان قبل عودة اللاجئين من معسكرات اللجوء من تنزانيا وزائير ، ويرجع الارتفاع الكبير في نسبة النساء إلى ظروف الحرب وتعرض أعداد كبيرة من الرجال للقتل والإبادة وهــروب أعداد كبيرة من الجنود إلى زائير تاركين وراءهم النساء والأطفال والذين يشكلون عبئاً كبيراً على عاتق المرأة في ظل الظروف الاقتصادية القاسية(٣) .

ويستطيع الرجال في ظل الحروب من إعادة تركيب حياتهم ، فالرجل يمكنه الزواج مرة أخرى في حالة فقد الزوجة أو الأطفال ، أما النساء اللائى ظللن على قيد الحياة لا تستطيع إعادة بناء حياتهن مرة أخرى لاسيما في حالة تعرضهن لممارسات جنســية غير مقبولة في ظل نظام الإبادة الجماعية ، وعدم الرغبة في الزواج منهن مرة أخرى .

وتشــير الإحصائيات في عام ١٩٩٨ إلى أن ٣٤% من العائلات في رواندا ترأســها النساء بزيادة ٥٠% عن سنة ١٩٩١ ، ٦٠,٨% من الأرامل وترتب على ذلــك أن أصبح نحو مسئولات مسئولية كاملة عن عائلاتهم وأيضاً عن بعض الأيتام وبعض المسنات(٤) .

وضع المرأة في المجتمع التقليدي :

تواجه النساء في رواندا تحديات عديدة تتعلق بمكانتهم ووضعهم في المجتمع التقليدي، ولا يقتصر هذا الوضع في رواندا وحدها بل يتعدى ذلك إلى معظم البلدان الأفريقـية جـنوب الصحراء ، حيث تتعلق قيمة المرأة في المجتمع الإفريقي عامة والمجـتمع الرواندي خاصة بمنزلتها كزوجة وأم أي بدورها الطبيعي داخل العائلة ؛ وهـذا الـدور تكتسـبه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية حيث تلقته المرأة كافة المهـارات والخـبرات الخاصة بوضعها في المجتمع كأم وكزوجة من خلال ، من خلال كبار السن في العائلة سواء الأم أو العمة أو الجدة ، لذلك فإن نظام التربية أو التنشـئة للإنـاث لا يتضـمن تعليماً رسمياً ، لكن بدلاً من ذلك تهيئتها وتحضيرها لدورها الطبيعي كزوجة وكأم ويمكن إرجاع ذلك إلى غياب الحافز من تعليم الفتيات فـي المجتمع الرواندي لأن أي مكاسب اقتصادية من عمل المرأة سيذهب إلى عائلة الزوج بعد الزواج ومن ثم لا تجد عائلتها أي حافز يشجعها على تحسين وضع الفتاة التعليمـي، ولهـذا فـإن الثقافة الرواندية تؤكد باستمرار على أن مدرسة البنت هي المطـبخ أولاً. ومن ثم تواجه المرأة الرواندية صعوبات كبيرة في إيجاد أي فرصة عمـل وذلك لحرمانها من التعليم ويتضح ذلك من أن أمية النساء في المجتمع أعلى مـن الرجال، حيث نجد أن أكثر من ٦٧,٤% من النساء أميات مقابل ٤٣,٦% من الرجال[٥].

وقـد حدثت بعض التغيرات الثقافية والقانونية والتي تمكنت النساء والبنات علـى أثـرها مـن الذهاب إلى المدرسة ومع ذلك فقد ظلت نسبة تسرب البنات من المدرسـة فـي المستوى الأساسي أعلى من الأولاد، ففي سنة ١٩٩٢ كانت النسبة ١٠,٨% من البنات في مقابل ٩,٥% للذكور[٦] .

ويمكـن إرجـاع عدم التكافؤ في أغلب الأحيان إلى الفقر وعد القدرة على تحمـل أعـباء الدراسة لدى العائلات الفقيرة والتي تقوم بسحب البنات أولاً إذ ليس هـناك مال يكفي لدفع تكاليف التعليم علاوة على أن الثقافة التقليدية تشجع على ذلك حيث أن تسرب الإناث من المدرسة يتبعها العمل في القطاع الزراعي، ومن ثم كان

٢٤% نـــم الأطفـــال في عمر ١٠ – ١٤ سنة (الأعمار نشيطة اقتصاديا كانت نسبة الإناث مرتفعة للغاية نتيجة عملهم في القطاع الزراعي.

وتواجـــه المـــرأة أيضاً في رواندا القيود الخاصة بالنظام الاقتصاد التقليدي ونظـــام الملكـــية الســـائد في المجتمع ، حيث يسير المجتمع وفق ما يفرضه القانون العرفـــي السائد، وتنظم قواعد الملكية من خلال الزواج ، وملكية النساء وحقوقها في المـــيراث تقـــرها عائلة الزوج ، لذا تتمتع المرأة فقط بحق استغلال الأرض أو حق الانتفاع على الملكية سواء كانت ملكية منزلية أو ملكية أراضي زراعية. ولذا تواجه المـــرأة بعد موت الزوج أو الأب مشكلة الطرد من المنزل أو الأرض نتيجة استيلاء عائلـــة الـــزوج علـــيها لأنه في ظل النظام الأبوي السائد تعتبر الأرض رمزاً للقوة والمكانـــة الاجتماعية والاقتصادية والتي بها يتحسن مركز العائلة لذلك تحرم المرأة من حق الميراث خوفاً من أن تنتقل الملكية إلى عائلات أخرى.

أيضـــاً واجهت المرأة في رواندا عند كل من الهوتو والتوتسي مشكلة كبيرة بعد حرب الإبادة الجماعية سنة ١٩٩٤ حيث وجد العديد من النساء الأرامل في ظل القانون العرفي الذي يمنع ملكية المرأة ومن ثم فقدت العديد من النساء أطفالاً وبيتها وأرضـــها معـــاً ، كذلـــك فقـــد الكثير من النساء المنزل بعد عودتها من معسكرات اللاجئين وكانت هذه من أكبر المشاكل التي تعرضت لها المرأة التوتسية والهوتية في الفترة الأخيرة والتي لم يستطيع القانون العرفي السائد حل هذه المشكلة(٧) .

أيضـــاً فـــرض القـــانون السائد قيوداً كبيراً على النشاط الاقتصادي للمرأة وخاصـــة في مجال التجارة ، حيث يمنع هذا القانون المرأة من العمل بالتجارة بدون رخصـــة الـــزوج وظل هذا القانون سائداً حتى سنة ١٩٩٢ ، وفي ظل هذا القانون حرمـــت المرأة من ممارسة حقها في الكسب والتجارة إلا في وجود الزوج . وحتى بعـــد تغيـــير القانون لم تستطع النساء ممارسة التجارة نتيجة الجهل بالقانون وعدم معـــرفة القـــراءة لـــذا وجهت حملة تربوية لتوعية النساء عن التغير الذي حدث في القـــانون ومـــن ثم عملت النساء بالتجارة وكان ذلك في العواصم الكبرى بينما ظلت النساء في المناطق الريفية في أغلب الأحيان لا يعرفن بأن القانون قد عدل .

وتواجـه النسـاء أيضاً صعوبات خاصة بالوضع العائلي أي وضعها داخل الأسرة في ظل نظام النسب التقليدي في خط الذكور Patrilineal family والتي يتمتع فيها الزوج برئاسة العائلة وفي حالة الخلافات على السلطة فإن إرادة الأب أو الزوج هـي السـائدة ، أيضـاً لا يسـاوي القانون التقليدي بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجـبات ويكـون هـذا في جانب الرجل، ففي حالة الاتهام بجريمة الزنا تكون العقوبة للمرأة بالسجن لمدة عام أما الرجل فسيأخذ غرامة فقط أو يسجن لمدة شهر ، والغرامة ستكون حوالي ١٠٠٠ فرنك رواندي أي حوالي ثلاثة دولارات[٨] .

أيضـاً لا تتمـتع المرأة بالوضع السياسي المميز في المجتمع ، فمازال دور النساء في الحكم على المستوى المحلي أقل ما يمكن بالمقارنة بدور الرجل، وتمثيلها الخارجي غير موجود على الإطلاق ، ومازالت هناك قيود كبيرة على اشتراك النساء في السياسة الوطنية ورغم ذلك يضمن الدستور الرواندي الحماية للمرأة .

علاوة على كل ما سبق يواجه المجتمع الرواندي عامة والمرأة خاصة خطر الإصـابة بمرض الإيدز والذي ازداد وطأة مع ظروف الحرب ؛ حيث كانت هناك حمـلات موجهة ضد النساء من قبل المعسكر الآخر ، ممثلة في حملات الاغتصاب الإجمالـي ففـي دراسة أجريت بعد الحرب وجد أن ٢٧% من النساء في المناطق الحضـرية حاملـة لفيروس الإيدز علاوة على ارتفاع نسبة الإصابة في معسكرات اللاجئين التي تحملت أعداد كبيرة مع ازدياد العنف والفقر كفل ذلك حدوث ممارسات جنسـية بـدون وقايـة (غير آمنة) إضافة إلى الاغتصاب خارج وداخل معسكرات اللاجئين.

وكـان لانتشـار فيروس الإيدز أثره الواضح عن المرأة في كل من قبيلتي الهوتـو والتوتسي حيث تمثل القوة الاقتصادية في المجتمع ، وبذلك أضعف المرض مـن قدراتهـا على العمل نتيجة المرض أو نتيجة ضياع الوقت في مراسم الدفن أو زيارة المرضى علاوة على موت أعداد كبيرة من الأطفال في سن العمل وبذلك شكل ذلـك عبـئاً كبيراً على اقتصاديات رواندا ، حيث تشكل المرأة حوالي ٦٠% مـن

جملة السكان إضافة إلـــى ذلك انتشار الأمية والجهل بطرق الوقاية وقلـــة الخدمات الصحية[٩] .

تأثير الحرب على النساء الرونديات :

كـــان للحرب تأثيرها البالغ على النساء ، رغم أن الرجال كانوا هم الأهداف الرئيسية إلا أن النساء قد تعرضن لخطر الحرب بشكل واضح لاسيما نساء التوتسي، وعلـــى الرغم من ارتباط قبيلتي الهوتو والتوتسي بعلاقات زواجية حيث يسود نظام الـــزواج الخارجـــي لـــدى كلـــتا الجماعتين ، فلم يقتصر تأثير الحرب على النساء التوتســـيات المـــتزوجات مـــن رجال الهوتو أو نساء الهوتو المتزوجات من رجال التوتسي وأيضاً استهدفت في حرب الإبادة نساء الهوتو اللائى حاولن الدفاع عن نساء التوتسي لارتباطهن معاً بروابط صداقة اجتماعية نتيجة الجوار في السكن .

تعرضت النساء الرونديات لاسيما من قبيلة التوتسي لشتى أنواع العذاب مثل الجوع والحرمان والترمل وفقد العائلة وأيضاً فقد العلاقات الاجتماعية التي تربط بين المـــرأة فـــي الهوتـــو والتوتســـي وأكثر من ذلك تعرض عدد كبير من النساء للقتل والاغتصاب المخطط له من قبل الهوتو .

أما النساء اللاتي نجون من الموت فقد واجهت الحرمان الاقتصادي حيث أن الوضـــع الاقتصـــادي للمـــرأة يرتبط بشبكة العلاقات الاجتماعية التي دمرت أثناء الحـــرب، لـــذا تركت النساء بعد موت أزواجهن معدمات تماماً نتيجة الحرمان من الملكية سواء ملكية الأراضي الزراعية أو ملكية الماشية وحتى ملكية البيت التي تظل جميعها ملكاً للرجل وعائلته ، وبوفاة الزوج تنتقل الملكية إلى عائلته وتحرم الزوجة الأرملة من حق الاستقلال .

وقد وجدت المرأة الروندية في كلتا الجماعتين نفسها مسئولة عن عدد كبير من الأطفال الذين فقدوا ذويهم علاوة على عدد من كبار السن في عائلتها وشكل ذلك عبئاً اقتصادياً كبيراً إضافة إلى أعبائها التقليدية ، وقد أعاقت القيود القانونية العرفية المـــرأة من القيام بمهام تمكنها من تحمل هذه الأعباء مثل العمل بالتجارة وغيرها ،

ويؤكد الفولكلور الرواندي على شدة المعاناة التي تعرضت لها المرأة ويظهر ذلك في الأمثال الشعبية .

Ugira ijambe Yambaye injamba

وتعني لأحد يستطيع الكلام علناً عن المعاناة والملابس الممزقة ، وأيضاً من خلال التعبير اللغويTwarababaye وتعني عانين (المعبرة عن المعاناة)[١٠] .

وعلـــى الـــرغم مـــن المناداة بعدم التمييز العرقي بين الهوتو والتوتسي بعد الحـــرب إلا أن النساء التوتسيات اللائى لازلن على قيد الحياة تشككن في ذلك نتيجة المعانـــاة التـــي تعرضن لها على يد الروانديين الهوتو ، وانعكس ذلك في الإحساس بعدم الأمان نتيجة الزواج المختلط حيث وجدت الأرامل التوتسيات أو العكس نفسها أمام عائلة الزوج الذين رفضوها قبل ذلك .

وظهـــر واضـــحاً عدم التجانس بين النساء الروانديات العائدات من المنفي، فالمنفيون الذين عاشوا في أوغندا وتنزانيا يتكلمون اللغة الإنجليزية ويواجهون محيطاً اجتماعيا مختلفاً عن أولئك الذين عاشوا في بوروندي أو الكونغو ويتحدثون الفرنسية وواجهـــوا بيـــئة اجتماعية وثقافية تختلف عن الجماعة الأخرى ومن ثم كانت هناك عزلة اجتماعية واضحة لاسيما بين النساء[١١] .

ويختلف الوضع عند النساء في معسكرات اللجوء حيث يظهر نمط جديد من الزيجات تتمثل في زيجات الأطفال حيث يرتبط المراهق بعلاقة زواجية مع طفلة أو حتى كبار السن وانتهت هذه العلاقات بانتهاء معسكرات اللاجئين ، لذا وجدت المرأة الطفلـــة نفســـها بعد الحرب أمام مسئولية كبيرة تتمثل في توفير سبل الحياة وأبقائهم للصـــغار على قيد الحياة وأيضا تزويد كبار السن في عائلتها بالضروريات . أى أن الحـــرب قـــد أفرزت شكلاً جديداً للأسرة الرواندية حيث نمط العائلات التى ترأسها المرأة الطفلة أو المراهقة .

كـــان وضع المرأة في الريف الرواندي أفضل بكثير من المرأة في الحضر حيث اعتادت المرأة على العمل الزراعى وتحقيق الاكتفاء الذاتي من ناتج الزراعة ، إلا أن المـــرأة في الحضر بدأت في القيام بأعمال غير مألوفة لها من قبل مثل العمل

في مواقع البناء وأيضا العمل ببعض الأعمال التجارية التي كانت محرومة منها من قبل نتيجة القانون العرفي الذي يحرمها من العمل التجاري إلا من خلال الزوج .

وعلى الرغم من تغير لأدوار في المجتمع الرواندي بعد الحرب إلا أن النظام الأبــوي مــازال هــو السائد بل وعززت الحرب تبعية النساء للرجال رغم قيامهن برئاسة العائلة بعد موت أو سجن الزوج حيث تشير الإحصائيات أنه في سنة ١٩٩٦ كانــت هناك أكثر من ٣٤% من الأسر ترأسها النساء واختلفت النسبة في الولايات الأثنى عشر المكونة لرواندا ، تشكل الأرامل النسبة الأكبر منها .

وقد عانت النساء أيضاً من عدة مشاكل تتمثل في أن المجتمع الرواندي كان يعيش دون حد الفقر حيث يفتقر أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ شخص إلي السكن وهذه تشكل أكــثر المشــاكل إلحاحــاً في المجتمع علاوة على النقص الواضح في الغذاء، حيث وجــد أن حوالي أكثر من ١٠% من السكان يحتاجون إلى مساعدات غذائية في سنة ١٩٩٥ - ١٩٩٦ . أيضــا هــناك حوالي ٣٤٠,٠٠٠ طفل يحتاجون إلى مساعدات عاجلــة . وهذه الإحصائيات تشير فقط إلى الأسر الأكثر ضعفاً وحاجة والتي تواجه نقــائص الغذاء المزمنة حيث لا تستطيع الحصول على الضروريات الأساسية مثل الملح والصابون والملابس والرعاية الصحية[١٢] .

وأكــثر المشاكل التي واجهت المرأة أثناء وبعد الحرب هي قلة فرص العمل علاوة على ضعف الإنتاجية نتيجة الإصابة بمرض الإيدز ، كذلك فأن ملكية العائلة مــن الأرض الزراعــية والــى تقوم النساء باستغلالها لم تتعدى النصف هكتار في الغالــب مما شكل عبئاً اقتصادياً بالغاً على المرأة سواء الأرملة أو المرأة الطفلة أو المراهقة .

وقد ساد في المجتمع الرواندي بعد الحرب نمط الزواج الليفراتي Levirate أى زواج الأخ بأرملــة أخيه حتى تتمكن المرأة من البقاء في عائلة الزوج وضماناً للحفاظ على المسكن وحق استغلال أرض الزوج . لكن ظلت مشكلة النساء العائدات مــن معســكرات اللاجئين قائمة حيث منعت بعض الأرامل من الوصول إلى أرض الزوج لأن زواجها لم يكن مسجلاً أو أن الزواج قد حدث داخل معسكر اللجوء أو أن

الزوج قد هرب إلى الكونغو . كذلك ساد في أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات من القـــرن العشـــرين نمط جديد للزواج لا يمكن تسجيله لأن النمط الشائع يرتبط بدفع المهـــر ومع ارتفاع قيمة المهور فإن معظم الزوجات التى تمت في هذه الفترة كانت غـــير مســـجلة ولـــذا فقدت المرأة جميع حقوقها من الزواج بعد العودة من معسكر اللجوء.

الوضع الجديد للمرأة الرواندية بعد الحرب :

على الرغم من أن المرأة في المجتمع الرواندي التقليدي كانت محرومة من حقهـا فـي الممارسات السياسية أو أخذ دور سياسي مميز في المجتمع بل واقتصر دورها على دورها الطبيعى كأم وزوجة وكعنصر فعال في تحقيق الأمن الغذائي في المجتمع ، إلا أن هذا الدور قد شمله التغيير التام بعد سنوات الحرب لاسيما مع زيادة أسـعار المواد الغذائية وارتفاع معدلات الفقر بشكل واضح وثقل الأعباء على المرأة نتيجة ترأسها الكامل للأسر في غياب الرجال نتيجة الموت أو السجن أو النفي خارج رواندا .

لـذا شـجعت الحكومة وأيضا المنظمات الدولية غير الحكومية على مناقشة النصوص القانونية التى تنظيم حياة المرأة في المجتمع .

وضـمن القانون الجديد للمرأة بأن ترث حصة من ملكية الآباء سواء كانت أرض زراعـية أو ماشـية أو مسكن أيضا لها الحق في أن ترث حصة أخرى من الزوج تمكنها من تحمل الأعباء المخولة إليها لاسيمـا وأن المرأة شريك أساس في عملية التنمية والبناء في فترة ما بعد الحرب(١٣).

أيضا تحقق للمرأة وضعاً سياسياً جديداً لم يكن مألوفا من قبل ، حيث نودي بتمثـيل المرأة في كان الأنشطة السياسية المحلية إلا أن النساء مازلن ضعيفات في عملـية اتخـاذ القرار على المستوى المحلى وهذا يرجع إلي الإرث الثقافي التقليدي الـذي تعلمـته المرأة من خلال تنشئتها في مجتمع يقوم أساساً على السلطة الأبوية وتبعيتها الدائمة لقرارات الأب أو الزوج . ومع ذلك فقد اشتركت النساء في صياغة وتطبـيق بعد السياسات المحلية التى تؤثر على المرأة بوجه خاص والتي تتمثل في ثلاثة تحديات ضرورية هي الفقر والتربية ومعرفة القراءة والكتابة .

ويعـد الفقر أول التحديات التى واجهت المرأة عند كل من الهوتو والتوتسي بعـد الحـرب ، ففي سنة ٢٠٠٠ أى بعد ستة سنوات من الحرب والإبادة الجماعية ظلت مشكلة الفقر أكثر المشاكل حدة ، ولو أن بعض المناطق قد تحسنت نسبياً نتيجة الجهـود الحكومـية والوضع الاقتصادى المميز الذى تقوم به المرأة ، إلا أن جيوب

الفقــر اســتمرت في عدد كبير من المناطق نتيجة عدم قابلية الأشخاص إلى تسويق المنتجات الزراعية على الرغم من الإنتاج المتزايد(١٤) .

وتدخــل مشكلة الغذاء كمشكلة هيكلية لدى المجتمع لاسيما العناصر الأكثر ضعفاً وهى النساء اللائى تعرضن لمشكلات اقتصادية واجتماعية تجعل لتوفير الغذاء ضرورة ملحته لهن لتخفيف الأعباء لاسيما أعباء الأطفال وكبار السن .

ورغــم أن المجتمع الرواندي التقليدي كان يركز من خلال القانون العرفي علـــى ضـــرورة احـــترام العلاقات الجنسية ويحارب الزنا إلا أن بعد الحرب زادت الدعارة بشكل واضح ليس فقط بين النساء الشابات لكن أيضا بين المرهقات وكبار السن من النساء ، أيضا انتشرت الدعارة في المناطق الريفية التى كان من النادر قبل الحـــرب حدوثها قبل الحرب ، إلا أن ذلك أصبح شكلاً شائعاً نتيجة غياب الزوج أو الأب مـــع انتشار الفقر ولذلك تغيرت الأعراف والقيم التقليدية في المجتمع ولم يعد مـــنظور الإحساس الأخلاقي كمؤشر اجتماعي واضح ومميز في المجتمع بل أيضا فرضـــت الظروف الاقتصادية ذلك حيث أصبحت تجارة الجنس شكلاً شائعاً ومقبولاً في المجتمع.

ورغم الإدراك الكامل بأخطار عدوى فيروس نقص المناعة / الإيدز إلا أن العديد من النساء يتصورن أنه لا طريق آخر لتحقيق الدخل سوى ذلك .

أما التربية ومعرفة القراءة والكتابة

يفــتقر المجــتمع الرواندي التقليدي إلى نظم التربية الرسمية لاسيما للإناث حيث يشير المدلول التقليدي إلى أن مدرسة الفتاة هي المنزل وكيفية إعدادها للزواج والأمومـــة، إلا أنـــه بعـــد الحرب ومن مواجهة الظروف الاقتصادية الصعبة التى تعرضـــت لهـــا النساء وجدت الهيئات غير الحكومية والحكومية معا ضرورة تعليم المرأة لكي يمكنها مواجهة الأعباء التي تقع على عاتقها ، إلا أن تعليم الفتيات مازال يواجـــه مجموعة من الصعاب ممثلة في نقص المدرسين مع عدم القدرة على توفير نفقـــات التعليم لدى معظم الأسر الروندية لاسيما في القرى، وأيضا لأن المرأة تمثل قـــوة اقتصـــادية كبـــيرة في المجال الزراعى ومن ثم كانت نسبة تسرب الإناث من

التعلـيم كبـيرة لاسـيما في المناطق الريفية في مرحلة التعليم الأساسي ، ففي سنة ١٩٩٥-١٩٩٦ كانـت نسبة التسرب من الدراسة في امتحانات السنـة النهائية من التعليم الأساسي حوالي ٨٤%[٥٠].

وهذا يعني أن مشكلة التعليم بصفة عامة تشكل أكبر المشكلات لدى المجتمع الرواندي وأكثرها حدة هي مشكلة تعليم الإناث في ظل النظام التقليدي.

دور المرأة في إعادة بناء المجتمع الرواندي

لا يتطلــب إعادة بناء المجتمع في رواندا فقط إعادة البناء التحتي والاقتصاد الطبيعـــي فقــط لكن يتطلب ذلك أيضاً إعادة بناء النسيج الاجتماعي والأخلاقي فبعد حوالـــي ٩ ســـنوات من الحرب والإبادة الجماعية تبقى رواندا مجتمعاً منقسماً بشدة انقسامات ليس فقط بين الهوتو والتوتسي ، لكن أيضاً بين المجموعات المختلفة داخل المجــتمع ، على سبيل المثال استمرت النزاعات القديمة بين الهوتو المعتدل والهوتو المتطرف الذي مازال يدعم العقيدة الإبادية للتوتسي أيضاً ظهرت نزاعات جديدة بين اللاجئيــن من كبار السن (التوتسي الذين عادوا إلى رواندا في ١٩٩٤ بعد عقود من المــنفى) واللاجئون الجدد (الهوتو الذي عادوا في ١٩٩٦- ١٩٩٧ من المعسكرات فـــي تنزانـــيا وزائـــير) هـــناك أيضاً توترات بين الباقين على قيد الحياة من الإبادة الجماعــية والذيـــن يتطلب منهم نسيان ما تعرضوا إليه أثناء الحرب وبعض عائدي التوتسي الذين يزعمون بأن رواندا يجب أن تركز على المستقبل أكثر من الماضي ، كذلــك فـــإن الانقسامات يجب أن تتجاوز الهوية العرقية فهناك انقسامات ثقافية بين الريفي والحضري وأيضاً انقسامات أساسية في صياغة وتطبيق السياسات الحكومية وفـــي المنظمات الغير حكومية، لذلك فالانقسامات متعددة داخـــل المجتمع الرواندي بـــل وأبعد من العلاقة بين الهوتو والتوتسي (١٦) .

ويتطلـــب إعـــادة بناء المجتمع تحقيق المصالحة الوطنية، ويخفق العديد من الروانديين في تفسير معنى المصالحة ، ففي الثقافة المحلية يعنى بها أن يأخذ المظلوم بـــيد الشـــخص الذي ارتكب الخطأ ويغفر له الخطأ ومن ثم فمن الصعب تحقيق ذلك نتـــيجة المعاناة التي تعرضت لها جماعة التوتسي والتي قضت على أكثر من مليون شخص ، مع عدم اعتراف الهوتو بارتكاب هذه الجريمة.

ويأخذ مفهوم المصالحة وإعادة البناء عند النساء شكلاً مختلفاً ، فالمرأة عندها دور خـــاص للاشتراك في هذه العملية وهي كيف ساهم كل من الهوتو والتوتسي في تحقـــيق الأزمـــة لا ســـيما وأنهـــم يعيشون في منطقة واحدة وبينهم علاقات زواج ومصاهرة.

وأبـــرز الأدوار التـــي تقوم بها النساء في رواندا هي الاشتراك في المشاكل المشـــتركة وكيفـــية التغلـــب عليها مثل المشاكل الصحية والتغذية والمياه والاهتمام بالأطفـــال الأيـــتام والمعوقيـــن ، وجميع هذه المشكلات أكثر صعوبة في الأزمات اقتصـــادية والاجتماعية التي تبعت الإبادة ، كما يشترك النساء في ضعف الممارسة السياسية الرسمية ضمن النظام السياسي السائد للتأثير على القرارات التي تؤثر على حياتهـــن ، فالكفاح المشترك والقضايا المشتركة حول الحرب والترمل والاغتصاب والحمل تشكل محور الاهتمام الرئيسي لدى المرأة عند كل من الهوتو والتوتسي لذلك لا يمكن لهن الاستمرار في أن يكونوا ضحايا للحروب في المستقبل بعض اتخاذ كافة السبل لتفادي هذه الأزمة مرة أخرى .

وتمتلك المرأة الرواندية من الأدوات التي تمكنها من العيش ضمن الجماعات العرقية على المستوى المحلي ، وكانت للجان تحسين حياة النساء دور هام في عملية إعـــادة البـــناء حيث قامت بجهود عديدة في مجال التنمية الزراعية ، وأيضاً الدور البارز في عملية المصالحة ومشروعات التنمية المستدامة وذلك لأن المرأة الرواندية يقع عليها العبء الأعظم في العمل الزراعي(١٧).

ومع تغير موقع المرأة في المجتمع وذلك بتبني أدواراً جديدة تساعدهم على العطـــاء والبقاء ، فإن مهمة التغيير الاجتماعي على الرغم من أنها عملية بطيئة لا ســـيما فـــي المجتمع التقليدي إلا أنها تقع على عاتق المرأة التي تقوم بتلقين الأجيال الجديدة الخبرات السابقة ، لذا تواجه المرأة ضمن عملية التنشئة تحديات كبيرة ممثلة في تخفيف حدة الصراع العرقي بين شطري المجتمع الرواندي (الهوتو – التوتسي) مع التشجيع الدائم للقيام بأدوارهن الجديدة كرؤساء للأسر وكممثلون في عملية اتخاذ القرارات وإعادة البناء بعيداً عن التمايز والتحيز العرقي.

الخاتمــــة:

شـــكلت الحــــرب والإبادة الجماعية منذ سنة ١٩٩٤ عبئاً اقتصادياً وسياسياً واجتماعــياً على المجتمع الرواندي عامة وعلى المرأة بصفة خاصة؛ حيث أفرزت مشـــكلة الفقر التي انعكست بشكل واضح على المرأة وزادت من أعبائها خاصة بعد مـــوت أو سجن الزوج والطرد من العائلة، أيضاً كانت الحرب أثر واضح في تقسيم المجــتمع من جديد وتحطم الثقة بين الجماعتين العرقيتين (الهوتو والتوتسي) وترك تراث كبير من الخوف والكراهية بينهما.

وعلـــى الـــرغم مـــن الصدمة التي تعرضت لها النساء الرونديات إلا أنهم ســـاهموا بشكل واضح في إعادة بناء البناء التحتي الطبيعي للبلاد وإعادة بناء نسيج البلاد الاجتماعي الرث في السنوات منذ ١٩٩٤ وذلك لدعم أنفسهن وأطفالهن ، وقد خلقـــت الأزمـــة الشروط الضرورة للبقاء وذلك من خلال تبني أدوار جديدة وإعادة تشكيل النمط التقليدي الذي يحرم على النساء في الماضي التسلق على السلم لأن ذلك يعتبر عملاً غير لائق للمرأة القيام به ، بل وعملت المرأة في مواقع العمل في تعمير المدينة.

أيضـــاً قامت المرأة عند كل من قبيلتي الهوتو التوتسي بتجارة الغذاء والسلع الأخـــرى في الأسواق الريفية والحضرية والمحلات التجارية ، وأيضاً لعبت النساء دور مهـــم فـــي إعادة بناء عائلاتهم وجماعاتهم العرقية على أسس من عدم التمييز العرقي حتى لا تتعرض لأشكال العنف. وكان للتشجيع على التعليم لا سيما في المدن الكبرى مثل كيجالي أثره الواضح على وضع المرأة وطريقة ممارستها لحياتها التي اختلفـــت في ظل أنظمة الملكية وأيضاً النظام القانوني الجديد الذي أعطى لها دوراً واضحاً في عملية اتخاذ القرار رغم أن هذا الدور مازال مقيداً بالممارسات التقليدية التـــي تدربت عليها المرأة منذ الطفولة من خلال دورها التابع للرجل في المجتمع . ومازال أمام المرأة الرواندية الكثير لكي تعيد بناء نفسها أولاً ثم بناء مجتمعها ثانياً.

المراجع

1- Hamilton, Heather B., Rwanda's women, The key to Reconstruction, the Journal of Humanitarian Assisttance washington .

www.oau-oau.org/

2- Catharine Newbury, Aftermalk, women in Postgenocide Rwanda, Center for development information and Evaluation, washington, 2000, p.8 .

3- Ibid., pp. 9-10 .

4- Drumtra, J., life After death : Suspiction and Reintegration in post – Genocide Rwanda, washington, Dc: 1997, p. 28 .

5- Ciabattari, Jane : from Rwanda's Ashes, women are building A new,2000, p. 2 .

www.rwandai.com/government/mewsupdate.htn

6- Ibid., p. 4 .

7- Bailikungeri, M., Good practice on Dealing with Gender-Based violence Rwanda case, Nirobri, 1999, p. 22 .

8- The world Bank. Rwanda poverty Note, Rebuilding an Equitable society: Poverty and poverty Reduction after Genocide, No. 17792 – Rw, 1998 .p. 15 .

9- Ibid., p. 17 .

10- USAID, Rwanda woman Communal funds (wcf) Decenttralizing, Kegali, Rwanda, 1999, p. 13 .

11- Ibid., p. 20 .

12- Landsman, Peter: Rwanda's: Rwanda's wamen, www.mothersones.com

13- Afriica Rights, Rwanda, Death, Despair and Defiance, London 1995. p.28 .

14- Hamilton, Heather, op-cit, .

15- Drumtra, J, op-cit., p31 .

16- Ibid., p. 32 .

ندوة التونسي وأزمة البحيرات العظمى "، معهد البحوث والدراسات الأفريقية
جامعة القاهرة ، ٢١-٢٣ ابريل ٢٠٠٣ : ص ٢١٦ :

أزمة الطاقة فى إقليم البحيرات العظمى

د.سلطان فولى حسن *

الموقع والامتداد والخصائص الجغرافية للاقليم :

* يقـــع إقليم البحيرات العظمى فى شرقى أفريقيا، ويضم الدول التى تحيط ببحيرات كـــيفو ــ تنجانيقا وفكتوريا ويشمل كل من بورندى ــ رواندا ــ كينيا ــ أوغندا ــ تنزانيا.
* ويحد الإقليم من الشمال كل من إثيوبيا والسودان بينما يحده من الغرب زائير ومن الشرق الصومال والمحيط الهندى أما من الجنوب فيحده كل من موزنبيق وملاوى وزامبيا. وفلكيا يمتد الإقليم من دائرة عرض ٥ ش إلى دائرة عرض ١٢ °ج على حين يمتد بين خطى طول ٣٠ إلى ٤٠ شرقاً. ويمر خط الاستواء بالنصف الشمالى من الإقليم. ويضم الإقليم ثلاث دول حبيسة هى أوغندا ورواندا وبوروندى.
* وتقدر المساحة الإجمالية للاقليم بنحو ١,٧٦ مليون كم٢ أى مايعادل نحو ٥,٨% من إجمالى مساحة القارة الأفريقية، وتتباين المساحة من دولة إلى أخرى، وتعد تنزانيا أكبر دول الإقليم مساحة إذ تصل مساحتها إلى نحو ٨٨٤ الف كم٢ أى مايعادل نحو نصف مساحة الإقليم، وتأتى كينيا فى المركز الثانى بعد تنزانيا وتشغل الدولتان نحو ٤/٥ مســـاحة الاقلــيم، وعلى الجانب الأخر تعد رواندا أصغر دول الإقليم اذ تقدر مساحتها بنحو ٢٦ ألف كم٢ وتقاربها بورندى فى المساحة تقريبا.(١)

---

* أستاذ الجغرافيا الاقتصادية المساعد بقسم الجغرافيا ــ معهد البحوث والدراسات الأفريقية.

* ويقطـــن الإقليم فى عام ٢٠٠٠ بنحو ١٠٢ مليون نسمة أى مايزيد عن ١/٨ سكان القـــارة مماجعل الإقليم من أعلى أقاليم القارة الأفريقية سكاناً إذ تصل الكثافة العامة بـــه الـــى نحـــو ١٤٠ نسمة/ كم٢ وهو بذلك يفوق باقى الأقاليم الأفريقية الأخرى كثافة.(٢)
* وتـــأتى تنزانـــيا فى المركز الأول بين دول الإقليم من حيث الحجم السكانى إذ قدر عدد سكانها فى عام ٢٠٠٠ بنحو ٣٥,٣ مليون نسمة وهو مايعادل نحو ثلث سكان الاقلـــيم، علـــى حيـــن تحتل كينيا المركز الثانى بحجم يزيد على ٣٠ مليون نسمة وبنســـبة تصـــل إلى نحو ٣٠% من إجمالى سكان الإقليم وتأتى أوغندا فى المركز الثالث بحجم سكانى قدر ٢٧ مليون نسمة أى مايعادل نحو ٢٢% من سكان الإقليم ويقـــدر ســـكان رواندا بنحو ٧,٢ مليون نسمة على حين قدر عدد سكان بوروندى بنحو ٦,١ مليون نسمة.

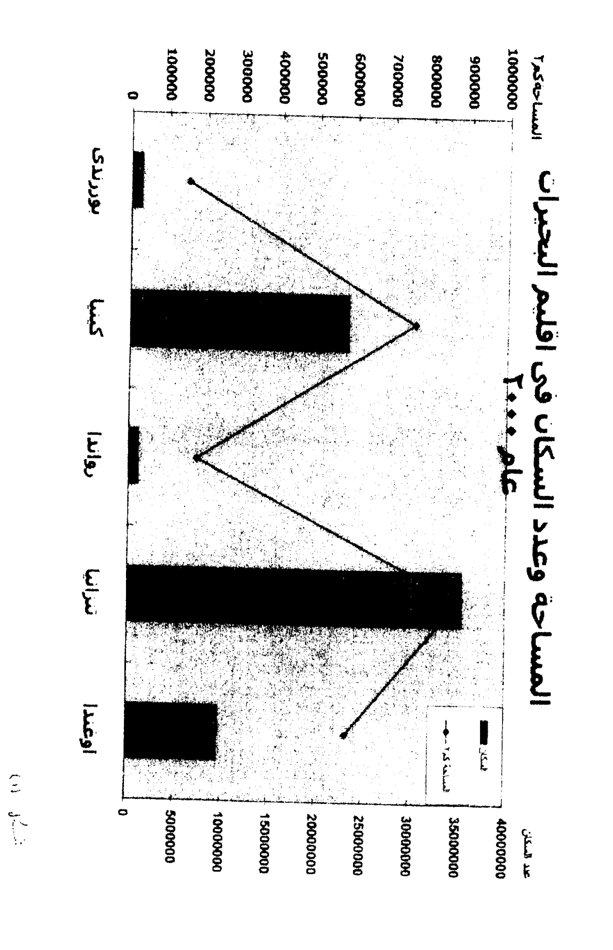
ويمكن أن نبين ذلك من خلال الجدول رقم (١) والشكل البيانى رقم (١)

المساحة وعدد السكان

فى إقليم البحيرات العظمى عام ٢٠٠٠(٣)

الدولة	المساحة كم٢	السكان مليون نسمة	الكثافة العامة
بوروندى	٢٧٨٣٤	٦,١	٢١٩
كينيا	٥٨٠٣٦٧	٣٠,٣	١٣٥
رواندا	٢٦٣٣٨	٧,٢	٢٧٣
تنزانيا	٨٨٣٧٤٩	٣٥,٣	٩٧
أوغندا	٢٤١٠٣٨	٢٣,٣	٢٥٦
الجملة	١٧٥٩٣٢٦	١٠٢,٢	١٤٠

شكل رقم (١)


المساحة وعدد السكان في اقليم البحيرات عام ٢٠٠٠
المساحة كم٢
عدد السكان
السكان
المساحة كم٢
بوروندي
كينيا
رواندا
تنزانيا
اوغندا
1000000
900000
800000
700000
600000
500000
400000
300000
200000
100000
0
4000000
3500000
3000000
2500000
2000000
1500000
1000000
500000
0

* وكمـــا سبق أن ذكرنا فإن الإقليم يعد من أعلى اقاليم القارة الأفريقية كثافة ســكانية إذ يصـــل متوســط الكثافة العامة الى نحو ١٤٠ نسمة/ كم٢ مع ملاحظة تباين الكثافة بين الوحدات السياسية المكونة للإقليم. وتصل الكثافة إلى أقصاها فى رواندا والتى قدر متوسط الكثافة بها بنحو ٢٧٣ نسمة/ كم٢ على حين تحتل أوغندا المركز الثانى بمتوسط كثافة قدر بنجو ٢٥٦ نسمة/ كم٢ أما فى بوروندى فتصل الكثافة إلى نحو ٢١٩ نسمة/ كم٢.
* ولاشــك أن هــناك مســاحة كبيرة من الإقليم تغطيها البحيرات والغابات والمــناطق الجبلــية الشاهقة مما جعل الكثافة الفعلية أعلى من ذلك بكثير وتضع الإقليم كواحد من أعلى أقاليم القارة كثافة.
* ويقــدر الناتج المحلى الإجمالى فى عام ١٩٩٩ بنحو ٢٨ مليار دولار مما يجعل الإقليم من أفقر أقاليم العالم ويمكن تفسير ذلك بفقر الإقليم فى الموارد المعدنــية ومــوارد الطاقــة والاعــتماد الكبير على عائدات مجموعة من الحاصــلات النقدية التصديرية إلى جانب سيادة نمط الزراعة المعيشية فى الإقليم حتى الصناعات التى قامت فى الإقليم فهى صناعات محدودة أغلبها يعــانى مــن العديد من المشاكل وعدم توفر قطع الغيار والصيانة اللازمة ومــن ثم كانت مساهمتها فى الناتج القومى الاجمالى محدود للغاية هذا إلى جانب عدم الاستقرار السياسى و الحروب الأهلية فى العديد من دول الاقليم من زمن طويل وحتى الأن.
* ولاشك أن العوامل السابقة أدت إلى جعل دول الإقليم ضمن أفقر دول العالم حســب التصــنيفات الــتى وضعت من قبل البنك الدولى أو الأمم المتحدة أوغيرها.
* وتقوم كل من كينيا وأوغندا وتنزانيا فى الوقت الحاضر بإعادة إحياء اتحاد شــرق أفريقيا المعروف بالأياك EAC (East African community) والــذى كــان قائمــا من قبل وتم حله فى عام ١٩٧٧ لاختلاف الظروف السياسية والاقتصادية.

* وتنص اتفاقية الأياك الجديدة التى اتفق عليها فى عام ١٩٩٩ وتم التصديق عليها فعليا فى يناير ٢٠٠١ على إقامة اتحاد جمركى خلال السنوات الأربع القادمـــة ثـــم يتم بعد ذلك اقامة سوق مشتركة وكذلك تم مناقشة إقامة اتحاد سياسى وتوحيد العملة خلال العشرين عاما القادمة، وتسعى كل من رواندا وبورندى للانضمام إلى الأياك.[٤]
* إلى جانب الأياك فإن كل من رواندا ــ بورندى ــ كينيا ــ أوغندا أعضاء فـــى تجمع الكوميسا الذى تشكل فى عام ١٩٩٤ والذى يتكون من ٢٠ دولة وقـــد انســـحبت منه تنزانيا فى عام ٢٠٠٠ والتى تمثل العضو الوحيد من الإقليم فى التجمع الاقتصادى لدول الجنوب الأفريقى (السدك).
* ويعـــد الإقليم من أفقر أقاليم القارة الأفريقية من حيث مصادر الطاقة إنتاجاً واستهلاكا، بل إنه يمكن القول أن الاقليم يعانى من أزمة حقيقية فيما يتعلق بالطاقـــة والـــتى تعد الأساس سواء كمادة خام أو أولية أو جزء من البنية التحتـــية اللازمـــة لنجاح برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الإقليم ولعل من أهم مظاهر ذلك:
- انخفاض نصيب الإقليم من اجمالى انتاج الطاقة التجارية إذ قدر إجمالى الإنتاج بنحو مليون طن مترى معادل بترول فى عام ١٩٩٩ أى مايعادل نحو ٠,٧% من إجمالى انتاج القارة الأفريقية علماً بأن الإقليم يقطنه نحو ٨/١ ســـكان القـــارة وهو أقل من إنتاج دولة واحدة من الدول الأفريقية المنتجة للنفط.
- لاتنـــتج أى مـــن دول الإقلـــيم البترول وتعتمد دول الإقليم على استيراد البترول الخام والمكرر من الخارج ولاسيما من دول الخليج العربى وإن كـــان الغـــاز الطبيعى قد بدأ اكتشافة فى كل من تنزانيا ورواندا بكميات محـــدودة ولـــم يبدأ الإنتاج بعد وكذلك لاتنتج دول الاقليم الفحم بكميات تذكر.
- علـــى الـــرغم مـــن وقوع دول الإقليم فى قلب الإقليم الاستوائى وتوافر

إمكانات كامنة لتوليد الكهرباء المائية الا أن انتاج الاقليم من الكهرباء المائية يعد ضئيلاً للغاية – وإن كانت الكهرباء تمثل أهم مصدراً منتجاً من الطاقة التجارية فى الإقليم.

- انخفاض نصيب الفرد من الطاقة التجارية بشكل واضح بل أنها تعد من أقـل معـدلات نصيب الفرد فى العالم ويرجع ذلك إلى ضعف الانتاج المحلـى مـن الطاقـة إلـى جانب انخفاض مستويات المعيشة وعدم الاسـتقرار السياسـى والاقتصـادى فـى معظم دول الإقليم إلى جانب الاعتماد الأساسى على القطاع الزراعى.
- لاتـزال المصادر الأولية ممثلة فى أخشاب الوقود تمثل أساس استهلاك الطاقة فى الإقليم ليس فى المناطق الريفية فحسب بل ايضاً فى المناطق الحضرية بل أن الإقليم يعتبر من أكبر اقاليم القارة اعتمادا على أخشاب الوقود إذ يصل نصيبة إلى نحو ٢٠% من انتاج القارة.
- لاتوجـد فى الإقليم أى مصادر للطاقة الحديثة كما هو الحال فى الطاقة الـنووية أو مصـادر الطاقة المتجددة كما هو الحال فى الاعتماد على الطاقـة الشمسـية أو طاقـة الرياح وإن وجدت فبكميات لاتزكر وفى أغراض محدودة للغاية كما هو الحال فى بعض مراكز التبشير أو بعض المستشفيات.

إنتاج الطاقة التجارية فى الإقليم:

* قـدر اجمـالى انـتاج الطاقة التجارية فى إقليم البحيرات العظمى فى عام ١٩٩٨ بـنحو ملـيون طن مترى يعادل بترول أونحو ٠,٧% من إجمالى انتاج القارة الأفريقية ويتمثل الإنتاج بصفة أساسية فى إنتاج الكهرباء سواء كانت الكهرباء المائية أو الحرارية أو الحرارية الأرضية على حين لايساهم الإقليم فى إنتاج الوقود الصلب أو السائل أو الغاز وإن كانت تنزانيا وروانداً قـد توصـلت إلى وجود اكتشافات من الغاز الطبيعى كما ينتج فى تنزانيا كمـيات محدودة للغاية من الفحم وهو ماسيأتى ذكره بالتفصيل عند الحديث عن الفحم(٥).

* وتعـد كينــيا أكبر دول الإقليم انتاجاً للطاقة التجارية إذ قدر انتاجها بنحو ٧٥٥ ألــف طــن مترى معادل بترول تأتى كلها من مجموعة من محطات تولــيد الكهــرباء سواء المائية أو الحرارية أو الحرارية الأرضية ويشكل انتاج كينيا مايقرب من ثلاثة أرباع إنتاج الإقليم من الطاقة التجارية.
* وتحــتل تنزانيا المركز الثانى بعد كينيا بحجم انتاجها البالغ ١٣٣ ألف طن مــترى معادل بترول يأتى أغلبها من الكهرباء بنوعيها على حين لايساهم الفحــم الا بنحو أربعة آلاف طن، وتجدر الاشارة إلى أن إنتاج تنزانيا من الطاقة التجارية يشكل نحو ١٣% من إجمالى إنتاج الإقليم.
* وتساهم أوغندا بنحو ١٠,٦% من إجمالى إنتاج الإقليم من الطاقة التجارية وبحجــم إنتاج قدر بنحو ١٠٩ ألف طن مترى معادل بترول تأتى كلها من الكهــرباء المائــية التى يتم توليدها من مجموعة من المحطات التى أقيمت على بعض المساقط المائية على نهر النيل.

وممكن أن نتبين ذلك من الجدول.

إنتاج الطاقة التجارية فى إقليم البحرات العظمى ١٩٩٨

(بالألف طن مترى معادل بترول [٦])

الدولة	الاجمالى	الصلب	السائل	الغاز	الكهرباء
بورلدى	١٥	٤	-	-	١١
كينيا	٧٥٥	-	-	-	٧٥٥
روإندا	١٤	-	-	-	١٤
تنزانيا	١٣٣	٤	-	-	١٢٩
أوغندا	١٠٩	-	-	-	١٠٩
الجملة	١٠٢٦	٨	-	-	١٠١٨

* ويتضــح مــن الجدول انخفاض نصيب كل من رواندا وبورندى فى إنتاج الطاقة التجارية فى الإقليم حيث قدر إنتاج الطاقة التجارية فى رواندا بنحو ١٤ ألف طن مترى معادل بترول أى مايعادل نحو ١,٣% من إنتاج الإقليم

وفـــى الوقت نفسة قدر إنتاج بوروندى بنحو ١٥ ألف طن مترى معادل بترول أى مايعادل نحو ١,٥% من إنتاج الإقليم.

* وتجــدر الإشارة إلى أنه نظراً لافتقار الإقليم فى إنتاج الطاقة التجارية فإنه يعــتمد على الاستيراد من الخارج لاسيما استيراد البترول الخام والمكرر. وقد قدر إجمالى واردات الإقليم من مصادر الطاقة التجارية بنحو ٥ مليون طـــن مترى معادل بترول تستورد منها كينيا نحو ٧٢% ممثلة فى البترول الخــام والمشــتقات إلـــى جانب كميات محدودة من الفحم اللازم لصناعة الأسمنت وبعض الصناعات المعدنية.
* على حين يصل مقدار ماتستورده تنزانيا من الطاقة التجارية إلى نحو ثلاثة أربـــاع المليــيون طـــن يتمثل فى البترول الخام الذى يتم تكريره فى معمل الـــتكرير المقام فى دار السلام إلى جانب بعض المنتجات البترولية المكررة نظــراً لصغر قدرة معمل التكرير وعدم عمله بكامل قدرته بل وتوقفه تماماً عن العمل فى السنوات الأخيرة. إلى جانب ارتباط تنزانيا بتصدير المنتجات البترولــية إلى بعض الدول المجاورة لاسيما دول الإقليم الحبيسة ممثلة فى أوغندا ورواندا وبوروندى.
* وتقدر واردات أوغندا بنحو ٣٩٧ ألف طن مترى معادل بترول كلها عبارة عـــن منــتجات بترولــية تأتى من كينيا وتنزانيا نظراً لعدم امتلاك أوغندا لصناعة تكرير.
* وتســتورد رواندا نحو ١٧٨ ألف طن مترى معادل بترول وتتمثل أيضاً فى المنتجات البترولية إلى جانب بعض واردات الكهرباء من أوغندا على حين تقدر واردات بوروندى بنحو ٨٠ ألف طن مترى معادل بترول تتمثل أساسا فى المنتجات البترولية.

استهلاك الطاقة التجارية فى الإقليم ونصيب الفرد :

- قدر إجمالى استهلاك الإقليم من الطاقة التجارية فى عام ١٩٩٨ بنحو ٤,٧ مليون طن مترى معادل بترول وهو مايعنى أن الإقليم يعتمد فى سد أربعة

أخمـــاس اســـتهلاكة من الطاقة التجارية على الاستيراد من الخارج. أوبعبارة أخـــرى يمكـــن القول أن الإنتاج المحلى من الطاقة لايشكل الا نحو ٢٠% من حجم الاستهلاك .

* ويمكن تفسير ذلك فى ضوء اعتماد الإقليم على البترول المستورد سواء فى شكل خام أو مكرر إلى جانب استيراد الإقليم كميات من الفحم من الخارج.
* وممـــا يدل على فقر الإقليم نلاحظ أن استهلاك الإقليم من الطاقة التجارية لايشكل إلا أقل من ٢% من إجمالى استهلاك القارة نظراً لانخفاض مستوى المعيشـــة وتخلـــف القطـــاع الصناعى وقطاع النقل والاعتماد الكبير على القطاع الزراعى.
* وتشكل المنتجات البترولية أكثر من ثلاثة أرباع الطاقة التجارية المستهلكة فـــى الإقليم، ويعد قطاع النقل والمواصلات هو القطاع الأساسى المستهلك للمشتقات البترولية إلى جانب قطاع الكهرباء حيث يستخدم المازوت وغيره مـــن المشـــتقات فـــى محطات التوليد الحرارية إلى جانب مولدات الديزل المنتشـــرة فى المناطق المعزولة وفى بعض المناطق الريفية التى لم تصلها الكهرباء.
* كمـــا تســـتهلك بعـــض المنتجات البترولية لاسيما الكيروسين فى أغراض الاضاءة عند اصحاب الدخول المنخفضة فى المناطق الحضرية وكذلك فى المـــناطق الريفـــية إلى جانب استخدامه فى أغراض الطهى عند أصحاب الدخول المنخفضة فى المناطق الحضرية وعند أصحاب الدخول العالية فى الريف.[٧]
* وتأتى الكهرباء فى المركز الثانى فى تركيب الطاقة التجارية المستهلكة فى إقلـــيم البحـــيرات العظمـــى حيـــث شكلت أكثر من خمس الطاقة التجارية المســـتهلكة فـــى عـــام ١٩٩٨ ويتركز الاستهلاك بصفة أساسية فى كينيا وتنزانيا.

* **وتـــأتى كينـــيا فـــى المركز الأول بين دول الإقليم فى استهلاك الطاقة الـــتجارية حيث قدر استهلاكها بما يعادل أكثر من ثلثى الطاقة المستهلكة فى الإقليم ويمكن إرجاع ذلك إلى العديد من العوامل منها :ـــ**

- كبر الحجم السكانى مقارنة بباقى دول الإقليم.
- امتلاكها لقطاع صناعى متنوع ومتقدم نسبياً.
- تعـــدد وتنوع وسائل النقل والمواصلات ووجود شبكة جيدة مقارنه بباقى دول الإقليم.
- إمتلاك كينيا لصناعة تكرير ساعدت على توفير المنتجات البترولية ووجـــود مجموعة كبيرة من الشركات التى تتولى التوزيع فى كافة أنحاء البلاد إلى جانب إمداد كل من أوغندا وتنزانيا ورواندا وبعض الدول المجاورة.
- الارتفاع النسبى فى مستوى المعيشة مقارنة بدول الإقليم.
- الاستقرار السياسى نسبياً مقارنة بباقى دول شرق أفريقيا.

* هذا وتشكل المنتجات البترولية نحو ثلاثة أرباع الطاقة التجارية المستهلكة فى كينيا على حين تساهم الكهرباء بنحو ٢٤% ويمثل الفحم اللازم لصناعة الأسمنت النسبة الباقية(٨).

* وتحـــتل تنزانيا المركز الثانى بين دول الإقليم فى استهلاك الطاقة التجارية حيـــث قـــدر استهلاكها بنحو ٨١٢ ألف طن مترى معادل بترول فى عام ١٩٩٨. وتشكل المنتجات البترولية نحو ٨٤% من إجمالى الاستهلاك على حين تشكل الكهرباء نحو ١٥,٥% ويقدر استهلاك الفحم بنحو ٤ آلاف طن تستهلك فى صناعة الأسمنت.

* وتحـــتل أوغـــندا المركـــز الثالث بحجم استهلاك قدر بنحو ٤٩٠ ألف طن مـــترى معـــادل بترول أى نحو ١٠% من إجمالى استهلاك الإقليم وتشكل المنـــتجات البترولـــية أربعـــة أخماس الطاقة المستهلكة والتى تعتمد على استيرادها من كينيا وتنزانيا، وتأتى الكهرباء فى المركز الثانى وتشكل باقى النسبة.

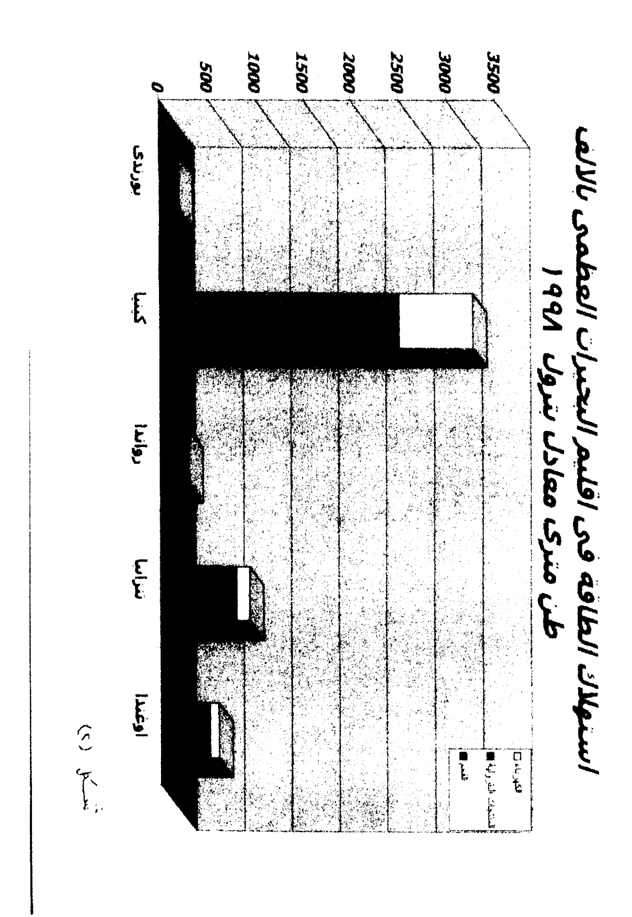
ويمكن أن نتبين ذلك من الجدول التالى والشكل البيانى رقم (٢)

استهلاك الطاقة التجارية فى الإقليم ١٩٩٨

(بالألف طن مترى معادل بترول) [٩]

الدولة	الإجمالى	الصلب	السائل	الغاز	الكهرباء
بوروندى	٨٨	٤	٧١	-	١٣
كينيا	٣١٥٨	٤٦	٢٣٤٤	-	٧٦٧
رواندا	١٨٣	-	١٦٧	-	١٥
تنزانيا	٨١٢	٤	٦٧٩	-	١٣٠
أوغندا	٤٩٠	-	٣٩٤	-	٩٥
الجملة	٤٧٣١	٥٤	٣٦٥٥	-	١٠٢٠

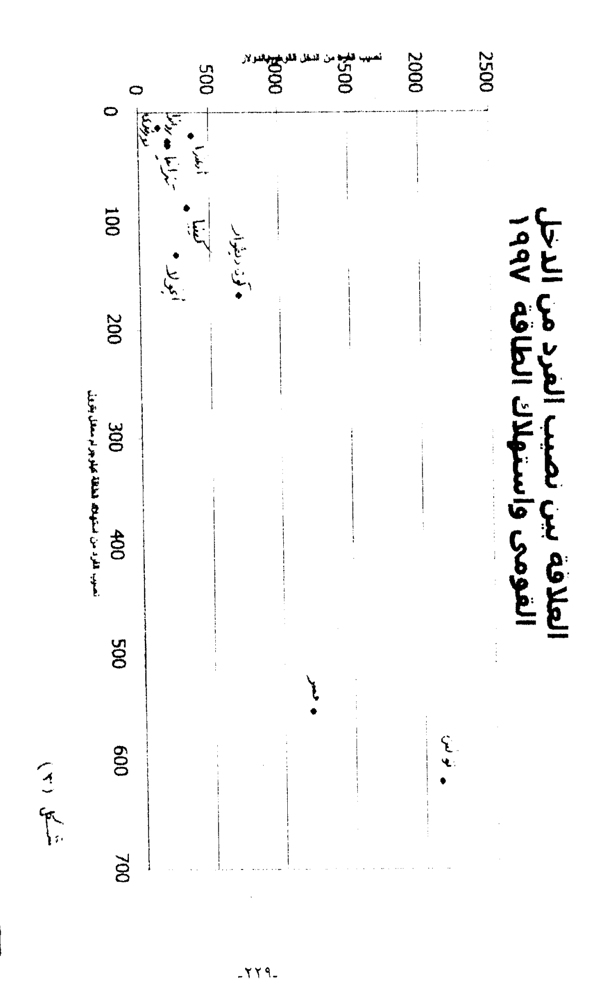
شكل رقم (٢)



استهلاك الطاقة فى اقليم البحيرات العظمى بالالف طن مترى معادل بترول ١٩٩٨
3500
3000
2500
2000
1500
1000
500
0
الكهرباء
المنتجات البترولية
الفحم
بورندى
كينيا
رواندا
تنزانيا
اوغندا
شكل (٢)

* **ويلاحـــظ مـــن الجـــدول والشكل البيانى** أن رواندا تأتى فى المركز الرابع بحجـــم اســـتهلاك قـــدر بـــنحو ١٨٣ألف طن مترى معادل بترول، شكلت المنتجات البترولية أكثر من ٩١% منها على حين ساهمت الكهرباء بالنسبة الباقـــية بيـــنما جاءت بوروندى فى المركز الأخير بحجم استهلاك قدر بنحو ٨٨ ألـــف طـــن مـــترى معادل بترول وهو مايشكل نحو ٢% من إجمالى اســـتهلاك الإقلـــيم وتشكل أيضاً المنتجات البترولية أكثر من أربعة أخماس الاســـتهلاك علـــى حيـــن شكلت واردات الفحم نحو ٥% يتم استيرادها من الخـــارج لســـد حاجـــة صناعة الأسمنت المنتشرة بالعاصمة. أما الكهرباء فتساهم بباقى النسبة.
* أمـــا عـــن نصيب الفرد من الطاقة المستهلكة على مستوى إقليم البحيرات العظمى فقد قدر بنحو ٤٠ كجرام معادل بترول وهو معدل منخفض للغاية مقارنة بالمتوسط العالمى (١٤٠٤) ومتوسط القارة الأفريقية (٣١٧) **ويمكن إرجاع أسباب ذلك إلى**:
  - **الانخفـــاض الكبـــير فـــى مستويات المعيشة مما قلل بشكل واضح الطلب على الطاقة التجارية.**
  - **الاعتماد الكبير على مصادر الطاقة المتجددة غير التجارية ولاسيما أخشـــاب الوقـــود الـــتى تشكل أكثر من ٦٠% من إجمالى الطاقة المستهلكة بالإقليم.**
  - **الاعتماد الكبير على الزراعة فى تشكيل الدخل القومى وهى الحرفة الأولـــى لغالبـــية السكان وأدت إلى إنخفاض مستويات الدخول إلى جانب الاعتماد على مخلفات الانتاج الزراعى والمخلفات الحيوانية كمصدر للطاقة.**(١٠)
* **يمكن ملاحظة ذلك من الشكل (٣) الذى يوضح العلاقة بين متوسط نصيب الفـــرد مـــن الدخـــل القومـــى ومتوسط نصيب الفرد من الطاقة التجارية المستهلكة مع المقارنة ببعض الأقطار من خارج الإقليم.**

شكل رقم (٣)


العلاقة بين نصيب الفرد من الدخل
القومي واستهلاك الطاقة ١٩٩٧
2500
2000
1500
1000
500
0
0
100
200
300
400
500
600
700
تونس
مصر
شكل (٣)

* **ويتبيـــن مـــن الشــكل الانخفاض الكبير من دول الإقليم سواء فيما يتعلق بمتوســـط نصـــيب الفـــرد مـــن الدخل أو متوسط نصيب الفرد من الطاقة كمايتضـــح أيضاً وجود علاقة طردية بين نصيب الفرد من الطاقة ونصيبه من الدخل القومى.**

مصادر الطاقة التجارية فى الإقليم :

أولا: البترول والغاز الطبيعي:

* لايســـاهم إقلـــيم البحـــيرات العظمى فى انتاج البترول ويعتمد الإقليم على اســـتيراد البترول الخام من دول الخليج والذى يتم تكريره فى معملين فقط متوطنيـــن فى كل من كينيا وتنزانيا وهو ماسيأتى الحديث عنه عند تناول صناعة التكرير.
* وقـــد انفقت دول الإقليم مبالغ طائلة فى البحث والتنقيب عن البترول، ففى كينـــيا قامـــت الحكومة على مدار الخمس عشرة سنة الماضية بإنفاق مبالغ كبيرة فى البحث عن البترول إلا أنها لم تحقق نجاحاً بعد وقد تم حفر نحو ٣٠ بئراً استكشافياً واستمراراً فى هذه السياسة فقد قامت كينيا بتوقيع اتفاق فـــى يونـــيه ٢٠٠٠ مـــع مجموعـــة مـــن الشركات للتنقيب عن البترول فى المناطق الساحلية(١١).
* وقد تبنت تنزانيا سياسة مشابهة للبحث عن البترول والغاز الطبيعى إلا أنها لم تحقق أى نجاح يذكر وإن كانت قد توصلت إلى وجود الغاز الطبيعى فى جزيـــرة ســـونجو الـــتى تقع فى المحيط الهندى جنوب شرق دار السلام. ويجرى فى الوقت الحاضر البحث عن البترول والغاز الطبيعى فى أوغندا لاســـيما فـــى المـــناطق الشرقية الواقعة فى الغرب فى حوض السمليكى وأحـــواض بحيرات جورج وادوارد وألبرت وجارى حفر العديد من الآبار الاستكشافية.
* أمـــا فى رواندا فقد تم الكشف عن وجود الغاز الطبيعى بالقرب من بحيرة كيفو على الحدود مع الكنغو الديمقراطية ويقدر الاحتياطى بنحو ٦٠ ألف

ملـيون م³ نصـفها تقريـبا فى الكونغو الديمقراطية ويرجع السبب فى تأخير الاستغلال إلى عدم توفر الاستثمارات إلى جانب ضعف السوق المحلى[١٢].

* وقد قدر استهلاك دول الإقليم بين المنتجات البترولية فى عام ١٩٩٩ بنحو ٨١٥٠٠ برمـيل/ الـيوم ويتركز نحو ثلثى الاستهلاك فى كينيا والتى قدر استهلاكها بنحو ٥٢ ألف برميل/ى على حين تأتى تنزانيا فى المركز الثانى بحجـم استهلاك قدر بنحو ١٥ ألف برميل/ى وهو مايعادل نحو ١٨% من إجمالى الإستهلاك وتستهلك أوغندا نحو ٧ آلاف برميل/ى على حين يصل اسـتهلاك روانـدا إلى نحو خمسة ألف برميل/ى وتحتل بورندى المركز الأخير بحجم استهلاك قدر بنحو ٢٥٠٠ب/ى.

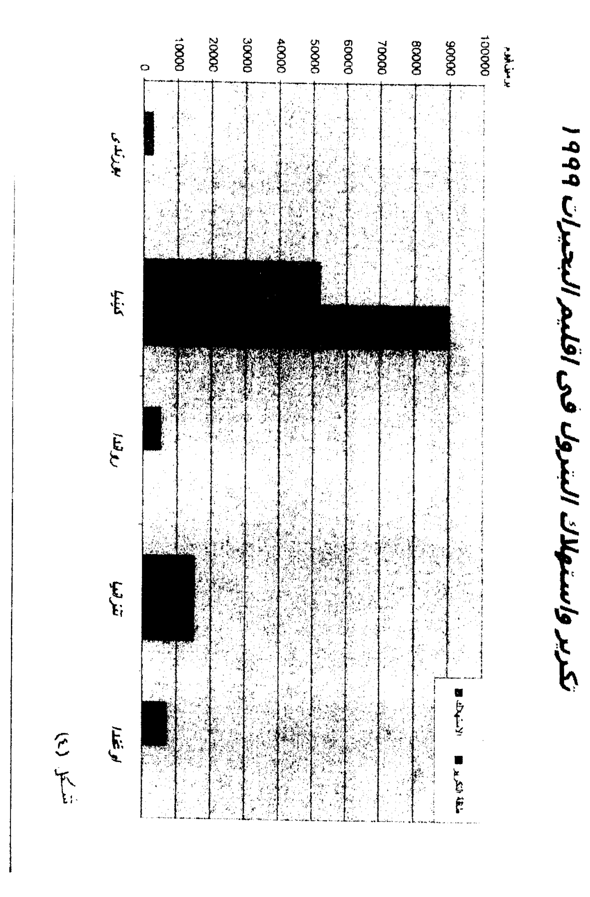
ويمكن أن نتبين ذلك من الجدول التالى والشكل البيانى رقم ()

استهلاك المنتجات البترولية فى إقليم البحيرات العظمى١٩٩٩

الاستهلاك ب/ى (١٣)

الدولة	الاستهلاك ب/ى
بورندى	٢٥٠٠
كينيا	٥٢٥٠٠
رواندا	٥٠٠٠
تنزانيا	١٥٠٠٠
أوغندا	٧٠٠٠
الجملة	٨١٥٠٠

شكل رقم (٤)



شكل (٤)

* ويشكل قطاع النقل القطاع الرئيسى فى استهلاك المنتجات البترولية إذ يصل نصيبه إلى نحو ٥٠% من إجمالى الاستهلاك على حين لايزيد نصيب القطاع الصناعى عن ١٦%.
* ويستخدم الكيروسين فى المناطق الريفية فى الإضاءة وفى المناطق الحضرية فى الطهى والإضاءة وتسعى دول الإقليم من أجل خفض معدلات الاعتماد على أخشاب الوقود وذلك عن طريق الاعتماد على المنتجات البترولية.
* وتجدر الإشارة إلى أنه فى منتصف عام ١٩٩٩ زادت أسعار المنتجات البترولية فى كل دول الإقليم.
  - فى رواندا على سبيل المثال زادت اسعار المنتجات البترولية المستوردة مصحوبة بانخفاض فى قيمة الفرنك مقابل الدولاروترتب على ذلك زيادة فى أجور وسائل النقل قدرت بنحو ٤٠% خلال الفترة من يناير إلى أغسطس٢٠٠٠
  - فى كينيا نتيجة لانخفاض قيمة الشلن مقابل الدولار منذ منتصف ١٩٩٩ ازدادت أسعار الوقود وقامت الحكومة بمواجهة ذلك بالسماح لقطاع النقل باستيراد المنتجات البترولية.
  - فى تنزانيا اضطرت الحكومة مرة ثانية للتدخل فى استيراد المنتجات البترولية بعد أن كانت قد تركتها للقطاع الخاص خلال الفترة من ٩٧-١٩٩٩[١٤].
* وتعتمد أوغندا ــ وهى دولة حبيسة ــ على استيراد المنتجات البترولية من كينيا من معمل تكرير ممبسة حيث تنقل المنتجات البترولية من ممبسة إلى نيروبىومنها عن طريق الأنابيب إلى الدوريت على الحدود الكينية الأوغندية ثم تنقل من الأخيرة عن طريق الشاحنات إلى كمبالا.
* كما تقوم أوغندا أيضا باستيراد المنتجات البترولية المكررة من معمل تكرير دار السلام حيث تنقل إلى موانزا بالسكك الحديدية ثم من الأخيرة

إلى جنجا عن طريق الحاويات عبر بحيرة فكتوريا.

* وتعــد أوغــندا مــن الدول التى ترتفع بها أسعار المنتجات البترولية نظراً لارتفــاع تكالــيف الــنقل إلى جانب الضرائب الباهظة التى تفرض على المنتجات البترولية هذا ويقدر استهلاك أوغندا بنحو ٧ آلاف ب/ى كما يقدر أن نحــو ربع عائدات الدولة تأتى من الضرائب المفروضة على المنتجات البترولــية كمــا تــنفق أوغندا نحو ١٢% من إجمالى دخلها على استيراد المنتجات البترولية[١٥].

* فــى مايو ١٩٩٩ تمت مباحثات بين أوغندا وكينيا على مد خط أنابيب من الدوريست فى غربى كينيا إلى كمبالا وتم توقيع الاتفاق فى أكتوبر ٢٠٠٠ ومن المتوقع أن يستغرق العمل نحو أربع سنوات، ومن المتوقع أن يساعد الخط الجديد بعد اكتماله على توصيل المنتجات البترولية إلى كل من أوغندا وروانــدا وبورنــدى ومــناطق مــن شــمال غرب تنزانيا وشرق الكنغو الديمقراطــية ومن المتوقع أن يساعد على خفض أسعار المنتجات البترولية فــى أوغندا ربما إلى النصف ويتولى توزيع المنتجات البترولية فى أوغندا خمس شركات أجنبية وشركة وطنية واحدة، وتأتى شركة شل للبترول فى مقدمــة هــذه الشركات إذ يصل نصيبها إلى نحو ٣٩% تليها شركة توتال بنســبة ٢٣% من حصة توزيع المنتجات البترولية إلى جانب شركة أجيب وكالــتكس وجابكو أما الشركة الوطنية المعروفة باسم أوغندا للبترول فلا تزيد حصتها عن ٧% من المنتجات البترولية الموزعة فى البلاد[١٦].

صناعة تكرير البترول:

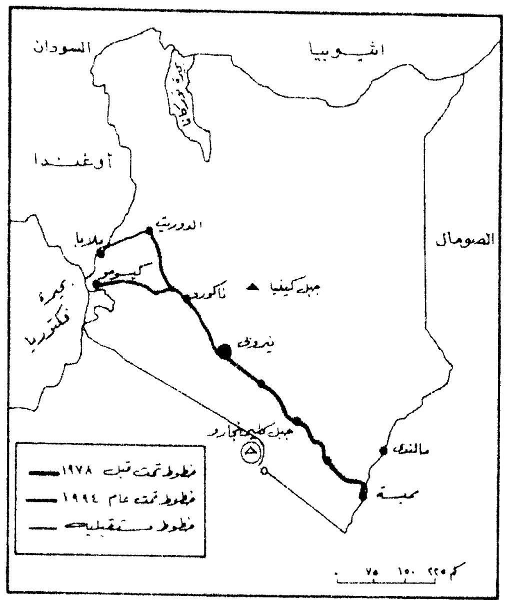
* يوجد فى إقليم البحيرات العظمى معملان لتكرير البترول يتوطن الأول فى ممبسة فى كينيا على حين يتوطن الثانى فى دار السلام فى تنزانيا، وتصل قــدرة الــتكرير فى المعمل الأول إلى نحو ٩٠ ألف برميل / ى على حين لاتزيد قدرة معمل دار السلام ٩٠٠:١ب/ى.

* وقــد بــدأت صــناعة تكرير البترول فى كينيا فى عام ١٩٥٩ ــ أى قبل الاستقلال بنحو أربع سنوات ــ عندما اتخذ قرار بإنشاء معمل تكرير شرق

أفريقيا. لتكرير البترول(EAOR) برأس مال أجنبى، وكانت قدرة المعمل فـــى الـــبداية لاتزيد عن أربعة ملايين طن سنوياً. وكان الهدف من إنشاء المعمل سد حاجة السوق المحلى فى كينيا من المشتقات البترولية إلى جانب التصـــدير إلـــى كل من تنزانيا وأوغندا وشرق زائير وجنوب السودان مع ملاحظـــة أن أقصى طاقة أمكن انتاجها حتى سنة ١٩٨٠ لم تتجاوز ثلاثة ملايين طن[١٧].

* وتجدر الإشارة الى أنه فى عام ١٩٧١ قررت الحكومة الكينية شراء ٥٠% مـــن أســـهم المعمـــل لتساوى الشركة المالكة ـــ ولكن بدون مشاركة فى الإدارة، وكان الهدف الأساسى هو الحصول على العائدات.
* وينـــتج المعمـــل كل من غاز البترول المسال ـــ البنزين ـــ الكيروسين ـــ ديزل السيارات ـــ زيت الديزل للصناعة بالإضافة إلى البيتومين والشحوم[١٨].
* ويقـــوم المعمـــل بتصدير نحو ٥٥% من إنتاجة إلى باقى دول الإقليم كما تجدر الإشارة إلى أن المعمل فى السنوات الأخيرة لايعمل إلا بنحو ٦٥% فقـــط مـــن قدرته كما أنه فى حاجة إلى صيانة وقطع غيار ويرجع السبب وراء ذلـــك إلـــى اتباع كينيا سياسة الخصخصة والسماح لبعض الشركات باستيراد المنتجات البترولية من الخارج مباشرة مما أثر على طاقة التكرير المحلية[١٩].

شكل رقم (٥)



خطوط أنابيب البترول في كينيا

شكل (٥)

* أما معمل التكرير المتوطن فى دار السلام فى تنزانيا فقد أنشئ مشاركة بين إيطاليا وتنزانيا ممثلة فى الهيئة التنزانية لتنمية البترول والتى تملك ٥٠% من أسهم المعمل. بينما تمتلك الشركة الإيطالية النصف الثانى. كما تمتلك الهيئة أيضا نحو ٣٣% من خط TAZAMA وهو الخط الذى يتم عن طريقة تغذية معمل لتكرير نيدولا فى زامبيا بالبترول الخام المستورد[٢٠].

* وتجدر الإشارة إلى صغر قدرة المعمل والتى لم تتجاوز ١٤٩٠٠ برميل/ يوم بل إن المعمل توقف تماماً عن العمل منذ نوفمبر ١٩٩٩ كما أن الحكومة عرضته للبيع مع برنامج الخصخصة إلا أنه لم يباع حتى الأن[٢١].

* وتتولى مجموعة من الشركات الدولية توزيع المنتجات البترولية فى أنحاء تنزانيا وإن كان للهيئة التنزانية والشركة الإيطالية مالكى المعمل ــ حصة تقدر بنحو ٤٥% من التسويق الداخلى وهى بذلك تعد أكبر الشركات الموزعة.

* وتعد شركة برتش بتروليم BP تنزانيا أقدم الشركات العاملة فى مجال توزيع المنتجات البترولية حيث بدأت عملها فى زنجبار فى عام ١٩٠٠ ثم بدأت فى دار السلام فى عام ١٩٣٦ وفى الوقت الحاضر هناك العديد من الشركات العاملة فى مجال التوزيع مثل شل وأجيب وتوتال وكالتكس وإسو[٢٢].

* ويحتل قطاع النقل والمواصلات المركز الأول بين القطاعات المستهلكة للمنتجات البترولية فى تنزانيا إذ يصل نصيبة إلى نحو ٥١% من إجمالى الاستهلاك على حين يقدر استهلاك محطات توليد الكهرباء الحرارية نحو الخمس وبذلك يحتل قطاع الكهرباء المركز الثانى بعد قطاع النقل كما يقدر حجم الاستهلاك المنزلى بنحو ١٠% من إجمالى الاستهلاك بينما تتوزع النسبة الباقية على باقى القطاعات[٢٣].

الغاز الطبيعى:

* على الرغم من أن الغاز الطبيعى لاينتج ولايستهلك فى الإقليم حتى الأن إلا أن هناك العديد من المشروعات التى تمت فى مجال البحث والتنقيب عنه، فقد تم الكشف عن وجود الغاز الطبيعى فى تنزانيا وروانداً وأوغندا.
* ففـــى الأولى تم الكشف عن وجود الغاز الطبيعى فى جزيزة سونجو والتى تقــع فى المحيط الهادى إلى الجنوب الشرقى من دار السلام، وقد حصلت الحكومـــة فى مارس ٢٠٠١ على قرض قدر بنحو ٢٠٠ مليون دولار من البـــنك الدولى لمد خط بطول ١٤٠ ميل من جزيزة سونجو إلى دار السلام لإمــداد الغاز إلى محطة كهرباء غازية مزمع أقامتها هناك هذا إلى جانب إمداد بعض الصناعات الأخرى(٢٤).
* ومن المخطط أن تتكون المحطة الغازية من أربعة مولدات بقدرة تصل الى نحو ١١٢م. والتى تعرف بمحطة أوبونجو (Ubungo) والتى سيتم ربطها بالشبكة القومية(٢٥).
* ويعــد مشـــروع الغاز من جزيرة سونجو إلى دار السلام من المشروعات الهامة فى تنزانيا للأسباب الأتية:ـــ
  - تقليل اعتماد الدولة على البترول والمنتجات البترولية المستوردة من الخارج وتقليل معدلات انفاق العملات الأجنبية.
  - زيـــادة إنـــتاج الكهـــرباء والتوسع فيها بإقامة المحطة الغازية التى ستساعد على سد الطلب المتنامى.
  - إقامـــة العديـــد مـــن المجتمعات العمرانية على طول خط نقل الغاز الطبيعى من سونجو إلى دار السلام والتى يمكن إمدادها بالغاز.
  - يمكن أن يتحقق فائض فى الكهرباء يتم تصديره إلى الدول المجاورة ويساعد ذلك على زيادة دخل الدولة من العملات الأجنبية(٢٦).
* أمـــا فى رواندا فقد اكتشف الغاز الطبيعى على الحدود بينها وبين الكونغو الديمقراطية إلا أن الانتاج لم يبدأ بعد وإن كان من المتوقع أن يصل حجم

الانـــتاج اليومى الى نحو ٢٥ ألف م٣/ يوم وهناك اتجاه من الحكومة الرواندية لبـــيع المشروع أو جزء منه إلى إحدى الشركات الدولية على أن تمتلك شركة الكهرباء والغاز الرواندية جزء من الأسهم[٢٧].

ثانيا إنتاج واستهلاك وتجارة الكهرباء فى الاقليم:

١ــ إنتاج الكهرباء :

* قـــدر إنتاج الكهرباء فى إقليم البحيرات العظمى فى سنه ١٩٩٨ بنحو ٧,٨ ملـــيار ك.و. س. وهو مايعادل نحو ٢% من إجمالى إنتاج القارة الأفريقية مـــن الكهـــرباء فى نفس العام وهو قدر ضئيل مقارنة بنصيب الإقليم من السكان أو بالإمكانات المتاحة لتوليد الكهرباء.
* وتعتــبر الكهرباء المائية أساس توليد الكهرباء فى الإقليم إذ ساهمت بنحو ٨٢% من إجمالى الإنتاج على حين ساهمت الكهرباء الحرارية بنحو ١١% بينما جاءت النسبة الباقية من الكهرباء المولدة من حرارة باطن الأرض.

ويمكن أن نتبين ذلك من الجدول التالى والشكل البيانى رقم (٩)

إنتاج الكهرباء فى إقليم البحيرات العظمى ١٩٩٨

(مليون ك . و . س) [٢٨]

الدولة	إجمالى الانتاج	الحرارية	المائية	الحرارية الأرضية
بوروندى	١٢٣	٢	١٢١	-
كينيا	٤٤٣٩	٦١١	٣٢٧٨	٥٥٠
رواندا	١٦٦	٤	١٦٢	-
تنزانيا	١٧٤٧	٢٤١	١٥٠٦	-
أوغندا	١٢٧٣	٥	١٢٦٨	-
الجملة	٧٧٤٨	٨٦٣	٦٣٣٥	٥٥٠

ويتضح من الجدول والشكل البيانى مايلى:

أ- الاعـــتماد الكبير للإقليم فى توليد الكهرباء على المحطات المائية والتى تعد الكهـــرباء المولـــدة منها أساس الكهرباء المولدة بالإقليم إذ شكلت أكثر من أربعـــة أخماس الانتاج إلا أن الإعتماد على الكهرباء المائية بهذا الشكل له مخاطـــره العديـــدة وإن كانت الكهرباء المولدة منها أرخص من الكهرباء الحرارية التى تعتمد على مصدر وقود مستورد من الخارج إلا أنه فى حالة حدوث جفاف عادة مايتذبذب الإنتاج بشكل واضح.

* وعلـــى ســـبيل المثال ماحدث من جفاف فى مايو ٢٠٠٠ أدى إلى اخفاض تولـــيد الكهرباء فى كينيا بنسبة تصل إلى نحو ٤٠% من الكهرباء المولدة فى العام السابق ممادفع الحكومة الكينية إلى التوسع فى إقامة المولدات فى أنحـــاء مختلفة من مدينة نيروبى. كما قامت بإتخاذ إجراءات سريعة تمثلت فـــى وضـــع خطة فى نفس الشهر لقطع الكهرباء عن المناطق السكنية منذ شروق الشمس وحتى الغروب بينما يتم قطعها عن الصناعة وتتوقف تماما خلال ساعات الليل وقد تأثر القطاع الصناعى كثيراً بهذا النظام الحديث:
  - إنخفاض الانتاج الصناعى وعائداته.
  - الإســـتغناء عـــن إعداد كبيرة من العمالة نظراً لتوقف العمل نصف الوقت.
  - قلة عائدات شركة الكهرباء.
  - إنخفاض معدل النمو فى الناتج المحلى الإجمالى.(٢٩)

* تـــم أيضـــا اتخـــاذ إجـــراءات سريعة لمواجهة الانخفاض الكبير فى توليد الكهـــرباء المائية تمثلت فى إقامة محطتين حراريتين تعملان بالديزل قدرة كل منها ٥٥ م. وفى مدينتى لينت



شكل (٥)

* والدوريت. كذلك عملت الحكومة على زيادة طاقة التخزين فى سد ماسنجا لضمان استمرارية التوليد المائى فى حالة انخفاض الإيراد.
* وتجـدر الإشارة إلى أنه فى يناير ٢٠٠١ عادت معدلات التصرف المائى إلى معدلاتها الطبيعية وبالتالى عاد معدل توليد الكهرباء إلى ماكان عليه فى السنوات السابقة[٣٠].
* أيضـا كـان للجفـاف تأثيره على توليد الكهرباء فى تنزانيا حيث انخفض منسوب المياه فى محطة ماتيرا الكهرومائية عن الحد الأدنى، وقد واجهت الحكومة ذلك عن طريق زيادة الاعتماد على المولدات التى تعمل بمشتقات البـترول والـتى تعمل بتكاليف أعلى وكان للعجز فى الكهرباء أثر واضح على القطاع الصناعى[٣١].

ب ــ تحتل كينيا المركز الأول بين دول الإقليم فى إنتاج الكهرباء إذ بلغ انتاجها نحو ٤,٤ مليار ك . و. س فى سنه ١٩٩٨ وهو مايعادل نحو ٥٧ % من إجمالى إنتاج الإقليم من الكهرباء فى نفس العام.

* وتشـكل الكهـرباء المائية نحو مايقرب من ثلاثة أرباع الانتاج على حين تساهم المحطات الحرارية التى تعمل بالديزل بما يقرب من ١٤% وساهمت محطـات التولـيد الحـرارية الأرضية بأكثر من ١٢%من إنتاج كينيا من الكهرباء.
* وتنتشـر المحطات الحرارية فى المدن الكبرى لاسيما فى نيروبى وممبسة وغـيرها أمـا المحطات المائية والتى تتميز بالصغر ومقاومة على خانق توركانا فى حوض نهر تانا.
* أمـا عـن محطات توليد الكهرباء من حرارة باطن الأرض فقد أقيمت فى كينـيا محطـتان بخاريـتان تعمل بالحرارة الأرضية وهما محطة أوكاريا Okaria ذات قدرة تصل إلى ٤٥م. و . ومحطة كيبوفو Kipevu وتصل قدرتها المركبة إلى نحو ٤٥,٥م.و.

* وقـــد وضعت الحكومة الكينية خطة للتوسع فى توليد الكهرباء إعتمادا على حـــرارة باطن الأرض إن من المخطط إقامة محطتين جديدتين بحلول عام ٢٠٠٣ بقدرة إجمالية تصل إلى نحو ٧٢م.و إلى جانب إضافة وحدة جديدة بقدرة ٦٤م.و إلى محطة أوكاريا.
* وتســـاهم الكهـــرباء المولدة اعتمادا على حرارة باطن الأرض بنحو ٥٥٠ مليون ك.و . س أومايعادل ١٢,٤% من إجمالى الكهرباء المولدة فى عام ١٩٩٨ كمـــا ســـبق أن ذكرنا. ويقدر إن كينيا تملك امكانيات كامنة لتوليد الكهـــرباء اعتماداً على حرارة باطن الأرض تقدر بنحو ٢٠٠٠ م. و وهى بذلك تأتى فى المركز الثانى على مستوى العالم بعد نيوزيلندة[٣٢].

ج ـــ تمـــثل تنزانيا المركز الثانى فى إنتاج الكهرباء فى إقليم البحيرات العظمـــى بإنتاجها الذى يقدر بنحو ١,٧٥ مليار ك.و . س فى عام ١٩٩٨ وهو مايعادل نحو مايقرب من ٢٣% من إجمالى إنتاج الكهرباء فى الإقليم فى نفس العام[٣٣].

* وتعتمد تنزانيا اعتمادا كبيرا على الكهرباء المائية والتى تشكل بمفردها نحو ٨٦% مـــن إجمـــالى إنـــتاج الكهرباء فى البلاد على حين تساهم الكهرباء الحرارية المولدة من محطات تعمل بالديزل بنسبة تقترب من ١٤%.
* وتجـــدر الإشـــارة إلى أنه تم تركيب أول مولد كهرباء فى تنزانيا فى سنة ١٩٠٨ وكـــان الغرض يتمثل فى إمداد الكهرباء لهيئة السكك الحديدية فى دار الســـلام وقـــد عقـــب ذلك إنشاء قسم الكهرباء كجزء من نظام السكك الحديديـــة لإمـــداد الكهـــرباء لأجـــزاء الدولة. وفى عام ١٩٣١ تم اسناد مهمـــة توصيل الكهرباء وتوزيعها فى دار السلام وتابورا وكادوما لشركة خاصة[٣٤].
* وبـــناء علـــى ماســـبق يمكن القول بأن صناعة الكهرباء فى تنزانيا كانت فى البداية صغيرة ومبعثرة وكانت تديرها وتملكها شركات خاصة.

* وقـد قـررت الحكومة التنزانية فى سنه ١٩٦٤ أى بعد الاستقلال بثلاث سـنوات ــ تأميم صناعة الكهرباء فى مؤسسة واحدة متكاملة وهى شركة تنجانـيقا لإمداد الكهرباء TANESCO وقد استمر هذا الوضع حتى عهد قريـب عـندما لاحت فى الأفق مجموعة من العوامل الخارجية والداخلية شـكلت ضـغطاً لتغيير هذا الوضع والعودة إلى الوضع القديم أى تحويل ملكـية قطاع الكهرباء إلى القطاع الخاص. بعض هذه العوامل كان متصلاً بقطاع الكهرباء نفسة مثل نقص الأموال اللازمة لتمويل مشروعات جديدة وقلة ونقص الخبرة الفنية وغيرها.
* أمـا العوامل الخارجية فتمثلت فى الاتجاه العالمى فى التخلص من القطاع العام والضغط من قبل المؤسسات المانحة مثل البنك الدولى لتبنى مثل هذه السياسات إلى جانب سياسة تحرير السوق.[٣٥]
* وقـد تولت شركة تنجانيقا لإمداد الكهرباء مهام التوزيع إلى جانب التوليد والنقل وأصبحت مسئولة عن إمداد نحو ٩٥% المستهلكين للكهرباء والذين يتم تغذيتهم عن طريق :

١--**الشبكة الموحدة:**

* تـتولى توصيل الكهرباء إلى المدن الكبرى وتصل إجمالى القدرة المركبة لهذه الشبكة إلى نحو ٦١٠ م.و ومعظمها من الكهرباء المائية.
* ويمـثل نهـر رواها Ruaha أهم مصدر لتوليد الكهرباء المائية فى البلاد وتعـد محطة كيتادو (٢٠٤ م.و) ومحطة ماتيرا (٨٠ م.و) أهم المحطات المقامة على النهر.
* المصـدر الـثانى لتولـيد الكهـرباء الموصـلة إلى الشبكة الموحدة هو نهـر بـنجانى ومقـام علـيه ثلاث محطات مائية وهو محطة نيوبنجانى (٦٦ م.و)ومحطة هالى (٢١ م.و) إلى جانب محطة أخرى صغيرة.
* أما المحطات الحرارية فى الشبكة فتتكون من نحو ٤٤ مولد يعمل بالديزل أو الغاز متوطنة فى نحو سبع محطات منتشرة فى أنحاء البلاد.[٣٦]

ويمكن أن نبين ذلك من الخريطة التالية:

شكل رقم (٧)



٢- النظم المعزولة

* وتقوم بإمداد الكهرباء للمدن الصغيرة الريفية التى لم يتم توصيلها بالشبكة الموحدة، وتصل القدرة الاجمالية لهذه المولدات إلى نحو ٤٠ م. و. وتأتى كلها من مولدات ديزل.
* وتجـــدر الإشـــارة إلـــى أنه منذ عام ١٩٩٢ أصبح هناك بعض المنتجين المســـتقلين عن تانسكو والذين يسوتون مايقومون بتوليده من الكهرباء الى تانســـكو والذيـــن يسرقون مايقومون بتوليده من الكهرباء إلى تانسكو ومن هؤلاء المنتجين الشركة الصينية التنزانية لإنتاج الفم فى كيوارا والتى تولد الكهرباء الخاصة بها وتسوق فائض الإنتاج إلى تانسكو.
* بالإضافة إلى ماسبق تقوم تانسكو باستيراد الكهرباء من زامبيا وأوغندا كما تقـوم بـــنقل وإمداد الكهرباء إلى جزيرة زنجبار حيث تنقل الكهرباء عن طـــريق كابل بحرى أما التوزيع فقد ترك لشركة متفرعة منها تعرف باسم هيئة زنجبار للكهرباء والطاقة والتى تملك مولد خاص بها تصل قدرته إلى نحو ٤٣ م.و(٣٧).
* كما تجدر الإشارة إلى أن إنتاج الكهرباء فى تنزانيا كان ينمو سنوياً بمعدل يقـــدر بـــنحو ١٠% وذلك خلال الفترة من ٩٢-١٩٩٤ إلا أن هذا المعدل انخفض فى السنوات التالية وبصورة سريعة **وذلك للأسباب الأتية:**
  - الاعـــتماد الكبـــير علـــى الكهرباء المائية التى تتأثر كثيرا بتذبذب الأمطار ــ كما سبق أن أشرنا.
  - معظـــم المحطات الحرارية فى حاجة إلى صيانة شاملة وبعضها فى حاجـــة إلى إحلال أوبعبارة أخرى يمكن القول أن نصف المحطات الحرارية فقط صالح للعمل بينما النصف الأخر فى حالة سيئة نتيجة للقدم وعدم الصيانة وعدم توفر قطع الغيار.
* أمـــا عن شبكة التوزيع فى الشبكة الموحدة فإنها تتكون من ١٩٢٨ كم من الخطوط جهد ٢٢٠ ك.ف. والتى تستخدم فى نقل الكهرباء الى دار السلام

من محطة مانيرا وكيتادو ويخرج من هذا الخط الرئيسى خط جهد ١٣٢ ك.ف. يصل طولة إلى نحو ١٤٦٠ كم وخط جهد ٦٦ ك.ف. وبطول ١٣٦كم لتوصيل الكهرباء إلى المدن الرئيسية والمراكز الحضرية الأخرى.

* وتجــدر الإشــارة إلــى أنه كما تعانى المحطات من مشكلات قطع الغيار والصيانة فإن الشبكة تعانى من نفس الظروف.[٣٨]

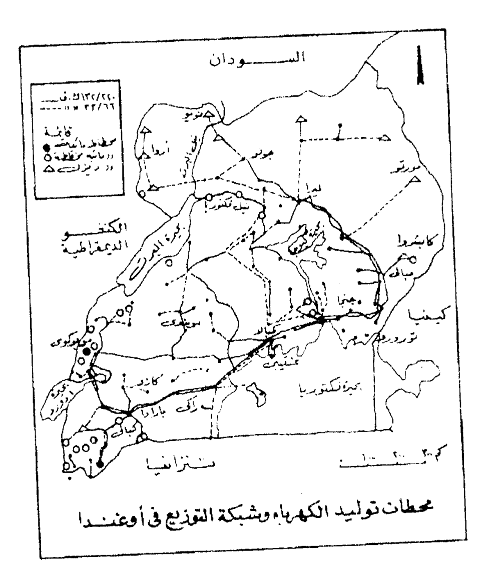
د ــ تأتى أوغندا فى المركز الثالث بين دول الإقليم فى إنتاج الكهرباء فى سنة ١٩٩٨ إذ قدر انتاجها بنحو ١,٣ مليار ك.و. س أى مايعادل نحو ١٦% من إجمالى إنتاج إقليم البحيرات العظمى. وتشكل الكهرباء المائية كل الانتاج الأوغندى من الكهرباء (٩٩,٦%).[٣٩]

* وتصل إجمالى القدرة المركبة لمحطات توليد الكهرباء فى أوغندا إلى نحو ١٩٨م. ومنها نحو ١٨٠م. وتمثلها محطة أوين بالإضافة إلى مجموعة من محطــات الديــزل الصغيرة فى الأقاليم الشمالية والشرقية من البلاد تصل قدرتها إلى نحو ٣.م.و إلى جانب محطة مائية فى كابالى تصل قدرتها إلى نحو واحد م .و كما توجد محطة مائية صغيرة تديرها شركة مناجم كيلمبى للنحاس وتتكون من مولدين قدرة كل منهما ٢م.و.

بالاضافة إلى ماسبق فإن هناك بعض المستشفيات التى تملك مولدات خاصة بها.[٤٠]

ويمكن ملاحظة ذلك من الخريطة التالية

شكل رقم (٨)



محطات توليد الكهرباء وشبكة التوزيع فى أوغندا

شكل (٨)

* وتعـد هيئة الكهرباء الأوغندية (UEB (Uganda Electricity Board المسئولة عن توليد ونقل وتوزيع الكهرباء فى البلاد، وقد بدأ تنمية الكهرباء فـى الـبلاد مـنذ الأربعينيات بإقامة محطة كهرباء سد أوين بمشاركة من الحكومـة المصرية للاستفادة من تخزين المياه فى بحيرة فكتوريا ـــ بقدرة مركبة ١٥٠م.و ،[٤١].

* وقـد تـم عمل توسعة للسد لتركيب مولدين جديدين لتزيد قدرة التوليد إلى ١٨٠ م.و ومـن ثـم تعـد محطة كهرباء أوين أساس توليد الكهرباء فى أوغندا.

* وفى عام ٢٠٠١ قامت الحكومة الأوغندية بتقسيم هيئة الكهرباء الأوغندية إلـى شـركتين واحدة تتولى مشروعات توليد الكهرباء والتى أطلق عليها شـركة أوغـندا لتولـيد الكهرباء بينما تتولى الشركة الثانية التوزيع وهى الشـركة المعـروفة بشركة أوغندا لتوزيع الكهرباء وقد تم بيع الشركتين ضمن برنامج الخصخصة لمساهمين محليين.[٤٢]

* وتجـدر الاشارة إلى أن نسبة السكان الذين تم إمداد الكهرباء إليهم لاتزيد عـن ٦% مـن إجمـالى سكان الدولة، ومع ذلك لايستهلك إلا نحو أربعة أخمـاس الانـتاج فقط وهذا راجع إلى مجموعة من الأسباب ستأتى ذكرها عند الحديث عن الاستهلاك وتجارة الكهرباء فى الإقليم.

هـ ـــ تـأتى رواندا فى المركز الرابع بين دول الإقليم فى إنتاج الكهرباء بحجم إنتاج قدر بنحو ١٦٦ مليون ك .و. س وهو مايعادل نحو ٢ % مـن إجمالى إنتاج الكهرباء فى الإقليم على حين تحتل بوروندى المركـز الأخير بإنتاجها البالغ نح ١٢٣ مليون ك .و. س وبنسبة تقدر بنحو ١,٦% من إنتاج الإقليم.

• ولاشك أن ماتعانيه الدولتان من عدم الاستقرار السياسى والحروب الأهلية كـان له آثاره الاقتصادية بمافيها التأثير على قطاع إنتاج الكهرباء والذى تأثر بلاشك بالانخفاض الشديد فى مستويات المعيشة وضعف الطلب على

الكهرباء وتخلف القطاع الصناعى والاعتماد شبة الكامل على القطاع الزراعى المعيشى.

* أمـــا عـــن تركيـــب الكهرباء فى الدولتين فلاحظ أن الكهرباء المائية هى الأساس فى توليد الكهرباء إذ تشكل أكثر من ٩٨% فى كلا الدولتين.(٤٣)
* ويتم توليد الكهرباء من محطات مائية مقامة على نهر روزيزى الذى يمثل الحـد الفاصــل بيــن الدولتين فقد أقيمت عليه محطة روزيزى ١ ومحطة روزيـــزى ٢ وهو محطات أقيمت بالمشاركة بين الدولتين. ويقدر أن النهر توجد به إمكانيات كامنة لتوليد نحو ٥٠٠م.و إلا أن المستغل الفعلى ضئيل للغايـــة(٤٤) ومـــن ثـــم تعتمد رواندا فى ستكمال حاجتها من الكهرباء على الاستيراد من الخارج.
* وتجـــدر الإشـــارة إلى أنه فى نوفمبر ٢٠٠٠ وضعت الحكومة فى رواندا وبـــروندى خطـــة لإنشاء محطة روزيزى ٣ كما تم التخطيط فى رواندا لإقامة محطة حرارية تعمل بالغاز الطبيعى المكتشف عند بحيرة كيفو ومن المتوقع أن تصل قدرتها إلى نحو ١٠م.و.(٤٥)
* وقد قامت الحكومة فى رواندا باتخاذ الاجراءات من أجل خصخصة قطاع الكهرباء.(٤٦)

٢ـ أستهلاك وتجارة الكهرباء فى الإقليم:

* قـــدر إجمالى استهلاك الإقليم من الكهرباء فى عام ١٩٩٨ بنحو ٧,٨ مليار ك .و. س وهو مايعادل حجم الإنتاج تقريبا أى أن الإقليم يمكن وصفة بأنه مكتفى ذاتيا من الكهرباء على الرغم من ضآلة إنتاجه.
* ويعـــادل استهلاك الإقليم من الكهرباء نحو ٢% من إجمالى استهلاك القارة الأفريقية وهو قدر ضئيل إذا قورن بنصيب الإقليم من عدد السكان ويمكن إرجاع الأسباب وراء ذلك الى :ـــ
  - انخفـــاض الناتج المحلى الإجمالى للاقليم والذى قدر فى عام ٢٠٠٠ بنحو ٢٨ مليار دولار وقد انعكس هذا على انخفاض متوسط نصيب

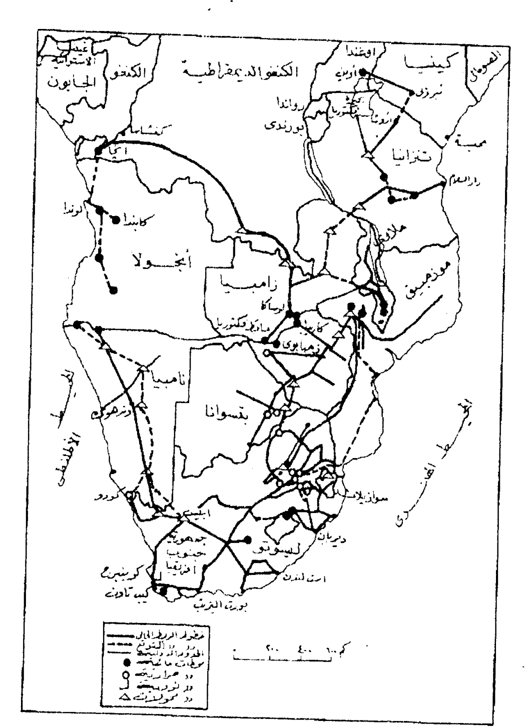
الفــرد مـــن الدخـــل القومى وانخفاض مستويات المعيشة ومن ثم الاعتماد الكبـــير فـــى سد حاجة السكان من الطاقة على المصادر الأولية ممثلة فى أخشاب الوقود ومخلفات الزراعة وغيرها.

- التخلف الصناعى والاعتماد الكبير على القطاع الزراعى الذى يسهم بالنصيب الأكبر من الدخل ويمثل الحرفة الأساسية لغالبية السكان.
- إنخفـــاض نســـبة التحضر إذ يشكل سكان الريف غالبية السكان فى الإقلـــيم مـــع الأخـــذ فى الاعتبار أن الطلب على الكهرباء يزيد فى المناطق الحضرية عنه فى المناطق الريفية.
- فقـــر دول الإقلـــيم وعدم قدرتها على التوسع فى إقامة مشروعات جديـــدة لتوليد الكهرباء بل أن معظم المحطات المقامة فى حاجة إلى صـــيانه وقطـــع غيار وإعادة تأهيل مما جعلها تعمل بمعدلات أقل بكثير من قدرتها المركبة بل أن بعضها توقف تماماً عن العمل.
- عدم وجود تكوينات بترولية أو غاز أو فحم بالاقليم لاشك أثر بدرجة كبـــيرة علـــى التوســـع فى إقامة المحطات الحرارية التى كان من الممكن أن تسهم فى زيادة الإنتاج ومد الكهرباء إلى مناطق جديدة.
- كان للاعتماد على الكهرباء المائية أثر واضح فى تذبذب الإنتاج مع حدوث نوبات الجفاف التى كثيرا مايتعرض لها الإقليم مما أثر على وضع السياسات المستقبلية لإمداد الكهرباء فى الإقليم.[٤٧]
- لاشك أن ما يشهده الإقليم من حروب أهلية ومشكلات سياسية كانت مؤثـــرة علـــى قطاع الكهرباء ليس فقط فى عدم القدرة على إقامة مشـــروعات جديـــدة او مشروعات نقل وتوزيع للكهرباء بل أيضا تدمير المحطات وشبكات النقل القائمة.

تأتى كينيا فى مقدمة دول الإقليم من حيث استهلاك الكهرباء إذ قدر استهلاكها بنحو ٥٩% من إجمالى استهلاك الإقليم من الكهرباء، ويرجع السبب فى هذا إلى وجود قطاع صناعى متقدم نسبياً يمثل أهم القطاعات المستهلكة للكهرباء بها.

* ويلاحـــظ أن إنـــتاج كينيا من الكهرباء لايكفيها وتعتمد على الاستيراد من أوغـــندا لسد العجز، حيث قدرت وارداتها بنحو ١٣٦ مليون ك.و.س فى عام ١٩٩٨. وتصدر الكهرباء من أوغندا إلى كينيا طبقاً لاتفاقية وقعت منذ إنشـــاء محطـــة كهـــرباء سداوين والتى كانت تنص على أن تقوم أوغندا بتصدير نحو ٣٠ م.و. من الكهرباء سنويا إلى كينيا. وهناك اتجاه لزيادتها فـــى الوقـــت الحاضـــر لتصل إلى ٥٠م.و ولمواجهة الطلب المتزايد على الكهرباء فى كينيا.(٤٨)
* وتســـعى كينـــيا إلى الانضمام إلى مشروع الربط الكهربائى لدول الجنوب الأفـــريقى SAPP لاسيما بعد انضمام تنزانيا، وتجدر الإشارة إلى أنه فى حالـــة انضـــمام كينيا إلى مشروع الربط الكهربائى لدول الجنوب الأفريقى سيمكنها من الحصول على كميات إضافية من واردات الكهرباء لاسيما فى فترات الجفاف وتذبذب إنتاج المحطات المائية.
* وتحـــتل تنزانيا المركز الثانى بين دول الإقليم فى استهلاك الكهرباء حيث قـــدر اســـتهلاكها بنحو ١,٧ مليار ك.و.س. وهو مايعنى استهلاكها لم نتيجة ويشكل استهلاك تنزانيا من الكهرباء نحو ٢٢% من إجمالى استهلاك إقليم البحيرات العظمى.
* وتجـــدر الإشـــارة إلـــى اعـــتماد اقليم بوكوبا الواقع على الحدود التنزانية الأوغـــندية فى حصوله على الكهرباء من أوغندا إذا لم يتم ربط هذا الاقليم بالشبكة الكهربائية التنزانية ومن المتوقع أن يحصل الإقليم على نحو ٥ م.و / سنويا تزاد فى المستقبل إلى نحو ١٦م.و(٤٩)
* وقد قامت تنزانيا من خلال عضويتها فى الجماعة الاقتصادية لدول الجنوب الأفـــريقى بالاشتراك فى مشروع الربط الكهربائى لدول الجنوب الأفريقى ويجـــرى العمل الأن على مد خط الربط بين جنوب تنزانيا وشمال زامبيا الذى يمكن عن طريقة حصول الأجزاء الجنوبية التى لم يتم ربطها بالشبكة التنزانية الموحدة على الكهرباء من زامبيا ودول الجنوب الأفريقى لاسيما

خريطة رقم (٩)



الربط الكهربائي بين دول الجنوب الافريقي ١٩٩٨.

شكل (٩)

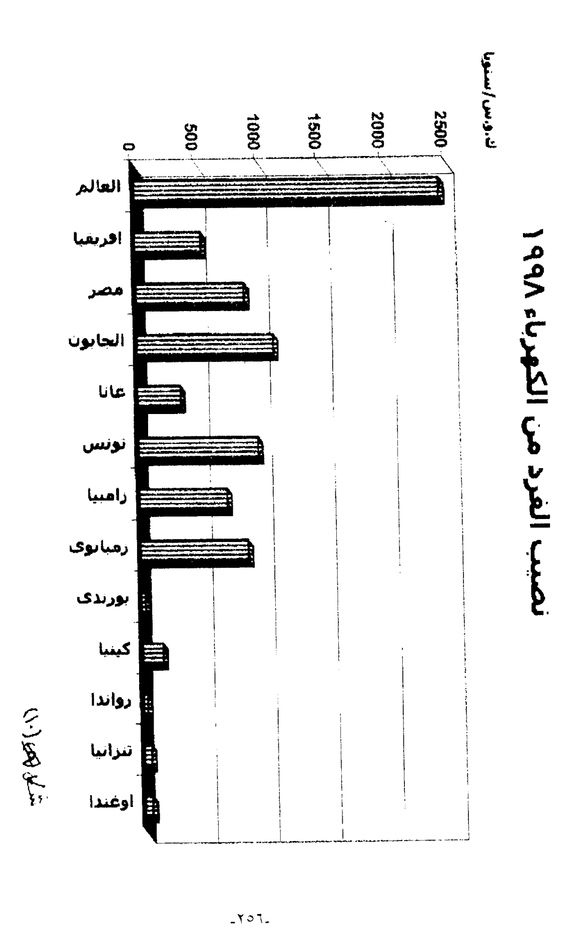
وأن زامبيا تعد من أكبر الدول المصدرة للكهرباء فى جنوب القارة.[٥٠]

* وتحتل أوغندا المركز الثالث بين دول الإقليم فى استهلاك الكهرباء إذا قدر استهلاكها بنحو ١,١ مليار ك .و. س فى سنه ١٩٩٨ وهى بذلك تعد الدولة الوحـيدة فى الإقليم التى يتوفر لديها فائض يصدر إلى الدول المجاورة إذا لاتستهلك إلا نحو ٨٣% من إنتاجها.
* ويمكن القول أن الكهرباء فى أوغندا تعد أحد مصادر الدخل القومى. ويمكن إرجـاع انخفـاض حجم الاستهلاك المحلى من الكهرباء بها الى إنخفاض مسـتويات المعيشة وارتفاع أسعار الكهرباء وبالتالى عدم قدرة السكان من الحصول عليها حتى وإن تم توصيلها إليهم، ولتوضيح ذلك نذكر أن السكان الذيـن تـم امدادهـم بالكهرباء فى أوغندا لاتزيد نسبتهم عن ٦%. بل أن الشـبكة تمـثل مصـدراً كبـيراً لفقد الكهرباء نظراً لعزوف السكان عن الاسـتهلاك للأسـباب السابق ذكرها. هذا من جانب ومن جانب أخر كان للمشكلات العديدة التى يعانى منها القطاع الصناعى أثر واضح فى انخفاض نصـيب هذا القطاع والذى كان يشكل القطاع الأول المستهلك للكهرباء فى أوغندا فى السنوات السابقة.
* وقد قدر إجمالى صادرات أوغندا من الكهرباء بنحو ١٥٩ مليون ك .و. س فـى عام ١٩٩٨ أى مايعادل نحو ١٧% من إجمالى إنتاجها من الكهرباء صـدرت أغلـبها إلـى كينـيا والأجزاء الشرقية من الكونغو الديمقراطية وتنزانـيا ويجـرى العمـل حاليا لمد خط من جنوب أوغندا لنقل وتصدير الكهرباء إلى رواندا.[٥١]
* أمـا عـن رواندا وبوروندى فلا يزيد نصيب الدولتين معاً عن ٤,٣% من إجمـالى اسـتهلاك الإقليم من الكهرباء وتستهلك الدولتان كل إنتاجهما من الكهرباء إلى جانب الاعتماد على بعض الواردات من الخارج وعلى سبيل المـثال بلغت واردات بوروندى نحو ٣٠ مليون ك .و. س فى سنه ١٩٩٨ على حين بلغت واردات رواندا نحو ١٥ مليون ك .و. س فى نفس العام.[٥٢]

٣- <u>نصيب الفرد من الكهرباء:</u>

* يعد متوسط نصيب الفرد من الكهرباء أحد المؤشرات الهامة على المستوى الاقتصـــادى والاجتماعى للدول وعلى مستويات معيشة السكان إذ أن هناك علاقة طردية بين نصيب الفرد من الكهرباء ومستوى المعيشة.[٥٣]
* ويقدر متوسط نصيب الفرد من استهلاك الكهرباء فى العالم فى عام ١٩٩٨ بـــنحو ٢٤٤٠ ك. و. س. سنويا على حين يقدر فى أفريقيا بنحو ٥٢٠ ك. و. س. ســـنويا وهـــو مـــايعطى دلالة واضحة على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى القارة الأفريقية.
* ويختلف متوسط نصيب الفرد من الكهرباء فى القارة الأفريقية من إقليم إلى أخر بل ومن دولة إلى أخرى. وهناك العديد من الدول الأفريقية التى يزيد بهـــا متوســـط نصيب الفرد عن المتوسط العام للقارة لاسيما فى دول إقليم شمال أفريقيا وبعض دول إقليم جنوب القارة.
* أمـــا فى إقليم البحيرات العظمى فقد سجلت دول الإقليم أقل متوسط لنصيب الفـــرد فـــى القارة بل وعلى مستوى العالم، وعلى سبيل المثال لم يتجاوز متوسط نصيب الفرد من الكهرباء فى بوروندى ٢٤ ك. و. س. سنوياً ونحو ٢٧ فـــى روانـــدا على حين يقدر بنحو ٥٤ فى أوغندا وتنزانيا ويصل فى كينيا الى نحو ١٥٨ ك. و. س. سنوياً.[٥٤]
* ويوضح الشكل رقم (٨) نصيب الفرد من الكهرباء فى دول الإقليم وأخرى للمقارنة.

شكل رقم (١٠)


نصيب الفرد من الكهرباء ١٩٩٨
ك.و.س/سنويا
0
500
1000
1500
2000
2500
العالم
افريقيا
مصر
الجابون
غانا
تونس
زامبيا
زمبابوي
بوروندي
كينيا
رواندا
تنزانيا
اوغندا

الـــتجارية لاســـيما فـــى المناطق الريفية والمناطق ذات مستويات المعيشة المنخفضة.

* وكـــان للعجز فى إنتاج الطاقة التجارية بأشكالها المختلفة أثره الواضح فى دفـــع معظم الدول النامية نحو وضع سياسات وبرامج للتوسع فى استخدام أشكال جديدة ومتجددة للطاقة.(New – Renewable Sources (NRSE of Energy للتغلـــب علـــى مشكلات الطاقة لاسيما فى مناطقها الريفية، وقد شملت هذه البرامج الوقود الحيوانى ــ إعادة زراعة الغابات ــ التوسع فـــى إنـــتاج أخشاب الوقود ــ التوسع فى استخدام الطاقة الشمسية وطاقة الرياح.[٥٧]

<u>أولا: أخشاب الوقود:</u>

* تعتـــبر من أهم مصادر الطاقة وأوسعها انتشارا فى القارة الأفريقية وتتميز بأنها من مصادر الطاقة المتجددة كما تتميز عن غيرها من مصادر الطاقة التجارية بأنها لا تدخل فى التجارة الدولية أى أن الانتاج يستهلك محلياً.
* ويقـــدر أن القـــارة الأفريقـــية تســـتهلك بمفردها نحو ¼ أخشاب الوقود المستهلكة فى العالم فى عام ١٩٩٨. وربما يدفعنا هذا إلى القول بأن هناك علاقة عكسية بين مستوى المعيشة والاعتماد على أخشاب الوقود كمصدر مـــن مصادر الطاقة بل وأيضاً بين درجة التحضر والاعتماد على أخشاب الوقود.
* وقد قدر استهلاك إقليم البحيرات العظمى من أخشاب الوقود فى عام ١٩٩٨ بـــنحو ٩٨,١ مليون طن مترى وهو مايعادل نحو خمس استهلاك أخشاب الوقـــود فى القارة الأفريقية (وهو ما يوضحه الشكل رقم ٨) فى نفس العام وهو مايؤكد العلاقات السابق الاشارة إليها. إذا أن الإقليم يعد من أفقر أقاليم القارة الأفريقية وأكثرها انخفاضا فى مستوى المعيشة ومن أكثرها ارتفاعا فـــى نسبة سكان الريف وانخفاضا فى معدل التحضر ولازال الإقليم يعتمد على الاقتصاد الزراعى المعيشى.

شكل رقم (١١)



شكل (١١)

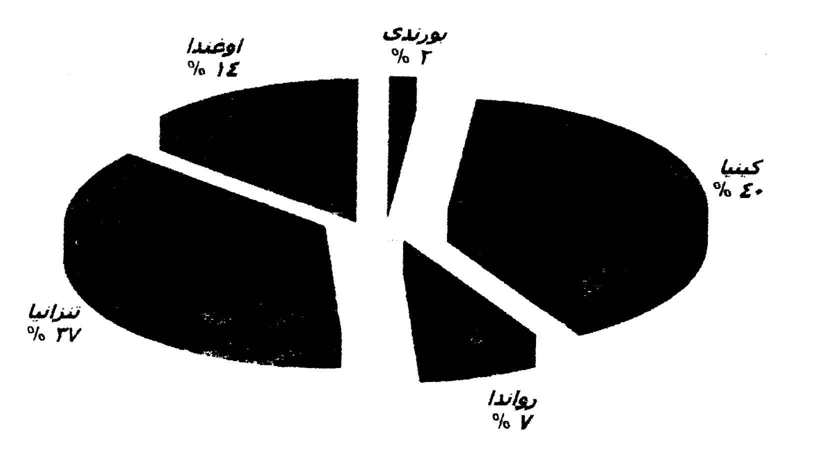
* إلى جانب ماسبق فإن فقر الإقليم فى مصادر الطاقة التجارية يعد أيضاً من العوامـــل الـــتى أدت إلى التوســـع الكبير فى الاعتماد على أخشاب الوقود كمصدر أساسى للطاقة بين سكان الاقليم.
* فكمـــا سبق أن أشرنا لاتنتج أى من دول الاقليم البترول أو الغاز الطبيعى حـــتى الأن – ولاتنـــتج بالإقليم إلا كميات محدودة للغاية من الفحم. بل أن الكهـــرباء وهـــى مصـــدر الطاقـــة الوحـــيد المنتج محليا يقتصر توزيعها وتوصيلها على بعض المناطق الحضرية ونادراً ماتصل إلى الريف.
* بالإضـــافة إلـــى ماســـبق يمكن القول أن الموقع الفلكى للإقليم بين دائرتى عـــرض ٥ °شمالاً ١٢ ° جنوبا ومرور خط الاستواء فى النصف الشمالى من الإقليم كان له انعكاسه على نمط الحياة النباتية لاسيما مع تنو ع كبير فى أشكال السطح مما ساعد على وفرة الحياة الشجرية والأخشاب فى الإقليم.
* ويوضـــح الجدول التالى والشكل البيانى رقم (١٢) إنتاج أخشاب الوقود فى الاقليم فى عام ١٩٩٨

إنتاج أخشاب الوقود فى إقليم البحيرات العظمى ١٩٩٨

بالألف طن مترى

الدولة	الانتاج	%
بوروندى	١٥١٠	١,٥
كينيا	٣٩٢٣٠	٤٠,٠٠
رواندا	٧٢٠٠	٧,٣
تنزانيا	٣٦٧٤٢	٣٧,٥
أوغندا	١٣٤٣٨	١٣,٧
الجملة	٩٨١٢٠	١٠٠

انتاج اخشاب الوقود فى دول اقليم البحيرات١٩٩٨



شكل (١٥)

من الجدول السابق والشكل البيانى يمكن أن نتبين:

* وجـــود علاقـــة مباشرة بين الحجم السكانى وبين التوسع فى إنتاج أخشاب الوقـــود فأكبر الدول فى الإقليم سكانا هى تنزانيا وكينيا هى أكبرها إنتاجاً واستهلاكاً للأخشاب أو بعبارة أخرى يمكن القول أن كل من كينيا وتنزانيا يستهلكان أكبر من ثلاثة أرباع استهلاك الإقليم من أخشاب الوقود ويقطنهما أكثر من ثلثى السكان.
* يشكل إنتاج كينيا من إخشاب الوقود نحو ٢/٥ إنتاج الإقليم إذا قدر انتاجها بنحو ٣٩,٢ مليون طن مترى من الأخشاب ويمكن إرجاع السبب وراء ذلك أن عـــدم انتاج كينيا لأى من مصادر الطاقة الأخرى وعدم توسع كينيا فى إمداد الكهرباء إلى المناطق الريفية.
* وتحـــتل تنزانـــيا المركز الثانى بين دول الإقليم من حيث إنتاج واستهلاك أخشاب الوقود إذا قدر إنتاجها بنحو ٣٦,٧ مليون طن مترى وهو مايعادل أكثر من ٣٧% من إجمالى إنتاج الإقليم.
* ويقدر أن القطاع المنزلى فى تنزانيا يستهلك نحو ٨٥% من أخشاب الوقود المنتجة فى البلاد وهناك بعض التقديرات التى تعطى متوسط نصيب الفرد من الأخشاب بنحو ٢م^{3}/ سنويا.
* وتقدر مساحة الغابات فى تنزانيا بنحو ٤٤ مليون هكتار أى حوالى ٥٠% مـــن المساحة اليابسة، من هذه المساحة ١٣ مليون هكتار تصنف على أنها غابـــات دائمة تستخدم فى إنتاج الأخشاب وأخشاب الوقود ومنتجات غابية أخرى.[٥٨]
* وبعـــبارة أخـــرى يمكـــن القول أن مايستهلك سنويا من أخشاب الوقود فى تنزانـــيا يقدر بنحو ١٣٠ ألف هكتار على حين أن مايتم إعادة زراعته من غابات لايزيد عن ٢٥ ألف هكتار.
* وتعـــد أخشـــاب الوقـــود من أهم مصادر الطاقة المستخدمة من قبل غالبية السكان سواء فى الريف والحضر وتفضل أخشاب الوقود فى الريف عن

غيرها من مصادر الطاقة الأخرى، لاسيما وأن الحصول عليها يكون فى أغلب الأحيان مجاناً ففى الغالب تقوم النساء والأطفال بجمع أخشاب الوقود فى أوقات الفراغ ويقدر أن رحلة جمع الأخشاب التى تقطعها النساء والأطفال ربما تصل لمسافة تقدر بما يتراوح بين ٢٠-٢٥ كم/ يومياً .[٥٩]

* ويتم تحويل جزء من أخشاب الوقود إلى فحم نباتى والذى ينتشر استخدامه فى المناطق الحضرية نظراً لسهولة نقلة وتوزيعه وتخزينه بالإضافة إلى أنـــه يعطى قدرا أكبر من الحرارة وكمية أقل من الدخان. ويقدر أن تنزانيا تســـتهلك نحـــو نصـــف مليون طن من الفحم النباتى سنويا والذى يصنع بالطرق البسيطة.
* وتعطـــى إحـــدى التقديرات أخشاب الوقود نسبة ٩٢% من إجمالى الطاقة المستهلكة فى تنزانيا على حين لايشكل البترول والكهرباء والفحم الحجرى الا نحو ٧% فقط.
* وتستخدم أخشاب الوقود والفحم النباتى فى الاستهلاكات المنزلية لاسيما فى أغـــراض الطهـــى والتدفئة إلى جانب استخدامات بمعدلات أقل فى بعض الصناعات الصغيرة.[٦٠]
* وقد ترتب على التوسع الكبير فى إنتاج أخشاب الوقود فى تنزانيا العديد من المشـــكلات لاســـيما فـــى المـــناطق الجافة وشبة الجافة كما هو الحال فى شـــينيجونجا ــ موانزا ــ تابورا ــ دودوما ــ سنجيدى ــ أروشا ــ حيث توصـــف هـــذه المناطق بأنها مناطق مضارة من التوسع فى انتاج أخشاب الوقـــود وبدأت تظهر بها مشكلات إزالة الغابات وتدميرها وتدهور التربة وانجرافها والتصحر والجفاف.[٦١]
* وقـــد أجريـــت العديـــد مـــن الدراسات حول تقليل كميات أخشاب الوقود المســـتهلكة فـــى تنزانيا للعمل على حماية المناطق الغابية، وكان من هذه الدراســـات مـــاتم حـــول تطوير فرن الطهى لكى يستهلك كميات أقل من الأخشاب بدلا من الطهى فى الحفر المكشوفة.[٦٢]

* أمـــا فـــى أوغندا فقد قدر إجمالى الإنتاج السنوى من أخشاب الوقود بنحو ١٣,٤ ملـــيون طن مترى أى مايعادل نحو ١٣,٧% من إجمالى إنتاج إقليم البحيرات العظمى فى عام ١٩٩٨وكما هو الحال فى كينيا وتنزانيا تستهلك الأخشـــاب على نطاق واسع فى عمليات الطهى لاسيما فى المناطق الريفية ويتم تحويل جزء منها إلى فحم نباتى تسوق فى المناطق الحضرية وتستخدم أيضاً فى أغراض الطهى حتى فى المنازل التى تم إمدادها بالكهرباء غالبا ماتـــتم عملـــية الطهـــى اعتماداً على أخشاب الوقود أو الفحم النباتى نظراً لارتفـــاع أســـعار الكهـــرباء مقارنة بمستويات الدخول ويكتفى باستهلاك الكهرباء فى أغراض الإنارة.
* ويقدر إنتاج رواندا من أخشاب الوقود فى نفس العام بنحو ٧,٢ مليون طن مـــترى أى مايعادل أكثر من ٧% من إجمالى إنتاج الإقليم على حين تحتل بوروندى المركز الأخير بحجم إنتاج لايزيد عن ١,٥ مليون طن من أخشاب الوقود سنوياً. ويرجع السبب فى انخفاض كميات الإنتاج إلى صغر الحجم السكانى مقارنة بكينيا وتنزانيا إلى جانب عدم الاستقرار السياسى والحروب الأهلية إلى جانب قلة البيانات الدقيقة عن أحجام الإنتاج الفعلية من أخشاب الوقود.

ثانيا: الطاقة الشمسية Solar energy

* تستخدم الطاقة الشمسية بطريقة غير مباشرة فى العديد من الأغراض منها تجفـــيف الحاصـــلات ، الملابس و الأخشاب واستخلاص الملح من المياه وغـــيرها. وتجدر الإشارة إلى أن موقع اقليم هضبة البحيرات ساعد على توفـــر قـــدر مـــن الإشـــعاع الشمسى اللازم والكافى لتوليد الكهرباء منه لأغراض الإضاءة.
* وقـــد تم بالفعل تطوير الاستخدامات من أجل الاستفادة من الطاقة الشمسية فـــى توليد الكهرباء لأغراض الإضاءة فى العديد من مناطق تنزانيا ــ وإن كـــان لايزال على نطاق محدود للغاية. لاسيما فى المستشفيات المقامة فى

المـــناطق الريفية ومراكز إقامة البعثات . وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن التوسع فـــيها مـــن أجل إمداد السكان فى بعض المناطق المعزولة التى لم يتم إمدادها بالكهرباء لاسيما فى المناطق الريفية.(٦٣)

* كذلك تم الاعتماد على الكهرباء المولدة من الطاقة لشمسية فى إدارة بعض محطـــات رفـــع المياه سواء للرى أو للاستهلاك المنزلى ومن الأمثلة على المشـــروعات التى استخدمت فيها الطاقة الشمسية فى رفع المياه للرى فى لإقليم مارا. وهناك نحو ١٩ محطة رفع تعمل بالطاقة الشمسية تنتشر فى ٦ أقاليم من تنزانيا.(٦٤)
* أمـــا فـــى كينيا فهناك اتجاه للتوسع فى الاعتماد على الطاقة الشمسية ففى نوفمبر ٢٠٠٠ قامت الصين بتحويل مشروع لتوليد الطاقة الشمسية لإمداد المؤسسات التعليمية فى الريف الكينى وتم اعتماد برامج مشابهة فى كل من أوغندا وتنزانيا.(٦٥)
* وتجدر الإشارة إلى أن من أهم الصعوبات التى تواجه التوسع فى الاستفادة من الطاقة الشمسية كمصدر دائم ومتجدد للطاقة فى الإقليم هى التكنولوجيا المتقدمة اللازمة للاستفادة من الطاقة الشمسية إلى جانب عدم توفر رؤوس الأموال وارتفاع تكاليف الوحدات المولدة.

الخاتمة

* من العرض السابق يتضح أن إقليم البحيرات العظمى يعانى من أزمة طاقة تمثلت فى عدم إنتاج الإقليم للبترول أو الغاز الطبيعى وعدم القدرة على التوسع فى استخدامهما نظراً للانخفاض فى مستويات المعيشة وعدم توفر العملات الأجنبية، وحتى في حالة الاعتماد على الاستيراد من الخارج فقد كان لوضع ثلاث دول من الإقليم كدول حبيسة أثر كبير فى ظهور مشكلات متعلقة بالمنتجات البترولية.

* ففى أوغندا على سبيل المثال كان تأخر وصول الشاحنات الخاصة بنقل المنتجات البترولية وكنتيجة لأى مشكلة على الحدود مع كينيا ــ سببا فى تكدس كثير من السيارات التى تصطف فى طوابير يصل طولها فى بعض الأحيان إلى عدة كيلو مترات ولأيام عديدة واحتل محطات التوزيع بل وربما يؤدى إلى شلل كامل فى رسائل النقل والمواصلات ومايتبعه من تأثير على كافة أوجه الحياة الاقتصادية ــ وهو ما شاهده الباحث فى عام ١٩٩٠ أثناء دراسة ميدانية مما يدفع الأفراد والشركات إلى تخزين المنتجات البترولية لأوقات الأزمات بالإضافة إلى ماسبق فان الإقليم يعانى من نقص كبير فى إنتاج الفحم وهو مصدر وقود أساسى فى محطات توليد الكهرباء الحرارية إلى جانب الاعتماد علية كمادة خام فى العديد من الصناعات المعدنية وبالتالى تعتمد دول الإقليم على استيراده من الخارج ومايترتب على ذلك من مشكلات.

* فيما يتعلق بالكهرباء فقد تبين أن الإقليم يعتمد بالدرجة الأولى على محطات التوليد الكهرومائية والتى تشكل غالبية إنتاج الإقليم من الكهرباء، وعلى الرغم من أن الإقليم يمتلك إمكانيات كبيرة فى مجال التوسع فى توليد الكهرباء المائية إلا أن المولد منها بالفعل لايزال ضئيلاً بل أنها عرضة للتذبذب المستمر نظراً لحدوث تذبذبات فى كميات التصرف المائى وهو ماعانى منه الإقليم فى سنوات عديدة خلال العقد الماضى.

* بالإضافة الى ذلك فإن الظروف الاقتصادية للإقليم كانت من الأسباب الأساسية وراء عدم القدرة فى التوسع فى إقامة مشروعات جديدة وكانت سببا فى انخفاض الطلب على الكهرباء لاسيما فى المناطق الريفية ذات مستويات المعيشة المنخفضة.
* أما فيما يتعلق بالكهرباء الحرارية فقد تبين انخفاض نسبة مساهمتها فى إجمالى الكهرباء المولدة بالإقليم إلى جانب عدم توفر مصادر الوقود اللازمة لتوليدها نظراً لاعتمادها على مصادر وقود مستوردة سواء فيما يتعلق بالديزل أو الفحم أو غيرها.
* ولاشك أن عدم الاستقرار السياسى والحروب الأهلية كانت من العوامل الهامة التى ساعدت على زيادة أزمة الطاقة فى الإقليم ففى أوغندا خلال السبعينيات تم تدمير العديد من محطات التوليد وشبكات النقل وقد حدث الشيئ نفسه فى كل من رواندا وبروندى فى السنوات الأخيرة. وقد انعكس هذا على إمكانات التوليد الكهربائى حيث أصبحت العديد من المحطات تعمل بطاقات محدودة مقارنة بقدراتها المركبة بل أن كثيرا منها توقف تماما عن العمل.
* وقد ترتب على عدم الاستقرار السياسى أن عجزت هذه الدول عن توفير قطع الغيار والصيانة و الأموال اللازمة لإعادة تشغيل مثل هذه المحطات بكامل قدرتها.
* وقد اقتصرت صناعة تكرير البترول فى الإقليم على كل من كينيا وتنزانيا واللتان تتوليان تغذية باقى دول الإقليم بحاجتهم من المواد البترونية المكررة. وكما هو الحال فى مجال توليد الكهرباء تعانى صناعة تكير البترول من نفس المشكلات إذا لوحظ أن معمل التكرير المتوطن فى ممبسة لايعمل إلا بنسبة محدودة من قدرته المركبة بل وتوقف معمل تكرير دار السلام فى تنزانيا تماماً عن العمل. مما زاد من مشكلة نقص المنتجات البترولية وأصبح الاعتماد على استيرادها من الخارج هو السبيل والحل.
* وإذا كان قطاع الطاقة فى دول الإقليم قد نما على يد القطاع الخاص

إلا أن الحكومـــات مالبثت أن قامت بتأميمه واستمرت تديره وتشرف عليه ولكـــن مـــع تفاقم المشكلات السالفة لم يكن أمامها من خيار سوى عرضه للبـــيع وهو ما نلاحظه فى كافة قطاعات الطاقة فى دول الإقليم وأن كانت تعانى من عدم القدرة على تسويقه حتى الآن.

* اتضح أيضا من الدراسة أن الطاقة غير التجارية ممثلة فى أخشاب الوقود تعد أساس الطاقة المستهلكة فى الإقليم لاسيما مع ارتفاع نسبة سكان الريف وهيمـــنة القطـــاع الأولى على الإقتصاد إلى جانب رخصها بل والحصول علـــيها فـــى كثير من الأحيان دون مقابل وكان للتوسع فى الاعتماد عليها ظهور العديد من المشكلات البيئية المختلفة.

* ويرى الباحث أن إصلاح قطاع الطاقة فى دول إقليم البحيرات وصل أزمة تحتاج إلى العديد من الخطوات نلخصها فى الأتى:ــ

- الـــربط الكهربائى بين دول الإقليم لاسيما وأن هناك بالفعل خطوط لنقل الكهرباء من أوغندا إلى باقى دول الإقليم. إلى جانب الاستفادة مـــن الإمكانـــيات المـــتاحة للتوسع فى توليد الكهرباء للعمل على تحســـين أحـــوال المعيشـــة. إلى جانب الربط الكهربائى مع الدول المجـــاورة من خارج الإقليم ومما يساعد على هذا أن دول الاقليم أعضـــاء فـــى العديد من التجمعات الاقليمية التى تتضمن برامجها زيادة تبادل الطاقة.

- يمكن أن يكون الإقليم همزة الوصل فى الربط الكهربائى بين شمال وجـــنوب القارة سعياً وراء تحقيق الربط الكهربائى الشامل لأفريقيا ففـــى شـــمال القـــارة تم الربط الكهربائى كما تم الربط بين دول الجنوب بالكامل وانضمت تنزانيا إلى هذا الربط. ومن ثم ففى حالة الـــربط بيـــن كينـــيا والسودان من ناحية وكينيا وتنزانيا من ناحية أخرى يكون قد تم الربط بين شبكتى شمال القارة وجنوبها. ويمكن أن يساعد هذا على توفير الكهرباء الرخيصة فى الاقليم.

- بعـــد قيام دول الإقليم بمشروعات الربط الكهربائى السابق الاشارة إلـــيها يمكنها تبنى سياسات لكهربة الريف بما يحققه ذلك من فوائد جمـــة للإقلـــيم مـــنها على سبيل المثال رفع مستويات المعيشة فى المـــناطق الريفية ـــ الحد من تيارات الهجرة من الريف إلى المدن تنوع مصادر الدخل فى المناطق الريفية لاسيما مع قيام العديد من الصـــناعات الصـــغيرة ـــ المســـاهمة فى رفع قيمة صادرات هذه المناطق بعد إعدادها وتصنيعها بدلا من تصديرها خام.
- إصـــلاح وصـــيانة معامل التكرير القائمة إلى جانب إقامة معامل تكريـــر فـــى الـــدول الـــتى لاتملك معامل مما يساعد على توفير المنـــتجات البترولية محليا بدلا من استيرادها من الخارج مرتفعة القيمة، ويساعد على ذلك مد خطوط أنابيب لنقل البترول الخام من الموانـــى (دار السلام ـــ ممبسة) إلى الداخل بدلا من الاعتماد على النقل البرى الذى يزيد الأزمة.
- تكثـــيف البحـــث والتنقيب عن البترول والغاز الطبيعى فى الإقليم لاســـيما مـــع نجاح أوغندا تنزانيا ورواندا فى التوصل الى وجود الغاز الطبيعى.
- يجـــب النظر إلى قطاع الطاقة على أنه قطاع خدمى وليس مصدراً مـــن مصـــادر الدخل على الأقل فى المراحل الأولى حتى يتسنى توصـــيل مصادر الطاقة بالأسعار الملائمة لمستهلكيها وللعمل على زيادة الطلب عليها وللحد من الاعتماد على أخشاب الوقود.
- الاهـــتمام بالقطـــاع الصناعى وإصلاحه والتوسع فيه لأنه القطاع الأساســـى المستهلك للطاقة بكافة أشكالها لاسيما وإن الإقليم يمتلك قـــدراً كبيراً من الموارد التى يمكن أن تشكل مواد خام للعديد من الصناعات.

فهرس

1- U.N.Statistical Yearbook, NewYork 1998,pp.35-38.

2- WWW.eia.deo.gov/emeu/cobs/e africa.great Lokes Region fact sheet, 11/4/2002.

3- الكثافة من حساب الباحث. والأرقام من.
Ibid .,p.a.

4- Ibid .,p.2.

5- U.N.Energy statistics Yearbook, NewYork 2000,pp.

6- Ibid .,pp.

7- Hoji Hotibu Hoji Semboja, The effects of on March increase in Energy efficiency on the Kenyan Economy, Energy,Policy 1994,p.220.

8- U.N.Energy statistics Yearbook,op-cit.pp.268-285.

9- Ibid .,p.268-285.

10- Robent B.potter and Tim unwin, The Geogrophy of Urbom – Rural InterAction in Developing Countries, Routledge London 1989,p.38.

11- WWW.eia.deo.gov. op-cit,p.3.

12- Europa publications, Africa South of the Sahara, Toylot and Francis group,2002,p.803.

13- WWW.eia.doe.gov. op-cit,p.6.

14- Ibid .,p.7

15- Ibid .,p.7

16- John Mugyenzi, Introduction to the Ugandan power sector in MR Bhogvon, Reforming the power sector in Africa, zed Books, London 1999.p.152.

17- M.R.Bhogavon, Refer ming power sector in Africa, Red Books let,London1999,p.219.
الشركة المالكة للمعمل كانت مكونة من ٤ شركات كبرى وهى مثل وأسو ويرتش بتروليم وكالتكس.

18- Benjomin A. Okech, Patrick M.Nyokie, Energy Sector Liber alization in Kenya: Critical policy Issues in petroleum retial Market, Energy policy, vol 27,1999,p.47.

19- Patrick .Nyokieand and Benjomin Okech Kenyas Petroleum Sub- Sector in Context in M.R. Bhogavon,petroleum Marketing in Africa, Zed Books.ltd, London 1999.p.36.

20- Mark Mwondasya, Energy and Development in Tanzania, Energy policy,May1993,p.447.

21- WWW.eia.doe.gov. op-cit,p.7.

22- Mark Mwondasya, op-cit,p.447.

23- K.M. Rwiza, Energy for Sustainable development in Tanzania, The Journal of Energy and Development, vol.24,No.1,1998,p.41.

24- WWW.eia.doe.gov. op-cit,p.7.

25- Ibid .,p.8.

26- K.M. Rwiza, op-cit,p.42.

27- Europa publications, op-cit,p.804.

28- U.N.Energy statistics Yearbook,op-cit.p.

29- Europa publications, op-cit,p.505.

30- WWW.eia.deo.gov/emeu/cobs/e Africa.greet Lakes Region fact sheet, 15/4/2002..

31- Europa publications, op-cit,p.1038.

32- WWW.eia.deo.gov/emeu/cobs/e Africa.greet Lakes Region fact sheet, 11/4/2002..

33- U.N.Energy statistics Yearbook,op-cit.pp.268-285.

34- Mark Mwondasya, op-cit,p.445.

35- Obas John Ebohan, Energy,Economic growth and Cousolity in developing Countries, Acase study of Tanzania and Nigeria, Energy Policy, Vol,24,No.5,1996,p.449.

36- Edward Marandu, Introduction to the Tanzanian power Sector in M.R. Bhagavon Reforming the power sector in Africa, Zed Books led, London, 1999,p.82.

37- Ibid .,p83.

38- Ibid .,p84.

39- U.N.Energy statistics Yearbook,op-cit.pp.268-285.

40- John Mugyenzi, op-cit.p.155.

٤١- سلطان فولى حسن - سد أوين فى أوغندا - دراسة فى الجغرافية الاقتصادية - رسالة دكتوراه غير منشورة - معهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة ١٩٩٢- ص ٧٨.

42- WWW. Interational Energy outlook 2001,20-4.2002.

43- WWW.eia.doe.gov. op-cit,p.6.

44- Europa publications, op-cit,p.803.

45- Ibid .,p803.

46- WWW.eia.doe.gov. op-cit,p.6.

47- V.Rongonathan, The power sector in Africa in planning and Mpanagement in The African power sector, edit. By V.Ronganthon, zed Books, London,1998.p.51.

48- Europa publications, Africa South of the Sohara, op-cit.p.503.

49- Obas John Ebohan, Energy.Economic growth and Cousolity in developing Countries, A causality of Tanzania and Nigeria, Energy Policy, Vol,24,No.5,1996,p.449.

٥٠- سلطان فولى حسن – الكهرباء والتنمية الريفية فى زامبيا - وزمبابوى - بحث ألقى فى حلقة نقاش عن التنمية الريفية فى أفريقية - عقدها قسم الجغرافيا - معهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة ٢٠٠٢/٣/٣٠.

51- U.N.Energy statistics Yearbook,op-cit.pp.268-285.

52- Ibid .,p.281.

٥٣- سلطان فولى حسن.الكهرباء فى إقليم غرب أفريقيا - مجلة الدراسات الأفريقية العدد ١٩٩٤،١٦ ص١٣٧.

54- U.N.Energy statistics Yearbook,op-cit.p.270.

55- K.M. Rwiza, op-cit,p.41.

56- Ibid .,p42.

57- Gustavo Best, The Role of Renewalle Energy Technology in Rural development, in Energy for Rural development, Edit by Bhogvan and S. Karekegi, zed Books Led, London, 1992,p.4.

58- R.P. Moss and W.B. margan , Fuelwood and Rural Energy production and supply in the Humid Tropics, united Nations univ, Dublin, 1481.p.123.

59- World Bank. Morgan, the Rural of Energy in urban – Rurol Interchange in Tropical Africa, in the Geography of Urban -- Rural interaction in developing countries , Edit by. Robert B. patter, London, 1989.p.58.

60- Mark .M.W.. op-cit.p448.

61- K.M. Rwiza, op-cit,p.43.

62- I bid- p.43.

63- I bid - p.44.

64- I bid - p.44.

65- WWW.eia.doe.gov. op-cit,p.8.

" ندوة التوتسى وأزمة البحيرات العظمى " معهد البحوث والدراسات الأفريقية
جامعة القاهرة ، ٢١-٢٣ ابريل ٢٠٠٣ : ص٢٧٣ : ٣٩٤

إستراتيجيات إدارة التعددية الإثنية

د.محمد عاشور
مدرس العلوم السياسية

مقدمة

* إن التعدد بمعني " التنوع والاختلاف " ظاهرة طبيعية وإنسانية وسنة من السنن الإلهية في الكون . وهي في حد ذاتها لا تمثل مشكلة، ولكن تظهر المشكلة حينما يؤدي ذلك التنوع والاختلاف إلي آثار سلبية تهدد أمن المجتمع واستقراره . وقد عرفت القارة الإفريقية ظاهرة التنوع والاختلاف في صور متعددة " إثنية ، دينية ، ثقافية ، اقتصادية ، ... " منذ القدم . إلا إنها اتخذت أبعاداً جديدة في ظل التطورات الداخلية والإقليمية والدولية التي طرأت في الآونة الأخيرة وتحديداً منذ مطلع التسعينيات . حيث أصبح حديث الوحدة من خلال التنوع ، هو الخطاب السياسى السائد بعد أن كان خطاب " الوحدة " من خلال الصهر هو السائد قبل ذلك .
* ويمكن القول إنه، من بين الصور والأشكال المختلفة للتعددية . اكتسبت " التعددية الإثنية " أهمية خاصة علي الصعيدين العملي والأكاديمي في ظل ما طرحته الصراعات الإثنية التي شهدتها مجتمعات مختلفة علي امتداد دول العالم (يوغسلافيا ، الشيشان ، روندا ، بوروندي ، زائير ، الولايات المتحدة الأمريكية ، كندا ، الهند ، ...) من تحديات لأنماط إدارة التنوعات الإثنية وما ينجم عنها من صراعات في هذه المجتمعات .
* وعلي الصعيد الإفريقي فإنه منذ الاستقلال طرحت قضية " التعددية الإثنية " وأثيرت إشكالية البحث عن الصيغ الملائمة لنظم الحكم في الدول الإفريقية بعد مرحلة الاستعمار وتحديد العلاقة بين مختلف الجماعات الإثنية بعضها البعض وبينها وبين النظام السياسية .

- والملاحـظ أن أساليب إدارة التعددية الإثنية قد خضعت لاختيارات سياسية واعتبارات إيديولوجية مختلفة ، أسفرت عن تنوع واختلاف في طبيعة تلك الأساليب،علي نحو القي بظلاله، علي الرضاء والقبول السياسي من جانب الجماعات الإثنية،وعلي الاستقرار السياسي الداخلي للنظام.
- وتشـير خبرة التجارب الإفريقية، إلي أن معظم هذه الدول في تعاملها مع واقـع الـتعددية بعامـة والتعددية الإثنية بخاصة قد مرت بما أطلق عليه الـبعض . " اللحظـة الليبرالية " والمقصود بذلك أنها قد مارست تجارب دستورية وبرلمانية وانتخابات واستفتاءات علي النمط الغربي ، إلا أن هذه الـبلدان غلّبـت فـي الـنهاية الشكل " السلطوي " أو " التسلطي " للدولة بدرجـات مـتفاوتة في محاولة للإسراع بتحقيق " الاندماج الوطني " بين الجماعـات الإثنـية المختلفة إلا إنه مع تفاقم عجز الأنظمة الإفريقية عن مواجهـة الـتحديات الداخلية والخارجية ، وعجزها عن الوفاء بالتوقعات والاحتياجات المادية والنفسية للشعوب ، والأماني القومية التي علقتها عليها الجماهـير ، وإزاء تـزايد الطـابع السلطوي للدولة ، تفاقمت في المقابل مظاهـر عـدم الاستقرار السياسي في هذه المجتمعات الأمر الذي أسفر – عبر تفاعله مع عوامل أخري – عن انهيار دول (ليبيريا – الصومال ...) والإطاحة بأنظمة (رواندا ، بوروندي ، زائير ، أثيوبيا – سيراليون) وتفاقم الأزمـات الداخلـية في بلدان ثالثة (السودان – نيجيريا – كوت ديفوار – السنغال – موريتانيا – غينيا بيساو – ....) .
- وتلعـب التعددية الإثنية دوراً متعدد الجوانب في الحياة السياسية في الدول الإفريقـية ، الأمـر الذي أثار الكثير من المشكلات النظرية والعملية على المستويين النظرى والتطبيقى.
- حيـث تباينـت توجهـات الدارسـين بشأن أسباب ظاهرة التعددية الإثنية وآثارها؛ ما بين فريق الوشائجيين؛ الذي يفسر ذلك التعدد بعوامل داخلية ذاتيــــة، وفريـق الذرائعيين الذين يفسرونه بأسباب اجتماعية بالمعنى

الواسـع. وقـد أسـفر ذلـك عـن تباين آخر فيما يتصل بسياسات إدارة تلك التعددية الإثنية.

- وتجـدر الإشارة، إلى أن دور النظام السياسي وموقفه من التعددية الإثنية، يعتـبر واحداً من أهم مؤشرات حدة الصراع في المجتمع؛ وذلك من خلال الـتعرف على مدي حياد النظام أو عدم حياده بين أطرف الصراع؛ حيث يـرى البعض أن الإثنية تصبح مشكلة سياسية عندما تتبلور الجماعات في صـورة أقطاب؛ لأن البناء السياسي يجعل من الصعوبة المساومة بين تلك الجماعات[١].

- والواقع،إنه قد تعددت اجتهادات الباحثين في محاولة التوصل إلى سياسات فعلـيه لإدارة الـتعددية الإثنـية، ما بين اجتهادات في وضع أنماط مثالية للعلاقات، وتصور إمكانية التحول ما بين تلك الأنماط؛ من ذلك مثلاً تمييز أحـد الباحثين بين نموذجين من المجتمعات التعددية هما: نموذج الصراع ونمـوذج التوازن[٢]. ومن جانب آخر، اكتفى آخرون بطرح مجموعة من التصورات بشأن التعامل مع واقع التعددية، مع اعتراف أنصار هذا الاتجاه بنسـبية تلـك التصورات والاقتراحات[٣] . وعلى صعيد ثالث، عمد بعض الباحثيـن إلى مجرد رصد سبل تعامل النظم السياسية المختلفة--عمليا-- مع واقع التعددية الإثنية، سواء اقترن ذلك بنقد تلك السبل وطرح بديل لها أو لم يقترن[٤].

---

(١) Policies On Ethnic Autonomy And State Control ", In Donald Rothild & Victor Olorunsola, "African) ،**State Versus Ethnic claims:African Poilcy Dilemmas** ،(.Donald Rothchild And Victor Olorunsola (eds Colorado: Westeviews Press,1983),P. 233.

(٢) د. جابر سعيد عوض:" مفهوم التعددية فى الأدبيات المعاصرة:مراجعة نقدية"،**بحث مقدم إلى ندوة التعددية الحزبية والطائفية والعرقية فى العالم العربى**(الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية،١٩٩٣) ص ص ٢٥-٢٩.

(٣) **المرجع السابق**، ص ص٢٩-٣٣ وانظر أيضا: تيد روبرت جار: **أقليات فى خطر: ٢٣٠ أقلية فى دراسة إحصائية وسياسية واجتماعية**، ترجمة مجدى عبد الحكيم و سامية الشامى(القاهرة:مكتبة مدبولى،ط١،١٩٩٥)، ص ص ٣٤٤-٣٩٣
د. عبد السلام بغدادى: **الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات فى إفريقيا**،(بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية.١٩٩٣)، ص ص ٢٤٥-٢٩٤.

(٤) انظر فى ذلك على سبيل المثال:
زورا اسماعيلوفا: **المشكلات العرقية فى إفريقيا الاستوائية**. ترجمة: سامى الرزاز(القاهرة: دار الثقافة الجديدة،١٩٨٢).
- شفيق الغبرا: "**الإثنية المسيسة: أدبيات والمفاهيم"مجلة العلوم الاجتماعية**(الكويت :جامعة الكويت عدد ٣ ،١٩٨٨)، ص ص ٥٢-٥٤، وانظر:
- = د. حمدى عبد الرحمن: **التعددية وأزمة بناء الدولة فى إفريقيا الإسلامية(القاهرة: مركز دراسات المستقبل الإفريقى،١٩٩٦).**
- John Mc Garry And Brendan O'leary (Eds), **The Politics Of Ethnic Conflict Regulation** (London Routledge, 1993).

- ويقصد باستراتيجيات إدارة التعددية الإثنية؛ الفلسفات العامة الظاهرة والمستترة، التي تتبعها النظم في التعامل مع الجماعات الإثنية ومطالبها. وتتمثل أهم تلك الاستراتيجيات في الاستيعاب والدمج واقتسام السلطة والاستئصال والترحيل.
- وتتفاوت استراتيجيات إدارة التعددية فيما بينها، من حيث القيم والمعايير المتضمنة، وآليات التعامل بين الجماعات، ودرجة التسامح مع واقع الاختلاف، وكذا درجة الاعتماد على آليات القسر والعنف.على نحو يمكن معها تقسيمها إلى نمطين أساسيين هما: الاستراتيجيات السلمية والاستراتيجيات القسرية لإدارة التعددية الإثنية.

المبحث الأول: الاستراتيجيات السلمية لإدارة التعددية

- يقصد بالاستراتيجيات السلمية لإدارة التعددية الإثنية محاولات احتواء الاختلافات الإثنية القائمة فى البلاد،أو إدارتها عبر سبل وأدوات سلمية فى معظمها ،وتعتبر استراتيجيات الاستيعاب والدمج السلمى واقتسام السلطة هى أبرز أنماط تلك الاستراتيجيات.وفيما يلى بيان بطبيعة تلك الاستراتيجيات ومضامينها.

المطلب الأول: استراتيجية الاستيعاب والدمج[٥]

- تهدف هذه الاستراتيجية إلى إلغاء الاختلافات داخل الدولة من خلال السعي إلى دمج واستيعاب الجماعات الإثنية الموجودة في إطار الهُويّة العامة المراد لها الوجود والسيطرة والتي عادة ما تمثل هُويّة الجماعة المسيطرة في المجتمع[٦] وفي هذا الصدد يُشير البعض إلى عدة أنماط للسياسة الاستيعابية منها:

- Timothy D. Sisk ,**Power Sharing And International Mediation In Ethnic Conflict** (Washington D.C : United States Institute Of Peace 1996).
- Donald Rothchild ,**Managing Ethnic Conflict In Africa** (Washington D.C : Brookings Institution Press, 1997)
- Horowitz, Ethnic Groups in conflict (Berkeley: University Of California Press,1985).

(٥) يفرق البعض بين الاستيعاب Assimilation والدمج (الاندماج) Integration على اعتبار أن الأخير يعني به السعي إلى إيجاد هوية وطنية مشتركة للمجتمع والدولة بينما يقصد بالاستيعاب إيجاد هوية ثقافية مشتركة من خلال استخدام فكرة "بوتقة الصهر" حيث تتبنى الجماعة القوية في المجتمع تلك الفكرة في محاولتها تبرير احتواء الجماعات الأقل قوة في المجتمع داخل ثقافتها. انظر: د. محمود أبو العينين "إدارة الصراعات العرقية في إفريقيا" نشرة خاصة محكمة (القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ٢٠٠٠)، ص٣٥ ومع الإقرار بأهمية تلك التفرقة إلا أن علاقة الاقتران والتلازم بين العمليتين تجعل من الإمكان الحديث عنهما معاً على نحو ما هو مثبت في المتن لصعوبة الفصل بينهما واقعياً.

(٦) روبرت جير، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢١، مع مراعاة استخدام المترجمين لكلمة امتصاص بدلا من كلمة استيعاب.

الاستيعاب الثقافي

- ويعني تذويب الثقافات المتميزة في إطار الثقافة الخاصة بالجماعة السائدة؛ حيـــث إنـــه غالـــباً ما يفضل المؤيدون للسياسات الاندماجية خفض حجم الاختلافات بين الكيانات الإثنية مؤكدين على أن النظام يمتلك من الأدوات، مـــا يؤهله لتحقيق ذلك النمط من الاستيعاب؛ من واقع أن أبناء الجماعات الإثنـــية المختلفة يلتحقون بنظام تعليمي واحد، ويخضعون لمناهج وأساليب تـــربوية – غالباً – واحدة؛ الأمر الذي يمكن معه تنشئة هؤلاء الأبناء على لغـــة وتقاليد واحدة.هذا علاوة على ما تمتلكه الأنظمة من قدرات وإمكانات إعلامـــية وسياســـات عامة (توظيف، إسكان، إعلام،...) يمكن استخدامها لتأكيد سياسة الاستيعاب ودمج الجماعات الإثنية(٧).

ب- **الاستيعاب المادي**

- ويهـــدف هـــذا النوع من الاستيعاب ليس إلى مجرد خفض الاختلافات بين الجماعـــات الإثنية وبعضها البعض، وإنما إلى صهر الهويات الإثنية؛ إما داخل هُويّة قائمة (كالهُويّة الأمهرية بالنسبة للجماعات غير الأمهرية في أثيوبـــيا)، أو داخـــل هُويّة جديدة (كالهُويّة الوطنية بالنسبة لمعظم الدول الأفريقية في مرحلة التحرير من الاستعمار)(٨).
- ويـــرى الباحـــثون، أن أحد مؤشرات نجاح ذلك النوع من الاستيعاب هو ازدياد التزاوج بين الجماعات الإثنية وبعضها البعض؛ على نحو يسفر في النهاية عن تآكل الحدود بين تلك الجماعات ثم زوالها(٩).

---

(٧) Mc Garry and O''eary (eds.), **Op.cit.**, PP. 16-17.
وانظر كذلك روزا اسماعيلوفا: **مرجع سبق ذكره**، ص ص ٣٣٨-٣٣٩.
د. حمدي عبد الرحمن: ، **مرجع سبق ذكره**، ص ٥٧.

(٨) Mc Garry and O'leary (eds.)، **Op.cit.**، P: 17. مع مراعاة أنه قد تم أقرؤة الأمثلة.

(٩) د. حمدي عبد الرحمن: ، **مرجع سبق ذكره**، ص ٥٨.

ج-الاستيعاب المؤسسي

* ويعني إنشاء مؤسسات اجتماعية وسياسية يشارك فيها جميع الأفراد من مختلف الجماعات على أسس غير إثنية[١٠]؛حيث يرفض أنصار هذا النمط من الاستيعاب قيام مؤسسات اجتماعية بصفة عامة وسياسية بصفة خاصة على أسس إثنية[١١].
* وتتسم سياسات الدمج والاستيعاب بدرجة كبيرة من النفعية والتفتح تستهدف في جوهرها الحصول على رضاء الأفراد وموافقتهم على اكتساب هُويّة مدنية جديدة[١٢].
* وتجدر الإشارة، إلى أن هناك عدة اعتبارات حاكمة، فيما يتصل بفاعلية سياسية الدمج والاستيعاب، من ذلك -مثلاً- طبيعة إدراك الجماعات المستهدفة للدوافع والأغراض الكامنة خلف تلك السياسات الاستيعابية، وكذلك مدى وجود أو عدم وجود اتفاق بين الجماعات على الأهداف أو الأعداء، فوجود عدو مشترك يمكن أن يُمثل مدخلاً جيداً لنجاح سياسات الدمج والاستيعاب، الأمر الذي يفسر إصرار حكومة الحزب الوطني في جنوب أفريقيا على أن جميع أفراد الجماعة البيضاء -وليس الأفريكانر وحدهم -- مستفيدون من سياسة الفصل العنصري؛ وذلك لحشد تأييد الجماعة البيضاء، وتوحيدها خلف سياساتها في مواجهة الجماعات الأخرى. ويتصل بما سبق؛ أن سياسات الدمج والاستيعاب يمكن أن تحقق نجاحات معقولة. إلا إنه في حالة إصرار الجماعات الإثنية على السعي نحو مزيد من الاستقلال؛ وليس مجرد المساواة، أو تساوي الفرص؛ وإصرار كل جماعة على أن يكون لها حكومة مستقلة؛ فإن تلك السياسات الاستيعابية يمكن إلا تحقق أهدافها؛ وهو ذات الأمر الذي يحدث؛ حال إصرار إحدى الجماعات على استيعاب غيرها من الجماعات في كيان واحد، من خلال بسط هيمنتها اللغوية والثقافية والاجتماعية عليها؛ ذلك أنه في هذا الحالة، لا

---

(١٠) المرجع السابق، ص ٥٧.
(١١) د. عبد السلام بغدادي: مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٥.
(١٢) Mc Garry and O'leary (eds.), Op.cit, P. 17

يكون الحديث عن استيعاب، وإنما عن عملية ضم أو إلحاق Annexation .وفي هذه الحالة، فإنه كثيراً ما يشكو أبناء الجماعات الأخرى من محاولات الاستئصـــال الإثنـــي، وتدمير ثقافتهم الخاصة؛ وهي الشكاوى والادعاءات التي غالباً ما ترفعها الشعوب والجماعات الأصلية في مواجهة المستوطنين والمهاجرين. وكثيراً ما تلجأ الشعوب المغلوبة على أمرها إلى محاولة تأكيد سموها المعنوي، بأن تُطلق على نفسها أسم الأمم الأولى First Nations لتميـــيز نفسها عن غيرها من الجماعات الوافدة، ولتبرير مطالبها بالحماية الثقافية[١٣] ،ورفض الخضوع لعملية الاستيعاب؛ الأمر الذي يدفع فى كثير مـــن الأحـــيان إلى استخدام القسر لفرض عملية الاستيعاب؛ وهو ما يقود بـــدورة إلـــى مـــزيد من مقاومة عمليات الاستيعاب القسرية عبر عمليات الإحـــياء الإثـــنى والمطالب الانفصالية[١٤] في ظل حقيقة أن العامل الإثني يكتسب نوعاً من الإشباع والتدعيم الذاتي، بل يُورّث للأجيال المختلفة؛ عبر مخـــتلف أدوات التنشـــئة الاجتماعـــية؛ كالأســـرة، والمدرسة، والأعلام، والمؤسســـات الدينـــية، ويُدعَـــم حساسية تلك الجماعات تجاه الممارسات الاســـتيعابية للجماعة الحاكمة؛ حيث ترى فيها مجرد محاولة فرض هيمنة جماعـــة مســـيطرة للاستئثار بالسلطة ومزاياها. ولا شك أن تلك الرؤية- بصـــرف النظر عن صحتها- تُعزز الشعور بعدم الأمان وتُثير المشاعر الإثنـــية؛ يؤكـــد ذلـــك تاريخ التوتر الإثنى فى السودان، نيجيريا، أثيوبيا، أوغندا، غانا، رواندا، بوروندى، الكونغو الديموقراطية[١٥].

المطلب الثاني: استراتيجية اقتسام السلطة

- يقصـــد باقتسام السلطة Power Sharing ،صيغة حكم تقوم على ائتلاف حـــاكم ذي قـــاعدة عريضة، تحتوي داخلها الجماعات الإثنية في المجتمع؛ بحيـــث يحظى كل طرف بجانب، أو نصيب من المشاركة في الحكم، على

---

(١٣) Ibid، PP: 18-20

(١٤) Horwitz، Op.cit، PP: 567-568

(١٥) انظر: أوكواديبا نولي: **الصراع العرقى فى افريقيا**،ترجمة عادل شعبان(القاهرة: مركز البحوث العربية،١٩٩٢)، ص ٤٥، وانظر ايضا كليفورد غيرتز: "الثورة الاندماجية المشاعر الوشائجية والسياسات المدنية فى الدول الحديثة"، فى دانيال برومبرغ(محرر): **التعدد وتحديات الاختلاف: المجتمعات المنقسمة وكيف تستقر؟** ترجمة عمر سعيد الأيوبى(بيروت: دار الساقى،١٩٩٧)، ص ص ٤٨-٥٣.

نحـــو يُخفــف مـــن مخـــاوف الأقليات في المجتمعات التعددية من خطر الاستبعاد الدائم من الحكم حال التطبيق الحرفي لنظام حكم الأغلبية(١٦).

* وتأتى استراتيجية اقتسام السلطة عند ممارستها، استجابة للشعور بضرورة الحـــد مـــن المـــيراث الصراعي بين الجماعات؛ استنادا إلى قناعة مختلف الجماعـــات الفاعلـــة فـــي المجـــتمع – وبخاصة – الجماعة أو الجماعات المهيمنة – إن التمادي في تجاهل الجماعات الإثنية الأخرى يؤدي إلى مزيد مـــن الصـــراع، إلا إنه يجدر القول، أن وجود تلك القناعة ليس كافياً بذاته لإقـــناع قادة الجماعات الإثنية بقبول استراتيجية اقتسام السلطة، أو انتهاج سياســـة الاعتدال؛ ذلك أنه فى بعض الحالات يُمثل تصاعد الصراع الإثنى الخـــيار الأقـــل تكلفـــة من وجهة نظر بعض الساسة في مُقابل ما يتضمنه اقتسام السلطة من مخاطر على ما يتمتعون به من مزايا ونفوذ(١٧).

* ويـــتخذ اقتســـام السلطة أشكالاً مختلفة؛ حيث لا يقتصر على مجرد صيغة واحـــدة تُطـــبق على كافة المجتمعات ،وفى هذا الصدد يُفرق الباحثون بين نمطيـــن مـــن أنمـــاط إدارة الصـــراع، همـــا: الاقـــترابات التوافقـــية Consociational والاقترابات الاندماجية Integrate Approach وذلك علـــى أســـاس رصد ثلاثة متغيرات أساسية، وطبيعة تعامل النظم المختلفة معها. وتلك المتغيرات هي: التقسيم الإقليمي للسلطة، وقواعد اتخاذ القرار، والسياســـات العامة المتعلقة بتوزيع الموارد، والتي تحدد العلاقة بين الدولة والجماعات الإثنية.

ويرصد الباحثون في إطار الممارسات التوافقية ما يلى(١٨):

الإقرار بالاستقلال والأخذ بترتيبات كونفدرالية للجماعات الإثنية.

إقامة نظام فيدرالى على أسس إقليمية أو إثنية.

تبني التمثيل النسبي للجماعات الإثنية في الوظائف المختلفة.

---

(١٦) تم تطوير هذا النمط تاريخيا بين الكاثوليك والبروتستانت فى هولندا، كما تطرح سويسرا مثالا مهما يجسد اقتسام السلطة تطمح إليه العديد من الدول الإفريقية انظر:

د. حمدى عبد الرحمن: **قضايا فى النظم السياسية الإفريقية**، (القاهرة: مركز دراسات المستقبل الإفريقى، ١٩٩٨) ص ص ٨٣-٨٤.

(١٧) Timothy D Sisk، **Power Sharing And International Mediation In Ethnic Conflict** (Washington D.C.:United Statees Institute Of Peace,1996)

(١٨) **Idem**.

* الأخــذ بنظام انتخابي يضمن التمثيل النسبي جماعات المختلفة في السلطة التشريعية.

الاعتراف بحقوق جماعية للجماعات والتكوينات الإثنية غير الانفصالية.

وتتمثل الصيغ أو الممارسات الاندماجية لإدارة الصراع فى[19]:

إقامة نظام فيدرالى مختلط على أسس غير إثنية.

الأخذ بنموذج الدولة الموحدة المركزية.

إقامة مؤسسات تشريعية وتنفيذية وإدارية على أساس حكم الأغلبية.

تبنـــي نظـــام انتخابي يشجع على إقامة تحالفات انتحابية تتجاوز الخطوط الإثنية.

اتباع سياسات عامة غير إثنية التوجه.

* وبصـــفة عامـــة، يمكن القول إن الإقترابات الائتلافية التوافقية تعتمد على تســويات النخـــبة ،وتوفير ضمانات للجماعات الإثنية؛ بحماية مصالحهم؛ حيث تُخول الجماعات المختلفة حق الاعتراض (فيتو) Veto ،وذلك مقابل الاقــترابات الاندماجــية الــتى تعتمد على الأخذ بنظام وآليات تُشجع على تجاوز الخطوط الإثنية؛ الأمر الذى يُثير الشك حول مدى اتساق الممارسات الاندماجــية مــع فلســفة اقتسام السلطة ومبادئها؛التى تتمثل فى الاعتراف بالــتعددية الإثنــية، وبالتالى العمل على توفير ضمانات لحقوق الجماعات المخــتلفة وهوياتهم وحرياتهم؛ وخلق مؤسسات سياسية واجتماعية تُمكّنهم مــن التمــتع بعوائــد المســاواة دون طمــس أو إزالة للهويات الخاصة بالجماعات[20].

* وتعتــبر سياسات مثل، الكونفيدرالية والحكم الذاتى الإقليمى،أو الحكم الذاتى لجماعــات إثنــية بعيــنها، وعدم المركزية الإدارية، إلى جانب السياسات الفيدرالية؛ هى أبرز أدوات استراتيجية اقتسام السلطة؛ حيث تُشارك جميعها فـــى التأكيد على مجموعة من الحقوق الجماعية لكافة الجماعات المتمايزة

---

(19) Idem.

(20) Ibid., P: X .

(O'leary (eds Mc Garry and .), Op.cit., P: 36.

فـــى المجتمع، من ذلك حق كل جماعة فى التعليم باستخدام لغتها المحلية، وأداء شـــعائرها الدينية، وحماية تراثها الثقافى، وكذا حقها فى عملية صنع القـــرار علـــى المســـتوى المركـــزى، إذا ما تعلق القرار بشأن من شئون الجماعة[٢١].

* ويؤكـــد أنصـــار استراتيجية اقتسام السلطة؛لاسيما فى صورتها الفيدرالية، علـــى أن فعالية تلك الاستراتيجية تزداد، فى حالة استقلال كل جماعة إثنية بوحـــدة إقليمية متميزة عن غيرها من الجماعات، وذلك بعكس الوضع فى حالة التشتت الجغرافى للجماعة الإثنية[٢٢].
* ويرتبط بالنقطة السابقة، ضرورة التوازن فى حجم الأقاليم؛ على نحو يُحد مـــن إمكانـــات تهديد أى منها لوحدة الدولة. حيث يرى البعض أن التقسيم الذى اتبعته حكومة نيجيريا للبلاد عند الاستقلال إلى ثلاث ولايات متمايزة (شـــمال – شرق – غرب) ، قد فشل فى الحد من الصراعات الإثنية؛ فى ظـــل مـــا تمتعت به حكومات تلك الولايات من استقلالية تشريعية وتنفيذية وأمنـــية وتعليمـــية؛ فـــيما يتصـــل بأمورها المحلية. ويُرجع هذا النفر من الباحثين ذلك الإخفاق؛ إلى احتواء تلك الأقاليم على جماعا ت إثنية متعددة لـــم يكن التقسيم الثلاثى ليفى بتطلعاتها ومطالبها، ويستشهدون على صحة ذلك؛ بتراجع الصراعات الإثنية مع ازدياد عدد الولايات من ثلاثة مقاطعات فى مطلع الستينيات إلى ست وثلاثين ولاية فى منتصف التسعينيات[٢٣]. بما

---

(٢١) يفرق بعض الباحثين بين استراتيجية اقتسام السلطة والفيدرالية حيث يعتبرون الأخيرة استراتيجية مستقلة بذاتها وليست أداة من أدوات اقتسام السلطة. انظر:

د. حمدى عبد الرحمن: **قضايا فى النظم السياسية الإفريقية، مرجع سبق ذكره**، ص ص ٨٢-٨٣، وانظر أيضاً :

د.محمود أبو العينين: **مرجع سبق ذكره**، ص ص٤٥:٤١.

Mc Garry and O'leary (eds.), **Op.cit.**, P: 33.

ومع الاعتراف بوجاهة التمييز بين اقتسام السلطة وكل من الفيدرالية وغيرها من أدوات إدارة التعددية الإثنية، فإن المحك الأساسى لمدى اعتبار الفيدرالية استراتيجية مستقلة ،أو أداة من أدوات الاستراتيجية اقتسام السلطة هو طبيعة التقسيم الفيدرالى ومدى استناده إلى الاعتراف بالكيانات الإثنية من عدمه، وبالنظر إلى إنه فى الغالب الأعم يأتى التقسيم الفيدرالى مستنداً إلى واحد أو أكثر من مكونات العامل الإثنى (دينى، عرقى، لغوى، إقليمى، . . . .) فإن الرأى المُثبت فى المتن من اعتبار الفيدرالية أحد أدوات اقتسام السلطة يكون له وجاهته أيضاً وحُجيته.

(٢٢) **Ibid.**، P:33.

(٢٣) Rothchild، **Op.Cit.**، P: 54.

وحول تلك الزيادات وملابساتها وفعاليتها انظر:

د. إبراهيم نصر الدين: **الاندماج الوطنى فى إفريقيا: نموذج نيجيريا(القاهرة: مركز دراسات المستقبل الإفريقى،١٩٩٧)**، ص٤٠، ٤٩، ٩١،

يدعم ما ذهب إليه البعض، من أن منح الجماعات المختلفة مساحات حرية واستقلال ذاتى أكبر؛ يؤدى إلى مزيد من التماسك وليس العكس(٢٤).

- ويــرى أنصـــار الفيدرالية؛ أن أسباب نجاحها فى إدارة الصراعات الإثنية يكمن فى حقيقة أن الأخذ بالفيدرالية؛ يؤدى إلى تحويل التعبئة السياسية تجاه المراكــز الفرعــية والحكومات المحلية، بدلاً من اتجاهها صوب الحكومة المركزية الوطنية، إضافة على جعل التنافس داخل الجماعات أكثر منه بين الجماعات على نحو يخفف العبء على الحكومة الوطنية أخيراً فإنها تمنح الجماعـــات الإثنـــية المحلية قدراً من الاستقلال الذاتى بما يقلل من مخاطر الضغط من أجل المشاركة فى السلطة أو الانفصال(٢٥).
- وعلـــى الرغم من معارضة آباء الاستقلال الوطنى، أمثال" كوامى نكروما" فـــى غانـــا و"جومـــو كينياتا" فى كينيا و"أحمد سيكوتورى" فى غينيا لفكرة الفيدرالية؛ كأداة للتعامل مع واقع التعدد الإثنى فى إفريقيا، وإصرارهم على مركـــزية الســـلطة السياســـية والاقتصـــادية، بحجة الخوف من أن تؤدى اللامركزية إلى مزيد من تفتت المجتمع، فإن واقع الحال فى الآونة الأخيرة يشير إلى تقبُّل بعض القادة الأفارقة للأخذ بدرجة من اللامركزية فى إدارة شئون البلاد؛ من ذلك اعتراف حكومة النيجر بالاستقلال الإدارى للطوارق عـــام ١٩٩٤م،(٢٦) وبالمـــثل اكتسبت الفيدرالية كخيار للتعامل مع التعددية الإثنـــية ســـاحة جديـــدة فى إفريقيا. فعلاوة على التجربة النيجيرية للأخذ بالفيدرالـــية أخذت كل من إثيوبيا وجنوب إفريقيا بنمط من أنماط الفيدرالية فى إدارة العلاقة بين الجماعات الإثنية داخل كل منها(٢٧).

---

(٢٤) Ejobwah، "Reflections On Normative Empirical Approaches To Ethnic Accomodation"., Journal Of Contemporary African Studies(Vol.17,No1.1987), P: 230

(٢٥) Rita Jalali And Seymour Lipset, "Racial And Ethnic Conflicts: A Global Perspective".، **Political Science Quarterly** (New York: The Academy Of Political Science, Vol., 107, No. 4, Winter 1992-1993), PP: 601-602.

وانظر أيضاً: فى مبررات اللامركزية وأهميتها لإفريقيا:

Dele Olowu, Decentralization In Africa: Appraising The Local Government Revitalization Strategy In Nigeria"., In George Nzongola No Talaga And Margaret C. Lee (Eds.), **The State And Democracy In Africa** (Harare: The African Assocition Of Political Science, 1997), PP: 164-179

(٢٦) د. محمود أبو العينين: **مرجع سبق ذكره**،ص ص ٢١ : ٢٠ وص ص ٤٤ : ٤٣.

(٢٧) Ejobowah، **Op.Cit**.، PP: 226-232.

* فمنذ مجئ النظام الجبهة الديمقراطية الثورية بزعامة ميليس زيناوى إلى الحكم فى إثيوبيا وجد النظام فى خيار الفيدرالية أداة جيدة لبناء الثقة مع الجماعات الإثنية القائمة، انطلاقاً من حقيقة فشل الأساليب القسرية والمركزية التى اتبعتها النظم السابقة فى إثيوبيا لإحداث الاندماج الوطنى فى البلاد والتى أسفرت فى النهاية عن حرب أهلية ، وانطلاقاً من تلك القناعة عمد النظام الجديد بقيادة ميليس زيناوى إلى إصدار مجموعة من المراسيم، التى نصت على حق "القوميات" فى إدارة شئونها الخاصة داخل إقليمها، بما يتطلبه ذلك من منح تلك القوميات صلاحيات تشريعية وإدارية وقضائية فيما يتعلق بشئونها[٢٨].
* وتتفق تلك التجربة الإثيوبية فى ملامحها، مع تجربة جنوب إفريقيا فى إدارة التعددية الإثنية وهو ما سيرد بيانه لاحقاً.
* يتبين مما سبق، أن استراتيجية تقسيم السلطة رغم ما تتضمنه من إمكانيات لإدارة التعددية الإثنية بصراعاتها، فإن حالات اللجوء إليها فى إفريقيا محدودة ، فضلاً عن صعوبة القول بنجاح تلك الاستراتيجية فى الحالات التى طُبقت فيها؛ فى ظل واقع الفشل الذى أحاط بتطبيقه فى جنوب السودان وفى نيجيريا. والمخاطر والتحديات التى تُحيط بتطبيقه، فى كل من إثيوبيا وجنوب إفريقيا، والتى ترجع بالأساس إلى الخشية من مخاطر المطالبة بالانفصال، خاصة مع إخفاق الحكومة المركزية فى استيعاب مطالب الأقليات بمزيد من التمثيل على المستوى الفيدرالى[٢٩].

---

[٢٨] جمال ضلع: **النظام السياسى فى إثيوبيا منذ عام ١٩٦٠ رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراة(القاهرة:معهد البحوث والدراسات الإفريقيى جامعة القاهرة،١٩٩٧).**

[٢٩] Mc Garry abd O'Leary، **Op.cit.**، P: 34.

* ويرى أنصار هذا الاتجاه أن اقتسام السلطة، كان مدخلاً ملائماً للتحول فى جـنوب إفريقيا؛ حيث ساعدت ترتيبات ذلك المدخل فى إحداث توازن بين طموحـات ومصـالح الأقلـية ومصالح وآمال الأغلبية فى مرحلة ما بعد الأبارتهـيد؛ حيـث إنـه بدون اقتسام السلطة لم يكن ليتسنى تحقيق انتقال سلمى-نسبياً- للسلطة [٣٠].
* ولا يمكـن القـول، بـأن تجارب اقتسام السلطة التى عرفتها المجتمعات المختلفة فى أنحاء العالم قد نجحت جميعها،على أنها تظل واحدة من أفضل البدائل فى إدارة الصراعات الإثنية.
* ويـرى الباحثون أن تفعيل اقتسام السلطة كأداة لإدارة الصراعات الإثنية يرتبط بما يلى[٣١].
* أولاً: ألا تكـون الجماعـات الإثنـية المتصـارعة مجبرة على الاندماج والاستيعاب داخل جماعات أخرى، بعبارة أخرى حماية حقوق الأقليات .
* ثانـياً: أن يـتوافر لـدى القادة السياسيين قناعة، بعدم قدرة أى منهم على الانفـراد بمغـانم السلطة، وأن المكاسب المترتبة على اقتسام السلطة أكبر بكثـير، من تلك المترتبة على انهيار تلك الترتيبات؛ بما تضمن تمثيل كافة الجماعات الفاعلة.
* ثالـثاً: أن يتمتع قادة الجماعات الإثنية أنفسهم، بقدر من الحرية والاستقلال فـى مواجهـة جماعاتهم؛ على نحو يخولهم صلاحية إجراء تسويات دون الـتعرض للاتهام بالخيانة، ذلك أنه إذا افتقد هؤلاء القادة الثقة والاستقلال- بسبب خشيتهم من مزايدة دعاة القومية الإثنية الخاصة والمتطرفين من أبناء الجماعـة- فـإنهم سوف يعزفون عن الدخول فى ترتيبات اقتسام السلطة بصـورة جدّية، الأمر الذى يعنى ضرورة، ليس فقط إحكام السيطرة على النخـب الخارجـية للجماعة؛ بل كذلك إحكام السيطرة على النخب الداخلية على نحو يَحُولْ دون حدوث انشقاقات داخل الجماعة.

---

(٣٠) حيث مات خلال المرحلة الانتقالية نحو ١٤،٠٠٠ نسمة فى إطار أحداث العنف التى شهدتها البلاد والتى شابها البعد الإثنى بدرجة كبيرة Sisk، Op.cit.، P: XXI

(٣١) Mc Garry and O'Leary، (eds)، Op.cit.، P: 34. وانظر كذلك د. حمدى عبد الرحمن: **التعددية ....، مرجع سبق ذكره**، ص ٨٤.

- رابعاً: تشير خبرة الواقع، إلى أن ترتيبات اقتسام السلطة تكون أكثر فاعلية، وقابلية للتطبيق، فى المجتمعات معتدلة الانقسام، أكثر منها فى المجتمعات شـديدة الانقسـام؛ الأمر الذى يثير الشكوك حول جدوى ذلك المدخل فى مجتمعات مثل بوروندى والكنغو الديموقراطية والسودان(٣٢).

المبحث الثانى: الاستراتيجيات القسرية لإدارة التعددية

- تـنطلق تلك الاستراتيجيات من افتراضات النموذج الصراعى للمجتمعات الإثنـية، والـتى تقـوم على وجود مجموعات مهيمنة على بقية جماعات المجـتمع، مـع غياب القيم والدوافع المشتركة بين تلك الجماعات، وغياب المؤسسات الجامعة بينها؛ الأمر الذى قد يدفع بعض تلك الجماعات التابعة للمطالـبة بالانفصال وإقامة دولة خاصة(٣٣). ويسعى هذا المطلب إلى بيان أهم أشكال الاستراتيجية القسرية لإدارة المجتمعات التعددية وصراعاتها.

المطلب الأول: استراتيجية الهيمنة

- مثلت استراتيجية الهيمنة أكثر الاستراتيجيات القسرية شيوعاً واستخداماً من جانب النظم السياسية الإفريقية،وتهدف تلك السياسات إلى جعل اجتراء أى مـن تلـك الجماعـات علـى سـلطة الجماعـة المهيمنة أمراً غير وارد Unthinkable أو غير مجد Unworkable (٣٤).
- وتجـدر الإشارة، إلى أن استراتيجية الهيمنة قد مارستها الجماعات الإثنية الكـبرى وجماعات الأقلية الحاكمة على حد سواء، وعلى الرغم من ادعاء الـبعض، أن الـنظم الديمقراطـية تُـنظم عملـية التنافس بين الجماعات الإثنية(٣٥)، فإن الواقع يشير إلى أن المجتمعات الإفريقية التى أخذت بالنمط الليـبرالى للديمقراطـية قد عرفت هى الأخرى ومارست سياسات الهيمنة؛ عـبر احـتكار الجماعة المهيمنة للمؤسسات السياسية القائمة على تطبيق الديموقراطية فضلاً عن اقتصار الممارسة الديموقراطية على فئة قليلة من المجتمع هم أعضاء الجماعة المهيمنة على نحو ما تكشف خبرة مجتمعات

---

(٣٢) Horowitez، Op.cit.، P: 5.
(٣٣) د. جابر سعيد: **مرجع سبق ذكره**، ص ص ١٩-٢٣.
(٣٤) Mc Garry and O'Leary (eds.)، **Op.cit.**، PP: 22-23.
(٣٥) انظر فى ذلك: **Ibid.**، PP: 23-26.

روديسيا الجنوبية (زيمبابوى)، وجنوب أفريقيا- قبل التحول- فعلى الرغم مـــن الظاهـــر الشكلى للديمقراطية فى تلك المجتمعات فإنها كانت مقتصرة علـــى الأقلية البيضاء؛ الأمر الذى يؤكد ما ذهب إليه البعض من أن النظم الديمقراطية غير محصنة ضد الممارسات القسرية لإدارة التنوع الإثنى[٣٦].

* ويمكن القول، أن نموذج الهيمنة فى جوهره، يعبر عن نموذج الاستيعاب فـــى صـــورته القســـرية خاصة فى حالات استخدام سياسات الإخضاع أو العزل والتطويق فى مواجهة الجماعات المناوئة للنخبة الحاكمة[٣٧].وعلى الرغم من دفاع البعض عن استراتيجية الهيمنة وسياساتها ومحاولة تبريرها قيمـــياً على اعتبار أن سياسات الهيمنة يمكن أن تكون البديل الوحيد لحرب أهلـــية ممتدة، فإن تلك المحاولات التبريرية لم تلق تأييداً، فى ظل ما يُمكن أن تُســـفر عـــنه مـــن إضفاء الشرعية على كافة نظم القمع والاستبداد فى أفريقـــيا ،وغـــيرها من البلدان؛ بدعوى قدرة تلك النظم على منع تصاعد الصراعات الإثنية إلى حرب أهلية[٣٨].

المطلب الثانى: استراتيجية التطهير الإثنى

* تمثل استراتيجية التطهير الإثنى، بأشكالها المختلفة، أقسى أنماط التعامل مع التعددية الإثنية، كما أنها تعد واحدة من أقدم سياسات التعامل مع مشكلات التعددية الإثنية عبر كافة العصور ومختلف المجتمعات[٣٩] .

---

(٣٦) حيث يرى ذلك النفر من الباحثين انه مع الاعتراف بأن بؤرة فى النظم الديمقراطية ستكون مختلفة عن غيرها من النظم، فإن أعتى وأكثر النظم ديمقراطية لا يتوقع أن تتسامح مع من يخرج عن منظومة القيم الاجتماعية التى تعمل تلك النظم فى إطارها. ويضيف آخر أن معنى الديمقراطية الحقيقى هو أن لا يجبر الأفراد على فعل ما لا يرغبون، إلا أن ذلك المعنى أصبح يُشير إلى أنهم أن يتسامحوا مع ما لا يرغبون. انظر:

ولعله مما يؤكد صحة الرأى السابق الموقف الفرنسى من قضية ارتداء الفتيات المسلمات للحجاب فى أماكن الدراسة.

Andrew Bell Fialkoff ،**Ethnic Cleansing** (London: Macmil 1996), P. 48.

(٣٧) حول تلك السياسات أنظر:

د.محمود أبو العينين: **مرجع سبق ذكره**،ص ٤٠

(٣٨) انظر المقولات والرد عليها فى: Mc Garry and O'Leary، **Op.cit**.، P: 26.

(٣٩) حول تاريخ استخدام استراتيجية الاستئصال الإثنى انظر: Fialkoff, Op cit., PP: 51-56. حيث يقسم الباحث ذلك التاريخ إلى ثلاثة أنماط وفق ثلاثة معايير مختلفة تاريخية وجغرافية ومنظورية Paradigmatic على نحو ما يسميها فيالكوف.

فمن الناحية التاريخية يرى فيلكوف أن سياسات التطهير الإثنى مرت بعدة مراحل؛ حيث استخدمت كأداة للسيطرة على الغرباء والشعوب المهزومة وكمصدر للعبيد الذين مثلوا بعدا اقتصاديا هاما فى العصور القديمة، أما فى العصور الوسطى فقد شابت سياسات التطهير الإثنى أبعاد دينية وإن لم تختف الأبعاد والسمات السياسية لعملية التطهير الإثنى. أما فى العصور الحديثة فيرى المؤلف أن الخصائص الدينية لسياسات التطهير قد تراجعت لتحل محلها خصائص وسمات إثنية خالصة. ويذهب فيالكوف إلى أن المرحلة الحديثة بدأت مع سياسات الاستعمار الموجهة ضد المواطنين الأصليين بالمستعمرات لإحلال المستوطنين الأوربيين محلهم، أما المرحلة الأخيرة = والراهنة، فيرى المؤلف أنها اتسمت بالمظهر الأيديولوجى حيث يسميها مرحلة التطهير الأيديولوجى وهو فى جوهره نتاج تراكم الخبرات والهويات المختلفة.

أما على الصعيد الجغرافى فيميز فيالكوف بين سياسات التطهير فى العالم القديم (إفريقيا-آسيا-أوربا) والعالم الجديد (الأمريكتين واستراليا) حيث يرى أن سياسات التطهير فى العالم القديم كانت ذات طابع نظامى تحكمه قواعد انطلاقاً من أن القائمين به وعليه كانت دول وإمبراطوريات وإمارات فى إطار سعيها لبسط نفوذها على أقاليمها أو توسعتها، فى حين أنه فى العالم الجديد كان الصراع يدور بين المواطنين الأصليين والغزاة من المستوطنين الأوربيين ولذا افتقد الطابع النظامى، اما التصنيف الثالث لأنماط سياسات التطهير فهو ما يسميه فيالكوف التطهير المنظورى ويعتنى به كافة أشكال التطهير الإثنى القائمة على خصائص معينة غير مرغوبة فى جماعة ما من الأفراد ويندرج فى ذلك الجماعات العمرية (شيوخ – أطفال) الحالة الصحية (المرضى) الوضع الطبقى (فقراء – أغنياء) النوع (رجال – نساء) الانتماء السياسى (مؤيد – معارض).

* ويقصـــد بسياســـة التطهـــير والترحـــيل الجبرى المقترن -غالباً- به ذلك (الإجـــراء العمدى المخطط للتخلص من جماعة من الأفراد غير المرغوب فيهم وإزالتهم عن إقليم ما لأسباب ترتبط بخصائص تلك الجماعة الإثنية أو الدينية أو العرقية...)[٤٠].
* وتســـتهدف سياسات التطهير الإثنى إحداث التجانس والتماسك داخل إقليم الدولـــة عبر التخلص من العناصر "الدخيلة" عليه، وهو التخلص الذى يتخذ عـــدة أشـــكال تـــتراوح ما بين سياسة الاستئصال Genocide والترحيل الجبرى Forced Transfers

<u>أولاً: سياسة الاستئصال</u>

* تعتـــبر أكـــثر السياسات عنفاً وتطرفاً إذ أنها تعنى محاولة إحداث التجانس داخـــل المجتمع المعنى من خلال التخلص العضوى المتعمد والمباشر من الجماعـــات الإثنـــية المغايرة، أو من خلال التدمير غير المباشر من خلال الإلغـــاء العمـــدى للظـــروف التى تعينهم على البقاء والاستمرار عضوياً واجتماعياً[٤١].
* وتطـــرح الخـــبرة الرواندية النموذج البارز على الساحة الأفريقية لتطبيق سياسات الاستئصال الإثنى كأداة لإدارة التنوع عبر إلغائه، فمنذ مرحلة ما قـــبل الاستقلال وفى عام ١٩٥٩ تحركت جماعة"الهوتو" ضد التوتسى فى ثـــورة دامـــية على الأوضاع السائدة ممثلة فى هيمنة التوتسى على مقاليد الأمـــور فى البلاد. وفى عام ١٩٦١ تمكن الهوتو من إسقاط النظام الملكى بقيادة التوتسى وإعلان الجمهورية بقيادة عناصر الهوتو. ومنذ عام ١٩٦٢ م،(وهو تاريخ الاستقلال الرسمى لرواندا كجمهورية يسيطر عليها الهوتو) اتـــبع الهوتو سياسة استبعاد منظم للتوتسى من المجالات المختلفة وبخاصة المجـــال السياسى؛ الأمر الذى دفع التوتسى إلى اللجوء إلى محاولة انتزاع حقوقهـــم بـــالقوة المسلحة، لتدخل البلاد فى حلقة من العنف المتبادل – منذ

---

(٤٠) Ibid، P. 3.
(٤١) د.محمود أبو العينين: مرجع سبق ذكره،ص ص ٢٤:٢٣.
وانظر د. حمدى عبد الرحمن: **قضايا فى النظم السياسية**......، مرجع سبق ذكره، ص ٨.

مطلع التسعينيات- بين الجبهة الرواندية المعارضة بقيادة التوتسى، وحكومة الهوتـــو المتطرفة بقيادة الرئيس هابياريمانا، وهو العنف الذى انعكس على ممارسة النظام الحاكم -لا سيما أجنحته المتطرفة- ضد جماعة التوتسى فى صورة مذابح جماعية ضد أبناء تلك الجماعة بلغت ذروتها فى الربع الأول مـــن عـــام ١٩٩٤ م، فـــى أعقاب اغتيال الرئيس هابياريمانا حيث سعت جماعـــات الهوتـــو المتطرفة إلى إبادة جماعة التوتسى إبادة شاملة حتى لا يهددوا جمهورية الهوتو فى رواندا. وهو ما فشلت جماعة الهوتو فى تحقيقه فى كلا المرحلتين ولم تجن سوى ترسيخ العداء بين الجماعتين الرئيسيتين فـــى الـــبلاد[٤٢]. الأمر الذى يُدّعم مقولة أن سياسة التطهير الإثنى غالباً ما تفشـــل فى تحقيق أهدافها؛ على نحو يُزيد من المرارات والأحقاد بين أبناء وأحفـــاد ضحايا تلك السياسات؛ ويؤدى إلى سهولة اندلاع مواجهات جديدة بينهم وبين غرمائهم من أبناء الجماعات الأخرى[٤٣]، طال الأمد أم قصر، على نحو ما تكشف خبرة رواندا فى إفريقيا ويوغسلافيا فى أوروبا.

ثانياً: سياسة الترحيل الجبرى

- تقوم تلك السياسات أيضاً على أساس التخلص المادى من الجماعات الإثنية المســـتهدفة عن طريق الطرد والاقتلاع جبراً لتلك الجماعات من مناطقها ودفعها للعيش فى مكان أو أماكن أخرى[٤٤] داخل البلاد أو خارجها.
- والترحـــيل الجـــبرى يمكـــن أن يتم بالإرادة المنفردة للنظام السياسى، فى مواجهـــة جماعة أو جماعات بعينها؛مثال ذلك سياسة نظام عيدى أمين فى مواجهة الجماعة الأسيوية فى أوغندا وإجبارهم على مغادرة البلاد،وكذلك سياسة الفصل العنصرى التى اتبعتها حكومات جنوب إفريقيا العنصرية فى مواجهة الجماعات الإثنية غير البيضاء وبخاصة الأفارقة من خلال محاولة حصـــرهم فى مناطق بعينها من البلاد، تمثلت فيما عُرِف ب"البانتوستانات"

---

(٤٢) لمزيد من التفاصيل حول تجربة رواندا فى هذا الصدد انظر: المرجع السابق، ص ص ٨٦-٩٠ وانظر أيضا:
د. صبحى قنصوه: "الأزمة الرواندية: من ثورة الهوتو عام ١٩٥٩م إلى مذابح الإبادة الجماعية عام ١٩٩٤م"بحث مقدم إلى **المؤتمر السنوى للدراسات الإفريقية حول الصراعات والحروب الأهلية فى إفريقيا**" (القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإفريقية - جامعة القاهرة، الفترة من ٢٩ إلى ٣٠ مايو ١٩٩٩)

(٤٣) Sisk، **Op.cit**، P: 23 Fialkoff، **Op.cit**، PP 181-186

(٤٤) د. حمدى عبد الرحمن: **قضايا فى النظم السياسية الإفريقية**، مرجع سبق ذكره، ص ٨٤.

و"الأوطـــان المحلية"؛ التى تطورت بعد ذلك إلى اعتراف بالإرادة المنفردة للـــنظام العنصرى باستقلال تلك الأقاليم،كأداة لحرمان الأفارقة من حقوقهم فى المواطنة الجنوب إفريقية،وعلى ذات الصعيد يمكن الإشارة إلى سياسات إعادة التوطين الإجبارى التى مارستها دول مثل إثيوبيا ونيجيريا والمغرب والسودان(٤٥)

* وعلـــى صــــعيد آخر، فإن عمليات الترحيل الجبرى يمكن أن تتم اتفاقاً بين دولتيـــن، على نحو ما تكشف الخبرة الأوروبية (تركيا واليونان فى أعقاب الحرب العالمية الثانية)(٤٦).
* ويشـــيرالباحثون، إلى أن اللجوء إلى الترحيل الجبرى غالباً ما يستخدم فى أثـــناء الحروب وفى أعقابها سواء تمثلت تلك الحروب فى حروب أهلية أو دولـــية، وهـــو أمر تؤكده خبرة القارة الأفريقية ممثلة فى عمليات الترحيل الجبرى المتبادلة التى صاحبت التوترات التى جرت بين موريتانيا والسنغال عـــام ١٩٨٩م بشأن الحدود؛حيث شهدت تلك الحدود موجات هجرة ما بين الجماعات ذات الأصول السنغالية فى موريتانيا، والجماعات ذات الأصول الموريتانـــية فى السنغال، والتى بلغت أعدادها مئات الآلاف على الجانبين. وذات الأمـــر شهده القرن الأفريقى فى إطار الدولة الأثيوبية الصومالية فى الســـبعينيات مـــن القـــرن العشرين، والحرب الأثيوبية الإريترية منذ عام ١٩٩٨م حيـــث جـــرت عملـــيات طرد لأبناء جاليات كل دولة لدى الدولة الأخـــرى بما فى ذلك الذين تجنسوا بجنسية البلاد وولدوا على أرضها(٤٧). ولا تفـــتقر القـــارة لأدلـــة على اتباع النظم السياسية وممارستها لسياسات الترحيل الجبرى للجماعات المعارضة ودفعها للرحيل إلى الدول المجاورة، من ذلك اندفاع جماعات التوتسى فى رواندا -إبان هيمنة الهوتو- إلى دول الجـــوار، لا سيما أوغندا، والكنغو الديمقراطية، والكونغو، ورفض عودتهم

---

(٤٥) د.محمود أبو العينين: **مرجع سبق ذكره**،ص ٢٥.

(٤٦) Fialkoff، **Op.cit**، PP: 220-234. وانظر أيضا: Mc Garry and O'Leary, (eds.)، **Op.cit**، P: 9.

(٤٧) حول ذلك النزاع وما صاحبه من عمليات ترحيل متبادلة انظر: د. صالح بكتاش: **النزاع السنغالى الموريتانى: بين المأزق العرقى والمخرج الوطنى الشعبى** (القاهرة: المستقبل العربى، ١٩٩٢) بخاصة الفصل الثانى من الباب الثالث، ص ص ٢٠٧-٢٣٥.

إلـــى البلاد مجدداً، وقد تم تبادل المواقع بين الهوتو والتوتسى حينما تمت سيطرة التوتسى على السلطة؛ حيث فرّ نحو مليونين من الهوتو من البلاد، فى حين عاد نحو ٤٠٠٠٠٠ (أربعمائة ألف) من التوتسى إليها[٤٨].

* خـــتاماً فإنه تجدر الإشارة، إلى أن البعض يرى أن ثمة ظروفاً يتزايد فيها احـــتمال اللجوء إلى سياسات التطهير الإثنى بأشكاله المختلفة تتمثل -إلى جانـــب حـــالات الحـــروب والـــتوترات الداخلية والخارجية- فى الحالات الآتية[٤٩]:
* السعى إلى تأسيس إمبراطورية أو الحفاظ عليها (مثال المذابح التى ارتكبها الأوربيون فى مستعمراتهم).
* وجود جماعات إثنية تفتقر إلى النفوذ والسلطة مع إصرارها على المطالبة والمشاركة فى الحكم (جنوب السودان – الهوتو ....).
* وجـــود جماعـــة مـــتمايزة اقتصـــادياً وثقافياً مع افتقارها للسلطة السياسية والعسكرية (الأسيويون فى أوغندا الإيبو فى نيجيريا).

المطلب الثالث: سياسة التقسيم

* تمثل المطالب الانفصالية للجماعات الإثنية تهديداً كبيراً للنظام السياسى فى ضـــوء ما تطرحه من تحدى لوحدة الدولة. على أن النظام السياسى قد لا يجد من سبيل أمامه للتعامل مع تلك المطالب سوى الإقرار بها والاستجابة لها فى ضوء حسابات المكاسب والخسائر المترتبة على تلك الاستجابة[٥٠].
* فالتكالـــيف السياســـية والمادية لسلسلة الحروب والاضطرابات المصاحبة للمطالـــب الانفصالية قد تزيد بكثير عن القيمة الرمزية والمادية للاحتفاظ بحـــدود الدولـــة؛ كما أنه فى حالة تجانس التكوين البشرى للدولة باستثناء الجماعة المطالبة بالانفصال، فإن الاستجابة لمطالب تلك الجماعة قد تُعتبر تضحية لازمة للوصول إلى الإدارة المُثلى والتكوين الأمثل للمجتمع[٥١].

---

(٤٨) د. صبحى قنصوه: مرجع سبق ذكره، ص٣٩.
(٤٩) Mc Garry and O'Leary (eds.), Op.cit., P. 8.
(٥٠) روبرت جار: مرجع سبق ذكره، ص٣٥٠.
(٥١) المرجع السابق، ص ٣٥١. ولمزيد انظر:
د.محمود أبو العينين: إدارة الصراع...، مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٧: ٢٦.

* ويُعتبر الأخذ بمبدأ حق تقرير المصير، هو الصورة الشائعة لتطبيق سياسة التقسيم، على الرغم من أن تطبيق ذلك المبدأ لا يعنى بالضرورة مباشرة القبول بالتقسيم أو حدوثه؛ فى ظل الخيارات العديدة التى يطرحها تطبيق ذلك المبدأ، وفى ظل المشكلات والتساؤلات التى يثيرها المفهوم ذاته وتتعلق بمن له حق تقرير المصير؟ وما هو النطاق الإقليمى لتطبيق ذلك المبدأ؟ وما هو حجم الأغلبية اللازمة وما هو معيارها؟ علاوة على ما هو مصير الجماعات الفرعية داخل الجماعة الإثنية المنفصلة؟ بعبارة أخرى هل يؤدى القبول بإنفصال جماعة ما إلى سلسلة من المطالبات الانفصالية داخل الجماعة الأصلية وكذا داخل الجماعة المنفصلة؟[٥٢].
* ويُلاحظ ممارسة حق تقرير المصير وتطبيقه تكون أسهل نسبياً فى الحالات التى لا توجد فيها أقلية كبيرة أو ساخطة ،ورافضة للانفصال داخل إقليم الجماعة المطالبة بتطبيق مبدأ حق تقرير المصير والمطالبة بالانفصال[٥٣].
* وعلى الرغم من اتجاه نفر من الباحثين إلى المطالبة بإدراج حق تقرير المصير فى دساتير البلاد متعددة الإثنيات –كأداة لتهدئة مخاوف جماعات الأقلية من هيمنة جماعات بعينها فإن المشاهد هو عدم إدراج ذلك المبدأ فى الكثير من الدساتير الحديثة، كما أن المطالب الانفصالية ما زالت ذات وقع سيئ لدى مختلف الأنظمة السياسية؛ فى ظل حقيقة أن المطالب الانفصالية تهدد وحدة الدولة، وتنال من حقيقة وجودها، كما إنها تمثل تحدياً للأيديولوجيات القومية التى ترفعها الجماعات المسيطرة، وعادة ما يتم مواجهة هذه المطالب باستخدام القوة. وفى المقابل فإن الإقرار بالانفصال يمكن أن يقود إلى أعمال عنف ومشكلات سياسية أسوأ من تلك التى يتم الانفصال بسببها فى ظل النظر إلى ذلك القبول على أنه تفريط فى وحدة البلاد وثروتها ؛وهو ما قد يؤدى إلى تحركات جماهيرية ضد النظام

---

(٥٢)**المرجع السابق**، ٣٠،وانظر:
.PP: 11-12 ،**.Op.cit** ،(.Mc Garry and O'Leary, (eds
.P: 13 ،**.Ibid** (٥٣)

السياسي وإسقاطه[٥٤]؛ الأمر الذى يفسر ندرة الأخذ بتلك السياسة فى التعامل مع المطالب الإثنية؛ حيث تُشير الخبرة الدولية إلى أنه حتى نهاية عام ١٩٩١م، لم يشهد العالم سوى حالة انفصال واحدة هى حالة بنجلاديش فى آسيا، وإن حققت بعض جماعات أخرى مكاسب أقل من الانفصال[٥٥].

* ولقد شهدت أفريقيا – منذ الاستقلال- العديد من دعاوى الانفصال مثل مطالبة الأشانتى والإيوى الانفصال عن غانا، وسعى الإيبو للاستقلال عن نيجيريا، ومحاولة إقليم شابا الانفصال عن الكنغو الديمقراطية ومطالبة شعب الفولبى الذى يتركز فى منطقة فوتاجاللون بالانفصال عن غينيا،والأورومو، والصوماليين فى أثيوبيا، والباروتسى فى زامبيا والباجندا فى أوغندا؛ إلا أن المشاهد هو أن أياً من هذه المطالب لم يكتب لها النجاح، حيث رأى العديد من الأنظمة التى تعرضت لتلك المطالب أن تكلفة القبول بالانفصال تفوق بكثير أعباء الاحتفاظ بالجماعة الانفصالية فى إطار الدولة[٥٦].

<u>ختاما، يمكن الإشارة إلى عدة ملاحظات:</u>

* **أولا:**أنه على حين تستهدف الاستراتيجيات السلمية إدارة الاختلافات القائمة فى المجتمع، فإن الاستراتيجيات القسرية هدفت فى كثير من الأحيان إلى إلغاء الاختلاف وإقامة مجتمع متجانس إثنيا على حساب الجماعات المغايرة فى المجتمع،عبر الاعتماد بالأساس على أداتى الاستئصال الإثنى والترحيل الجبرى.
* **ثانيا:**أن تلك الاستراتيجيات -كما سلف البيان- بمثابة الإطار العام أو الفلسفة التى تحكم الرؤية العامة للنظام السياسى فى تعامله مع واقع التعددية،وأن فاعليتها تعتمد فى جانب كبير على المؤسسات القائمة على تطبيق تلك الرؤى فى أرض الواقع وتحويلها إلى سياسات تنفيذية.

---

(٥٤) Ibid، P: 14.
(٥٥) روبرت جار: **مرجع سبق ذكره**، ص ٣٥٠ وانظر ايضا:
د. حمدى عبد الرحمن: **قضايا فى النظم السياسية الإفريقية، مرجع سبق ذكره**، ص ص ٨٥-٨٦.
(٥٦) **المرجع السابق**، ص٨٥.

* **ثالـــثا**:انطلاقا من النقطة السابقة، يمكن القول أن نجاح النظام السياسى فى إدارة الـــتعددية الإثنـــية يعتمد بدرجة كبيرة وأساسية على حجم ما يتوافر للـــنظام من إمكانات وقدرات من ناحية، وطبيعة الانقسامات القائمة ودرجة شدتها من ناحية أخر؛ حيث يمكن القول أن ثمة علاقة طردية بين حجم ما يتوافر من للنظام إمكانات وقدرات، وإمكانية التوصل إلى تسوية لما ينجم عن التعددية من صراعات؛الأكثر من ذلك أن قدرات النظام تتحكم فى كثير مـــن الأحـــيان فـــى طبيعة الاستراتيجية المتبعة فى إدارة التعددية. وعلى الجانـــب يمكـــن القول أن هناك علاقة طردية بين شدة الانقسام الإثنى فى المجتمع ودرجة صعوبة التوصل إلى تسوية للصراعات التى تنجم عن ذلك الانقسام.
* **حاصـــل القـــول**،أنـــه يصعب قبول إمكانية نجاح أى من الاستراتيجيات أو السياســـات منفردة فى إدارة كافة أشكال التعددية الإثنية وما ينجم عنها من صـــراعات؛حيث يتطلـــب الأمر مزيدا من البحث التفصيلى لكل حالة على حدة فى ضوء ظروفها واعتباراتها.

"ندوة التوتسي وأزمة البحيرات العظمى"، معهد البحوث والدراسات الأفريقية
جامعة القاهرة، ٣١-٣٣ ابريل ٢٠٠٣: ص٢٩٥ : ٣٤٨

العنف الإثني في رواندا: ديناميات الصراع السياسي بين الهوتو والتوتسي

د. صبحي قنصوه
معهد البحوث والدراسات الإفريقية

مقدمة

* روانـــدا ، إحـــدى دول إقلـــيم البحيرات العظمي الأفريقية ، دولة صغيرة المســـاحة ، حيث تبلغ مساحتها ٢٦٣٣٨ كم٢ (أي نحو ٢,٦من مساحة مصـــر) ، وعلي هذه المساحة الصغيرة يعيش نحو ٧,٥ مليون نسمة ، طـــبقاً لتقديرات أواسط التسعينيات ، وهو ما جعل رواندا تحتل المرتبة الثانية ، بعد سيشل ، علي مستوي القارة الإفريقية من حيث كثافة السكان ، وربمـــا كانت هذه الكثافة العالية أحد أسباب العنف الإثني (العرقي) الـــذي شـــهدته الـــبلاد علي مدي الأربعين عاما الماضية ، كذلك ، فإن روانـــدا دولة حبيسة ، تحدها تنزانيا شرقا والكونغو الديموقراطية غربا وأوغـــندا شـــمالا وبوروندي جـــنوبا ، ويمر نهر كاجيرا أحد الروافد الاستوائية لنهر النيل بحدودها الشرقية(١) .
* ومـــنذ عـــام ١٩٥٩ ، قـــبل الاستقلال بثلاث سنوات ، شهدت تلك الدولة موجات متقطعة من العنف الإثني ، خلال مرحلتين مميزتين ، احداهما من عام ١٩٥٩ حتي عام ١٩٦٤، والأخري من عام ١٩٩٠ وبلغت ذروتها عام ١٩٩٤، حيـــث وصـــل العنف الإثني إلي درجة الإبادة الشاملة المنظمة ، وترتبت عليها آثار مأساوية بالنسبة لرواندا ولإقليم البحيرات العظمي برمته ، حيـــث قـــتل نحـــو ملـــيون رواندي ، وتشرد معظم السكان داخل البلاد

وخارجها ، حيث نزح نحو مليونى شخص إلى الدول المجاورة ، وخاصة الكونغو الديموقراطية وتنزانيا .

* ويعتـــبر العنف إثنيا إذا كانت دوافعه أو أطرافه أو ضحاياه ، تتحدد أساسا نتـــيجة الانتماء إلي جماعة إثنية ، حيث تتميز الجماعة الإثنية عن غيرها مـــن الجماعـــات استنادا الي معايير ثقافية (وأهمها اللغة والدين والعادات والتقاليد المشتركة) أو بيولوجية (كالملامح البدنية والاعتقاد بالأصل الواحد المشـــترك) [١] . سواء كانت هذه المعايير حقيقية أو غير حقيقية ، خاصة مـــا يتصـــل منها بالأصل الواحد المشترك الذي تعتقده كثير من الجماعات الإثنية في إفريقيا المعاصرة

* ورغـــم أن عديـــدا مـــن الدول الإفريقية ، كنيجيريا والسودان وبوروندي وأوغـــندا والكونغـــو الديموقراطـــية، بالإضافة إلي رواندا ، قد عانت من ويـــلات الإثنـــية والعنف الإثني، فإن الحالة الرواندية تتسم ببعض الملامح والسمات يمكن اجمالها فيما يلي :

١- أن روانـــدا ، كدولـــة ، قد حققت وحدتها السياسية ، في إطار حدودها الحالـــية تقريـــبا ، قـــبل وصول الأوروبيين إليها بوقت طويل ، حيث خضـــعت الـــبلاد للســـلطة المركزية لملوك التوتسي ، ومعني هذا أن روانـــدا ليست دولة مصطنعة ، كما هو الحال بالنسبة لكثير من الدول الإفريقية المعاصرة[٣].

٢- إن التركيب الإثني في رواندا – علي عكس كثير من الدول الأفريقية – يتمـــيز بالبساطة الواضحة ، وهي تتشابه من هذه الناحية مع جارتها الجنوبية بورندي ، حيث ينقسم السكان إلي ثلاث جماعات إثنية ، وهي الهوتو Hutu والتوتسي Tutsi والتوا Twa ، وهذه الجماعة الأخيرة جماعـــة هامشية لا تزيد نسبتها علي ١% من السكان ، ومن ثم ، فإن ٩٩% مـــن ســـكان روانـــدا إما هوتو أو توتسي ، حيث يشكل الهوتو الأغلبية (في حدود ٨٥% من السكان) والتوتسي الأقلية (في حدود ١٤% من السكان) [٤]

٣- وبالإضافة إلى بساطة التركيب الإثني ، فإن ما يجمع الهوتو والتوتسي أكثر مما يفرقهم فهم يتحدثون لغة وطنية واحدة ، وهي الكينيا رواندية ، كمـــا يدين معظمهم بالكاثوليكية ، وكانوا في الماضي يؤمنون بالإله التقلـــيدي " إيمانـــا " ، رب روانـــدا وجميع الرواند يين ، كما تتشابه الجماعـــتان من حيث نمط التنظيم الإجتماعي ، حيث ينقسم كل منهما إلـــي عدد من القبائل ubwoko ، والتي تنقسم بدورها إلي عدد من العشـــائر والأســـر، كما تتداخل مناطق إقامة الجماعتين تداخلا وثيقا ، حيث لا توجد – بوجه عام – مناطق للهوتو وأخرى للتوتسي ، ولكن عاش أفراد الجماعتين ، جنبا إلي جنب ، علي تلال رواندا الخصيبة ، علـــي مدي قرون عديدة ، وهو ما يعني أن رواندا كان من الممكن أن تكـــون دولـــة – أمـــة . فعلي أي أساس ، إذن ، حدث ذلك الانقسام والتـــناحر بيـــن الهوتو والتوتسي ؟ ، فى الواقع ، وكما سنرى (٥) ، فقد كان نمط العلاقات الاقتصادية الاجتماعية والسياسية بين الجماعتين قـــبل مجئ الاستعمار هو عامل الانقسام والتمايز الأساسي بينهما ، ثم جـــاء الاســـتعمار لـــيؤكد علي اختلاف الأصول العنصرية للجماعات الـــرواندية ، فالـــتوا ، من الأقزام الذين يعيشون علي الجمع والالتقاط والقنص ، والهوتو ، من الزنوج البانتو ذوي القامة المتوسطة والجسم الممتلئ والشفاه الغليظة .. الخ ، والذين يحترفون الزراعة بالأساس ، أمـــا التوتســـي ، فهم من الحاميين الرعاة ، ويتميزون بالنحافة والقامة الفارعـــة الطـــول والشفاة الدقيقة .. الخ ؛ وهذه النظرة الاستعمارية العنصـــرية تخـــالف الواقع في كثير من الجوانب ، وخاصة من حيث التزاوج المختلط بين الهوتو التوتسي علىمر القرون ، باستثناء الأسرة الحاكمـــة من التوتسي (٦) ، ولكن هذه النظرة الاستعمارية أثرت تأثيراً بالغا علي علاقات الجماعتين قبيل الاستقلال وبعده ، كما سنري (٧).

٤- إن العـــنف الإثني في رواندا المعاصرة جاء نتيجة تفاعل مجموعة من العوامـــل والأسبـــــاب ، بعضـــها تـــاريخـــي (يـــتعلق بنمط

العلاقـات الاقتصـادية والاجتماعـية والسياسية بين الهوتو والتوتسي قبل وخـلال الاستعمار) ، وبعضها ثقافي ونفسي (يتعلق بالصور والمدركات الذهنـية التـي تـنظر بها كل من الجماعتين إلى نفسها وإلي الجماعة الأخـري) ، وبعضـها سياسـي (يـتعلق بطبيعة واتجاهات النخب السياسـية الإثنية ، ومدى استعدادها وقدرتها على توظيف الانقسامات الإثنـية لأغـراض سياسـية) ، وبعضها اقتصادي (وخاصة ضيق مساحة البلاد وكثرة سكانها) ، وبعضها خارجي (من حيث المواقف والظروف الإقليمية والدولية) [٨].

٥- أنـه رغـم تعـدد عوامل وأسباب العنف الإثني في رواندا ، فإن حدة العـنف ودمويته تعبر في جانب منها عن عجز النظام السياسي القائم عن التكيف مع الظروف المتغيرة ، وهذا العجز عن التكيف جاء نتيجة تغلب قوي التشدد في النظام علي قوي الاعتدال في اللحظات الفاصلة ، وفـي ظـل هذا الوضع ، فإن العنف الدموي يعتبر نتيجة منطقية ، حيث لا مجال للحلول الوسط وحيث الاختيار بين بقاء النظام القائم كما هـو أو سـقوطه كلـية ، وهذا ما حدث بالفعل خلال الفترة ١٩٥٩-١٩٦٤ حيـث سـقط خلالهـا النظام الذي كان يسيطر عليه التوتسي (الأقلـية) ، وخلال الفترة ١٩٩٠- ١٩٩٤ حيث سقط خلالها النظام الذي كان يسيطر عليه الهوتو (الأغلبية)

٦- إن العـنف الإثنـي فـي رواندا لم يكن – في أغلب الأحوال – عنفا عشـوائيا أو ولـيد اللحظـة ، ولكنه كان عنفا منظما ومقصوداً ، تم تخطـيطه وتنفـيذه علـي يـد المتشددين في النظام الحاكم أو تحت إشـرافهم ، وتتشـابه روانـدا من هذه الناحية مع جارتها الجنوبية ، بوروندي ، ولكن مع تبادل المواقع بين الهوتو والتوتسي ، ففي رواندا ، وحتـي عام ١٩٩٤، كان العنف المنظم موجها من الهوتو(الأغلبية المسـيطرة) إلي التوتسي (الأقلية) ، وحدث العكس في بوروندي ،

حيـث ظلـت السـيطرة علـى مقاليد الأمور هناك في يد الأقلية من التوتسي .

* وفـي هذا الإطار ، سيتم تقسيم هذا البحث إلي ثلاثة مطالب ، يدور أولها حـول خلفيات وديناميات العنف الإثني في رواندا حتي عام ١٩٩٠ ، بينما يكرس المطلبان الآخران لبحث هذه الظاهرة خلال الفترة التي أعقبت تجدد الحرب الأهلية الرواندية عام ١٩٩٠، والتي وصلت ذروتها بالإبادة الإثنية الجماعية في ربيع عام ١٩٩٤ .

المطلب الأول

العنف الإثني في رواندا حتى ١٩٩٠: الخلفيات والديناميات

* فـي الأول مـن نوفمبر ١٩٥٩، انطلقت شرارة العنف الإثني في رواندا الحديثة ، تعبيرا عن مدي عمق الانقسام والكراهية بين الهوتو والتوتسي ، نتـيجة نمـط العلاقات الذي كان قائما بين الجماعتين قبل وخلال المرحلة الاستعمارية من جهة ، ونتيجة لما جاء به الاستعمار من تأثيرات علي هذه العلاقـات من جهة أخري ، أي أن الميراث التاريخي للعلاقات الإثنية في روانـدا يمـثل نقطـة الـبداية في فهم وتفسير العنف الدموي بين الهوتو والتوتسي ، وهو العنف الذي تميز به الصراع السياسي بين الجماعتين منذ بدايته عام ١٩٥٩ وحتي ذروته عام ١٩٩٤

أولاً – خلفيات العنف : الميراث التاريخي للعلاقات بين الهوتو والتوتسي.

١ – العلاقات الإثنية في المجتمع الرواندي التقليدي

* تمـيزت العلاقات الإثنية في المجتمع الرواندي التقليدي (قبل الاستعمار) بعـدم المسـاواة ، حيث تمكن التوتسي (الأقلية) من فرض هيمنتهم فى مختلف مجالات الحياة على الهوتو (الأغلبية) .

أ – ففـي المجال السياسي ، سيطر التوتسي علي هرم السلطة التقليدي ، فعلـي القمـة ، كان هناك الملك – الموامى mwami باللغة الرواندية – ويلـيه مسـتويات عديدة من الأمراء والرؤساء التقليديين ، وكان منصب الملـك وراثيا ، تتوارثه قبيلة" أبانييجينـيا abanyiginya " التوتسية

، وتمتع ملوك رواندا من التوتسي بمكانة عالية تصل إلى درجة التقديس . حيث كان الملك تجسيدا للإله الرواندي التقليدي " إيمانا " ، ورمزا مادي لرواندا كلها ، بالإضافة الي سيادة الاعتقاد بالأصل المقدس للأسرة المالكة ، ووجود عدد من المؤسسات والقواعد والطقوس التي أضفت مزيدا من الهيبة علي ملوك التوتسي في رواندا ، وكان من أهم هذه المؤسسات ما كان يعرف بمجلس "البيرو"biru ، وكانت مهمته إضفاء الشرعية علي الملك الجديد ، حيث كانت قواعد وطقوس تنصيب الملك سراً لا يحيط به إلا أعضاء ذلك المجلس (٩).

* كذلك ، فقد كان معظم الأمراء والرؤساء التقليديين من التوتسي ، وكان هؤلاء الأمراء ينقسمون إلي ثلاث فئات من حيث اختصاصهم ، فكان منهم أمراء المراعي ، الذين يشرفون علي أراضي الرعي ، وأمراء الجيش ، الذين يتولون تجنيد الرجال في الجيش الملكي ، وأمراء الأرض ، الذين يقومون بتوزيع الأرض الزراعية والإنتاج الزراعي وجباية الخراج ، وكان كل أمير من هؤلاء الأمراء يمارس سلطاته في نطاق تل من تلال رواندا الكثيرة ، وكان هؤلاء الأمراء من التوتسي بالطبع ، فيما عدا أمراء الأرض ، حيث كان بعضهم من الهوتو ، نظرا لما لهم من خبرة بشئون الأرض والزراعة (١٠).

ت- وفي المجال الاقتصادي – الاجتماعي ، سيطر التوتسي علي مصادر الثروة التقليدية (الماشية والأرض) ، وتمكنوا من إخضاع الهوتو – اقتصاديا واجتماعيا – من خلال ما كان يعرف بعلاقة الأوبوهاكي ubuhake ، وهي علاقة بين تابع ومتبوع ، أو بين مولي وولي نعمته ، وكانت الماشية – رمز الثروة في المجتمع التقليدي – هي محور هذه العلاقة ، وبمقتضاها كان السيد(المتبوع) يمنح مولاه (التابع) رأسا من الماشية للانتفاع بها ، وفي المقابل ، كان على التابع أن يقدم للمتبوع قدرا من السلع والخدمات ، كما كان لهذه العلاقة أبعاد شخصية واجتماعية ، حيث كان المولي (التابع)

يعتـــبر نفسه من " رجال " السيد (المتبوع) ، كما كان هذا الأخير يبسط حمايته علي أتباعه ومواليه إزاء ما قد يتهددهم من أخطار أو أضرار[١١].

* ورغم أنه لا يعرف علي وجه التحديد متي وكيف نشأت علاقة الأوبوهاكي فـــي روانـــدا ، إلا أنهـــا تحولت بمرور الوقت إلى علاقة إثنية بين الهوتو والتوتسي ، أصبح التوتسي في ظلها أسيادا (متبوعين) ، والهوتو موالي (تابعيـــن) ، وذلـــك نتيجة حرمان الهوتو – كقاعدة – من امتلاك مصادر الـــثروة التقليدية (الماشية والأرض) ، واستئثار التوتسي بها ، وأصبحت علاقـــة الأوبوهاكـــي معيارا للتمايز بين الجماعتين ، فإذا تمكن أحد من الهوتـــو من امتلاك بعض رؤس الماشية ، بموافقة متبوعه من التوتسي ، كان يفقد انتماءه للهوتو ويصبح توتسيا ، والعكس صحيح ، إذا فقد أحد من التوتســـي رؤوس ما شيته ، فإنه كان يعتبر ساقطا umuwore ، ويتحول إلى فرد من الهوتو[١٢] .

ج- وفـــي المجال الثقافي ، ساد تراث من الأساطير والمرويات الشعبية ، تـــتحدث عن الأصل المقدس للتوتسي وحقهم الطبيعي في الحكم والقيادة ، ومـــن ذلـــك مثلا " قصة الأصول " ، التي تتحدث عن بداية تاريخ رواندا بحكم " كيجوا" Kigwa ، الذي هبط من السماء ، وأنجب ثلاثة أبناء ، وهم " جاتوتسي " Gatutsi ، وهو أصل التوتسي ، و"جاهوتو"Gahutu ، وهو أصل الهوتو ، و"جاتوا" Gatwa ، وهو أصل التوا ، وعندما أراد "كيجوا" ، كما تقول الأسطورة ، أن يختار خليفته في الحكم ، عهد إلى كل من أبنائه الثلاثة بإناء من اللبن ، وطلب منه أن يحافظ عليه حتي الصباح ، وعندما جـــاء الفجـــر كان "جاتوا" قد شرب إناءه ، أما "جاهوتو" ، فقد أهمل ونام حتي الصباح وانسكب إناؤه، "جاتوتسي" فقط هو الذي ظل يقظا ، وحافظ علي إنائه ، وأصبح له الحق وحده في الحكم ، وأن يكون "جاهوتو" خادما له ، أما "جاتوا" فقد أصبح مطرودا منبوذا من المجتمع [١٣].

* ويبدو مما سبق أن التوتسي كانوا يتمتعون في المجتمع الرواندي التقليدي

بوضع مسيطرسياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، بالنسبة للهوتو والتوا على السواء ، وشمل هذا الوضع المسيطر معظم أنحاء رواندا ، فيما عدا بعض المناطق في شمالا البلاد وجنوبها الغربي ، ثم جاء الإستعمار الأوروبي مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادى ، وترك آثارا عميقة علي العلاقات بين الهوتو والتوتسي ، وهي الآثار التي أدت في نهاية المطاف إلي انفجار العنف بين الجماعتين كما سنري ·

٢- العلاقات الإثنية في رواندا خلال المرحلة الاستعمارية ·

* كانت رواندا ، ومعها بوروندي المجاورة ، من أواخر المناطق الإفريقية التي وصل إليها الأوروبيون في العصر الحديث ، وتعتبر رحلة المستكشف الألماني " فون جوتسن" إلي المنطقة عام ١٨٩٤، البداية الحقيقية للوجود الأوروبي هناك ، وفي عام ١٩٠٠، أنشئت أول إرسالية كاثوليكية في جنوب رواندا ، ثم أنشا الألمان مركزا عسكريا لهم في" كيجالي" Kigali ، عاصمة رواندا الحالية ، عام ١٩٠٧ ، وظلت البلاد تحت الحكم الألماني غير المباشر حتي عام ١٩١٦ ، عندما تمكنت القوات البلجيكية القادمة من الكونغو من إخراج الالمان منها ، في غمار الحرب العالمية الأولي ، ومنذ ذلك التاريخ وحتي استقلالها عام ١٩٦٢ ، ظلت رواندا تحت الإدارة البلجيكية إما بصورة مباشرة أو من خلال نظام الانتداب (منذ عام ١٩٢٤) ، في ظل عصبة الأمم ، أو نظام الوصاية ، بعد إنشاء الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ [١٤].

* ورغم قصر الفترة الاستعمارية ، إلا أن آثارها كانت بعيدة المدي علي العلاقات الإثنية في رواندا ، وكان للفكر الاستعماري السائد ونشاط الإرساليات المسيحية وسياسات الإدارة الاستعمارية دور حاسم في هذا الشأن ·

أ – أثر الفكر الاستعماري

* قـام الكـتاب والمؤرخون والأنثروبولوجيون الاستعماريون بإضفاء ظلال عنصرية علي العلاقات الإثنية في رواندا ، من خلال التأكيد علي اختلاف الأصـول " العنصـرية " للجماعات الرواندية ، وأن بعضها يتمتع بالتفوق العنصـري إزاء الجماعـات الأخـري ، وظل هذا المنظور الاستعماري العنصـري سـائدا فـي رواندا وخارجها حتي الاستقلال ، دون مناقشة الفروض الأساسية التي يقوم عليها ، ومن ثم ، فإن تاريخ رواندا وجماعاتها الإثنـية وعلاقـات هـذه الجماعات ببعضها البعض ، كان ينظر إليها من مـنظور عنصري ، وطبقا لهذا المنظور، جاء التوا الأقزام في حضيض الترتيـب العنصري الاجتماعي ، يليهم الهوتو الزنوج الزراعيين ، وعلي القمة التوتسي الحاميون الرعاة ، الذين كانوا آخر الجماعات الثلاث وصولا الـي رواندا ، وتمكنوا ، بفضل تفوقهم الفطري ، طبقا لهذا المنظور، من بسط سيطرتهم علي الجماعتين الأخريين(١٥).

- هذه الأفكار الاستعمارية أدت إلي تكييف الوعي الجماعي الإثني فى رواندا ، حيـث أصـبح يحمل طابعا عنصريا ، يستند الي "أسس علمية" قدمتها الدراسـات الأنثروبولوجية والتاريخية الاستعمارية ، فقد أصبح التوتسي يشعرون أنهم فعلا من أصل عنصري متفوق ، يختلف عن الهوتو والتوا ، وانـتقل هذا الشعور بالتفوق العنصري شيئا فشيئا من الطبقة الأرستقراطية التوتسية إلى عامة التوتسي ، حتي الفقراء منهم ، الذين كانوا يرتدون نفس الأسـمال البالـية كجيرانهم الهوتو، كما استخدمت الأرستقراطية التوتسية الجديدة ، هذه الأفكار لتبرير سيطرتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، اسـتنادا إلـى الحق التاريخي والتفوق الطبيعي المزعوم ، وفي المقابل ، صـدق الهوتـو أنهـم أدني عنصريا بالفعل من التوتسي ، وهذا الشعور بالضعة والدونية جعل الهوتو يكرهون التوتسي جميعا بلا استثناء ، حتي الفقراء منهم ، وترجم هذا الشعور فيما بعد الي عنف ضد التوتسي دون

تميـــيز، وظـــل هذا الشعور في الوعي الجماعي للهوتو ، حتي بعد الاستقلال وسيطرتهم علي مقاليد الأمور في البلاد ، وهو ما تجسد في عبارات من قبيل " الإقطاعييـــن الاستغلاليين" ، التي استخدمها الأيديولوجيون الهوتو للإشارة إلي التوتسي (١٦).

ب - أثر الإرساليات المسيحية

* رغم أن الإرساليات المسيحية ، وخاصة الكاثوليكية ، قد بدأت نشاطها في رواندا منذ عام ١٩٠٠ ، إلا أن انتشار المسيحية في تلك البلاد ظل محدوداً حتي عام ١٩٢٧ ، عندما بدأ الروانديون يتحولون إلى المسيحية علي نطاق واســـع ، وخاصــــة مـــنذ عام ١٩٣١، عندما قامت الإدارة الاستعمارية البلجيكـــية بعـــزل الموامـــي (الملك) "موسينجا" ، وتنصيب ابنه "رودا هيجوا" ملكا علي البلاد ، حيث اعتنق هذا الأخير المسيحية ، عكس سلفه ، وأصبحت الكنيسة ، من ثم ، قوة اجتماعية كبري في المجتمع الروانديى ، لها اتباع بمئات الألوف بمن فيهم الملك نفسه (١٧).
* وبوجـــه عـــام ، فقـــد كان موقف الإرساليات المسيحية حتي نهاية الحرب العالمـــية الثانية عام ١٩٤٥، في صالح الأقلية التوتسية المسيطرة ، حيث كان موقفها محافظا إزاء الوضع القائم ، لأن تغييره كان معناه حدوث ثورة اجتماعية لم تكن الإرساليات المسيحية ولا الإدارة الاستعمارية ترغب فيها ، كمـــا أن نشاط هذه الإرساليات في إمارات الهوتو المستقلة في الشمال ، كـــان مـــن بيـــن العوامـــل التي شجعت الإدارة الاستعمارية (الألمانية ثم البلجيكـــية) ، إلـــى ضـــم هذه الإمارات إلى مملكة التوتسي في رواندا ، وبالتالي إخضاع مناطق جديدة لسيطرة التوتسي (١٨).
* كما كان للإرساليات أثر آخر علي العلاقات الإثنية في رواندا ، من خلال نشـــاطها في مجال التعليم الغربي (الذي أصبح أحد الأسس الهامة للدخل والمكانـــة في ظل النظام الاستعماري) ، حيث اعتقد رجال الإرساليات - ومعهم الإداريون الاستعماريون - أن التوتسي أكثر ذكاء بالفطرة ، وأنهم

، مـــن ثـــم ، أكثر استعدادا لتلقي التعليم الغربي ، ومن هنا ، حصل التوتسي (الأقلـــية) علي معظم الفرص التعليمية الحديثة ، فمثلا ، في مدرسة " نيانزا" كـــان هناك ٣٤٩ تلميذا (عام ١٩٢٨) جميعهم من أصول توتسية ، وفي عام ١٩٤٥ ، كـــان هـــناك ٤٩ تلميذا في مدرسة "أستريدا" (بوتاري حاليا) منهم ثلاثة فقط من الهوتو ، والباقون من التوتسي ، وفي مجال التعليم بعد الثانوي ، لـــم يكن أمام الهوتو إلا معاهد اللاهوت في "كابجايي" و " نايكيباندا" ، وبذلك تعمق الشعور بالتفوق لدي التوتسي ، نتيجة هذا التحيز التعليمي لصالحهم (١٩) .

<u>ج- أثر سياسات الإدارة الاستعمارية</u>

* اعـــتمد الألمان ، ومن بعدهم البلجيك ، في تنفيذ سياستهم في رواندا علي نظام الحكم غير المباشر، وكان معني ذلك استمرار هيكل السلطة السياسية التقلـــيدية الذي يسيطر عليه التوتسي ، ورغم أن الوجود الاستعماري كان قـــيدا علي السلطات المطلقة لملوك التوتسي وأمرائهم ، إلا أنه بالنظر إلي العلاقات الإثنية بين الهوتو والتوتسي ، فقد أدت السياسات الاستعمارية ، وخاصـــة البلجيكـــية ، إلى توسيع وتعزيز سيطرة التوتسي علي الهوتو ، وذلـــك حتي نهاية الحرب العالمية الثانية ، من خلال عديد من الإجراءات والممارسات.

- فقـــد قامت الإدارة الألمانية (عام ١٩١٢) ، ومن بعدها الإدارة البلجيكية (أعوام ١٩١٨،١٩٢٠ ، ١٩٣١) بضم إمارات الهوتو المستقلة في الشمال الـــي مملكـــة روانـــدا التـــي يســـيطرعليها التوتسي ، واعتبرت الإدارة الاســـتعمارية الأراضـــي المشـــاعية ، أراض غير مأهولة ، يجوز للدولة الاســـتيلاء علـــيها ، وكان معظم هذه الأراضي في مناطق الهوتو التي تم ضمها حديثا ، كما كانت الدولة - حينئذ - ممثلة في ملوك وأمراء التوتسي ، وكان معني ذلك تطبيق العلاقات التقليدية بين الهوتو والتوتسي ، وخاصة علاقة الأوبوهاكي ، في مناطق لم تعرفها من قبل ، ولعل هذا يفسر لماذا

كانت مناطق الهوتو في شمال رواندا في مقدمة المناطق الرواندية التي اندلعت بها أعمـــال العـــنف ضـــد التوتسي عام ١٩٥٩، حيث لم ينس الهوتو في هذه المناطق اســتيلاء التوتســي علي أراضيهم ، وقسوتهم في تطبيق نظام الأوبوهاكي الذي لم يألفوه من قبل [٢٠].

– كذلك ، قامت الإدارة البلجيكية ، منذ عام ١٩٢٦، بتنفيذ عدة إجراءات وسياســات ، عرفت بأسم " إصلاحات فوازان " ، أدت ، في مجملها ، إلي تعزيــز الوضـــع المهيمـــن للتوتسي ، ففي عام ١٩٢٩ ، قامت بدمج مهام الأمراء الثلاثة (المراعي والجيش والأرض) ووضعتها في يد أمير واحد ، مـــن التوتسي غالباً ، وألغت ، من ثم ، التوازن التقليدي للسلطة وأقامت نظاما سلطويا يعتمد علي أمراء التوتسي ، ويتحمل أعباءه الفلاحون الهوتو ، وخاصـــة بعد تعميم نظام العمل الإجباري للصالح العام ، ومما يدل علي مـــدي هيمـــنة التوتسي فى ظل النظام الاستعمارى ، أنه فى عام ١٩٥٩ ، عـــندما بـــدأ العنف بين الهوتو والتوتسى ، كان هناك ٦٠٤ أميرا ، علي مخـــتلف المســـتويات ، جميعهم من التوتسي ، فيما عدا ١٣ أميرا فقط من الهوتو [٢١].

- والخلاصة ، فإنه بحلول الخمسينيات من القرن العشرين ، كانت العلاقات الإثنـــية فـــي روانـــدا قـــد شـــهدت تحولا خطيرا علي يد الاستعماريين الأوروبيين ، سواء كانوا كتابا أو مؤرخين أو أنثروبولوجيين أو إداريين أو رجال دين أو معلمين ، حيث نظر هؤلاء الي التاريخ الرواندى والجماعات الـــرواندية ، من منظور عنصري ، وتحولت فكرة تفوق التوتسي ودونية الهوتـــو والـــتوا من أسطورة الي حقيقة ، تستند الي أسانيد " علمية " ، بل ووضعت موضع التنفيذ في شكل سياسات وممارسات ، ومنذ ذلك الحين ، أصبح الوعي والفعل الجماعي في رواندا محكوما بتلك الحقيقة المصطنعة ، وبذلك زرع الاستعمار الأوروبي قنبلة العنف الإثني بين الهوتو والتوتسي ، وأصبح انفجارها مسألة وقت لا أكثر ، وقد حدث وانفجرت هذه القنبلة

عام ١٩٥٩ ، وتبعتها موجات من العنف بين الجماعتين ، وكان في الذهن دائما تلـــك الأفكـــار والأســـاطير العنصـــرية التي غرسها الأوربيون حول أصول الجماعات الرواندية وعلاقاتها عبر القرون (٢٢).

ثانياً ديناميات العنف (١٩٥٩-١٩٩٠)

* شهد عام ١٩٥٩ ، بداية ثورة الهوتو (الأغلبية) ، ضد النظام القائم ، الذى كان يسيطر عليه التوتسى (الأقلية) ، وكان موقف السلطات الاستعمارية ، الذى انقلب الآن وتحول لصالح الهوتو ، حاسما فى تقويض الهيمنة التقليدية للتوتســـى ، خلال مجموعة من التطورات ، توجت باستقلال رواندا ، عام ١٩٦٢ ، فـــى ظـــل نظام جمهورى يهيمن عليه الهوتو ، وظل ذلك النظام قائما خلال العقود الثلاثة التالية للاستقلال .

١ - ثورة الهوتو وسقوط مملكة التوتسى (١٩٥٩ - ١٩٦٢).

أ - مقدمات الثورة :

* شـــهدت روانـــدا ، في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، مجموعة من الـــتطورات ، مهدت لقيام الهوتو بثورتهم عام ١٩٥٩ ، وكان من أهم هذه التطورات :

(١) ظهـــور نخـــبة موازيـــة من الهوتو في مواجهة النخبة المسيطرة من التوتســـي ، وجـــاء ظهور هذ النخبة نتيجة عوامل عديدة ، منها : التوسع الكبـــير فـــي الاقتصاد النقدي ، وتصدع قواعد النظام الاجتماعي التقليدي القائم علي الاقتصاد غير النقدي ، كما يبدو مثلا في إلغاء نظام الأوبوهاكي رسميا عام ١٩٥٤، كذلك ، فقد تغير موقف الكنيسة تدريجياً لصالح الهوتو ، وتخـــرج كثـــير من عناصر النخبة الجديدة من الهوتو ، مثل جريجوار كايبـــياندا أول رئيس لرواندا بعد الاستقلال ، من مدارس اللاهوت التابعة للكنيســـة ، كما أخذت الإدارة البلجيكية منذ عام ١٩٥٢ ، في إدخال درجة محدودة من التمثيل شبه الانتخابي في تشكيل المجالس الاستشارية القائمة، وعلي رأسها " المجلس الأعلي للدولة " ، وكان ذلك بداية لاعتماد الممارسة

السياســية علي الانتخابات العامة ، وهي خطوة كانت لصالح الأغلبية من الهوتو [٢٣] .

(٢) كذلــك ، فقــد شــهدت فــترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تسييس الانقسامات الإثنية القائمة في رواندا ، وأصبح ذلك واضحا منذ عام ١٩٥٧ ، ففـــي فــبراير من ذلك العام ، أصدر المجلس الأعلي للدولة ، وهو هيئة استشــارية يســيطر عليها التوتسي ، بيانا يطالب فيه بحصول رواندا علي الحكم الذاتي تمهيدا للاستقلال ، وردا علي ذلك ، قام جريجوار كاييباندا ، وثمانية آخرون من المثقفين الهوتو ، بإصدار بيان مضاد في مارس ١٩٥٧ ، عــرف " بيان شعب الهوتو" وطبقا لذلك البيان ، فإن المشكلة في رواندا ليســت في الاستعمار البلجيكي ، ولكن في الاحتكار السياسي والاقتصادي والتعليمـــي الذي يتمتع به التوتسي ، ومن ثم ، فقد اعتبر البيان أن القضاء علي هذا الاحتكار ينبغي أن يسبق أي حديث عن الاستقلال [٢٤].

- وفـــي أعقــاب ذلــك ، اتجه كل من الهوتو والتوتسي إلي أنشاء تنظيماتهم السياسية ، ففي يونيو ١٩٥٧، تشكلت الحركة الاجتماعية للهوتو ، بزعامة كاييــباندا ، وتحولــت هذه الحركة إلى حزب سياسي في اكتوبر ١٩٥٩ ، باســم " الحــركة الديموقراطــية الروإندية / حزب حركة تحرير الهوتو"، والمعروف اختصارا باسم "بارميهوتو" PARMEHUTU ، وفي نوفمبر مــن نفس العام ، ظهر حزب آخر للهوتو باسم " رابطة ترقية الجماهير" ، المعــروف اختصــارا باســم " أبروسوما" APROSOMA ، بزعامة جوزيــف جيتيرا ، وهو رجل أعمال من الهوتو، وفي نفس الوقت ، قامت النخبة المحافظة من التوتسي ، في أغسطس ١٩٥٩، بإنشاء حزب "الاتحاد القومي الرواندي" ، المعروف اختصارا باسم "أونار" UNAR ، واتخذ هــذا الحــزب نهجــا مؤيدا للملكية التقليدية ، ومعاديا للبلجيك ، ومطالبا بالاستقلال الفوري للبلاد [٢٥].
- ومــع تــزايد الاســتقطاب السياسي بين الهوتو والتوتسي ، تراجعت قوي الاعــتدال بيــن الجماعتين ، لتفســح الطريق أمام المتشددين ، كما

حدث ، مثلا ، في حالة الأمير " بواناكويري" ، وهو من التوتسي المعتدلين وكــان أمــيرا لمــنطقة أســتريدا (بوتاري) ، حيث أخفق في تنفيذ افكاره الإصلاحية ، بسبب معارضة المتشددين التوتسي وعندما قام ، في سبتمبر ١٩٥٩ ، بإنشــاء حــزب "الــتجمع الديموقراطى الرواندى" ، المعروف اختصــارا باسم "رادير" RADER ، كحزب اصلاحى ليبرالى ، عارضه المتشددون التوتسى بسبب اتجاهاته الاصلاحية ، واتهموه بانه صنيعة فى يــد الادارة الاستعمارية ، وفى نفس الوقت ، لم يلق ذلك الحزب تأييدا من الهوتو ، نظرا لكون زعيمه من التوتسى ، ومن ثم ، ظل ذلك الحزب على هامش الحياة السياسية الرواندية[٢٦].

* وفي هذا المناخ من التشدد السياسي الاثنى ، كان انفجار العنف أمرا منطقيا ، وكــل ما كان مطلوبا هو حادث هنا أو هناك لإشعال الموقف ، وهو ما حدث بالفعل عام ١٩٥٩ .

ب- مراحل ثورة الهوتو ونتائجها :

(١) انفجار العنف وبداية الثورة (نوفمبر ١٩٥٩)

- انطلقــت شرارة العنف بين الهوتو والتوتسي في أول نوفمبر عام ١٩٥٩ ، عندما قام بعض شباب حزب " أونار" - التوتسي - بالاعتداء علي الأمير "مبونــيوموتوا" ، العضــو البارزفي حزب "بارميهوتو" ، حيث أصيب بجراح بالغة ،وسرعان ما سرت إشاعات غير صحيحة عن مصرعه ، قام على أثرها النشطون الهوتو بمهاجمة التوتسى وإشعال النار فى منازلهم ، وفى نفس الوقت ، قامت القوات الملكية التوتسية ، بتعقب النشطين الهوتو ، واســتمر العــنف والعــنف المضاد بين الهوتو والتوتس حتى ١٤ نوفمبر ١٩٥٩ ،وخلفــت هــذه الموجة من العنف نحو ٣٠٠ قتيل ، معظمهم من التوتسى ، بالإضافة إلى إحراق مئات المنازل وتشريد عشرات الآلاف من التوتسى ، وأثبتت هذه المصادمات حدوث تحول جذرى فى موقف الإدارة الاستعمارية البلجيكية ، التى أصبحت تنظر بعين الشك إلى حلفائها السابقين

مــن التوتســي ، بسبب مطالبتهم بالاستقلال الفورى للبلاد ، ومن هنا ، تحول موقــف البلجيك لصالح الهوتو، وكان ذلك عاملا حاسما فى نجاح ثورتهم ضد النظام التقليدى الذى يسيطر عليه التوتسى[٢٧].

(٢) الانتخابات البلدية عام ١٩٦٠ وتقويض السيطرة السياسية للتوتسي.

* فــي أوائــل عـــام ١٩٦٠ ، قامت الإدارة البلجيكية بعزل كثير من أمراء التوتســي ، وعينت مكانهم آخرين من الهوتو، كما قامت بتحويل الإمارات والرئاسات التقليدية الي بلديات ، يدير شئونها رئيس بلدية ومجلس منتخب ، وأجريــت الانــتخابات الــبلدية بـــالفعل في يونيو – يوليو ١٩٦٠، رغم معارضـــة الأمم المتحدة ، التي كانت رواندا خاضعة لوصايتها ، وأسفرت الانــتخابات عـــن فوز ساحق لأحزاب الهوتو، بينما قاطعها حزب" أونار" التوتســي ، وفـــي أعقـــاب الانتخابات ، أصبح معظم رؤساء البلديات من الهوتو (٢٠٠ رئيس بلدية من الهوتو ، مقابل ٩ فقط من التوتسي) ، وفي نفس الوقت قامت السلطات البلجيكية باحتجاز الملك " موتارا الثالث "، ملك روانـــدا حينـــئذ ، لـــدي زيارته الي ليوبولد فيل (في الكونغو) ، لمقابلة الأميـــن العام للأمم المتحدة للاحتجاج علي إجراء الانتخابات ، وتم تشكيل حكومـــة مؤقـــتة فـــي رواندا ، برئاسة جريجوار كاييباندا ، زعيم حزب " بارميهوتو " [٢٨].

(٣) انقلاب جيتاراما وإعلان الجمهورية.

- بعد فشل مؤتمر" أوستدن " – ببلجيكا – للمصالحة بين الأطراف الرواندية ، والذي عقد في يناير ١٩٦١، بضغوط من الأمم المتحدة ، أعلنت بلجيكا مـــنح الحكم الذاتي للحكومة الرواندية المؤقتة ، وبعد ذلك بثلاثة ايام (في ٢٨يناير ١٩٦١) ، دعي جميع رؤساء البلديات وأعضاء المجالس البلدية ، للاجـــتماع فـــي " جيـــتاراما " – مســـقط رأس كاييباندا – ، وكان هذا الاجتماع بمثابة انقلاب بالفعل علي النظام التقليدي ، حيث تقرر خلاله الغاء الملكية التوتسية وجميع رموزها، و إعلان الجمهورية، وانتخب الأمير

"مبونيوموتوا " ، الذي كانت إشاعة مقتله سببا في بداية ثورة الهوتو عام ١٩٥٩ ، رئيســا للجمهوريـــة الجديدة ، كما تولي "كايبباندا" منصب رئيس الوزراء ، وأعلنــت الإدارة البلجكــية اعترافها – بحكم الواقع – بالنظام الجمهوري الذي أعلنه الهوتو ، ثم سحبت هذا الاعتراف بعد ذلك ، تحت ضغط الأمم المتحدة ، علـــي أن تجـــري الانتخابات العامة في سبتمبر ١٩٦١، لاختيار حكومة للبلاد وتقرير مستقبل الملكية في رواندا[٢٩].

(٤) الانتخابات العامة (١٩٦١) وسقوط مملكة التوتسي.

* أجريــت هذه الانتخابات في سبتمبر ١٩٦١ ، وحصل حزب "بارميهوتو" علـــي ٣٥ مقعدا تشريعيا (من بين ٤٤ مقعدا) ، كما حصل حزب" أونار" علي ٧ مقاعد ، وحزب أبروسوما علي مقعدين ، وصوت نحو ٨٠% من الناخبين لصالح إلغاء النظام الملكى ، ومن ثم ، أصدر المجلس التشريعى ، فـــي أكــتوبر ١٩٦١، قرارا بإلغاء الملكية ، وتجريد الملك – الذي كان مازال خارج رواندا – من سلطاته ، كما تم إعلان الجمهورية في البلاد ، وانتخـــب "كايبباندا" رئيسا لتلك الجمهورية الوليدة ، وفي ديسمبر ١٩٦١ ، حصـــلت رواندا علي الحكم الذاتي ، تمهيداً لاستقلالها ، الذي تم بالفعل في أول يوليه عام ١٩٦٢ ، في ظل نظام جمهوري يسيطر عليه الهوتو[٣٠].

٣- جمهوريـــة الهوتـــو وأيديولوجـــية الاســـتبعاد السياســـي للتوتســـي (١٩٦٢-١٩٩٠)

* لم يتوقف العنف الإثني بين الهوتو والتوتسي باستقلال رواندا عام ١٩٦٢، حيـــث حـــاول التوتسي استعادة سلطانهم المفقود ، بينما عمل الهوتو علي المحافظة علي جمهوريتهم الوليدة ، وبحلول عام ١٩٦٥ ، كان واضحا أن التوتســـي قـــد خسروا المعركة ، ولو إلى حين ، وهو ما مكن الهوتو من تعزيز هيمنتهم علي مقاليد الأمور في البلاد ، خلال عهد كايبباندا (١٩٦٢ -١٩٧٣) وعهد هابياريمانا (١٩٧٣-١٩٩٤) .

أ – نظام كايباندا : استمرار العنف الإثني وتعزيز هيمنة الهوتو

* أدت موجـــات العـــنف بين الهوتو والتوتسي ، منذ عام ١٩٥٩، إلى فرار عشـــرات الآلاف مـــن اللاجئين التوتسي إلي الأقاليم المجاورة ، وخاصة بورونـــدي فـــي الجـــنوب وأوغندا في الشمال ، ومنذ عام ١٩٦٠، قامت مجموعات صغيرة من هؤلاء اللاجئين بشن حرب عصابات غير مؤثرة ، ضـــد نظام الهوتو الناشئ في رواندا ، وأطلق الهوتو علي هذه العصابات اســـم " انينزي" Inyenzi – وتعني الصراصير باللغة الرواندية – ، وفي ديسمبر عام ١٩٦٣، شنت عصابات الإنينزي آخرهجماتها ضد النظام القائم فـــي رواندا ، حيث تمكن نحو ١٥٠٠ من عناصرها من التقدم إلى مسافة ٢٠كـــم مـــن "كيجالي" – العاصمة – ، قادمين من قواعدهم في بوروندي المجـــاورة ، ولكن الجيش الحكومي الرواندي تمكن من صد المهاجمين ، وردهم علي أعقابهم ، وفي أعقاب ذلك قامت الحكومة الرواندية بحملة قمع واسعة النطاق ضد التوتسي ، المقيمين في رواندا، قتل خلالها ما بين ١٠-١٤ ألـــف شـــخص ، بمن فيهم جميع السياسيين التوتسي الذين ظلوا داخل الـــبلاد ، حتي المعتدلين منهم مثل الأمير " بوانا كويري" ، مؤسس حزب " رادير" ، كما فر عشرات الآلاف الآخرين من التوتسي إلى الدول المجاورة ، وبعـــد هـــذه الموجـــة الجديدة من العنف ، وصل عدد اللاجئين التوتسي خـــارج رواندا – منذ بداية العنف عام ١٩٥٩ وحتي أواخر عام ١٩٦٤- إلـــى نحو ٣٣٦ ألف شخص ، منهم ٢٠٠ ألف في بوروندي ، و٧٨ ألفا في أوغندا ، و٣٦ ألفا في تنزانيا ، و٢٢ ألفا في الكونغو (الديموقراطية) ، وإن كانت الأعداد الحقيقية للاجئين غير معروفة علي وجه الدقة [٣١].

* وبفشـــل هجـــوم ١٩٦٣ ، وما أعقبه من عنف واسع النطاق ضد التوتسي داخـــل روانـــدا ، ازدادت الانقسامات بين اللاجئين التوتسي في الخارج ، وخاصة حول جدوي العمل العسكري فى تسوية الصراع مع الهوتو ، وفى المقابل ، توطدت أركان نظام "كايباندا" ، فقد استغل ذلك النظام هجمات

عصابات الانينزي ، وخطر "الإقطاعيين التوتسي" ، لإحكام قبضته علي مقاليد الأمـــور في البلاد ، ومارس كايبياندا السلطة كما لو كان ملكا من ملوك رواندا السـابقين ، ولكنه من الهوتو هذه المرة ، وليس من التوتسي ، كما طبق النظام سياسة الحصص الإثنية في المدارس والجامعات والجهاز الإداري ، وغير ذلك من المؤسسات الحكومية والعامة ، وبمقتضي هذه

السياســة ، كانت النسبة المخصصة للتوتسي ٩% فقط ، وهي نسبتهم السكانية حسـب الاحصـاءات الرسمية ، بينما كان النسبة المخصصة للهوتو ٩٠% ، والتوا ١% ؛ وفي عام ١٩٧٢ وكرد فعل علي المذابح الجماعية التي قامت بها الأقلـية التوتسـية الحاكمـة ضد الهوتو ، في بوروندي المجاورة ، قام نظام كايبياندا بتشكيل" لجان مراجعة" ، للتأكد من تطبيق سياسة الحصص الإثنية بدقة ، في مختلف المؤسسات والهيئات في البلاد ، وترتب علي ذلك فصل كثير من التوتسـي مـن وظائفهم ومدارسهم وجامعاتهم ، وفر كثير منهم خارج البلاد ، وكـان كايبياندا يسعي، من وراء ذلك ، إلى توطيد أركان نظام حكمه ، ولكن الصـراع الإقليمي بين عناصر النخبة من الهوتو (هوتو الوسط والجنوب في مواجهـة هوتو الشمال) ، عجل بالإطاحة بذلك النظام بانقلاب عسكري ، قام به قائد الجيش "جيوفينال هابياريمانا" ، في يوليو ١٩٧٣ (٣٢).

ب- نظام هابياريمانا : التعايش السلمي في ظل هيمنة الأغلبية الإثنية .

* بـانقلاب يوليو ١٩٧٣، انتقل مركز السلطة السياسية في رواندا من هوتو الوسط والجنوب(كايبياندا) إلى هوتو الشمال (هابياريمانا) ، وعمل النظام الجديد علي تثبيت أقدامه في الحكم ، من خلال حل مؤسسات النظام السابق ، واعـتقال عناصـره الـبارزة ، بمن فيهم الرئيس كايبياندا ، والذي لقي مصرعه ، فيما بعد بين عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٦ ، هو ونحو ٤٠-٥٠ من أنصاره ، في ظروف غامضة ، أثناء اعتقالهم ، وفي نفس الوقت ، عمل هابياريمانا من أجل تحقيق الاستقرار السياسي والتنمية الاقتصادية في البلاد ، فأنشـأ عـام ١٩٧٤ ، حزب " الحركة الثورية القومية من أجل التنمية"

MRND ، كحـــزب وحـــيد فـــي البلاد ، وفي عام ١٩٨١، أنشأ مجلسا تشـــريعيا ، أطلق عليه اسم " المجلس القومي للتنمية" CND ، ومن هنا ، أطلـــق بعـــض الكـــتاب علي نظام هابياريمانا وصف ديكتاتورية التنمية ، وشـــهدت الـــبلاد بالفعل درجة من التحسن في الأوضاع الاقتصادية خلال أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات(٣٣).

* وعلـــي صـــعيد العلاقـــات الإثنية ، فقد استمر نظام هابياريمانا في تطبيق سياســـة الحصـــص الإثنية ، ولكن بدرجة أقل صرامة عما كانت عليه في عهد كاييباندا ، علي أساس ٩٠% للهوتو، و٩% للتوتسي ، و١% للتوا ، كما أصبحت ظروف الحياة اليومية للتوتسي داخل البلاد ، أفضل حالا عما كانت عليه من قبل ، وتمكن بعضهم من تكوين ثروات طائلة ، ومن إقامة علاقـــات طيـــبة بالنظام الحاكم ، كل ذلك بشرط واحد ، وهو عدم اقتراب التوتسي من السياسة باعتبارها شأنا خاصا بالهوتو، أي أن نظام هابياريمانا ظـــل ملـــتزما ، شأنه شأن نظام كاييباندا ، بأيديولوجية الاستبعاد السياسي للتوتسي ، ومن ثم ، فلم يكن هناك رئيس بلدية واحد منهم ، كما كان لهم وزير واحد فقط من بين نحو ٢٥-٣٠ وزيراً ، وكان لهم ضابط واحد فقط فـــي الجـــيش الـــرواندى كله ، وعضوان فقط ، من بين ٧٠ عضوا ، في المجلس التشريعي (٣٤).

* ولكـــن سنوات الازدهار في ظل نظام هابياريمانا لم تستمر طويلا ، حيث مـــنذ أواســـط الثمانينـــيات ، بدأ ذلك النظام يواجه مجموعة من التحديات الداخلـــية والخارجية ، والتي ازدادت حدة منذ بداية التسعينيات ، ووضعت روانـــدا علـــي مفترق طرق ، ما بين خيار المصالحة الوطنية أو استمرار أيديولوجـــية الهيمـــنة السياسية الإثنية ، حتى ولو تطلب الأمر إبادة جميع التوتسي والمعارضين الهوتو .

المطلب الثانى

أزمة التسعينيات والاختيار الصعب : فرصة المصالحة الوطنية وتحديات التطرف السياسي الإثنى

أولاً: أبعاد الأزمة .

* واجـــه نظـــام هابـــياريمانا ، منذ أواخر الثمانينات ، أزمة متعددة الأبعاد، بعضـــها داخلـــي وبعضها خارجي، وكان أكثرها خطورة ، بدء الصراع المسلح ضد ذلك النظام على يد "الجهة الوطنية الرواندية" منذ عام ١٩٩٠، بالإضـــافة إلـــى تدهور الأوضاع الاقتصادية والانقسام بين عناصر النخبة الحاكمة من الهوتو وتصاعد المعارضة الداخلية للنظام الحاكم، وخاصة بعد اضطراره إلى السير فى طريق التحول الديموقراطى.

١- التدهور الاقتصادي والصراع بين عناصر النخبة من الهوتو .

* منذ أواخر الثمانينيات، أخذت الأوضاع الاقتصادية فى رواندا فى التدهور، نتـــيجة انخفـــاض أسعار البن، محصول الصادرات الرئيسي للبلاد، حيث وصلت أسعاره عام ١٩٨٩ إلى نصف ما كانت عليه فى النصف الأول من الثمانينـــيات، كما مرت بالبلاد موجة جفاف عام ١٩٨٩/٨٨، مات بسببها نحـــو ٣٠٠ شخص ونزح آلاف آخرون إلى تنزانيا، وفى نفس الوقت، تم تخفـــيض الميزانـــية العامـــة بنحو ٤٠% ، وتفاقمت أزمة الغذاء وتزايدت معـــدلات الـــبطالة، مـــع انتشار قصص الفساد والثراء غير المشروع بين عناصر النخبة الحاكمة (٣٥) .

* ومـــع تدهـــور الأوضـــاع الاقتصادية، ازدادت حدة الصراع السياسي بين عناصـــر النخـــبة مـــن الهوتـــو، ليس فقط بين هوتو الشمال وهوتو الوسط والجـــنوب، ولكـــن أيضاً بين هوتو الشمال وبعضهم البعض، كالصراع بين مجموعة "بوشيرو" بزعامة هابياريمانا، ومجموعة "بوجويى" بزعامة ثيونست لـــيزندى، الذى تم اعتقاله عقب محاولة الانقلاب الفاشلة عام ١٩٨٠، وكذلك الصـــراع بين مجموعة "روهينجيرى" ومجموعة "جيسينى"، وفى سياق هذا

الصراع تكونت مجموعة قوية داخل النخبة الحاكمة ، عرفت باسم "مجموعة المـــدام" أو الحاشـــية - akazu باللغة الرواندية - ، نسبة إلى مدام أجاثى، زوجة هابياريمانا، وضمت عدداً من أقاربها وكبار رجال الجيش والحكومة، وكـــان لهـــذه المجموعة نفوذ كبير فى دوائر صنع القرار فى رواندا حينئذ، وكانت هذه المجموعة على استعداد لاستخدام أية وسيلة، بما فى ذلك العنف، من أجل المحافظة على مصالحها وامتيازاتها، وفى هذا السياق ثارت شكوك قويـــة حـــول دور عناصرها فى اغتيال العقيد " مايويا" فى أبريل ١٩٨٨، وكـــان من أقرب المقربين من الرئيس هابياريمانا، وكان هناك انطباع قوى بأنه سيكون خليفته فى رئاسة الدولة، كما شهد عام ١٩٨٩ مصرع عدد من منتقدي الفساد فى دوائر النخبة الحاكمة، وكان من بين القتلى بعض أعضاء المجلـــس التشـــريعي، وكانت عملية القتل غالباً تتم من خلال حوادث طرق متعمدة باستخدام سيارات النقل(١).

٢-التحول الديموقراطي وتصاعد المعارضة الداخلية للنظام .

* اضطر نظام هابياريمانا ، نتيجة الضغوط الداخلية والخارجية، وخاصة من جانـــب المانحين الدوليين، إلى السير فى طريق التحول الديموقراطي ، - منذ يوليو ١٩٩٠، بعد حضوره القمة الفرنسية الأفريقية فى "لابول" بفرنسا، وفـــى ســـبتمبر من ذلك العام، أنشئت لجنة خاصة لوضع مشروع "ميثاق وطني" - دستور جديد- للبلاد، وأنجزت اللجنة مهمتها فى ديسمبر ١٩٩٠، وبعـــد ذلـــك بستة أشهر (يونيو ١٩٩١) ، صدر الدستور الجديد، وتحولت روانـــدا بموجـــبه ، رســـميا ، مـــن نظام الحزب الواحد إلى نظام التعدد الحزبي[٣٧].
* وكانـــت أحـــزاب المعارضة السياسية قد أخذت فى الظهور ، تباعاً ، منذ أوائـــل عام ١٩٩١، قبل أن تتحول البلاد رسمياً إلى نظام التعدد الحزبي، ومن أهم هذه الأحزاب[٣٨] :

أ-الحركة الديموقراطية الجمهورية MDR :

* أنشئ هذا الحزب فى مارس ١٩٩١، وهو إحياء لحزب "بارميهوتو" القديم ، ولكنه تخلى عن اسمه السابق لارتباطه بالعنف الإثنى الذى شهدته البلاد قبل وبعد الاستقلال، واستند هذا الحزب إلى تأييد الهوتو فى وسط وجنوب البلاد.

ب-الحزب الاجتماعي الديموقراطي PSD :

* أنشئ فى أبريل ١٩٩١، وهو حزب ذو توجهات ليبرالية، وقاعدته الإقليمية فى بوتارى، جنوب البلاد.

ج-الحزب الليبرالي PL :

* أنشـــئ فى نفس الوقت تقريباً، وهو حزب حضري، ذو توجهات ليبرالية ، ولم يرتبط بقاعدة إقليمية أو إثنية معينة.

د-الحزب الديموقراطي المسيحي PDC :

* أنشـــأه بعــض الديموقراطييــن المسيحيين فى أوائل عام ١٩٩١، وواجه صعوبات كبيرة بسبب موقف الكنيسة الكاثوليكية المؤيد لنظام هابياريمانا.

هـ-الائتلاف من أجل الدفاع عن الجمهورية CDR :

* وهــو حــزب متطرف، أنشأه بعض المتشددين الهوتو فى مارس ١٩٩٢، واتخــذ موقفــاً متشـــدداً تجاه الصراع الإثنى فى البلاد، وأنشأ- دون باقي أحــزاب المعارضـــة - محطة إذاعية خاصة، هي "راديو وتليفزيون ميل كولينز الحر"، وكان لهذه المحطة دور خطير فى تشجيع الإبادة الإثنية عام ١٩٩٤.

* وأصـــبح وجود هذه الأحزاب - وغيرها من الأحزاب الصغيرة - قانونياً منذ يوليو ١٩٩١، كما أضاف الحزب الحاكم كلمة "الديموقراطية" إلى اسمه لمســـايرة التطورات الجديدة، ومن ثم ، أصبح الاسم الجديد للحزب هو " الحركة الثورية القومية من أجل التنمية والديموقراطية MRNDD " ، ولم

تكتف قوى المعارضة الداخلية بإنشاء تنظيماتها السياسية، ولكنها أخذت تضغط مــن أجــل ممارسة ديموقراطية حقيقية، ومشاركة فعلية فى السلطة السياسية، وهــو ما أثار مخاوف بعض عناصر النخبة الحاكمة من الهوتو على مصالحها وامتــيازاتها، وأصــبحت هــذه العناصر على استعداد لعمل أي شئ لدفع هذا الخطــر القــادم، الذى تواكب مع تطور آخر أكثر خطورة، وهو تجدد الحرب الأهلــية الــرواندية ، وبدء العمل المسلح ضد نظام هابياريمانا على يد الجبهة الوطنية الرواندية منذ أكتوبر ١٩٩٠ .

٣- **تجدد الحرب الأهلية الرواندية: دور الجبهة الوطنية الرواندية .**

أ- **تشكيل الجبهة .**

* ترجع بدايات تشكيل الجبهة الوطنية الرواندية (Rwandan Patriotic FrontThe (RPF) ، إلـــى ظروف الحياة الصعبة والمتقلبة التى واجهها اللاجـــئون التوتســـى الروانديون فى المنفى، وخاصة أولئك المقيمون فى أوغندا بسبب انخراطهم فى المعترك السياسي الأوغندي، حيث أيدوا انقلاب عيدي أمين ضد نظام أوبوتى عام ١٩٧١، وبعد الإطاحة بنظام عيدي أمين عـــام ١٩٧٩، وعـــودة أوبوتى إلى الحكم مرة أخرى عام ١٩٨٠، أصبح اللاجـــئون التوتســـى عرضه لاضطهاد النظام الجديد، والذي وصل ذروته عام ١٩٨٢، بسبب انضمامهم إلى حركة "يورى موسيفنى"، التى بدأت فى شـــن حرب عصابات ضد نظام أوبوتى منذ عام ١٩٨١، واستمرت سياسة اضطهاد التوتسى فى أوغندا حتى استيلاء موسيفنى على السلطة هناك فى يـــناير ١٩٨٦، ومن ثم أصبح لهم دور بارز فى النظام الجديد، حيث كانوا يشـــكلون نحو ٢٠% من قوات موسيفنى، كما عين اثنان منهم، وهما "فرد رويجـــيما" و "بـــول كاجـــامي" فـــى مناصـــب قيادية فى الجيش وأجهزة الأمـــن الأوغـــندية، وأصـــبحا فيما بعد على رأس قيادات الجبهة الوطنية الرواندية(٣٩).

* وفـــى ظـــل هذه الظروف المتقلبة، قام اللاجئون التوتسى فى أوغندا ، عام ١٩٧٩، بإنشـــاء "مؤسسة رفاهية اللاجئين الروانديين RRWF" ، لمساعدة الذيـــن يتعرضـــون للاضطهاد على يد النظام الأوغندي ، بعد سقوط عيدي أميـــن، وفى عام ١٩٨٠، غيرت RRWF اسمها إلى "التحالف الرواندي من أجل الوحدة الوطنية" RANU، كتنظيم ذو توجهات يسارية، واضطر هذا التنظـــيم إلى الانتقال إلى نيروبي ، فى كينيا ، بين عامي ١٩٨١و ١٩٨٦، خـــلال عهـــد أوبوتى، وعاد مرة أخرى إلى كمبالا (أوغندا) ، بعد استيلاء موسيفنى على السلطة عام ١٩٨٦، وخلال انعقاد المؤتمر السابع للتنظيم فى

ديســمبر ١٩٨٧، قــرر تغيير اسمه إلى "الجبهة الوطنية الرواندية" ، بهدف العمل علــي إعــادة اللاجئيــن التوتســي إلــي رواندا، ولو بالقوة إذا لزم الأمر (٤٠).

* ويــبدو مــن ذلك ، أن الجبهة الوطنية الرواندية قد نشأت على يد اللاجئين التوتسى فى أوغندا، وشكل هؤلاء الأغلبية الساحقة من قوات جناحها المسلح المعــروف باسم "الجيش الوطني الرواندي" - انكوتانيه Inkotanyi باللغة الــرواندية ومعناها المقاتلون الأشداء -، ولكن فيما بعد، اجتذبت الجبهة إلى صــفوفها عناصــر مــن اللاجئيــن التوتسى من غير المقيمين فى أوغندا، بالإضافة إلى بعض الهوتو المعارضين لنظام هابياريمانا، مثل "كانيارينجوى" ، الذى أصبح رئيساً للجبهة، و"ثيونست ليزندى" ، (الذى تمكنت قوات الجبهة مــن إطلاق سراحه من السجن، خلال هجومها على "روهينجيرى" فى شمال روانــدا عــام ١٩٩١)، وبوجه عام، فقد قامت سياسة الجبهة على أساس أن تظل عملية صنع القرارات الأساسية فى يد التوتسى المقيمين فى أوغندا، مع ضم عناصر من غيرهم، بما فى ذلك بعض الهوتو الموثوق بهم، وإنشاء قــيادة رسمية للجبهة ، تبدو- فى الظاهر- متعددة الإثنيات، وتأثرت الجبهة فى هذا الشأن بتجربة "حركة المقاومة الوطنية" الأوغندية بزعامة موسيفنى(٤١).

ب- نشوب الحرب الأهلية (١٩٩٠) والتدخل الدولي.

* منذ عام ١٩٨٩، كانت التطورات فى رواندا وأوغندا تدفع بالجبهة الوطنية الــرواندية لــبدء العمــل المسلح ضد نظام هابياريمانا، حيث بدأ اللاجئون التوتســي يواجهون المتاعب من جديد فى أوغندا، وأبعد كثير من قياداتهم، وفــي مقدمتهم فرد رويجيما، عن مناصبهم، وخاصة بعد تزايد الانتقادات والاحــتجاجات داخــل أوغــندا على دورهم البارز فى الجيش والحكومة الأوغــندية، وفــي رواندا أيضا ، كانت التطورات تمضى فى غير صالح الجبهة، ففي يوليو ١٩٩٠، أعلن هابياريمانا عن التزامه بالتحول إلى نظام التعدد الحزبي، كما أبرم اتفاقاً مع أوغندا لإعادة اللاجئين إلى رواندا

تدريجـيا، وكـان معنى ذلك فقدان الجبهة أهم مبررات وجودها، ومن ثم قررت استباق الأحداث وبدء الهجوم المسلح لإحباط هذه التطورات[٤٢].

* وقـد انـتهزت الجبهة فرصة وجود الرئيسين الرواندي والأوغندي فى نـيويورك لحضور اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة، وبدأت هجومها علـى شمال رواندا فى أول أكتوبر ١٩٩٠، وحقق الهجوم نجاحاً كبيراً فى الـبداية، ولكـن مـع نهاية الشهر ، كان الهجوم قد انتهى بالفشل، وفقدت الجبهة ثلاثة من أبرز قياداتها، ومنهم قائدها العسكري فرد رويجيما، وقام خلفـه ، بول كاجامى، بإعادة تنظيم قوات الجبهة ، وتحولت عملياتها منذ الحين إلى أسلوب حرب العصابات ، وتسببت هذه العمليات فى فرار أكثر من ٣٠٠ألف من الفلاحين الهوتو كلاجئين داخل البلاد(٤٣).

* وسـرعان مـا تدخلـت أطراف إقليمية ودولية فى القتال بمجرد نشوبه، فبالنسـبة لأوغندا، فقد كان موقفها الفعلي مسانداً للجبهة الوطنية الرواندية، حيـث كان الجيش الأوغندي المصدر الرئيسي لتسليح قوات الجبهة، سواء بعلم أو بدون علم القيادة الأوغندية، نتيجة الروابط الوثيقة بين رفاق السلاح السابقين منذ أيام القتال ضد نظام أوبوتى، أما زائير (الكونغو الديموقراطية حالياً)، فقامت بإرسال عدد من قواتها للوقوف إلى جانب الجيش الحكومي الرواندي ضد قوات الجبهة، كما أرسلت بلجيكا بعض القوات إلى رواندا – دون أن تشـارك فـى القـتال – ثم سحبتها بعد ذلك، أما فرنسا، فقد كان انحـيازها واضـحاً للحكومة الرواندية، فأرسلت عدداً من القوات الفرنسية لحمايـة المنشـآت الحـيوية فـى رواندا، وقامت بإمداد الجيش الحكومي الـرواندي بمـا يحتاجه من ذخيرة وسلاح، وهذا الموقف الفرنسي جاء – ضـمن عوامل أخرى – نتيجة ما اعتبرته فرنسا مؤامرة أنجلوساكسونية، تقـوم بتنفـيذها أوغندا والجبهة الوطنية الرواندية، لزعزعة استقرار دولة فرانكفونية، وهى رواندا، وهذا الخوف الفرنسي من التهديد لأنجلوساكسونى يرتبط بما يسميه بعض الكتاب "أعراض عقدة فاشودة"(٤٤).

وفـــي الواقـــع ، فقـــد جاءت هذه المواقف الإقليمية والدولية من تجدد الصراع المسلح في رواندا ، تعبيرا عن تغير في السياسة الدولية والتوازن الإقليمي في مـــنطقة البحيرات العظمى في مرحلة ما بعد الحرب الباردة ، ويشار هنا بوجه خـــاص إلـــى التغير في السياسة الأمريكية في المنطقة ، وفي أفريقيا عموما ، والحديـــث عـــن التنافس الأمريكي – الفرنسي في القارة ، حيث سعت السياسة الأمريكية الجديدة إلى إعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة بما يخدم مصالحها في مرحلة ما بعد الحرب الباردة ، وذلك من خلال خلق ودعم بعض القادة الأفارقة الجدد من الزعامات الإفريقية الشابة ، والتي وصلت إلى السلطة في بلادها من خلال العمل العسكري (يوري موسيفيني في أوغندا وميليس زيناوي في إثيوبيا وأســـياس أفورقي في اريتريا) ، وتأكد هذا التوجه الأمريكي الجديد من خلال طـــرح مشـــروع القرن الإفريقي الكبير ، والذي يضم ، إلى جانب دول القرن التقليدية ، كلا من أوغندا ورواندا وبوروندي والكونغو الديموقراطية بالإضافة إلى جنوب السودان ، ويهدف هذا المشروع إلى إنشاء بنية أساسية تخدم مصالح شـــركات التعديـــن والـــنفط الأمريكية ، ولكن اصطدم هذا المشروع بالوجود الفرنســـي فـــي رواندا ، في ظل نظام هابياريمانا ، والكونغو الديموقراطية – زائير حينئذ – ، في ظل نظام موبوتو ، ومن هنا يمكن فهم تداخل الاعتبارات الداخلـــية والإقليمـــية والدولـــية في الأزمة الرواندية التي بدأت عام ١٩٩٠، ووصـــلت ذروتها في ربيع عام ، فعلى المستوى الداخلي ، تبلور الصراع بين نظـــام هابـــياريمانا مدعومـــا من الهوتو في مواجهة التوتسي والجبهة الوطنية الـــرواندية وبعـــض المعارضـــين الهوتو ، وعلى المستوى الإقليمي ، وضع الصراع أوغندا ، في ظل حكم موسيفيني ، في مواجهة الكونغو الديموقراطية – زائـــير – ، في ظل حكم موبوتو ، وعلى المستوى الدولي ، كان ذلك الصراع تعبـــيرا بدرجـــة أو أخـــرى عن التنافس الأمريكي الفرنسي في مرحلة ما بعد الحـــرب الـــباردة ، وجـــاء الصراع في رواندا ليشكل الجولة الأولى في ذلك التنافس بين الأنجلوفون والفرانكوفون ، وانتهت هذه الجولة لصالح الأنجلوفون

– كمـا سـنرى – عام ١٩٩٤ ، ثم دارت الجولة الثانية على أراضى الكونغو الديموقراطية منذ عام ١٩٩٦ [٤٥] .

ثانياً: فرصة المصالحة الوطنية وتحديات التطرف السياسي الإثني .

* بحلـول عـام ١٩٩٢، كانـت الحكومة الرواندية تتعرض لضغوط داخلية وخارجـية كبيرة من أجل التوصل إلى تسوية متفق عليها للأزمة السياسية الـتى واجهت البلاد منذ بداية التسعينيات، حيث أدى استمرار الأزمة إلى تحمـيل الاقتصـاد الرواندي، المتدهور أصلاً، بأعباء ضخمة نتيجة زيادة الإنفاق العسكري، الذى زاد بنسبة ١٨١% ، بين عامي ١٩٩٠ و ١٩٩٢، وخلال نفس الفترة ، زاد عدد قوات الجيش الرواندي من نحو ٤-٥ آلاف فـرد ، إلى ما بين ٤٠-٥٠ ألف فرد، وازداد عجز الميزانية العامة حتى وصـل إلـى نحـو ١٨٨ملـيون دولار أمريكي عام ١٩٩٠، وانخفضت احتياطيات النقد الأجنبي إلى النصف تقريباً، وزادت الديون الخارجية بنسبة ٣٦%، وفـى نفس الوقت، كان نظام هابياريمانا يتعرض لضغوط إقليمية ودولـية من أجل التوصل إلى تسوية سلمية للأزمة، وجاءت هذه الضغوط مـن جانـب تنزانـيا وفرنسا والولايات المتحدة وبلجيكا ومنظمة الوحدة الأفريقية وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي وغيرها[٤٦].
* ونتـيجة لهذه الضغوط ، اضطر النظام الرواندي، منذ أوائل عام ١٩٩٢، إلـى الـتراجع عـن موقفه المتشدد، والسير من ثم فى طريق المصالحة الوطنية ، وإن كان بخطوات بطيئة ومترددة ومتعثرة، وفى نفس الوقت كان المتشددون الهوتو، فى الحكومة وخارجها، يسيرون بالبلاد فى طريق آخر، بغـرض تقويـض عملية المصالحة وتسوية الأزمة بالطريقة التى يرونها ملائمة، حتى ولو كان ذلك من خلال إبادة الخصوم إبادة شاملة.

١-عملية المصالحة الوطنية: التطورات والمضمون .

* كانـت الـبداية فـى مارس ١٩٩٢، عندما وقع الرئيس هابياريمانا اتفاقا تاريخـياً مـع المعارضـة الرواندية، وافق فيه على تشكيل حكومة وحدة وطنية، يكون رئيسها من أكبر أحـزاب المعارضـة الرواندية حينئذ،

وهــو حــزب "الحــركة الديموقراطــية الجمهوريــة MDR"، كما وافق هابياريماناً أيضاً على الدخول فى مفاوضات مع الجبهة الوطنية الرواندية، الــتى كانــت فـــى صراع مسلح مع النظام الروائدي منذ أكتوبر ١٩٩٠، وبالإضافة إلى ذلك، أعلن هابياريمانا عن قبوله - من حيث المبدأ - بفكرة عقــد مؤتمــر وطني، وبذلك أصبح الباب مفتوحاً للمضي قدماً فى طريق المصالحة الوطنية فى رواندا (٤٧).

* وبـــالفعل، تـــم فـــى إبريل ١٩٩٢، تشكيل الحكومة الجديدة، وشارك فيها أحزاب المعارضة الرئيسية الأربعة، بالإضافة إلى الحزب الحاكم، وضمت هـــذه الحكومـــة واحـــدا وعشرين منصباً وزارياً، حصل الحزب الحاكم (الحركة الثورية القومية من أجل التنمية والديموقراطية) MRNDD على تســعة مــنها، بما فيها وزارتي الدفاع والداخلية، وحصل حزب (الحركة الديموقراطــية الجمهوريــة)MDR على خمسة مناصب، بما فيها رئاسة الوزراء والخارجية، كما حصل كل من (الحزب الاجتماعي الديموقراطي) PSD و(الحــزب الليبرالي) PL، على ستة مناصب، ثلاثة لكل منهما، بما فــيها وزارتـــي المالية والعدل، وحصل (الحزب الديموقراطي المسيحي) PDC علـــى منصب واحد، وشرعت الحكومة الجديدة فى وضع سياسات مغايرة لعديد من السياسات السابقة، منها إلغاء سياسة الحصص الإثنية فى مجـــال التعلـــيم، وإصـــدار أحكـــام قضائية بعدم دستورية بعض المراسيم الرئاسية، وعزل بعض حكام المديريات الرواندية وتعيين آخرين مكانهم من أحزاب المعارضة (٤٨).

* وفى مسار مواز، بدأت المفاوضات بين الحكومة الرواندية والجبهة الوطنية الرواندية، من أجل التوصل إلى تسوية سلمية للصراع المسلح فى البلاد، ففي مايو ١٩٩٢، عقد اجتماع فى كمبالا (أوغندا) بين وزير الخارجية الرواندي ونائب رئيس الجبهة الوطنية الرواندية، واتفق الطرفان على بدء المفاوضات بينهما فى باريس فى شهر يونيو، وهو ما حدث بالفعل، حيث تم التوصل إلى اتفـــاق بشـــأن الجوانـــب الفنية لمفاوضات السلام، كما أعلنت الجبهة

عـــن تخلـــيها عن الصراع المسلح كوسيلة لتحقيق أهدافها، وقامت الحكومة الـــروانديـة باستبعاد العناصر المتشددة فى قيادة الجيش، وفى يوليو ١٩٩٢، وقـــع الطـــرفان اتفـــاق وقـــف إطـــلاق الـــنار بينهما فى "تسيلى" بالكونغو الديموقراطـــية، زائـــير حينـــئذ، علـــى أن تشرف على تنفيذه مجموعة من المراقبين العسكريين التابعين لمنظمة الوحدة الإفريقية [٤٩].

* وفـــى أعقاب ذلك، بدأت مفاوضات السلام فى أروشا (تنزانيا) ، بين الجبهة الوطنـــية الرواندية من جهة والحكومة الرواندية (بأحزابها الخمسة) من جهة أخرى ،من أجل التوصل إلى تسوية شاملة للأزمة الرواندية، وبعد مفاوضات شـــاقة ومطولـــة، تـــم التوصل إلى عدد من الاتفاقات، حول ترتيبات اقتسام الســـلطة خـــلال المـــرحلة الانتقالية (أكتوبر ١٩٩٢ ويناير ١٩٩٣) وإعادة توطيـــن اللاجئيـــن (يونيو ١٩٩٣) وإنشاء جيش وطني جديد من خلال دمج قـــوات الطرفين (أغسطس ١٩٩٣) ، وتم التوقيع على هذه الاتفاقات فى جو احتفالي فى أروشا فى ٤أغسطس ١٩٩٣، بحضور رؤساء رواندا وبوروندي وتنزانيا وأوغندا ورئيس وزراء الكونغو الديموقراطية (زائير حينئذ) وممثل لفرنسا[٥٠].

* وطبقاً لهذه الاتفاقات، كان مقرراً أن تمر البلاد بمرحلة انتقالية مدتها ثمانية عشر شهراً، يعقبها انتخابات ديموقراطية، وتحكم رواندا خلال هذه المرحلة حكومـــة وحدة وطنية يشارك فيها الحزب الحاكم السابق والجبهة الوطنية الـــروانديـة وأحـــزاب المعارضة الرئيسية فى الداخل، وتتمتع هذه الحكومة بالســـلطة الكاملـــة، أمـــا الرئيس هابياريمانا، فتم الاتفاق على أن يبقى فى منصبه، ولكن دون سلطات فعلية، حيث اقتصرت مهامه على تمثيل الدولة وإصـــدار القوانيـــن دون تعديلهـــا أو الاعتراض عليها، وإلقاء خطاب إلى الشـــعب الرواندي بعد موافقة الحكومة الانتقالية، كما تم الاتفاق أيضا على أن يـــتكون مجلـــس الـــوزراء خلال المرحلة الانتقالية من اثنين وعشرين منصباً وزارياً، منها خمسة للحزب الحاكم السابق (الحركة الثورية القومية

من أجل التنمية والديموقراطية) MRNDD، بما فيها وزارة الدفاع، وخمسة للجبهة الوطنية الرواندية ، بما فيها وزارة الداخلية، وخمسة لحزب (الحركة الديموقراطية الجمهورية) MDR، بما فيها منصب رئيس الوزراء، وثلاثة لكل من (الحزب الاجتماعي الديموقراطي) PSD، والحزب الليبرالي) PL، ومنصب واحد للحزب الديموقراطي المسيحي PDC، وتم الاتفاق أيضاً على إنشاء مجلس تشريعي انتقالي، يتكون من سبعين عضواً على أساس أحد عشر عضواً لكل من القوى السياسية المذكورة ، عدا الحزب الديموقراطي المسيحي ، فكان له أربعة مقاعد، أما المقاعد الباقية (أحد عشر مقعداً)، فكانت من نصيب الأحزاب الصغيرة (أحد عشر حزباً) على أساس مقعد واحد لكل حزب(٥١).

- وبالنسبة للجيش الوطني الجديد، فتم الاتفاق على أن يتكون من ٢٠ألف فرد، على أن يكون ٦٠% من جنوده من الجيش الحكومي القديم ، و٤٠% من قوات الجبهة، وأن يكون ٥٠% من ضباطه من الجيش الحكومي ، و ٥٠ % من الجبهة ، وتسريح القوات الزائدة (نحو ٤٠ألفاً من الجيش الحكومي و ١٥ألفاً من قوات الجبهة)، وأن لا يتولى أحد الطرفين منصبين متتاليين (كالقائد ونائبه) فى نفس الوقت (٥٢).
- إلا أن هذه الترتيبات واجهتها عقبات كبيرة حالت دون تنفيذها، وكان فى مقدمة تلك العقبات تصاعد التطرف السياسي الإثنى بين الهوتو .

٢-<u>عقبات فى طريق المصالحة : تصاعد التطرف السياسي الإثنى بين الهوتو.</u>

- أدت التطورات السابقة التى شهدتها رواندا ، منذ بداية التسعينيات، وخاصة بروز دور المعارضة الداخلية ونشوب الحرب الأهلية ، وما أعقب ذلك من مفاوضات واتفاقيات للسلام، أدت إلى شعور قطاعات متزايدة من عناصر النخبة من الهوتو، فى الحكومة وخارجها، أن مصالحها وامتيازاتها تتعرض لأخطار جسيمة، وأن عليها العمل لدفع هذه الأخطار بكل وسيلة، حتى لو تطلب الأمر إبادة الخصوم من التوتسى والمعارضين الهوتو على السواء.

* فقـد اعتـبر المتشددون الهوتو أن الجبهة الوطنية الرواندية ، ما هي إلا " رأس حـربة لإعـادة هيمـنة الإقطاعيين التوتسى الحاميين" على رواندا، والقضـاء ، بالتالـي ، على منجزات ثورة الهوتو عام ١٩٥٩، كما اعتبر المتشـددون الهوتو جميع التوتسى داخل رواندا ومعهم المعارضين الهوتو خونة متواطئين-Ibyitso باللغة الرواندية - مع الجبهة الوطنية الرواندية، ومـن ثم أصبح هؤلاء كبش فداء ، وعرضة لانتقام المتشددين الهوتو منذ بداية الصراع المسلح فى أكتوبر ١٩٩٠(٥٣) .
* فـبعد أيام قليلة من بداية الصراع، شنت الحكومة الرواندية حملة اعتقالات واسـعة ضـد التوتسـى والمعارضين الهوتو، شملت ما بين ثلاثة آلاف شخص، حسب الأرقام الرسمية، وعشرة آلاف شخص، حسب الأرقام غير الرسمية، ومعظم هؤلاء لم تكن لهم صلة بالجبهة الوطنية الرواندية، كما قام المتشـددون الهوتـو، فـى الحكومة والحزب الحاكم، بتنفيذ حملات عنف مـنظمة ضد التوتسى، منها مثلاً ما حدث فى منطقة موتارا، شمال البلاد، فى أكتوبر ١٩٩٠، حيث قتل نحو ٣٠٠ شخص من التوتسى ، وأحرق نحو ٥٠٠مـنزل، وتكررت أعمال العنف ضد التوتسى فى شمال غرب رواندا، خـلال الشـهور الأولـى مـن عام ١٩٩١، بعد هجوم الجبهة على مدينة "روهينجـيرى " فى يناير من ذلك العام، وقتل فى هذه الموجة نحو ١٠٠٠ شخص، وفى مارس ١٩٩٢، تجددت أعمال العنف ضد التوتسى فى منطقة "بوجيسـيرا"، بعد اكتشاف منشور، تبين عدم صحته فيما بعد، منسوب إلى الحزب الليبرالي، أحد أحزاب المعارضة، ويدعو التوتسى إلى الثورة، وقتل جـيرانهم الهوتـو، وفى هذه المرة ، قتل ما بين ١٨٠و ٣٠٠شخص من التوتسى(٥٤).
* وفـى كل مرة، كانت الحكومة الرواندية تحاول تصوير أعمال العنف على أنهـا رد فعل تلقائي من جانب جماهير الهوتو الغاضبة، إلا أن ذلك يخالف الحقيقة، ذلك أنه إذا كان صحيحاً أن الفلاحين الهوتو هم الذين قاموا بتنفيذ

أعمـــال العنف، إلا أن المسئولين المحليين كان لهم دور مباشر فى هذا الشأن، حيـــث غالباً ما كان هؤلاء المسئولون يقومون بعقد لقاءات يحضرها الفلاحون الهوتـــو قـــبل تنفـــيذ أعمـــال العنف، و كان معظم هؤلاء المسئولين يعتبرون الإشراف على أعمال العنف أمراً عادياً يدخل فى نطاق مسئولياتهم، وبعضهم كان متحمساً لتنفيذها، وقليل منهم اتخذ موقفاً معارضاً لها(٥٥).

ومـــع بدايـــة عملـــية المصالحة الوطنية فى ربيع ١٩٩٢، ازدادت مواقف المتشـــددين الهوتـــو تطـــرفاً، وأخذوا ينظمون صفوفهم ويحشدون قواهم لـــتقويض عملية المصالحة بأي ثمن، وفى أواخر عام ١٩٩٢، كان هؤلاء المتشددون قد شكلوا دوائر تنظيمية لهم فى المؤسسات المختلفة فى الدولة. وكـــان من أهم هذه الدوائر ما عرف حينئذ بـــ "مجموعة الصفر"، وضمت عدداً من حاشية الرئيس "هابياريمانا" ، ومن بينهم زوجته وعدد من أقاربها ذوي الـــنفوذ الواســـع فـــي الدولـــة ، وبعض كبار الشخصيات العسكرية والإداريـــة، وقامـــت هـــذه المجموعـــة بتشكيل "فرق موت" ، على النمط الموجـــود فى بعض دول أمريكا اللاتينية، وإلى جانب "مجموعة الصفر"، تشـــكلت داخـــل الجيش جمعية من الضباط الهوتو المتشددين، عرفت باسم "الرصاصات" – أماسوسو amasusu باللغة الرواندية – وقام أعضاء هذه الجمعية بإمداد الميليشيات الحزبية المتطرفة بالسلاح، كما عارض الحرس الرئاســـي أيضا عملية المصالحة الوطنية، وكان له دور رئيسي فى تدريب الميليشـــيات الحزبـــية وتنفيذ الإبادة الجماعية عام ١٩٩٤، بالاشتراك مع ميليشـــيا الحـــزب الحـــاكم حينئذ (الحركة الثورية القومية من أجل التنمية والديموقراطـــية)، وهـــى الميليشـــيا المعـــروفة باســـم "انتـــيراهاموى" Interahamwe، كمـــا أنشـــأ حـــزب (الائـــتلاف مـــن أجـــل الدفـــاع عـــن الجمهوريـــة)، وهـــو حـــزب أكـــثر تطرفاً، ميليشياً أخرى، عرفت باســـم "إمبوزاموجامـــبى" Impuzamugambi، ودأبـــت صـــحافة ذلك الحـــزب وإذاعـــته علـــى بـــث الكراهية وتعميق العداء الإثنى بين الهوتو والتوتسى(٥٦).

وفـــي ســـبيل عرقلة وتقويض المصالحة الوطنية، لجأ المتشددون الهوتو إلى أساليب عديدة منها [٥٧] :

أ- العمــل من أجل كسب تأييد جماهير الهوتو، وذلك بتقديم أنفسهم كحماة للشـــرعية، ومدافعيــن عن مبادئ ومنجزات ثورة عام ١٩٥٩، وتخويف الفلاحيــن الهوتــو مـــن الخطر الداهم الذى يمثله "الإقطاعيون التوتسى"، وخاصة بعد ظهور الجبهة الوطنية الرواندية.

ب- التشكيك فى شرعية مفاوضات السلام فى أروشا (تنزانيا)، على أساس أن وفد الحكومة لا يمثل جميع القوى السياسية فى رواندا، وقد أثيرت هذه الشكوك حتى من جانب الرئيس هابياريمانا نفسه.

ج- إثـــارة القلاقــل والاضـــطرابات السياسية، من خلال تنظيم تظاهرات جماهيرية عارمة، احتجاجاً على تطورات مفاوضات السلام، وهو ما حدث أكثر من مرة خلال عامي ١٩٩٢، ١٩٩٣، وشهدت هذه التظاهرات أعمال عنف بين مؤيدي المفاوضات ومعارضيها.

د- تنفــيذ مذابــح محـــدودة النطاق ضد المدنيين التوتسى، كما حدث فى أغسطس وديسمبر ١٩٩٢ ويناير ١٩٩٣، وكادت هذه المذابح أن تؤدى إلى انهـــيار عملـــية المصــــالحة برمـــتها، فبعد مصرع نحو ٣٠٠ شخص من التوتســـى فى "جيسينى"، شمال غرب رواندا، خلال يناير ١٩٩٣، استأنفت الجـــبهة الوطنـــية الرواندية القتال ضد الجيش الحكومي، واحتلت مناطق واســـعة فـــى شمال البلاد، وتقدمت قواتها حتى مسافة ٣٠كم من كيجالى، العاصـــمة، وذلك خلال شهر فبراير ١٩٩٣، ومن ثم أعلنت الجبهة وقف القـــتال مـــن جانب واحد، وأدى هذا الهجوم إلى انقسام أحزاب المعارضة الرواندية على نفسها من حيث الموقف من الجبهة، وكانت هذه التطورات فـــى صــــالح المتشـــددين الهوتـــو، حيث انضم كثير من عناصر أحزاب المعارضة إلى معسكرهم[٥٨] .

* ولكـــن مفاوضـــات السلام ما لبثت أن استؤنفت من جديد ، ومن ثم ، أخذ المتشـــددون الهوتو يفكرون جدياً فى تنفيذ "الحل النهائي والأخير" للأزمة ، – مـــن وجهة نظرهم – أي الإبادة الشاملة للتوتسى والمعارضين الهوتو، وقد بدأ الحديث علناً عن هذه الفكرة فى أواخر عام١٩٩٢، عندما دعا "ليون موجيســيرا" أحـــد المســئولين المحليين فى الحزب الحاكم السابق، بإعادة التوتســـى إلى بلادهم الأصلية (إثيوبيا)، وذلك بقتلهم وإلقائهم فى النهر ، ومنه إلى بحيرة فيكتوريا، وقد حدث ذلك بالفعل خلال مذابح ١٩٩٤، حيث ألقـــى عشرات الآلاف من جثث التوتسى فى نهر كاجيرا –الذى يصب فى بحـــيرة فيكتوريا – وبعد هجوم الجبهة اوطنية الرواندية على شمال البلاد فـــى فبراير ١٩٩٣، بدأ المتشددون الهوو فى إعداد قوائم بأسماء "الخونة والمتآمرين" ضد مصلحة البلاد، والذين يستحقون الموت، وربما بدأ التفكير فـــى ذلك الوقت، فى إدراج اسم الرئيس هابياريمانا نفسه على هذه القوائم، ثـــم جـــاء توقيع اتفاقات أروشا للسلام فى أغسطس ١٩٩٣، ليشكل " نقطة اللاعودة " فى الصراع، من وجهة نظر المتشددين الهوتو ، الذين اعتبروا هـــذه الاتفاقـــات "خيانة مفروضة" من الخارج، ومن ثم أخذوا يعدون العدة لتنفيذ الحل النهائي والأخير للصراع من وجهة نظرهم(٥٩) .

المطلب الثالث

الإبادة كبديل لتسوية الأزمة: ربيع رواندا الدامي عام ١٩٩٤

* لـــم يؤد توقيع اتفاقات أروشا للسلام ، فى ٤ أغسطس ١٩٩٣ ، إلى انفراج الأزمـــة الرواندية، ولكن ما حدث كان عكس ذلك، حيث تعثر تنفيذ اتفاقات الســـلام، وازداد الوضع تعقيداً، وبلغت المأساة ذروتها فى ٦أبريل ١٩٩٤ بإسقاط طائرة الرئيس هابياريمانا ومصرعه، وبدء تنفيذ الإبادة الشاملة ضد التوتســـى والمعارضين الهوتو، ومن ثم استؤنف القتال بين الجبهة الوطنية الـــرواندية والـــنظام الحاكم فى كيجالى ، واستمرت المأساة الرواندية نحو ١٠٠يوم، وتركت آثارا واسعة النطاق داخل رواندا وخارجها.

أولاً- ما قبل الإبادة : تعثر تنفيذ اتفاقات السلام وتفاقم الأزمة السياسية .

- أطلـق الـروانديون اسم "إيجيهيراهيرو" Igihirahiro على الفترة ما بين توقيع اتفاقات السلام فى ٤أغسطس ١٩٩٣ وبدء تنفيذ الإبادة الجماعية فى ٦أبـريل ١٩٩٤، وتشير هذه الكلمة إلى حالة الغموض والتردد التى سادت البلاد خلال هذه الفترة، فقد شعرت عناصر النخبة المسيطرة من الهوتو أن التغيير قادم لا محالة، وأن عليها تدبير أمورها، ومن ثم بدأ تهريب الأموال إلـى الخارج، كما قتل كثير من الذين دبروا أو نفذوا المذابح التى شهدتها البلاد منذ عام ١٩٩٠، إما على أيدي أهالى الضحايا، أو على أيدي رفاقهم السابقين، خوفاً من إفشاء الأسرار وانكشاف أمرهم(٦٠) .
- وفـى هـذا الجو المضطرب، بدأ تنفيذ اتفاقات أروشا للسلام، فقامت الأمم المتحدة فى أكتوبر ١٩٩٣، بإنشاء "بعثة الأمم المتحدة للمساعدة فى رواندا" والمعـروفة اختصـاراً باسـم "أونامير" UNAMIR، للمساعدة فى تنفيذ الاتفاقـات ، وبـدأ وصول قوات أونامير إلى رواندا فى نوفمبر ١٩٩٣، وبحلـول أواخر مارس ١٩٩٤، كان عدد هذه القوات قد بلغ ٢٥٣٩ فرداً، كمـا أرسـلت الجـبهة الوطنية الرواندية كتيبة من قواتها (٦٠٠فرد) إلى كـيجالى، العاصمة، لحماية عناصرها السياسية التى ستشارك فى الحكومة الانتقالـية، وكان ثلاثة من هؤلاء السياسيين (بمن فيهم بول كاجامى نائب رئيس الجبهة) قد وصلوا إلى كيجالى، فى أواخر ديسمبر ١٩٩٣، ولم يعد هناك مبرر لتأجيل نقل السلطة إلى الحكومة الانتقالية، إلا أن نقل السلطة لم يتم .(٦١)
- ففـى ٥ يـناير ١٩٩٤، أقسم الرئيس هابياريمانا اليمين القانونية كرئيس للـبلاد طـبقاً لاتفاقات السلام، ولكن الحكومة الانتقالية لم تبدأ فى ممارسة مهامها كما كان متوقعا، وفى نفس الوقت أخذت أجواء العنف والتوتر تخيم علـى الـبلاد، حيـث لجأ المتشددون الهوتو والجبهة الوطنية الرواندية إلى مـزيد مـن التسـلح، وخـلال فبراير ١٩٩٤، وقعت مصادمات دامية بين

مؤيـــدي الأجـــنحة المتصارعة فى أكبر أحزاب المعارضة حينئذ (الحركة الديموقراطية الجمهورية) MDR، كما اغتيل السكرتير التنفيذي لـــ (الحزب الاجتماعـــي الديموقراطـــي) PSD، ورداً على ذلك، قام أنصار الحزب فى جـــنوب الـــبلاد بقتل رئيس حزب (الائتلاف من أجل الدفاع عن الجمهورية) CDR المـــتطرف، والـــذى تصادف وجوده فى الجنوب حينئذ، وفى ظل هذا المـــناخ من التوتر والعنف والانقسام السياسى، تأجل نقل السلطة إلى الحكومة الانتقالية أكثر من مرة، خلال فبراير ومارس ١٩٩٤(٦٢) .

وقد حالت عوامل عديدة دون استكمال تنفيذ اتفاقات أروشا للسلام، وكان من أهم هذه العوامل (٦٣) :

١- الانقســـامات الداخلـــية فـــى أحزاب المعارضة الرواندية ، منذ هجوم الجبهة على شمال البلاد فى فبراير ١٩٩٣، حيث اتجه بعض أعضائها من الهوتو إلـــى التشدد، وشكل هؤلاء المتشددون من الأحزاب المختلفة تجمعاً غـــير رســـمى عرف بـــ "قوة الهوتو" Hutu Power، وأخذ هذا التجمع يقترب شيئاً فشيئاً من المتشددين الهوتو فى الحزب الحاكم السابق (الحركة الثورية القومية من أجل التنمية والديموقراطية) وحزب (الائتلاف من أجل الدفـــاع عـــن الجمهورية) المتطرف، وأدت هذه الانقسامات، وخاصة فى حزب (الحركة الديموقراطية الجمهورية) و (الحزب الليبرالى) إلى خلافات شديدة حول من سيمثل هذه الأحزاب فى الحكومة الانتقالية.

٢- عـــدم رغـــبة النخبة الحاكمة من الهوتو، بمن فيهم الرئيس هابياريمانا نفســـه، فى تنفيذ اتفاقات السلام ، لما تتضمنه من تهديد خطير لمصالحهم وامتيازاتهم، فقد جرد الرئيس من سلطاته تقريباً، كما أصبح الحزب الحاكم الســـابق مجـــرد حـــزب من الأحزاب العديدة المشاركة فى الحكومة، ولا يســـيطر إلا علـــى ١/٧ مقاعد المجلس التشريعى الانتقالى وأقل من ١/٤ مناصـــب مجلـــس الـــوزراء الانتقالى، وتساوى فى هذا الشأن مع الجبهة الوطنـــية الـــرواندية، التى كانت تمثل، من وجهة نظر المتشددين الهوتو،

رمزاً لعودة هيمنة "الإقطاعيين التوتسي" على البلاد، كما أن مشاركة الجبهة فـــي الجيش الوطني الجديد بنسبة ٥٠% من الضباط و ٤٠% من الجنود، كانت تأكيداً إضافياً لمخاوف المتشددين الهوتو من عودة هيمنة التوتسي.

٣- يضـــاف إلـــى مـــا سبق، عامل ثالث إقليمي، يتمثل في أحداث العنف الدامية بين الهوتو والتوتسي في بوروندي المجاورة، خلال أكتوبر ونوفمبر ١٩٩٣، والـــتي اندلعـــت بعد قيام بعض عناصر الجيش البوروندي (الذي تســيطر علـــيه الأقلية من التوتسي) بقتل رئيس الدولة المنتخب، ميليشوار نـــداداي، أول رئيس من الهوتو (الأغلبية) يحكم بوروندي طوال تاريخها، وجـــاء قـــتله بعد نحو أربعة أشهر فقط من فوزه في الانتخابات في يونيو ١٩٩٣، وبعـــد مصرعه قام الهوتو الغاضبين بأعمال عنف ضد التوتسي، وقام الجيش، انتقاماً لذلك، بقتل أعداد كبيرة من الهوتو دون تمييز، وأسفر العـــنف والعنف المضاد عن مصرع نحو ٥٠ألف شخص (٦٠% منهم من التوتسي و ٤٠% الهوتو)، كما فر نحو ٣٠٠ألف من الهوتو خارج البلاد، اتجـــه معظمهم إلى رواندا، وذكر الفارون كثيراً من الفظائع التي ارتكبها الجـــيش الـــبوروندي (التوتسي) ضد الهوتو، وكان أثر هذه الأحداث على روانـــدا كبـــيراً، حيـــث ازداد المتشددين الهوتو اقتناعاً بصحة موقفهم من التوتســـي، واعتبروا ما حدث في بوروندي دليلاً على غدر التوتسي وعدم الوفـــاء بعهودهـــم، وأن الهوتـــو إذا لم يبدأوا بقتل التوتسي فسوف يبدأون بقتلهم، كما أن ما حدث لرئيس بوروندي، أثار مخاوف الرئيس هابياريمانا من مغبة تنفيذ اتفاقات السلام، حيث أصبح على قناعة بأن القوة هي القوة، وأنه شخصياً سيكون في خطر عظيم إذا سلم السلطة لأعدائه، بعد أن تخلى عنه أنصاره من المتشددون الهوتو[٦٤] .

<u>ثانياً – تنفيذ الإبادة واستئناف الحرب الأهلية.</u>

<u>١- البداية : إسقاط الطائرة الرئاسية ومصرع هابياريمانا.</u>

بحلول أبريل ١٩٩٤، كان نظام هابياريمانا يواجه ضغوطاً كبيرة، إقليمية ودولية، من أجل نقل السلطة إلى الحكومة الانتقالية، وفى أبريل ١٩٩٤، عقـدت قمة إقليمية فى دار السلام (تنزانياً) لمناقشة الوضع فى بوروندى، ولكـن سـرعان مـا تحول النقاش إلى الوضع فى رواندا، حيث تعرض هابياريمانا للانتقاد من جانب الرؤساء الحاضرين، بسبب عدم تنفيذ اتفاقات السـلام ، ولـم يكن أحد يدرى أن هابياريمانا سيلقى مصرعه مساء نفس الـيوم، حيـث أسـقطت طائرته بقذيفتين أثناء اقترابها للهبوط فى مطار كيجالى، وقتل معه مرافقوه، بمن فيهم رئيس بوروندى الذى كان معه على نفس الطائرة (٦٥) .

- ولم يعرف على وجه التحديد من الذى أسقط طائرة الرئيس، فهناك من ألقى بالمسئولية على بعض الجنود الفرنسيين الذين ظلوا فى كيجالى بعد انسحاب القـوات الفرنسية فى ديسمبر ١٩٩٣، وهناك من أشار بأصابع الاتهام إلى الجـنود البلجيك فى قوات الأمم المتحدة (أونامير) ، وأن ثلاثة من هؤلاء الجـنود هـم الذيـن أسـقطوا الطائرة ، وقامت قوات الشرطة باعتقالهم واعدامهـم، كمـا قـيل أيضا أن قوات الجبهة الوطنية الرواندية هي التي أسـقطت الطائرة ، ولكن الاحتمال الأقرب إلى الحقيقة، هو أن الطائرة قد أسـقطت بمعـرفة المتشـددين الهوتو، ربما باستئجار بعض المرتزقة من البـيض، ويؤيـد هـذا الاحتمال تلك السرعة التى بدأت بها مذابح الإبادة الجماعية، حيث بدأت الإبادة المنظمة بعد ٤٥ دقيقة من سقوط الطائرة، ولم يكـن ذلـك ممكناً لو لم يكن القائمون بهذه المذابح على علم مسبق بموعد سقوط الطائرة، كما كانت هناك إشارات وتلميحات عديدة منذ يناير ١٩٩٤، فـى صـحافة وإذاعـة المتشددين الهوتو إلى أن الدماء ستسيل أنهاراً فى مـارس (١٩٩٤) ، وأن هابياريمانا سيموت فى هذا الشهر، وهو ما يعنى أنهم كانوا يدبرون شيئاً فى الخفاء ، ويؤكد ذلك أيضا ماأشارت اليه تقارير منظمة مراقبة حقوق الانسان الأمريكية من أن حملة القتل والتصفية

الجســدية تم التخطيط لها قبل أسابيع من مصرع هابياريمانا ، بما فى ذلك تســليح وتدريــب أفراد الميليشيات و إعداد قوائم المستهدفين من التوتسى والمعارضين الهوتو[٦٦] .

٢- تنفيذ الإبــادة .

* فــى أعقاب سقوط الطائرة مباشرة، بدأ المتشددون الهوتو فى تنفيذ الإبادة الشــاملة للتوتســى ومعهــم المعارضين الهوتو، وكانت بداية المذابح فى كــيجالى، العاصمة، وسرعان ما انتشرت إلى باقى أنحاء رواندا، فيما عدا بوتــارى فــى جنوب البلاد ، حيث لم تبدأ المذابح حتى ٢٠أبريل ، بسبب رفــض حاكمهــا المشاركة فى أعمال القتل، ولذلك تم عزله، وعين أحد المتشددين الهوتو مكانه، وبلغت المذابح ذروتها خلال أبريل ومايو ١٩٩٤، واستمرت فى بعض المناطق حتى أوائل يولية، وكانت أشد المناطق معاناة فــى شــمال غرب البلاد، حيث أبيد جميع التوتسى هناك تقريباً، كما شهد وســط وجــنوب رواندا مذابح واسعة النطاق أيضاً، ففى بوتارى وحدها، ورغــم تأخــر تنفــيذ المذابح فيها حتى ٢٠أبريل، قتل نحو ٣١٥ألفاً من التوتســى (من بين ٣٥٠ألفاً يعيشون هناك)، أما فى شمال البلاد فلم تستمر المذابــح طويــلاً بسبب استيلاء قوات الجبهة الوطنية الرواندية على هذه المناطق بعد تجدد الحرب الأهلية فى ٩ أبريل ١٩٩٤[٦٧] .
* ولايعــرف علــى وجــه التحديد عدد الذين قتلوا من التوتسى والمعارضين الهوتــو، حيــث تذهب التقديرات إلى مصرع ما بين ٥٠٠ - ٨٠٠ ألف من التوتســى ، وما بين ١٠-٣٠ ألفاً من المعارضين الهوتو، كما قتل عدد كبير أيضاً من عامة الهوتو خلال القتال بين الجبهة الوطنية الرواندية والمتشددين الهوتــو ، بمــا فــى ذلــك نحو ٥٠ ألف شخص من المسلمين الروانديين ، ومعظمهــم من الهوتو ، الذين رفضوا المشاركة فى المذابح ضد التوتسى ، وعلــى أيــة حال، فقد شهدت رواندا فظائع لا يتسع المجال لذكرها ، خلال نحــو ١٠٠يــوم، مــنذ بداية الأسبوع الثانى من أبريل وحتى أواسط يوليه

١٩٩٤ ، حيث أصبح جميع السكان تقريباً خلال هذه الفترة ما بين قتـيل ومشرد، داخل البلاد وخارجها، ولكن ما ينبغى التأكيد عليه هو أن تنفـيذ المذابح قد تم بصورة منظمة، تحت إشراف المسئولين فى العاصمة والأقاليم، وعلى يد قوات الحرس الرئاسى وميليشيات الحزب الحاكم السابق (الحـركة الـثورية القومية من أجل التنمية والديموقراطية (MRNDD) وحـزب (الائتلاف من أجل الدفاع عن الجمهورية) CDR، كما استمرت إذاعـات المتشددين الهوتو ، وخاصة " راديو وتليفزيون ميل كولينز الحـر" ، الـتابعة لحـزب CDR ، تحرض الهوتو وتحثهم على قتل التوتسى وقطع دابرهم وتطهير أرض رواندا منهم، دون شفقة أو رحمة(٦٨)

- وقد ساهم تقاعس واختلاف القوى الإقليمية والدولية المعنية فى حدوث هذه المذابـح علـى هـذا الـنطاق الواسع ، فقد قررت بلجيكا تخفيض قواتها المشـاركة ضمن قوات الأمم المتحدة (أونامير) وساندتها فرنسا فى هذا الموقـف ، كما قرر مجلس الأمن الدولى تخفيض قوات الأمم المتحدة الى نحـو ٣٠٠ فـرد ، ولم يستجب أعضاء المجلس ، وفى مقدمتهم الولايات المـتحدة الأمريكـية ، للضـغوط الافريقية المتنوعة بضرورة الفصل بين المتحاربيـن وحمايـة المدنيين ، وعندما بدأ المجلس بعد طول انتظار فى مناقشـة إرسـال قـوات إلى رواندا لأغراض إنسانية فقط (مهام الإغاثة وإنشـاء مـلاذات آمنة للمدنيين) حول من يرسل هذه القوات ومن يتحمل نفقاتهـا ، وازدادت الأوضاع سوءا باخفاق الجهود التى بذلت لوقف القتال وبدء الحوار السياسى بين أطراف الصراع ، وذلك نتيجة صعوبة تحديد من هم هؤلاء الأطراف الذين سيتفاوضون ويلتزمون بوقف الطلاق النار ووقف المذابح ، تمهيدا للحل السياسى (٦٩) .

٣- تجدد الحرب الأهلية وهزيمة المتشددون الهوتو.

- فـى ظل هذا التقاعس الدولى تجاه تفجر الأوضاع فى رواندا ، كان طبيعيا أن يصل الصراع المسلح إلى منتهاه ، وكان المتشددون الهوتو قد قاموا

بتشـــكيل حكومـــة مؤقتة فى أعقاب مصرع هاباريمانا ، وضمت هذه الحكومة ممثلين للحزب الحاكم السابق وأحزاب المعارضة، ولكن من الأجنحة المتشددة فـــى هـــذه الأحزاب، وبعد انتشار أنباء المذابح ضد التوتسى، استأنفت الجبهة الوطنية

الـــروانديه القـــتال فـــى ٩ أبـــريل ١٩٩٤ ضد الحكومة المؤقتة فى كيجالى، واســـتطاعت الجـــبهة السيطرة على شمال البلاد وأجزاء من كيجالى، ومن ثم انتقلت الحكومة المؤقتة إلى "جيتاراما " بوسط البلاد، وتوالت انتصارات الجبهة فى شرق البلاد ووسطها، حيث سيطرت على جيتاراما، مقر الحكومة المؤقتة، فى ١٣يونية ، وأتمت سيطرتها على كيجالى فى أوائل يولية، وأصبحت الهزيمة قاب قوسين أو أدنى من الحكومة المؤقتة التى يسيطر عليها المتشددون الهوتو، ومـــن ثـــم ، أعلنت فرنسا عزمها على التدخل فى رواندا "لأغراض إنسانية"، ولكـــن الـــتدخل كـــان فـــى حقيقة الأمر محاولة يائسة لانقاذ حلفائها السابقين، وحصلت فرنسا على تفويض من مجلس الأمن الدولى بالتدخل، وتم ذلك بالفعل تحت اسم "عملية الفيروز" حيث أنشأت القوات الفرنسية منطقة آمنة فى جنوب غـــرب الـــبلاد، ولكـــن ما لبثت هذه القوات أن انسحبت فيما بعد بحلول ٢١ أغسطس ١٩٩٤(٧٠) .

- ولكـــن الـــتدخل الفرنســـى لم ينقذ الحكومة الرواندية المؤقتة من مصيرها المحتوم، حيث توالى سقوط آخر معاقلها فى شمال غرب البلاد فى يد قوات الجـــبهة، فسقطت " روهينجيرى" فى ١٣يولية، ثم " جيسينى" فى ١٨يولية ١٩٩٤، وبذلـــك حســـمت الجبهة الوطنية الرواندية هذه الجولة من القتال لصـــالحها، وأعلنـــت من ثم عن وقف إطلاق النار، وفى اليوم التالى (١٩ يولـــية) تم تشكيل حكومة جديدة فى كيجالى، طبقاً لاتفاقات أروشا للسلام، ولكـــن بدون مشاركة الحزب الحاكم السابق، حيث آلت المناصب الوزارية الخمـــس المخصصـــة له إلـــى الجـــبهة، كما اقتسمت الجبهة مع الأحزاب الأخرى المقاعد التى كانت مخصصة لذلك الحزب فى المجلس التشريعى

الانـــتقالى، واســتحدثت الجبهة منصب نائب رئيس الجمهورية، وتولاه قائدها العســكرى "بــول كاجــامى"، كمــا أعلنت عن مد الفترة الانتقالية إلى خمس سنوات[٧١].

٤- رواندا ما بعد الإبادة : الأوضاع الداخلية والاقليمية.

أ- الأوضاع الداخلية .

* خرجت رواندا من تجربة الإبادة الجماعية والحرب الأهلية، وهى فى حالة مأســاوية، سياســياً واقتصــادياً واجتماعــياً ونفسياً، حيث تمزق المجتمع الرواندى نتيجة القتل والتشريد الشامل، كما مر الناجون من المذابح بأهوال تركــت آثاراً نفسية يصعب علاجها، وتعرض الاقتصاد الوطنى للانهيار، والبنــية الأساســية للتدمير بصورة لم يسبق لها مثيل، حيث فرت الحكومة الســابقة ومعهــا جميع الأموال ووسائل النقل والاتصالات المتاحة، وتلفت المحاصــيل فــى الحقــول دون أن تجــد من يحصدها، ومن هذا الوضع المأســاوى كــان علــى رواندا أن تبدأ من جديد ، فى ظل حكومة الوحدة الوطنية التى شكلتها الجبهة الوطنية الرواندية، وأخذت الحكومة الجديدة فى العمــل لإعــادة الحياة الطبيعية إلى البلاد، معتمدة على الإمكانيات المتاحة لــدى قــوات الجبهة (من وسائل نقل واتصالات وغيرها)، كما كان عليها مواجهة خطر الحكومة السابقة ، التى فرت إلى شرق الكونغو الديمقراطية (زائــير حينــئذ)، وأخــذت تعد العدة لغزو البلاد والعودة إلى الحكم مرة أخرى[٧٢] .

ب - الأوضاع الاقليمية .

* شهدت بدايات عام ١٩٩٥ ، انعقاد قمة إقليمية ، شارك فيها رؤساء رواندا وبورونــدى وأوغــندا وكينيا وتنزانيا وزامبيا ، كما حضر رئيس وزراء الكونغــو -زائــير ، بــدلا مــن رئيسها حينئذ ، موبوتو ، وناقشت القمة موضــوعات بــناء الســلام والثقة والمصالحة الوطنية فى كل من رواندا وبوروندى ، بالإضافة إلى مشكلات اللاجئين فى الدول المجاورة [٧٣].

*

• إلا أن الجـــبهة الوطنـــية الرواندية ورغم سيطرتها على مقاليد الأمور فى روانـــدا خلال حرب المائة يوم (أبريل/يولية ١٩٩٤) ، ظلت تواجه خطراً محدقاً، يتمثل فى فرار الحكومة السابقة بجيشها وميليشياتها (نحو ٤٠ألف فـــرد) ، ومعهـــا أكـــثر مـــن ملـــيون لاجئ من الهوتو ، إلى شرق الكونغو الديموقراطـــية (زائير) ، حيث رحب بهم رئيسها، موبوتو سيسى سيكو ، نظراً لعلاقاته القوية بالنظام الرواندى السابق، ومن هنا، كان هناك احتمال مؤكد أن تكـــرر الحكومة الرواندية السابقة نفس ما فعلته معها الجبهة الوطنية الرواندية، أى الغـــزو المسلح للبلاد انطلاقاً من أراضى الدول المجاورة (أوغندا فى حالة الجـــبهة والكونغـــو الديموقراطية-زائير-فى حالة الحكومة الرواندية السابقة)، وتحقيق النصر والاستيلاء على الحكم فى كيجالى، ومن ، ثم فقد كان فى مقدمة أولويـــات الحكومـــة الجديدة التى شكلتها الجبهة، العمل من أجل القضاء على الحكومة السابقة وقواتها المسلحة المتمركزة فى معسكرات اللاجئين الهوتو فى شـــرق الكونغو الديموقراطية، وأصبحت الفرصة مواتية لتحقيق هذا الهدف فى أكـــتوبر ١٩٩٦، عـــندما حاول النظام الكونغولى السابق (نظام موبوتو) طرد عشـــائر "البانيا مولينجى" - وهى فرع من التوتسىالمقيمين شرق الكونغو منذ مـــدة طويلة - ومن ثم قام هؤلاء، بدعم من الحكومة الرواندية ، بالثورة ضد نظـــام موبوتـــو، وشكلوا نواة "تحالف القوى الديموقراطية لتحرير الكونغو"، بقـــيادة لـــوران كابـــيلا، وتمكنت قوات التحالف من تحقيق انتصارات متوالية وإســـقاط نظـــام موبوتو فى مايو ١٩٩٧، كما هاجمت قوات التحالف - بدعم روانـــدي - معسكرات اللاجئين الهوتو فى شرق الكونغو، وقضت خلال ذلك علـــى أعـــداد كبـــيرة من قوات الحكومة الرواندية السابقة، وشتت الباقين فى الغابـــات، وأفسحت الطريق بذلك لعودة مئات الآلاف من اللاجئين الهوتو إلى روانـــدا، حيـــث كانت ميليشيات الحكومة السابقة تمنعهم من ذلك، ومن ثم عاد نحو٦٠٠ ألف لاجئ إلى البلاد فى أواخر عام ، وفى نفس ١٩٩٦ ، وفى نفس الوقت ، قامت تنزانيا ، التى كانت تؤوى أعدادا كبيرة من اللاجئين الروانديين ، بالضغط عليهم للعودة الى بلادهم [٧٤] .

• وبذلك قطعت الحكومة الروادية ، التى تسيطر عليها الجبهة، شوطاً كبيراً نحو تأمين حدودها الغربية مع الكونغو الديموقراطية ، ولكن النظام الجديد فى الكونغو (نظام كابيلا) لم

الكونغولية – الرواندية بصورة كافية ، حيث استمرت هجمات المسلحين الهوتو ضد رواندا، كما اتجه كابيلا بعد عام واحد من توليه الحكم، إلى تغيير تحالفاته الداخلـية والإقليمية، وبات واضحا أن كابيلا يحاول جاهدا التخلص من حلفائه الروانديـين والأوغنديين الذين أتوا به الى السلطة والاعتماد بدلا من ذلك على قـوى داخلـية تشمل جنرالات موبوتو السابقين ، ومقاتلى الماى ماى ، شرق الـبلاد ، حـركات المعارضة المسلحة ضد النظم الحاكمة فى أوغندا ورواندا وبورونـدى ، والـتى تعمـل انطلاقا من أراضى الكونغو ، وعلى المستوى الإقليمـي ، سـعى كابيلا ، إلى اقامة تحالف مع أنجولا وزيمبابوى وأفريقيا الوسطى وتشاد والسودان (٧٥) .

* وأدت هذه التطورات الى نشوب الصراع المسلح بين حلفاء الأمس، ودخلت الكونغـو فـى جولة جديدة من الحرب الأهلية تدخلت فيها أطراف إقليمية ودولية عديدة، فوقفت رواندا وأوغندا إلى جانب حركة التمرد، بينما وقفت دول مـثل زيمـبابوى وأنجولا وناميبيا إلى جانب نظام كابيلا، وما يعنينا بالنسـبة للموقف الرواندى ، هو أنه جاء ، بالدرجة الأولى ، نتيجة دوافع ذات طبـيعة أمنـية وسياسية، وهذه الدوافع ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالصراع الداخلى عميق الجذور بين الهوتو والتوتسى(٧٦) .

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكن الخروج بعدد من النتائج، منها :

١- أن العنف الإثني بين الهوتو والتوتسى فى رواندا يعتبر بالفعل مشكلة خطيرة، سواء من حيث نطاقه أو تداعياتها الداخلية والخارجية ، خصوصاً من ناحية النزوح الجماعى للاجئين وانعكاسات ذلك على الأمن والاستقرار الإقليمي فى إقليم البحيرات العظمي برمته .

٢- أن المشكلة فى رواندا ليست فى كونها دولة مصطنعة، شأن كثير من الدول الأفريقية المعاصرة، أو فى الانقسام اللغوى والدينى والإقليمي، حيث يتحدث الرواندیون لغة وطنية واحدة، الكينيا رواندية ، كما لم يكن الدين عامل انقسام ذا أهمية قبل الاستعمار وأثناءه وبعده، كذلك فإن الهوتو والتوتسى يعيشون جنباً إلى جنب دون أن تكون هناك، بوجه عام، مناطق للهوتو وأخرى للتوتسى

٣- أن بداية المشكلة فى رواندا جاءت نتيجة عاملين مترابطين: أولهما نمط العلاقات الإثنية التقليدية بين الهوتو والتوتسى، وهو نمط كان يقوم على هيمنة التوتسى (الأقلية) سياسياً واقتصادياً واجتماعياً على الهوتو (الأغلبية)، وثانيهما دور الاستعمار الأوربى، فى بلورة الوعى الإثنى بين الهوتو والتوتسى على السواء، وتحويل هذا الوعى إلى وعى عنصرى نتيجة النظرة الاستعمارية إلى التاريخ الرواندى والجماعات الرواندية.

٤- أن سلوك النخب الإثنية لدى الهوتو والتوتسى على السواء كان حاسماً فى انفجار العنف بين الجماعتين، خاصة فى اللحظات الفاصلة من الصراع، حيث كانت قوى الاعتدال تتراجع لتفسح الطريق أمام قوى التطرف السياسى الإثنى، وهذا ما حدث عام ١٩٥٩، عندما عجزت النخبة الحاكمة من التوتسى عن التكيف مع الظروف والأوضاع الجديدة فى رواندا، فانفجرت ثورة الهوتو لتسقط نظام التوتسى كلية ، وتكرر الأمر مرة أخرى خلال الفترة ١٩٩٠-١٩٩٤،

ولكن بصورة عكسية، عندما حاولت النخبة المسيطرة من الهوتو مقاومة التغير السياســـى فى البلاد، وهو التغير الذى كانت تمليه الأوضاع الداخلية والإقليمية والدولية حينئذ، فكانت النتيجة إبادة جماعية وحرباً أهلية فى ربيع ١٩٩٤، فقد الهوتـو فى أعقابها جمهوريتهم التى أقاموها بعد ثورة ١٩٥٩ . كذلك فقد كان ســلوك النخـب الإثنية حاسماً من ناحية استعدادها للجوء إلى خيار العنف، ولو وصل إلى حد الإبادة الجماعية، فى سبيل تحقيق أهدافها السياسية، ومن هنا تميز العـنف الإثنى فى رواندا ، بوجه عام ، بأنه عنف منظم ومقصود، وليس عنفاً عشوائياً أو وليد اللحظة نتيجة التوتر أو الاحتكاك بين الهوتو والتوتسى

٥- إن اســتمرار العنف الإثنى واتساع نطاقه، أدى إلى ازدياد العلاقات تعقيداً بيــن الهوتــو والتوتســى، حيث بينما كان العنف فى بدايته تعبيراً عن صراع سياســى واقتصــادى-اجتماعى، فقد أصبح بعد مذابح عام ١٩٩٤، تعبيراً عن الصـــراع مـــن أجـــل البقاء حيث سعى أحد الطرفين (الهوتو) إلى إفناء الاخر واستئصـــاله كلية (التوتسى)، ولم يعد على استعداد لقبوله للعيش إلى جانبه ولو فـــى مرتبة أدنى(٧٧) ، وهذا أمر له نتائجه الخطيرة من حيث انعدام الثقة بين الطرفيـــن لسنوات طويلة مقبلة، واستمرار حالة عدم الاستقرار السياسى-الإثنى فى البلاد.

٦- أن أيديولوجـيات الاستبعاد السياسى الإثنى التى طبقت فى رواندا قبل عام ١٩٩٠ (علـــى يـد الأقلية من التوتسى قبل الاستقلال والأغلبية من الهوتو بعد الاســتقلال) ، قـد فشلت فى تحقيق تسوية مستقرة للصراع السياسى الإثنى فى الـبلاد، كما فشلت محاولة التسوية السلمية للصراع في أوائل التسعينيات ، على يد المتشددين الهوتو ، والمشكلة في رواندا هى أنه بعد هذه السنوات الطويلة من العـنف الاثـنى، فإن وضع إطار ملائم ومتفق عليه للنظام السياسى فى البلاد لايكفـــى لتحقـيق تسوية مستقرة وناجحة، حيث يتطلب الأمر أيضاً إعادة الثقة المفقـــودة بيـــن أطراف الصراع فى البلاد، والبحث عن تسوية شاملة للصراع وعدم الاستقرار فى إقليم البحيرات العظمى كله.

المراجـــــع

1 - Africa South of the Sahara, (1996) : (London : Europa Publications,., Ltd 1996), p. 752 ; Madline Lass(ed.), Africa at a Glance (Pretoria :Africa Institute of South Africa,1996),pp. 12,16

٢- د٠عبد العزيز راغب شاهين، "التنوع والصراع الإثنى فى بعض مجتمعات حوض النيل، دراسة فى الأنثروبولوجيا السياسية" بحث مقدم إلى **مؤتمر الصراعات والحروب الأهلية فى أفريقيا** ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٩-٣٠مايو ١٩٩٩، ص ص ٧،٨ ٠

3 - Rene Lemarchand, Rwanda and Burundi (London: Pall Mall Press, Ltd., 1970) pp. 18-21; Gerard Prunier, The Rwanda Crisis, 1959-1994 (London : C. Hurst & Co. Ltd., 1995), pp. 18,19.

4-Richard F. Nyrob et al., Area Handbook of Rwanda (Washington : Foreign Area Studies, 1969), P. 6; Catharine Newbury, "Background to Genocide : Rwanda", Issue, (California : African Studies Association, Vol. XXIII, No. 2, 1995) p, 12.

٥- أنظر ص ص ٤، ٥ من هذه الدراسة٠

٦-د٠حمدى عبد الرحمن حسن، **قضايا فى النظم السياسية الأفريقية** (القاهرة: مركز دراسات المستقبل الأفريقى، ١٩٩٨) ص ٨٧، وانظر أيضاً :
Prunier, op. cit., pp 5-8, ; 44-47, 64-72 Nyrobe et al., op. cit., pp.; Issue "the Ideology of Genocide", Alison Des Forges,15,16; Vol.XXXIII, No. 2, 995, p. 44.

٧-أنظر ص ص ٦-٩ من هذه الدراسة٠

٨-انظر حول بعض هذه التفسيرات :
Hartmut Diessenbacher, "Explaining the Genocide in Rwanda", Law and State,(Tubengen, Germany: Institute of Scientific Cooperation, Vol. 52, 1995) pp. 65-68,76-85.

9-Lemarchand, op.cit., p33; Prunier, op.cit., pp.9,10, footnote 21, Nyrob et al., op.cit., pp.11,12; Martin Plaut, "Rwanda : looking beyond the slaughter", The World

Today, (London : the Royal Institute of International Affairs, Vol. 50, Nos. 8-9, August- September 1994), p. 149.

10-Prunier, op.cit, pp, 11, 12 ; Plaut, op.cit., P. 149.

11- Prunier, op.cit., pp. 13, 14.

12-Ibid, pp. 1,14, 29.

١٣- د. حمدى عبد الرحمن حسن ، " التوازن الإقليمي فى البحيرات العظمى والأمن المائى المصرى " السياسة الدولية (القاهرة : مؤسسة الأهرام ، العدد ١٣٥ ، ينلير ١٩٩٩) ص ٢٥ ، حاشية ٩ ، وانظر أيضا :

Lemarchand, op. cit.,p.33

14-Ibid, pp. 47, 48, Nyrob et al., op. cit., pp. 10,13,14, 24, 69, Plaut, op.cit, p. 149.

15-Prunier, op.cit, PP. 7,8,16; Des Forges, op.cit., P.44.

16-Plaut, op. cit., P. 150; Prunier, op.cit., PP. 35-40,Des Forges, op.cit., p. 45.

17-Prunier, op. cit., pp. 31, 32; Nyrob et al., op.cit., pp. 69,70.

18-Dissenbacher, op.cit., p. 71; Prunier, op.cit., pp. 32,33.

١٩- د٠عبد الرحمن حسن ، م٠س٠ذ٠ ، ص ٨٨، وانظر أيضاً :

Lemarchand, op.cit., PP. 74, 45; Prunier, op. cit., p.33

20-Plaut, op.cit., P. 150; Prunier, op. cit. pp. 18,19,28; Lemarchand, op.cit., pp. 18-21, 73.

21-Nyrob et al., op. cit. pp. 10-12, 16; Prunier, op. cit., pp. 25-31; Lemarchand, op. cit., p. 60.

22-Lemarchand, op. cit., pp. 42-44; Prunier, op. cit., P. 40.

23-Nyrob et al., op. cit., pp. 16; Prunier, op. cit pp. 42-45 ; lemarchand, op.cit.; pp. 137-142; Plaut, op. cit., p. 150.

24-Prunier, op. cit., pp. 45, 46; Nyrob et al., op. cit., p. 17.

25- Nyrob et al., op., pp. 18,19; Prunier, op. cit., pp. 46-48.

26-Prunier, op. cit., pp. 47, 48; Nyrob et l., op.cit., p. 19.

27-Lemarchand, op. cit., pp. 162-169; Prunier, op. cit., pp. 48-50; Plaut, op.cit., p. 150.

28-Nyrob et al., op. cit., pp. 20,21; Prunier, op. cit., pp. 51, 52.

29-Prunier, op. cit. 52, 53; Nyrob et al., op. cit., pp. 21-24.

30-Nyrob et al., op. cit., p. 24.

31-Cyrus Reed, "Exile, Reform and the Rise of the Rwandan Patriotic Front", The Journal of Modern African Studies.(London: Cambridge University Press, Vol. 34, N. 3, September 1996, p. 481; Prunier, op. cit., pp. 54-57, 61-64 ; Des Forgers, op. cit., p.45.

32-Prunier, op. cit., pp. 57-61; Dissenbacher, op.cit., p. 76; Plaut, op. cit., p. 150.

33-Prunier, op. cit., pp. 76-79, 82, 83, Rene Lemarchant, "Managing Transition Anarchies: Rwanda, Burundi and South Africa in Comparative Perspective", The Journal of Modern Afrian Studies, Vol. 32, No. 4, December 1994, p. 600.

34-Reed, op.cit., 482; Prunier, op. cit., pp..75,76.

35-Dissenbacher, op.cit., p 76, Africa South of the Sahara, op. cit., p.753.

36-Colin Legum (ed.), Africa Contemporary Record, (London and New York, Africana Publishing Company, Vol. 21, 1988-1989), pp. B371, 73; Prunier, op.cit.,pp.84-90; Lemarchand, "Managing…", op.cit., p.600.

37-Reed, op. cit., pp. 486, 487; Prunier, op.cit., pp.90, 122, 126.

38-Prunier, op. cit., pp. 121-127.

39-Reed, op.cit., pp. 482, 484; Legum, op.cit., Vol.161983-1984,p.B and Vol. 17,1984-1985, p. B 325, Prunier, op.cit., pp. 64-71; plaut, op.cit., p150.

40-Prunier, op.cit., pp.67, 68, Reed, op.cit., pp.384, 385.

41-Prunier, op. cit., pp. 115-120, 151-153.

42-Ibid, pp74, 9092; Reed, op.cit., p. 487.

43-Reed,op.cit.,pp.487-490;prunier,op.cit.,pp93 96,114,115,119,120,135,149,150.

44-Prunier, op.cit., pp.93,97,98, 100-112,118-119,147-149.

٤٥ ـ د. عبد الملك عودة ، "السياسة الأمريكية الجديدة فى أفريقيا " الأهرام الاقتصادى (القاهرة : مؤسسة الأهرام ، العدد ١٥٢٦ ، ٦ أبريل ١٩٩٨) ص ٦٦ ؛ د. عبد الملك عودة ، " الزعماء الجدد فى دول منابع النيل " الأهرام الاقتصادى ، العدد ١٥٥١ ، ٢٨ سبتمبر ١٩٩٨ ؛ د. عبد الملك عودة ، " مباراة التنافس الدولى فى وسط افريقيا " الأهرام الاقتصادى ، العدد ١٤٥٩ ، ٢٣ ديسمبر ١٩٩٦ ، ص ؛ د.عبد

الملك عودة ، " الأجانب فى هضبة البحيرات " الأهرام الاقتصادى ، العدد ١٣٥١ ، ٢٨ نوفمبر ١٩٩٤ ، ص ؛ د. عبد الملك عودة : " التنافس الفرنسى الأمريكى فى افريقيا " الأهرام الاقتصادى ، العدد ١٥٦٣ ، ١٤ ديسمبر ١٩٩٨ ، ص ؛ د. حمدى عبد الرحمن حسن ، " التوازن الإقليمي ...." ، م. س. ذ. ، ص ص ٣٠ ـ ٣٣ .

(46) Prunier,op.cit., pp. 113, 114, 159, 160; Lemarchand, "Managing….", op.cit. pp. 591,592,600; Dissenbacher, op.cit., p.74.

(47)Prunier, op.cit., p.145.

(48)Ibid, pp. 145, 146.

(49)Ibid, pp. 145, 146.

(50)Prunier, op.cit., pp.191,192.

(٥١) د. عبد الملك عودة ، " إبادة البشر فى رواندا " ، الأهرام الاقتصادى ، العدد ١٣١٩ ، ٢٥ أبريل ١٩٩٤ ، ص ٨٢ ، وانظر أيضا :

Prunier, op.cit., pp.173, 192-199; Lemarchand, "Rwanda; the Rationality of Genoncide", Issue, Vol.XX III, No.9,1995, p.9;Reed ,op.cit. p.494 .

(52)Reed, op.cit., p.494; Prunier, op.cit., p193.

(53)Des Forges, op. cit., p. 46; Prunier, op.cit., pp. 109, 121; Lemarchand, "Rwanda…", op.cit., p.9.

(54)Prunier, op.cit., pp.108-110, 136, 137; Reed, op.cit; p.496; Lemarchand, Rwanda….", op.cit., p.10.

(55)Prunier, op.cit., pp.137-139.

(56)Ibid, pp. 161-170; Lemarchant, "Managing….", op.cit., p.601.

(57)Lemarchand, "Rwanda…..", op.cit., p.10, Prunier, op.cit., pp.161-173.

(58)Prunier,op.cit., pp.174-190.

(59)Ibid, pp. 196-172, 182, 187,188; Dissenbacher, op.cit., p.74 Lemarchand, "Managing…..", op.cit, p592.

(60)Prunier, op.cit., pp.195, 196, 210.

(61)Ibid, pp. 203, 204; The United Nations and the Situation in Rwanda, (United Nations: Department of Public Information, August 1995), pp. 2-4.

(62)The United Nations…..,op.cit., p.5, Prunier, op.cit., pp.205-212.

(63) Prunier, op.cit., p.197.

(٦٤) د. عبد الملك عودة ، "بوروندي تفقد العقل " الأهرام الاقتصادى ، العدد ١٣١٤ ص؛ د.عبد الله الأشعل ، "الحرب الأهلية فى بوروندى"، بحث مقدم إلى **مؤتمر الصراعات والحروب الأهلية فى إفريقيا**، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٩-٣٠ مايو ١٩٩٩، ص ص ٤، ٥، ١٠ ، ريمون ماهر كامل ، " بوروندى بعد انقلاب يوليو الماضى " السياسة الدولية ، العدد (١٢٧) ، يناير ١٩٩٧ ، ص ٢٣٩ ، وانظر أيضا :

Prunier op.cit., pp.197-201; Lemarchand, "Rwanda….", op.cit., p.10

(65)Lemarchand, "Rwanda….", op.cit., p.10, Prunier, op.cit., pp.211,212.

(٦٦) د. عبد الملك عودة" الدماء فى منابع النيل" الأهرام الاقتصادى ، العدد ١٣٢٣ ، ٢٣ مايو ١٩٩٤ ، ص ٩٠ ، وانظر أيضا :

Prunier, op.cit,pp.213-225.

(67)Ibid, pp.229-232,236,261; Plaut, op.cit., p.151; The United Nations ….,op.cit., p.7.

(٦٨) د. عبد الملك عودة ، " المثلث الشمالى فى شرق زائير " الأهرام الاقتصادى ، العدد ١٤٥٨ ، ١٦ ديسمبر ١٩٩٦ ، ص ٨٢ ، وانظر أيضا :

Diessenbacher, op.cit., pp. 60,61, Prunier, op.cit., pp.239-265; Lemarchand, "Rwanda…", op.cit., pp.10,11; Timothy Longman, "Genocide and Socio-political Change: Massacres in two Rwandan Villages", Issue, Vol.XX III, No. 2, 1995, pp.15-21.

(٦٩) عبد الملك عودة ، " الدماء فى منابع النيل " ، م.س.ذ. ، ص ٩٠ .

(70) Prunier, op.cit., pp. 232,233,236,268-273, 280-297, 311; Africa South of the Sahara, op.cit., p 755; Plaut, op.cit., p.151.

(71)Reed, op.cit., p.497; Dissenbacher, op.cit., p.60; Prunier, op.cit., pp. 298-300; 329-331; Filip Ryntiens, "Subjects of Concern : Rwanda, October, 1994", Issue, Vol.XXII,No. 2,1995, p.41.

(72)Prunier, op.cit., pp. 265, 298, 299,306, 311, 312,321,326; Reyntjens, op.cit., pp.39,41.–

(٧٣) د. عبد الملك عودة ، " العامل الدولى فى منطقة النيل " الأهرام الاقتصادى ، العدد ١٣٥٩ ، ٢٣ يناير ١٩٩٥ ، ص ٨٢ .

(٧٤) د. عبد الملك عودة ، " مباراة التنافس فى وسط أفريقيا " الأهرام الاقتصادى ، العدد ١٤٥٩ ، ٢٣ ديسمبر ١٩٩٦ ؛ د.محمود أبو العينين، "دور

الأطراف الإقليمية فى الحرب الأهلية فى الكونغو الديموقراطية فى ظل الجمهورية الثالثة"، مقدم إلى **مؤتمر الصراعات والحروب الأهلية فى إفريقيا** ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٩-٣٠مايو ١٩٩٩، ص ص ١، ٥، ١١-١٣؛ د. رجاء ابراهيم سليم ، "الأزمة الكونغولية وتداعياتها " السياسة الدولية ، العدد (١٣٥) ، يناير ١٩٩٩ ، ص ص ٤٨ ، ٤٩ ؛ محمد أبو الفضل "ظاهرة الحرب الأهلية فى إفريقيا - الكونغو الديموقراطية٠٠٠المخاطر والتحديات" ، بحث مقدم إلى **مؤتمر الصراعات والحروب الأهلية فى افريقيا** ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٩-٣٠مايو ١٩٩٩، ص ص ٩ ، ١٠ ٠

(٧٥) د. حمدى عبدالرحمن حسن ، " التوازنات الإقليمية ...." ، م. س. ذ. ، ص ٣٠ ؛ د. رجاء ابراهيم سليم ، م. س. ذ. ، ص ص ٥٥ ، ٥٦ ؛ الشيماء على عبد العزيز ، " استمرار الأزمة فى الكونغو الديموقراطية " السياسة الدولية ، العدد (١٣٨) ، أكتوبر ١٩٩٩ ، ص٢٠٤ .

(٧٦) د. عبد الملك عودة ، " انتشار الحرب فى حوض الكونغو " الأهرام الاقتصادى ، العدد ١٥٧٠ ، ٨ فبراير ١٩٩٩ ؛ د. عبد الملك عودة ، " لعبة الأمم عند منابع النيل " **الأهرام الاقتصادى** ، العدد ١٥٦٨ ، ٢٥ يناير ١٩٩٩ ، ص ٧٤؛ د٠ محمود أبو العينين ، **م٠س٠ذ٠** ،١٣؛ محمد أبو الفضل ، **م٠س٠ذ٠** ، ص ص ١١، ١٥، ١٩ ؛ الشيماء على عبد العزيز ،
م. س. ذ. ، ص ص ٢٠١-٢٠٤ .

(٧٧) د. عبد الله الأشعل ، م. س. ذ. ، ص ١٠ .

ندوة التوتسي وأزمة البحيرات العظمى "، معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة، ٣١-٣٢ ابريل ٢٠٠٣: ص ٣٤٩ – ٣٨٦

التوازن الإقليمى فى البحيرات العظمى والأمن المائى المصرى

د. حمدى عبدالرحمن حسن.

* مـن الجلى أن الأوضاع والترتيبات الإقليمية فى منطقة البحيرات العظمى تطـرح فـى أحـد أبعادهـا قضايا إشكالية بالنسبة للمصالح الاستراتيجية المصـرية، لاسيما منها. إذا لا يخفى أن نهر النيل الذى يشكل جل مصادر مصـر مـن المياه العذبة، ينبع من منطقتين جغرافيتين هما حوض النيل الأبيض والنيل الأزرق. ويستمد النيل الأبيض مياهه من البحيرات العظمى والاستوائية، كما أنه يستفيد من النظام المائى فى بحر الجبل، وتشمل منطقة حـوض النـيل الأبيض دول تنزانيا ورواندا وبوروندى وأوغندا والكونغو الديمقراطـية وكينـيا والسـودان. أمـا النـيل الأزرق فإنـه ينـبع من مـرتفعات أثيوبيا وأريتريا والتى تسهم وحدها بحوالى (٨٥%) من إجمالى نهر النيل[١].
* وعلـى الرغم من استقرار العلاقات الدولية فى حوض النيل بسبب النظام القـانونى الذى يحكم الاستخدام المشترك لمياه النهر، فإن ثمة مجموعة من الإشـكالات السياسـية والاقتصادية والقانونية، التى تجعل ذالصراع حول المـياه أمـراً قائماً. يعنى ذلك ضرورة التأكيد على نهج التعاون الإقليمى بشـأن استخدام واستغلال موارد المياه بين الدول النهرية العشرة. وقد أكد هذا المعنى المؤتمر السادس للنيل ٢٠٠٢ والذى عقد فى العاصمة الرواندية كيجالى فى فبراير ١٩٩٨ حيث اتخذ من المصلحة المشتركة ركيزة لتحقيق التنمية الشاملة لموارد النيل.[٢]

* ولـــيس بخاف أن أثيوبيا تقف حجر عثرة أمام جهود التعاون الإقليمى بين الدول النهرية، إذ تشارك دوماً بصفة مراقب وعلى الرغم من أن القياسات الهيدرولوجـــية، وجهود إدارة مياه النهر حققت نجاحاً مهماً، إلا أن إحجام إثيوبيا عن المشاركة الفعالة قد قلل كثيراً من إمكانات الاستفادة الفعلية بهذه الجهـــود.(٣) أضف الى ذلك مجموعة من العوامل الأخرى التى تدفع باتجاه إثارة الصراع على المياه فى حوض النهر ومن ذلك:

- تـــزايد الحاجـــة فى الدول النهرية إلى استخدام المياه فى إنـــتاج الغـــذاء والـــزراعة عمومـــاً، نظراً لمعدل النمو المتســـارع فى عدد السكان. إذا أن تعداد السكان فى دول حوض النيل حوالى (٢٥٠)مليون نسمة أو يزيد. وتصل الزيادة السنوية إلى نحو ٣% بحيث يتوقع أن يرتفع هذا العدد ليصل إلى ما يربو على (٤٠٠) مليون عام ٢٠٢٥، ولـــربما يصل هذا العدد إلى نحو مليار نسمة بحلول عام ٢٠٥٠.
- التصـــور الإثـــيوبى الجديد الذى طرحة رئيس الوزراء ملـــيس زناوى، وعلى الرغم من أنه تخلى عن المفاهيم القديمـــة، مثل مقومات السيادة المطلقة، أو حق الانتفاع المـــنفرد، فإنـــه دعا إلى بداية التفاوض من جديد حول القضايا المائية برمتها باعتبار المياه ثروة مشتركة لدول حوض النهر.(٤)ولا يزال مثل هذا التصور يصطدم بأحد المـــبادئ الحاكمـــة فى السياسة المائية المصرية ألا وهو تأمين الحقوق التاريخية المكتسبة.
- زيـــادة الطلـــب علـــى المـــواد المائية فى مصر، وذلك لأغراض متعددة(زراعية، وصناعية، وطاقة...الخ).

- إمكانـــية تســـوية الصـــراع فى جنوب السودان ـــ إما سياسياً أو عســـكرياً ـــ والاتجاه صوب مشروعات التنمية، وبالتالى الاستفادة الكاملة من حصة السودان المقررة فى مياه النهر.
- بـــيد أنـــه على الرغم من كل ماسبق، فإنه يمكن احتواء الصراع المحـــتمل فـــى مـــنطقة نهر النيل وذلك فى المدى المنظور، بفعل مجموعة مترابطة من العوامل لعل من أبرزها:
- القدرة العسكرية والسياسية المصرية التى تؤهل مصر للقيام بدور إقليمى فاعل.
- الحـــرب الأهلـــية فى جنوب السودان وعدم الاستقرار فى منطقة القرن الأفريقى.
- الصراع وعدم الاستقرار السياسى فى منطقة البحيرات العظمى.

* تحـــاول هذه الدراسة طرح وبلورة بعض القضايا المتعلقة بالمصالح المائية والإســـتراتيجية المصـــرية فـــى منطقة البحيرات العظمى من خلال إثارة تســـاؤل مركـــزى حول تأثير التوازن الإقليمى فى البحيرات العظمى على الأمـــن المائى المصرى. ويتم التركيز بدرجة أساسية من زاوية الجغرافيا علـــى دول ثـــلاث هى : رواندا وبوروندى والكونغو الديمقراطية، ورغم ارتباط واتصال المنطقة من الزاوية الجيوستراتيجية بالقرن الأفريقى ووسط أفريقيا بشكل عام.
* وثمة افتراض أساسى، يمثل من الناحية المنهجية عماد هذه الدراسة، ويدور حـــول وجـــود علاقـــة ارتباطيه هامة بين طبيعية الترتيبات الإقليمية فى البحيرات العظمى، وماتعكسة من مصالح القوى الإقليمية والدولية الفاعلة، والمصـــالح الاســـتراتيجية المصرية فى المنطقة. وليس بخاف أن دراسة الصراعات والتوازنات الإقليمية فى البحيرات العظمى تكتسب أهمية كبيرة ولاســـيما بعد نهاية الحرب الباردة. وربما يعزى ذلك إلى عدة عوامل من بينها:

- أنهـــا غنية بثرواتها الطبيعية: فثمة مخزون هائل من المعادن ذات الأهمية الاســـتراتيجية مثل الكوبالت إضافة إلى النحاس والماس والذهب والأحجار الكـــريمة وفـــوق ذلـــك كلـــه خزانها المائى الضخم. وعلى صعيد الطاقة الكهربائـــية الهيدرولوجـــية يمكن القول بأن شلالات إنجا " Inga Falls " تكفى لسد احتياجات القارة الأفريقية بأسرها.

ارتباط الصراع فى المنطقة بالتفاعلات العدائية بين الهوتو والتوتسى، وهو الأمـــر الذى أفضى إلى تحالفات وارتباطات اقليمية على أساس إثنى قبلى مـــثل الارتـــباط بيـــن نظام حكم يورى موسيفينى فى أوغندا وحكم الأقلية التوتسية فى كل من رواندا وبوروندى.

- وللتحقيق من افتراض الدراسة فإنها تركز على محاور ثلاثة أساسية تدور حـــول إشكاليات الصراع وعدم الاستقرار فى البحيرات العظمى، وذلك من ناحية أولى، و الشراكه الأمريكية الأفريقية وتبدل خريطة التوازن الاقليمى فـــى المنطقة، بعد انتهاء الحرب الباردة من ناحية ثانية، وأخيرا إمكانيات تدعـــيم الأمـــن المـــائى المصرى فى البحيرات العظمى وذلك على النحو التالى:

أولا: إشكاليات الصراع وعدم الاستقرار:

- تعزى جذور الصراع العنيفة فى البحيرات العظمة إلى تاريخ هذه المنطقة، وإلـــى طبـــيعة الترتيبات والتوازنات الإقليمية فيها: بالاضافة إلى مصـــالح القـــوى الدولية الفاعلة[٦]. ويأتى فى المقام ألأول إشكالية التفاعلات الإثنية العجائـــية بين كل من التوتسى والهوتو فى رواندا وبوروندى وتاثيرات ذلك علـــى دول الجـــوار المحـــيطة، ولاسيما دول الكونغو اليمقراطية وأوغندا وتنزانيا، وليس بخاف أن تصرفات وسياسات النظام الحاكم فى الكونغو منذ عـــام ١٩٧٢، قـــد أســـهمت بدور بارز فى تشكيل التوترات التى تشهدها المنطقة منذ منتصف التسعينيات.

* ويتألف السكان فى كل من رواندا وبوروندى من ثلاث جماعات عرقية هى الهوتو Hutu (٨٥%) والتوتسى Tutsi(١٤%) والتوا Twa (١%)ويعد التوا من ألقزام الذين يقطنون كذلك بعض مناطق غرب البحيرات العظمى فى الغابات الاستوائية لوسط أفريقيا.

* ويرتـبط الصـراع فـى المقام الأول بمسألة هوية الكونغوليين من أصل روانـدى (ألبانيا رواندا Rawdna Banya) وسواء كانوا من التوتسى أو الهوتـو أو الـتوا، فهـل بمقـدرة هـؤلاء الزعم بأنهم يتمتعون بالجنسية الكونغولية بحجة إقامتهم الدائمة فى الكونغو منذ ظهورهم إلى حيز الوجود عـام ١٨٨٥ تحـت مسـمى دولة الكونغو الحرة ؟ وإذا قبلنا بهذه الحجة التاريخـية يصبح من حق هذه الجماعة العرقية شأن غيرها من الجماعات العرقـية الأخـرى المنتشرة فى ربوع القارة الأفريقية أن تطالب بأراضى أسلافها فى شرقى الكونغو.

١-الصراع الإثنى فى رواندا وبوروندى:

جذر الصراع:

* كانت تقطن المنطقة المعروفة اليوم باسم رواندا وبوروندى جماعات صغيرة من الأقزام تسمى التوا Twa ، وكانت حرفتها هى الصيد القنص على أنه فـى فترة تاريخية لاحقة قدمت إلى المنطقة جماعات عرقية أخرى تنتمى إلـى البانـتو وهى قبائل الهوتو، وعلى العكس السكان الأصليين من أقوام التوا فإن شعب الهوتو اشتغل بالزراعة من خلال استصلاح مساحات كبيرة مـن أراضـى، وتقسيمها فيما بينهم، واتسمت التنظيمات الاجتماعية التى أقامهـا الهوتـو بعـدم المركزية رغم خضوعهم لسلطة " موتمى " واحد (والموامى بلغة الهوتو هو الملك).(٧)

* بـيد أن القرن الرابع عشر شهد تطوراً هاماً فى تاريخ المنطقة حيث وفدت جماعـات مـن التوتسى قادمة من أثيوبيا على الأغلب، وهم من الشعوب الحامـية طـوال القامة ويحترفون مهنة الزراعة، وتربية الماشية، وتميز

التوتسى على عكس الهوتو، بأنهم يمتلكون تقاليد حربية صارمة بالإضافة إلى تطوير لتنظيمات ومؤسسات مركزية قوية. وسرعان ما سيطر التوتسى ــ رغـم أنهـم أقلـية ــ على الأغلبية من شعوب الهوتو، وفرضوا عليهم نظاماً إقطاعـياً متسـلطاً. ويـرى بعض الدارسين أن نمط الحكم الذى ساد فى هذه المـنطقة، كان أقرب إلى نظام التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا، خلال عهد الأبارتهـيد، إذا وضعنا التوتسى مكان البيض كأقلية عنصرية حاكمة، والهوتو مكان السود كأغلبية مضطهدة.(٨)

* لقـد كـان على فلاح من الهوتو أن يقتطع جزءاً من محصوله لتقديمه إلى الحكـام مـن التوتسى، إلى جانب قيامة بالعمل سخرة أنى يطلب منه ذلك. وبإيجـاز شـديد، فقد فرضت الطاعة لرغبات كرها، واستخدمت فى ذلك آلـيات للعقـاب الجماعى تمثلت فى أغلب الأحايين فى إبادة قرى بأكمله يقطنها الهوتو.

* وعليه فإن جذور الصراع فى المنطقة ترجع الى القرن الرابع عشر حينما غـزت الأقليات من التوتسى المنطقة، وتبنت نظام حكم استبدادياً عنصرياً يقـوم علـى اضـطهاد الأغلبية من الهوتو، ومستنداً فى ذلك على مزاعم عنصرية خالصة.(٩)

<u>الخبرة الاستعمارية :</u>

* خضـعت المـنطقة أثـناء عملية التخاطف الاستعمارى لأفريقيا فى القرن التاسع عشر للسيطرة الألمانية، حيث أصبحت جزءاً من أقليم شرق أفريقيا الألمانـية. وفـى عـام (١٩١٦م) تمكنت بلجيكا من بسط سيطرتها على المنطقة التى وضعت بعد ذلك بسنوات ثلاث تحت نظام الانتداب وفقاً لعهد عصبة الأمم، وأطلق عليها حينئذ اسم رواندا ــ أورندى.(١٠)

* ولـيس بخاف أن المنطقة لم تكن تمثل أى أهمية اقتصادية لبلجيكا باستثناء قـربه الجغـرافى لإقلـيم الكونغو البلجيكى الغنى، وعليه فان نمط الإدارة الاستعمارية البلجيكية اعتمد أساساً على نظام الحكم غير المباشر، أى حكم

الإقليم من خلال مشايخ ورؤساء التوتسى (الحكام التقليديين). وقد سمح هذا النظام للتوتسى بفرض إدارتهم بشتى السبل فكان بمقدورهم تحصيل الضرائب. وتوزيع الأراضى، والحصول على العمالة اللازمة، وبالإضافة إلى ذلك كله فقد سمح لهم بالفصل فى المنازعات، والقيام بأمور الإدارة اليومية، وحتى البعثات التبشرية الكاثوليكية قدمت فرص التعليم، التدريب لأبناء التوتسى باعتبارهم قادة طبيعيين بينما ظل الهوتو محرومين من هذه الفرص، واقتصر عملهم اليومى على فلاحة الأراضى وزرعها. وطوال الحقبة الاستعمارية، تم تعميق هوة الكراهية بين الشعبين من خلال لغة الخطاب الاجتماعى المختلفة، ولقد وصلت نزعة الاستعلاء لدى أبناء التوتسى مدى بعيداً، حتى أنهم نظروا إلى طعام الهوتو ومشروبهم باعتباره نجساً لاينبغى أن تقربه أيديهم ومع ذلك نجد أن بعض الإرساليات، ومنظمات الغوث الفرنسية التى كانت حريصة على نشر الثقافة الفرنسية فى أواسط أفريقيا، وفرت بعض فرص التعليم، والتدريب المهنى لأبناء الهوتو، ولاشك أن هذه العملية سمحت بخلق نخبة متعلمة ذات طموح سياسى بين أفراد الهوتو، وشكلت قياداتهم السياسية فيما بعد.[١١]

<u>سياسات الحكم الوطنى:</u>

- حينما اجتاحت رياح التغيير القارة الأفريقية فى الخمسينيات، فإن روح التحرر الوطنى شملت كلا من رواندا وبوروندى، على أن الاستقلال كان يعنى بالنسبة للأغلبية من الهوتو التحرر من استغلال، واستبداد التوتسى، وبالفعل شهدت رواند عام (١٩٥٩) واحدة من أكبر المذابح العرقية فى التاريخ الأفريقى حيث أودت انتفاضة الهوتو بحياة نحو مائة ألف من أبناء التوتسى، وحينما حصلت رواندا على استقلالها عام (١٩٦٢) أضحى جريجور كابيدا، وهو من الهوتو، أول رئيس لبلاده بعد الاستقلال. وخلال عقد الستينات تبنت الحكومة الوطنية حملات تطهير عرقية واسعة النطاق ضد التوتسى، وقد أدت هذه السياسة إلى هجرة مئات الآلاف من التوتسى إلى الدول المجاورة مثل زائير، وبوروندى، وأوغندا.[١٢]

- ويلاحـــظ أن ثمـــة متغـــير أخـــر للصراع داخل رواندا ارتبط بالانقلاب العسكرى الذى أطاح بالحكومة المدنية عام (١٩٧٢م) فقد ظهر إنقسام جديد فـــى صفوف الهوتو أنفسهم على أسس واعتبارات اقليمية، فعلى الرغم من أن قـــائد الانقلاب الجنرال هابياريمانا ينتمى الى الهوتو إلا أنه من الشمال حيث موطن غلاة الهوتو المؤمنين بضرورة تطهير البلاد من التوتسى، وأياً كان الأمر فان حكم الرئيس هابياريمانا تميز بالفساد وسوء الإدارة حتى أن كثـــيراً من كبار معارضيه الهوتو انضموا إلى الجبهة الرواندية التى تمثل أساس المعارضة من التوتسى.(١٣)
- لقـــد نشـــأت المعارضـــة المسلحة لنظام الرئيس جوفينال هابياريمانا بين صـــفوف التوتســـى الذين يعيشون فى المنفى ولاسيما فى أوغندا، فهؤلاء قدموا الدعم لقوات يورى موسيفينى حتى تمكنت من الوصول إلى السلطة فـــى أوغـــندا. عندئذ تم تشكيل الجبهة الوطنية الرواندية، والتى استطاعت غـــزو شـــمال رواندا عسكرياً عام (١٩٩٠م)(١٤)ومن المعتقد أن الرئيس موســـيفينى كـــنوع من رد الجميل قد قدم المساندة والتأييد للجبهة، بيد أن اتساع نطاق المواجهة العسكرية فى البلاد ووجود محاولات إقليمية ودولية لوقف الحرب الأهلية، دعوة الحكومة والمعارضة للتفاوض السلمى قد جفع الـــى القبول بمبدأ تقاسم السلطة وإجراء تحولات ديمقواطية فى البلاد، ففى عام (١٩٩٢م) تم التوصل إلى اتفاقية سلام فى أروشا بدولة تنزانيا حيث تم تشكيل قوة رقابة عسكرية أفريقية للإشراف على إجراءات تنفيذ الاتفاق (١٥) على أنه فى أبريل (١٩٩٣م) اندلعت الحرب الأهلية مرة أخرى فى رواندا وفى هذه المرة تدخل مجلس الأمن، وأصدر قراراً بإنشاء قوة دولية أفريقية لمراقبة وقف إطلاق النار، وحماية تدفق الإغاثة الدولية. وقد استطاعت كل من الحكومة والجبهة الوطنية الرواندية المعارضة للتوصل إلى اتفاق بشأن أساليب عودة اللاجئين والمشردين وتعويضهم تحت إشراف منظمة الوحدة الأفريقية.
-

بيد أن هذا الاتفاق الذى سمح بفكرة تقاسم السلطة بين الهوتو والتوتسى، قد أثار مـــرة أخرى عداوات، وأحقاد تاريخية لاتنساها الذاكرة الجماعية لغلاة الهوتو فالجـــبهة الوطنية المعارضة رغم أن دستورها يؤكد على نبذ الانقسامات فإنها بشـــكل أساسى الأقلية من التوتسى، وعليه فإن هذه المخاوف من عودة سيطرة التوتسى قد أودت بحياة الرئيس هابياريمانا عندما أطلق صاروخ على الطائرة التى كان يستقلها مع رئيس بوروندى فى السادس من أبريل (١٩٩٤م).

* وعلـــى الـــرغم من تشابه التركيبة الاثنية فى كل من رواندا وبوروندى فإن الأغلبـــية مـــن الهوتـــو فى بوروندى لم تتقلد زمام السلطة بشكل كامل منذ الاســـتقلال. وعوضاً عن ذلك فقد حكمت البلاد بواسطة مجموعات متعاقبة من العسكر الذين تمكنوا من قمع الطموحات السياسية للأغلبية العرقية. ففى عـــام ١٩٧٢ قامـــت قوات التوتسى الحكومية بارتكاب مذبحة رهيبة راح ضـــحيتها حوالـــى ثلاثمائة ألف شخص من الهوتو. وقد استهدفت المذبحة المعلميـــن والطلاب وذوى النفوذ حتى إن هذا العام اصبح يمثل فى الذاكرة الجماعية لكا من الهوتو والتوتسى " عام الرعب " [١٦].
* وقـــد وقع احتجاج شعبى من قبل الهوتو عام ١٩٨٨ ضد سيطرة التوتسى مستفيداً بذلك من مناخ حركات التحول الديمقراطى التى شهدتها مناطق عدة فـــى أفريقـــيا، وعلـــى الرغم من أن بوروندى حاولت انتاج منحنى التحول الديمقراطى وأجرت أول انتخابات تعددية حرة إلا أن الأزمة السياسية التى شـــهدتها البلاد منذ الاستقلال أفضت إلى حالة من عدم الاستقرار السياسى عندما تمكن بعض ضباط الجيش من التوتسى من اغتيال أول رئيس منتخب هو ميلشيور نداديا فى أكتوبر ١٩٩٣.[١٧]
* وعندما شجع بعض غلاوة الهوتو الانتقام بقتل المواطنين من التوتسى كان رد الجـــيش عنـــيفا حيث ارتكب مذبحة أخرى ضد الهوتو. وتذكر بعض ضـــحايا هـــذه المذبحـــة بلغوا خمسين الف قتيل بالإضافة إلى نزوح نحو ثلاثمائة ألف من الهوتو إلى الدول المجاروة. وفى يوليو عام ١٩٩٦ قام

الحـــاكم العســـكرى السابق بويويا بانقلاب عسكرى تولى على أثرة السلطة فى البلاد.

٢- الصراع فى الكونغو الديمقراطية:

جذور الصراع[١٨].

* لقــد حدثت هجرات واستقرار من جانب جماعات البانيا رواندا فى الكونغو فى لحظات تاريخية متفاوتة ولأسباب مختلفة، فالبحيرات العظمى شكلت فى فــترة مــنطقة جــذب تجارى لبعض الدول القوية نسبياً مثل رواندا قديماً. ويطرح بعض الباحثين أدلة تاريخية على أن رواندا كانت لها السيطرة في مــناطق زراعية فى جزر بحيرة كيفو (وهى جزء من الأراضى الكونغولية حالياً) وذلك فى القرن الثامن عشر.
* ومــن ناحــية أخرى تزعم جماعة من التوتسى أنها استقرت خلال القرن السابع عشر فى مرتفعات مولينجى "Mulenge" الواقعة بين بحيرتى كيفو وتنجانيقا، أو أن شئت الدقة فقل بين بوكافا ويوفيرا فى جنوب مقاطعة كيفو الكونغولية، وعليه فقد أطلق هؤلاء على أنفسهم اسم " البانيا مولينجى " على أن هذا الزعم يدحضه زعم أخر من قبل جماعات كونغولية محلية أخرى. ولنضرب على ذلك مثلا أن جماعات البافوليرو Bafulero يرفضون القول بــأن التوتســى هــم البانــيا مولينجى بحجة أن مولينجى يمثل لقب زعيم البافوليرو الذين تقع أراضيهم على بعد نحو مائتى كيلو متر جنوب المنطقة التى يقطنها هؤلاء التوتسى.

الخبرة الاستعمارية:

- أيــا كــان الأمر حول صحة هذا التراث التاريخى غير المكتوب فإن من الصعوبة بمكان إنكار حقيقة أن بعض مناطق التجمع السكانى الرواندية قد وجــدت خارج إطار الحدود الاستعمارية التى رسمت عام ١٨٨٥، أضف الــى ذلك فإن ألبانيا رواندا الذين عاشوا فى جزيرة أدجيوى Idjwi كبرى جزر بحيرة كيفو قد أضحوا رعايا بلجيك فى عام ١٩١٠ كما كان حال

غـــيرهم من المتحدثين باكينيا رواندية فى شمال كيفو حينما تخلت ألمانيا عن الأراضى التى احتلتها لباجيكا فى إطار الترتيبات الحدودية التى تمت بين هاتين القوتين الاستعماريتين [19]

وعليه فان التمايز بين هؤلاء ألبانيا روانجا وغيرهم من الكونغوليين أضحى مسـألة نظــرية بعدما سيطرت بلجيكا على كل من رواندا وبوروندى عام ١٩٢٠ طــبقاً لــنظام الانتداب فى عهد عصبة الأمم ثم تغير هذا الأساس القانونى عام ١٩٤٥ طبقاً لنظام الوصاية الذى فرضته الأمم المتحدة.

* ومـــن المعـــروف أن بلجـــيكا لغايات عملية قامت بإدارة كل من الكونغو [illegible] كإقليمين منفصلين ولكن باستخدام [illegible] علـــيه اســـم " القوة العامة " وحاكم عام واحد اتخذ مقرا له مدينة كنيشاسا. وكـــان يعـــاون الحـــاكم العـــام نائبا أحدهما فى لومومباتشى والآخر فى بوجمبورا.[20]

* لقد قامت بلجيكا فى مقاطعات ماسيسى "Masisi" وروتشورو Rutshuru والیكالى "Walikali" شمال كيفو خلال الفترة مابين ١٩٣٧-١٩٥٥ وذلك لتخفيف حدة الضغط السكانى فى رواندا ، أضف الى ذلك فانها جندت آلافا آخريـــن للعمـــل فـــى مناجم ومؤسسات النقل والزراعة فى مقاطعات سابا وجـــنوب كـــيفو ومانيما طوال الحقبة الاستعمارية ومن المعلوم أن هؤلاء ألبانـــيا رونـــاد قد شاركوا فى أول انتخابات بلدية علمى ١٩٥٧-١٩٥٨، كذلـــك فـــى الانـــتخابات العامة عام ١٩٦٠، وقد انتخب عدد من ممثليهم لوظائف عامة فى الكونغو.

<u>سياسات الحكم الوطنى:</u>

- ظلـــت قضـــايا الهوية والمواطنة تشكل إشكالية مفضية دوماً إلى الصراع فـــى الكونغو. وعلى الرغم من تدفق أعداد كبيرة من التوتسى الى الكونغو خـــلال الفترة من ١٩٥٩-١٩٦١ بعد أن فروا من رواندا فانهم وجدوا كل ترحيـــب مـــن جانب الحكومة الكونغولية، بل الأكثر من ذلك فإن الرئيس

الراحل موبوتو قام فى عام ١٩٧٢ بإصدار مرسوم عام يمنح بمقتضاه الجنسية الكونغولية لجميع المقيمين من أصول رواندية أو بوروندية والذين استقروا فى الكونغو منذ ماقبل عام ١٩٥٠.(٢١)

* بيد أن المشكلة بدأت تتفاقم بشكل تدريجى عندما تزايد أعداد ألبانيا رواندا بشكل واضح إما بفعل الزيادة الطبيعية فى المواليد أو بفعل الهجرات الجماعية بعد استقلال كل من رواندا وبوروندى. وقد حاول ألبانيا رواندا ولاسيما ألبانيا موليـنجى منهم استغلال مكانتهم الاقتصادية المتميزة ومركزهم السياسى المتصاعد فى الحصول على مزيد من الأراضى فى المقاطعات المزدحمة بالسكان مشال وجنوب كيفو.
* ساعد ذلك على تنامى مشاعر الغضب والكراهية من جانب الجماعات الكونغولية الأخرى، وعليه فقد كان مرسوم ١٩٧٢ محا سخط وازدراء عام حتى أن موبوتو نفسه أضطر فى عام ١٩٨١ إلى التخلى عنه وأصدر قانوناً جديداً يحدد المواطنة على أساس الانتماء إلى إحدى الجماعات الإثنية التى كانت موجودة داخل حدود الكونغو عام ١٨٨٥. يعنى ذلك حرمان جانب كبير من ألبانيا رواندا من حق المواطنة. ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد إذ حرم هؤلاء من أراضيهم حيث سيطرت عليها الجماعات الكونغولية المحلية.بزعم أنها أراضى أجدادهم. وأوضحت مسألة (الأراضى) تشكل جوهر الصراع بين ألبانيا رواندا وغيرهم من الكونغوليين شمال وجنوب كيفو.(٢٢)
* وقبل موجة النزوح الجماعى للهوتو الى كيفو عام ١٩٩٤ كان ألبانيا رواندا يشكلون حوالى (٥٠%) من جملة سكان شمال كيفو. وكان أغلب هؤلاء ألبانيا روانـدا من الهوتو. أما فى ماتسيسى وروتشورو فقد شكل ألبانيا روانـدا سواء كانوا من الهوتو أو التوتسى الأغلبية المطلقة للسكان. وعلى الرغم من هذه الأغلبية العددية فقد ظلت السلطة السياسية شمال كيفو بايدى قبائل الأقلية مثل الهوندى الذين سيطروا على عملية توزيع الأراضى.

* وفـــي عـــام ١٩٨٧ شهدت الانتخابات البلدية فى معظم أنحاء شمال كيفو أعمـــال عـــنف واســـعة الـــنطاق عندما رفضت السلطة المحلية مشاركة المتحدثيـــن بالكينـــيا روانديـــة فـــى هذه الانتخابات بحجة أنهم أجانب ولا يتمتعون بصفة المواطنة.
* وفـــي عـــام ١٩٩١ احـــتج هـــؤلاء ألبانيا رواندا مرة أخرى عندما قامت الســـلطات بتحديـــث القوائم الانتخابية من خلال تحديدهما لمفهوم المواطنة واعتـــبارهم أجانب. ومن المعلوم أن الجماعات الأثنية الصغيرة فى شمال كـــيفو مـــثل الباهوندى وألبانيا نجا تخشى من الزيادة العددية للبانيا رواندا وإمكانية سيطرتهم على أى انتخابات تجرى بشكل ديمقراطى.
* وقـــد أزدادت الأمـــور تعقيداً وتشابكا مع تدفق مايربو على المليون لاجئ روانديى أغلبهم من الهوتو بعد أحداث ١٩٩٤ فى رواندا. وقد استقر هؤلاء فـــي معســـكرات أو بين ظهرانى أقاربهم فى المدن والقرى الواقعة شمال كـــيفو. وقـــد أســـهمت ميلشيات الهوتو المسلحة فى مناطق اللاجئين بنشر ايديولوجـــية معاديـــة للتوتسى بين صفوف هوتو ألبانيا رواندا فى الكونغو وكذلك الجماعات الإثنية الكونغولية الأخرى.[٢٣]
* ومن الجلى أن نظام حكم موبوتو أسهم بشكل مباشر فى زيادة حدة الأزمة ونشر مشاعر الكراهية المناوئة للمواطنين من أصول توتسية. وعلى سبيل المثال أصدر نائب حاكم جنوب كيفو فى سبتمبر ١٩٩٦ إنذارا عبر مؤسسة الإذاعة الحكومية يحذر فيه ألبانيا مولينجى ويطالبهم بضرورة مغادرة البلاد فى غضون أسبوع واحد وإلا تعرضوا للسجن والإبادة. وكان رد التوتسى حاسما وهو اللجوء إلى خيار القوة والعنف للدفاع عن وجودهم وممتلكاتهم فى الكونغو.[٢٤]
* لقـــد بدأت حملة الإطاحة بنظام موبوتو من كيفو فى أكتوبر ١٩٩٦ عندما حمـــل شباب البانيا مولوينجى السلاح للدفاع عن أنفسهم فى مواجهة النظام الحـــاكم فـــي كينشاســـا الذى سلبهم الحق فى الهوية والمواطنة. وقد التف

حولهم جماعات وقى المعارضة الأخرى مثل مقاتلى الماى ماى.[٢٥]

* وساندت كل من رواندا وبوروندى وأوغندا ـــ لأسباب استراتيجية ـــ تحالف قوى المعارضة بزعامة لوران كابيلا والذى تمكن فى غضون سبعة أشهر من الإطاحة بنظام موبوتو والسيطرة على السلطة.

* وعلى أنه بعد نحو ما أو يزيد على سقوط نظام موبوتو انفرط عقد التحالف غـير المقدس الحاكم فى الكونغو بزعامة كابيلا بل وظهرت حركة مسلحة جديـدة معلـنة مـن شرق البلاد حرب تحرير أخرى فى أوائل أغسطس ١٩٩٨.[٢٦]

بـيد أن هـذه الحـرب التى انطلقت من شرق مقاطعة كيفو تختلف عن سابقتها التى استهدفت نظام موبوتو عن عدة أوجه:

أولا: أن قـوى المعارضة لنظام كابيلا لاتجمعها أجنده سياسية مشتركة بل إن أهدافها متنافسة ومتناقضة.

ثانيا: القدرات اللوجستية لهذه القوات وتحالفاتها الخارجية هى جد محدودة مقارنـة بمـا كـان عليه الوضع عام ١٩٩٦ عندما بدأ كابيلا أئل خطواته نحو السلطة.

ثالثا: وجود العديد من قوى المعارضة وجماعات القوار فى شرق الكونغو وتدعيم مراكزهم منذ عام ١٩٩٦.

* ومع ذلك يمكن القول بشكل عام أن قوات المعارضة الرئيسية لنظام كابيلا تنـتمى إلـى جماعـات ألبانـيا مولينجى التى اتهمته بالفساد والمحسوبية والانغـلاق علـى جماعـته العرقية فى إقليم شابا[٢٧]. أضف إلى ذلك فإن رواندا وبوروندى وأوغندا أعربت عن استيائها البالغ من نظام كابيلا.

* وعلـى سـبيل المثال فإن قيادتين عسكريتين ومسئولين حكوميين سابقين فـى نظـام هاربيارمانا وجدوا مأوى وملاذا فى معسكرات اللاجئين شمال كيفو ثم أخذوا يهاجمون أهدافا محددة داخل الأراضى الرواندية. وليس كافياً

بدأ المشروع السياسى الذى طرحة لوران كابيلا ــ سواء على الصعيد الداخلى أو الإقليمى ــ فسر على أنه يطرح ترتيبات إقليمية جديدة تؤثر يقينا على واقع التوازن الإقليمى فى البحيرات العظمى، لقد بات واضحاً أن كابيلا يحاول جاهداً التخلص من تأثير حلفائه الرونديين والأوغنديين الذين أتوا به إلى السلطة وأن يخلــق عوضاً عن ذلك مراكز تأييد داخلية معتمدا على فلول الجيش الرواندى وميلشــيات الهوتــو وجنرالات موبوتو السابقين ومقاتلى الماى ماى ومتمردى تحــالف القــوى الديمقراطية المعارضة لنظام موسيفينى فى أوغندا ومتمردى بوروندى، وتشترك هذه القوى جميعاً فى معارضتها لنظام الحكم القائمة فى كل مــن رواندا وبوروندى وأوغندا. أما على الصعيد الخارجى فقد سعى كابيلا إلى إقامة تحالف مع أخولا وزيمبابوى وأفريقيا الوسطى وتشاد والسودان.

ثانيا: السياسة الأمريكية وتبدل المتغيرات الإقليمية والدولية:

* غــنى عــن البــيان القول بأنه قبل نهاية أعوام الثمانينات استحوذت اعتبارات الحــرب الباردة على اهتمامات صانعى القرار الأمريكى حتى أنها غطت على غيرها من الأهداف والمصالح الأخرى. ولعل السياسة الأمريكية تجاه أفريقيا تعد خــير مــثال على ذلك[٢٨]. فالرئيس جون كيندى الذى ابدى تعاطفاً ملحوظاً مع القــوى الوطنية المناهضة للاستعمار فى أفريقيا البرتغالية وقف مكتوف الأيدى بســبب الاهتمام الأمريكى بقواعد حلف شمال الأطلنطى فى المنطقة. وبالمثل لم يستطع الرئيس رونالد ريجان أن يواجه بحسم حكومة بريتوريا العنصرية بسب خشــيته مــن تــزايد نفوذ المد الشيوعى فى المنطقة، أما وقد تغيرت الأوضاع الدولــية والإقليمــية بزوال مناخ الحرب الباردة وظهور الولايات المتحدة كقوة كونــية عظمــى تحــاول بسط هيمنتها على النظام الدولى الجديد فإن الخطوط الإرشادية التى كانت تحكم الرؤية الأمريكية قد ولت وراح أوانها وظلت الإدارة الأمريكية تبحث عن رؤية جديدة تؤسس علاقاتها مع أفريقيا.

وليس بخاف أن قائمة المصالح والأهداف القومية التى كانت تشكل محدداً للسياسة الأمريكية تجاه أفريقيا اشتملت على أربع قضايا أساسية هى :

١- احتواء الشيوعية (لم يعد لهذا التهديد أى وجود).

٢- حماية خطوط التجارة البحرية (لايوجد تهديد جدى على هذه لخطوط حتى قبل الأنظمة التى تعد غير موالية للولايات المتحدة).

٣- الوصول إلى مناطق التعدين والمواد الخام.

٤- دعم ونشر القيم الليبرالية ولاسيما تلك الخاصة بالديموقراطية احترام حقوق الإنسان.

* وإذا كانــت خــبرة العلاقات الأمريكية الأفريقية منذ الستينات تعكس رؤى أمريكــية متباينة تجاه القارة الأفريقية هى أقرب إلى نموذج قصة العميان والفــيل(٢٩).والــتى تجســد غياب الرؤية الشاملة والمتكاملة بشأن موقع أفريقــيا فــى عملــية صنع السياسة الخارجية الأمريكية فإن نهاية الحرب الــباردة قــد أحدثــت تغــيرات جذرية. ولا أدل على ذلك من أن وارين كريســتوفر وزير الخارجية قد حدد ملامح سياسة إدارة كلينتون الخارجية تجــاه أفريقيا بقولة " خلال سنوات الحرب الباردة الطويلة لم تحدد سياستنا الأفريقية بناء على الطريقة التى تؤثر بها على أفريقيا ولكن بما تحققه من مصالح لكل من واشنطن وموسكو، على أنه مما يحمد له اليوم أننا تجاوزنا مــرحلة تبــنى سياسات قائمة فقط على حماية خطوط التجارة القريبة من أفريقيا بغض النظر عن مصالح الشعوب الأفريقية ". (٣٠)

* وأيا كان الأمر فإنه يمكن القول بأن المتغيرات الدولية الجديدة التى سارت باتجــاه العولمة الأمريكية أفضت إلى إعادة توجيه السياسة الأمريكية نحو أفريقــيا من خلال التركز على دبلوماسية التجارة كأداة للاختراق بالإضافة إلـــى دعم قادة أفارقة جدد. وقد اتضحت ملامح هذه السياسة منذ بداية عام ١٩٩٨ حيث سعت الإدارة الأمريكية إلى تأسيس شراكة أمريكية مع الدول أفريقــية جنوب الصحراء تهدف إلى دمج الاقتصاد فى منظومة الاقتصاد العالمى وإحلال مبدأ التجارة محل فكرة تلقى المساعدات.(٣١)

١- طبيعة وأهداف السياسة الأمريكية فى البحيرات العظمى:

من المعلوم أن الولايات المتحدة استهدفت منطقة البحيرات العظمى لتحقيق مصالحها الاستراتيجية خلال سنوات الحرب الباردة. فالدور الأمريكى فى مساعدة نظام موبوتو فى الكونغو ذهب إلى بعيد ولاسيما بعد استغلال انجولا عام ١٩٧٦ وانتهاجها الفلسفة الماركسية اللينينية.

* لقد تلقى موبوتو كافة أنواع الدعم العسكرى والاقتصادى والأمنى من قبل الولايات المتحدة، وفى المقابل ذلك تم السماح لأجهزة الاستخبارات الأمريكية بالتحرك من الأراضى الكونغولية لتوفير الدعم لجبهة يونيتا (Unita) المعارضة فى أنجولا بقيادة جوناس سافيمى. وقد اتخذ موبوتو دوما مواقف سياسية موالية للولايات المتحدة والغرب عموماً،[٣٢] فعلى سبيل المثال كان أول زعيم أفريقى يعيد علاقاته مع إسرائيل بعد حرب الأيام الستة، كما أنه أرسل قوات عسكرية إلى تشاد بغرض محاصرة النفوذ الليبى فى المنطقة.
* على أن الموقف الأمريكى من نظام موبوتو قد تغير بشكل جذرى فى أواخر الثمانينات وأوائل التسعينيات. وربما يعزى ذلك، ولو جزئيا إلى نهاية الحرب الباردة وتوقف التدخل الأمريكى العسكرى فى الصراع الأنجولى. أضف إلى ذلك تزايد معارضة الكونجرس الأمريكى لاستمرار تقديم الدعم المالى الأمريكى للنظم التسلطية الفاسدة، وهى المعارضة التى افضت إلى صدور تشريع ينهى الدعم العسكرى والاقتصادى الأمريكى لنظام موبوتو بحلول صيف ١٩٩١.[٣٣]

ويمكن القول إجمالا أن السياسة الأمريكية الجديدة سعت الى تحقيق هدفين أساسيين:

أولهما: يتمثل فى إعادة ترتيب الأوضاع الإقليمية فى وسط أفريقيا.

ثانيهما: محاربة وعزل نظام حكم الجبهة الإسلامية فى السودان.

* وعلية فقد عملت الولايات المتحدة على تقوية وتعزيز روابطها العسكرية

والاقتصادية مع كل من أوغندا ورواندا ــ تحت حكم الجبهة الوطنية التى تمــثل بالأساس الأقلية من التوتسى ــ وذلك منذ أوائل التسعينيات، وقد شملت هــذه الــروابط **تقديــم مســاعدات مهمة لكل من البلدين من خلال الوسائل الآتية.**[٣٤]

- برنامج المبيعات العسكرية الخارجية (وهى مبيعات حكومة يديرها البنتاجون).
- برنامج المبيعات التجارية (وهى مبيعات خاصة تقوم بها شركات الأسلحة الأمريكية وتنظمها وزارة الدفاع الأمريكية).
- السماح بنقل فائض المعدات الحكومية من قبل البنتاجون.
- برنامج التعليم والتدريب العسكرى الدولى.

* ومن جهة أخرى وافقت الولايات المتحدة على الدور الأوغندى والذى أسهم فــى إنهــاء حكــم الأغلبية من الهوتو فى رواندا وكذلك دور الحكومتين (الــرواندية والأوغندية) المباشر فى الصراع الذى شهدته زائير (الكونغو) وأفضـــى إلى انتصار تحالف قوى المعارضة بقيادة لوران كابيلا فى مايو ١٩٧٧. وعلـــى الرغم من عدم وجود أيه دلائل تشير إلى مساعدة أمريكية لقــوات كابيلا فإن الولايات المتحدة كانت تبارك التدخل الأجنبى فى شئون الكونغو بحجة دعم حركة التحول الديموقراطى بها .[٣٥]

ويبدو أن التحرك الأمريكى فى البحيرات العظمى يحاول تحقيق أهدافه ومصالحة الاستراتيجية من خلال أداتين رئيسيتين :

أولهما: خلق ودعم بعض القادة الأفارقة الجدد الذين يعملون بشكل أو بآخــر على تحقيق المصالح الأمريكية فى المنطقة. ولنتذكر فى هذا الخصوص أن اجتماع عنتيبى الذى عقده الرئيس كلينتون أثناء جولته الأفريقية شمل زعماء ست دول هى: أوغندا وروندا وأثيوبيا والكونغو الديمقراطية وكينيا وتنزانيا.

والثانية: هى طرح مشروع القرن الأفريقى الكبير والذى يضم إلى

جانــب دول القرن التقليدية أوغندا والكونغو الديمقراطية ورواندا وبوروندى وجنوب السودان المستقل ويرمى هذا المشروع إلى إنشاء بنية أساسية لمصلحة شركات التعدين والنفط الأمريكية.

١- المبادرات الأمريكية الخاصة بالبحيرات العظمى:

أن تحليل وثائق الإدارة الأمريكية ولاسيما الأجهزة المعنية بالشئون الأفريقــية الــتابعة لــوزارة الخارجية يظهر بجلاء مدى حرص واهــتمام صانعى القرار الأمريكى بمنطقة البحيرات العظمى.[٣٦] ونحــاول فــى هــذا من الدراسة استعراض أبرز ملامح السياسة الأمريكــية فــى المــنطقة وذلــك بشكل تحليلى نقدى على ضوء المصالح الاستراتيجية الأمريكية فى مرحلة مابعد الحرب الباردة.

أ ـ المــبادرات والسياســات الموجهة للتعامل مع آثار حروب لتطهير العــرقى فى كل من رواندا وبوروندى بالإضافة إلى دعم نظام يــورى موسيفينى فى مواجهة حركة التمرد فى الشمال وذلك على النحو التالى:

- دعــم عملية محاكمة مجرمى الحرب فى رواندا وقد اشتمل ذلك علــى دفع (٢٦,٦) مليون دولار لهذا الغرض منذ عام ١٩٩٤، إضافة إلى (١٥,٨) مليون دولار ثم تقريرها عام ١٩٩٨.
- المســاهمة فى دعم صندوق الناجين من حروب التطهير العرقى الــذى يهــدف إلــى مساعدة هؤلاء فى الحصول على الخدمات الحياتــية الضرورية من ملبس ومأكل ومشرب وصحة وتعليم، وقد أعلنت الإدارة الأمريكية أنها سوف تكون أول من ساهم فى هذا الصندوق بمبلغ مليون دولار.

الدعــم المؤسســى للمنظمات الأفريقية غير الحكومية بهدف رفع قدراتهــا على القيام بأنشطة من شأنها تعزيز فرص السلام الداخلى وتجنب الصراعات الإثنية. ويتجه الدعم الأمريكى لتلك المنظمات

الأفريقية التى تركز مجال اهتمامها وعملها على نشر قيم ومبادئ التسامح وحقوق الإنسان والمشاركة الديموقراطية وحرية الصحافة.

- ودعم جهود إعادة التأهيل فى شمال أوغندا من خلال برنامج مدته ثلاث سنوات ويرمى إلى توفير فرص العمل الملائمة لهؤلاء الذين أبـيدوا مـن جراء حركة التمرد فى شمال البلاد. وتسعى الإدارة الأمريكية كذلك الى توفير مصادر دعم أخرى من جانب المؤسسات الدولية المانحة.

ب ــ مبادرة الرئيس كلينتون لتحقيق العدالة فى منطقة البحيرات العظمى حيـث أسـهمت الإدارة الأمريكـية بمبلغ ٣٠ مليون دولار للعمل كشريك مع دول وشعوب المنطقة بغية دعم أنظمة العدالة والقضاء الفعالة والكفؤة. وترمى هذه المبادرة ــ حسب الطرح الأمريكى ــ إلى تحقيق الغايات التالية:

- تقويـة وتدعـيم مـرافق وأجهزة العدالة ولاسيما وزارتى العدل والداخلية.
- تحسين وظائف أنظمة القضاء والإدعاء والشرطة والسجون.
- تقديـم المسـاعدات الفنـية والمالـية لتحسين نظم إدارة وتسيير المعلومات.
- تنظـيم ورش عمـل لتدريـب كـبار المسـئولين على التخطيط الاسـتراتيجى فـى مجالات محددة مثل الشرطة والقضاء والاستثمار والتنمية الاقتصادية.
- توفير الدعم اللازم لأجهزة الشرطة والقضاء من أجل تطوير وتنفيذ برامج تدريبية والبحث عن مصادر التمويل الأساسية.
- القـيام بعمـل خطـط ومشـروعات من أجل تطوير أنظمة إدارة المحاكم.

- تشجيع كافة النقابات والمنظمات المهنية والتجارية والجامعية على تبنى رؤى إصلاحية والاتصال بالسلطات الحكومية بشكل مباشر.
- تدريـــب العســـكريين على احترام حقوق الإنسان وذلك بهدف منع إساءة استخدام السلطة من قبل هؤلاء الأفراد.
- تسريح العناصر غير النظامية فى الجيوش العاملة وإعادة إدماجهم فى المجتمع المدنى بالإضافة إلى إعادة تأهيل الجنوب من الأطفال وتقديم الرعاية المناسبة لهم.

• ولـــيس بخـــاف أن هـــذه المبادرات والسياسات المعلنة من جانب الإدارة الأمريكـــية تســـتطبن مجموعة من الأهداف والمصالح الأمريكية التى اتينا علـــى تبيانها آنفا وكان من توابعها طرد فرنسا من مناطق نفوذها التقليدية فـــى وســـط أفريقيا. ومن المعلوم أن موسيفينى ـــ وهو توتسى الأصل ـــ وصـــل إلـــى الســـلطة بمساعدة التوتسى الرونديين الذين فروا من بلادهم واســـتقروا فى أوغندا .(٣٧) بل أن بعض هؤلاء التوتسى الذين شاركوا فى الحرب الأوغندية التى أتت بموسيفينى الى سدة السلطة قد اصبحوا ضباطاً كـــباراً فـــى الجيش الأوغندى. ونذكر على وجه الخصوص الجنرال بول كاجامى الرجل القوى فى رواندا منذ عام ١٩٩٤. كان يشغل منصب رئيس الاســـتخبارات الســـرية الموســـيفينى ومن اللافت للنظر أن كاجامى تلقى تدريباته العسكرية فى كليه الجيش والأركان بمدينة ليفنورث بولاية كنساس الأمريكـــية. ويـــبدو أن كلا الرجلين موسيفينى وكاجامى يعملان بجد على إقامة وطن جامع للتوتسى (التوتسيلاند) فى منطقة البحيرات العظمى. يؤكد أن أوغندا تمثل حليفا رسميا للتوتسى سواء فى رواندا وبوروندى أو البانيا مولينجى فى الكونجو.

وتفضـــى القراءة المدققة والواعية للتحرك الأمريكى فى المنطقة بغض النظر عـــن إدعاءاتـــه الأيدولوجـــية، إلى التأكيد على أن نمط التوازن الإقليمى الذى

تحاول الولايات المتحدة ترسيخة فى البحيرات العظمى يعتمد أساسا على نظـــام حكم الأقليات. أو إن شئت الدقة فقل أفارقة ينتمون إلى جماعات عرقية تشـــكل أقلـــية فى مجتمعها: موسيفينى فى أوغندا وكاجامى فى رواندا وميلس زنـــاوى فـــى أثيوبـــيا وأســـياس أفورقى فى أرتيريا جون جارانج فى جنوب السودان.

ثالثا: قضايا التوازن الاقليمى والأمن المائى المصرى:

* إذا كـــان الـــتحرك الأمـــريكى الجديد فى أفريقيا يأتى فى إطار الترتيبات الأمريكـــية لعالم مابعد الحرب الباردة بما يتفق وعصر العولمة الأمريكية فـــإن السياسة المصرية رغم تقاطعها بشكل واضح مع المصالح الأمريكية فى المنطقة تركز على رصيد تاريخى وحضارى يربطها بالقارة الأفريقية بحيث مثلت الدائرة الأفريقية دوما أحد المجالات الحيوية للدولة المصرية، فـــلا يخفـــى جانـــباً كبيراً من أراضى القرن الأفريقى ووسط أفريقي كان يخضـــع فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر للسيادة المصرية حيث حاولت الدولة المصرية بسط سيطرتها على منابع النيل.
* ومع ذلك فإن مصر مطالبة بإعادة تقويم سياستها تجاه أفريقيا بشكل واقعى يـــأخذ فى الاعتبار متغيرات عالم ما بعد الحرب الباردة فالولايات المتحدة تســـعى إلى إقامة مناطق نفوذ ثابتة لها فى البحيرات العظمى وذلك لتحقيق أكثر من أهداف واحدة وذلك على النحو التالى:
  - الســـيطرة على وسط القارة وضمان الوصول إلى مناطق التعديـــن والثروات الطبيعية بما يعضد من شعار الشراكة الأمريكـــية الأفريقـــية القـــائم على مبدأ " التجارة بدلا من المساعدات.
  - التأثير على الخزان المائى فى المنطقة واعتبار قضية المياه ورقة ضغط يمكن إثارتها فى اطار الترويج لمقولة حروب المياه فى المنطقة.

- التخلص من النفوذ لفرنسى فى المنطقة. ولاشك أن اعتلاء التوتســـى ســـدة السلطة فى كل من رواندا وبوروندى وهم معـــروفون بانـــتمائهم وارتباطهم الانجلوسكونى بدلا من الهدف الأمريكى.
- ومن البديهى أن الولايات المتحدة تحاول تغليف دعوتها فى المــنطقة بطـــابع سياســـى أيديولوجـــى من خلال المناداة بالديموقراطية وحقوق الانسان وهو الأمر الذى يسهم بدور كبـــير فى تفكيك بعض الدول والولاءات القديمة بما يسمح بإعداة الخريطة السياسية للمنطقة من جديد.

* ويرتبط الوجود الأمريكى فى المنطقة دائما بالوجود الاسرائيلى حيث تسعى الدولـــة العـــبرية مـــن خـــلال رؤيتها الشمولية لمنطقة البحيرات العظمى بامـــتداداتها الجغرافية فى القرن الأفريقى والبحر الأحمر الى تحقيق جملة من الأهداف الأمنية والاستراتيجية لعل من أبرزاها.
  - الوصـــول إلـــى مـــنابع النيل بما يمكنها من استخدام هذه القضـــية كورقـــة ضغط لايستهان بها أو لربما سعيا وراء تحقـــيق حلمها القديم من النيل إلى الفرات، أو على الأقل المضى فى مشروع توصيل مياه النيل إليها.
  - تدويـــل الـــبحر الأحمـــر والحيلولة دون أن يصبح بحيرة عربـــية، بـــل أن إسرائيل بدأت تربط بين مفهومها للأمن الاســـرائيلى والامتداد الجيوستراتيجى له فى جنوب البحر الأحمر.
  - محاصـــرة الأمـــن القومـــى العـــربى ولاسيما فى امتداده المصرى والسودانى وفق استراتيجية " حلف المحيط " أى اقامة تحالف مع الدول والجماعات الاثنية والدينية المعادية للعرب.(٣٨)

* وطبقاً لكريستيان توردينى فإن الخطط الإسرائيلية المتعلقة بالبحيرات العظمى ومنابع النيل عموماً لايقتصر الهدف من ورائها على فتح ثغرة فى خطوط الأمن القومى والمائى العربيين من خلال أثيوبيا وأريتريا بل يتجاوز ذلك إلى جعل أبواب المنطقة مشروعة أمام المصالح الأمريكية.[٣٩]

تبادل الأوضاع الإقليمية : نحو توازن إقليمى جديد ؟

* إن انهيار بعض الدول وضعف البعض الآخر فى منطقتى القرن الأفريقى والبحيرات العظمى أسهم بشكل بارز فى إعادة ترتيب الأوضاع الإقليمية بما يقضى إلى خلق معادلة جديدة للقوة على أرض الواقع. فانهيار أثيوبيا (منجستو) والصومال (سيادبرى) واستقلال ارتريا اسهم فى إعادة ترتيب ميزان القوى بين السودان وجاراتها. كما أن انهيار نظام موبوتو فى الكونغو والتمرد المستمر فى شرق البلاد أفضى إلى وجود دولة ضعيفة فى الكونغو الديمقراطية، وفى المقابل فإن وصول التوتسى إلى الحكم فى كل من رواندا وبوروندى أدى إلى ظهور دولة أوغندية أقوى على المستوى الإقليمى.
* ولاشك أن مستقبل الصراع فى الكونغو الديموقراطية سوف يحسم ويحدد بدرجة كبيرة شكل التوازن الإقليمى فى البحيرات العظمى. ولا مراء فى أن توصيف الصراع وموقف القوى الاقليمية منه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأيه محاولة جادة لفهم طبيعة التحالفات الاقليمية القائمة واستشراف آفاق المستقبل. فهل يمكن النظر إلى الأزمة فى الكونغو فى مرحلة ما بعد موبوتو على أنها تمرد من جانب إحدى الأقليات فى البلاد. وأن ثمة مؤامرة خارجية تحاول استغلالها لتحقيق أغراض سياسية واستراتيجية [٤٠].
* يرى البعض أن هذا التمرد خطط له الروانديون وقام به التوتسى داخل القوات المسلحة الكونغولية. وربما يدعم ذلك أن قائد الكتيبة العاشرة فى الجيش الكونغولى التى تعسكر فى مدينة جوما هو الذى أعلن من خلال محطة الإذاعة القومية " صوت الشعب " بداية حركة تمرد عاتية شمال كيفو حيث صرح قائلاً:

* " أننا فى جيش جمهورية الكونغو الدموقراطية قد قررنا خلع الرئيس كابيلا من السلطة. وقد أعلنت القوات العسكرية المتمركزة فى جنوب كيفو تأييدها للتمرد.
* علـــى أن حكومـــة الرئـــيس كابيلا رأت أن التمرد هو بمثابة مؤامرة من الأجانب أى من التوتسى للسيطرة على السلطة بينما هم ليسوا إلا أقلية فى دولة تضم ثلاثمائة جماعة عرقية وقد طالب أحد كبار المسئولين فى جهاز الأمـــن الكونغولـــى جميع أفراد الشعب بالتعاون واستنكار وإجلاء الأعداء وجميع من يعاونهم للقضاء عليهم نهائياً.(٤١)
* ويبدو أن وجهة النظر الحكومية لتوصيف الصراع بأنه مجرد حركة تمرد مدعومة من الخارج قد استطاعت أن تقنع كابيلا أن تكون سهلة المنال كما كان عليه الحال بالنسبة لسلفة موبوتو. صحيح أن كابيلا لايحظى بكثير من الدعم والتأييد إلا أن هناك الكثير من الملتفين حوله والذين سيخسرون كثيراً إذا تمت الاطاحة به.
* وعلـــى صعيد آخر يرى البعض أن الأزمة فى الكونغو مجرد حرب أهلية واقتتال داخلى، وهذا ماتحاول رواندا وأوغندا التأكيد عليه، فى حين يصر تحـــالف المعارضة المسلحة ضد كابيلا على أنهم يخوضون حرب تحرير أخرى بغية الحفاظ على وحدة وأمن الدولة.
* علـــى أن تعقد الصراع فى الكونغو وارتباطه وتداخله مع الصراعات التى تشهدها المنطقة ككل يجعل حسمه لصالح أحد الأطراف أمراً مستبعداً، كما أن غـــياب القيادة السياسية التى تحظى باحترام وقبول كافة الجماعات يقلل مـــن إمكانيات التسوية السياسية، يعنى ذلك أن كافة الاحتمالات واردة بما فـــيها خيار التقسيم فهل يمكن تقسيم الكونغو إلى كيانات سياسية وجغرافية أكـــثر تماســـكا ؟ وهل يواكب ذلك إعادة تقسيم المنطقة بما يحقق التجانس الثقافى والتوزيع العادل للموارد ؟

* وعلـــى صـــعيد آخــر هل تفضى معادلة القوة فى البحيرات العظمى إلى المحافظـــة علـــى نظام حكم كابيلا مع فقدانه السيطرة على شرق البلاد ؟ ولاشـــك أن تحقيق ذلك الأمر يضمن لأوغندا ورواندا وبوروندى مصالحهم الأمنـــية على طول الحدود مع جمهورية الكونغو الدموقراطية. وإن ألبانيا ومولييـــنجى على الرغم من أنهم يعيشون فى هذه المنطقة قبل ترسيم الحدود كمـــا ذكــرنا آنفا تم حرمانهم من حق المواطنة. بل أن الدعاية الحكومية لعشـــرات الســـنين كانـــت تســـميهم بالأجانب وتثير ضدهم مشاعر العداء والكراهية. وهو الأمر الذى يضفى على الصراع طابعاً اجتماعياً ممتداً.
* والسؤال المطروح والحالة هذه يتعلق بمدى تأثير هذه التطورات والترتيبات الإقليمية على المصالح الاستراتيجية المصرية ولاسيما المائية منها ؟ ليس بخـــاف أن منطقة البحيرات العظمى فى حالة ضعف استراتيجى، وهو فى حد ذاته سلاح ذو حدين، فمن جهة أخرى تشكل هذه المنطقة وهى فى حالة صــــراع وعـــدم اســـتقرار أى تهديد للمصالح المصرية، ولاسيما الحقوق التاريخـــية المكتسبة فى مياه النيل. ومن جهة ثانية فإن حالة الضعف تلك تشـــكل بيـــئة صـــالحة للاختراق الخارجى. ليس بمستغرب إذن أن تكون الحـــركات والتوجهات المصرية فى منطقة البحيرات العظمى حيث منابع النـــيل، متعارضـــة مع المصالح والأهداف الأمريكية أو أن تكون منافسة بشكل واضح لأهداف ومصالح بعض القوى الإقليمية فى المنطقة. مع ذلك فـــإن ثمة مجموعة من العوامل والمتغيرات التى تحكم الرؤية الاستراتيجية المصـــرية تجـــاه المـــنطقة، فالدائرة النيلية تمثل المجال الحيوى للسياسة المصرية لأنها تمس محوراً أساسياً من محاور الأمن القومى المصرى ومن ثم لسنا بصدد مقارنة بين المصالح المصرية والمصالح الأمريكية أو غيرها مـــن القوى الفاعلة فى المنطقة، ومن جهة أخرى ليس من مصلحة مصر توسيع رقعة الصراع فى البحيرات العظمى أو تغيير خريطة التوازن

الإقليمى، وعليه فإن السياسة المصرية اتخذت موقفاً حذراً إزاء الصراع فى المـنطقة رغـم ارتباطها التاريخى بالهوتو.[٤٢] وهو ماتجسد فى عقد قمة قادة البحيرات العظمى فى القاهرة خلال الفترة من ٢٨-٢٩ نوفمبر ١٩٩٥.

مدخل التعاون الإقليمى والأمن المائى المصرى:

* رغم إشكاليات الصراع وعدم الاستقرار التى تشهدها جل مناطق حوض النيل فإن المدخل الوظيفى يعد الأنسب لتحقيق التعاون المائى بين كافة الدول النهرية. وقد أخذت السياسة المصرية على عاتقها المبادرة والترويج لهذه الدعوة وقد تمثل ذلك فى أكثر من مناسبة نذكر من بينها:

- تجمع دول حوض النيل " الأندوجو "

* وكانت مصر قد طرحت فكرة إنشاء التجمع خلال مؤتمر القمة الأفريقى فى لاجـوس عام ١٩٨٠. وقد ظهر هذا التجمع إلى حيز الوجود عام ١٩٨٣ حيـنما عقـد أول اجتماع فى الخرطوم حضرته وفود من مصر والسودان وزائـير (الكونغو) وأوغندا وأفريقيا الوسطى. وقد أطلق التجمع على نفسه منذ ذلك الحين اسم " الأندوجو " التى تعنى الأخوة باللغة السواحيلية.
* ويهـدف تجمـع الأندوجو إلى التعاون بين دول الحوض بهدف الاستفادة القصـوى من مياه نهر النيل وإقامة مشروعات ثنائية وشبه إقليمية تعطى الأولويـة للبنـية الأساسـية. وتحـرص مصـر على المشاركة فى كافة الاجتماعات الخاصة بدول التجمع ومنها اجتماعات وزراء المياه والرى فى دول حـوض النـيل والتى بدأت أول اجتماع لها فى ديسمبر عام ١٩٩٢ بأوغندا.

- **تجمع التكونيل 'Tecconile'** [٤٤]

* حينما اجتمع الوزراء المعنيون بمياه النيل فى دول حوض النيل فى كمبالا خـلال الفترة من ٧-٨ ديسمبر ١٩٩٢ تم الاتفاق على أن يستمر التعاون بشـأن قضـايا مياه النيل تحت مسمى التكونيل أى التعاون الفنى من أجل تشجيع التنمية وحماية البيئة فى حوض النيل.

Technical Cooperation for the Promation of the Development and Environment Protection of the Nile Basin " Tecconile ".

* ويسعى التجمع إلى تنمية وحماية الموارد المائية فى حوض النيل من خلال التعاون الإقليمى بمعناه الواسع وبما يحقق مصلحة الجميع. كما أنه يهدف على المدى البعيد إلى تحديد نصيب كل دولة من مياه النهر بشكل يحقق العدالة بين الدول النهرية كافة. ومنذ تأسيس هذا التجمع انخرط فى مجموعة من الأنشطة لعل من أبرزها.
  - إعداد أطلس حوض النيل والخاص بالموارد والاستخدامات المائية.
  - خطة عمل حوض نهر النيل حيث نظم المتدى ورشتين للعمل الأولى فى عنتيبى والثانية فى القاهرة عام ١٩٩٤. وقد شارك فى هاتين الورشتين ممثلتان عن دول حوض النيل. وتم الاتفاق على خطة عمل حوض نهر النيل التى تنطوى على واحد وعشرين مشروعاً بكلفة إجمالية تقدر بحوالى مائة مليون دولار أمريكى.
  - مؤتمر النيل ٢٠٠٢، وهو سلسلة من المؤتمرات الدولية تركز على قضايا موارد مياه النيل. وقد استضافت مصر المؤتمر الأولى فى أسوان فى فبراير ١٩٩٣. ومنذ ذلك الحين يعقد مؤتمر مرة كل عام فى دولة مختلفة من دول حوض النيل. يعنى ذلك أنه بانعقاد المؤتمر العاشر تنتهى هذه السلسلة من المؤتمرات فى عام ٢٠٠٢.

* بعد هذا الاستعراض لبعض جهود التعاون الإقليمى القائمة بين دول حوض النيل يلاحظ أنها بلغت شوطاً كبيراً رغم مايعترضها من عقبات. بيد أن إتساع رقعة الصراع فى البحيرات العظمى ومحاولات بعض القوى الدولية الإقليمية تغيير خريطة التوازن الاقليمى فى المنطقة سوف يمثل تطوراً سلبياً يؤثر على مساعى التعاون الإقليمى تلك. وعلى سبيل المثال فإن أحد مؤتمرات النيل ٢٠٠٢ الأربعة الباقية يفترض أن تستضيفه الكونغو الديمقراطية. ولاشك أن ذلك أمر يقرره مستقبل الصراع فى هذه الدولة.

ومــن جانب آخر فإن استقطاب أطراف دولية وإقليمية فى صراعات البحيرات العظمى أمر يتعارض تماماً مع المصالح المصرية فى المنطقة.

وعليه لاتستطيع مصر أن تقف مكتوفة الأيدى إزاء ما يحدث فى أعالى النيل، فعلــيها أن تفــتح قــنوات الحوار مع كافة الأطراف الفاعلة، وأن تعمل بشكل مستقل على تأمين مصالحها المائية والاستراتيجية بعامة فى المنطقة والحيلولة دون تغير الخريطة السياسية بما يشكل تهديداً للأمن القومى المصرى.

الخاتمة

ما العمـــــــل؟

* أوضـــحت الدراسة أن إحدى إشكاليات الصراع وعدم الاستقرار فى منطقة البحـــيرات العظمـــى ترتـــبط فـــى المقـــام الأول بطبيعة وشبكة الروابط والتفاعلات الاثنية بين التوتسى والهوتو وعدم تطابقها مع الحدود السياسية الموروثـــة عـــن العهد الاستعمارى، فإذا كان إجمالى سكان كل من رواندا وبورنـــدى يـــبلغ قـــرابة الـــثلاثة عشر مليون نسمة الأغلبية منهم تنتمى إلـــى الهوتـــو (٨٥%) والأقلية (١٤%) تنتمى إلى التوتسى فإن هناك نحو مليونيـــن آخريـــن مـــن التوتسى والهوتو يتوزعون عبر الحدود الرواندية الـــبوروندية مـــع دول الجـــوار الجغرافى. فثمة حوالى أربعمائة ألف من التوتســـى (وبعضـــهم من الهوتو) يحاولون اقتفاء آثار أجدادهم فى منطقة شـــرق الكونغو سواء فى مقاطعة شمال كيفو (ألبانيا رواندا) أو فى مقاطعة جـــنوب كـــيفو (ألبانيا مولينجى). كما أن هناك ا بين (٧٥٨,٠٠٠) نسمة والملـــيون نســـمة مـــن الهوتو يتوزعون على الحدود التنزانية مع كل من روانـــدا وبوروندى، أضف الى ذلك عشرات الآلاف من التوتسى والهوتو الذيـــن يعيشـــون فـــى مـــنطقة الحـــدود الأوغندية الرواندية ولاسيما فى كقاطعة كينورو.
* ولايخفـــى أن هـــذه الروابط الإثنية هى التى خلقت تحالفات سياسية إقليمية كتلك القائمة بين نظام حكم الرئيس موسيفينى فى أوغندا ونظام حكم الأقلية مـــن التوتسى فى كل من رواندا وبوروندى وكما أوضحنا سلفا فإن الهوتو بدورهـــم يجـــدون تعاطفاً ومساندة من قبل قوى إقليمية أخرى مثل تنزانيا وكينيا والسودان.
* وعلى صعيد آخر فقد أوضحت الدراسة أن محاولات الولايات المتحدة فى إطار إعادة تقويم سياستها تجاه أفريقيا فى مرحلة مابعد الحرب الباردة،

والـــتى تجلـــت أبرز معالمها فى إعلان الشراكة الأمريكية الجديدة، رغم عدم واقعيتها فى بعض الأحيان، تتمثل فى ارتباطها، كما أظهرت الدراسة، بالوجود الإسرائيلى وليس بخاف مدى تأثير هذا الاختراق الأمريكى ــ الإسرائيلى على المصالح المصرية والعربية فى المنطقة.

* وانطلاقـــاً ممـــا ســـبق فإن التحرك الاستراتيجى المصرى صوب منطقة البحيرات العظمى والدائرة النيلية بوجه عام ينبغى أن تحكمه مجموعة من الاعتبارات لعل من أهمها:
* الـــرؤية الشمولية للمنطقة من المنظور الجيوستراتيجى والذى يجعلها تتمدد جغرافـــيا لتشـــمل القـــرن الأفريقى والبحر الأحمر مع الأخذ فى الحسبان المتغيرت الدولية بعد انتهاء فترة الحرب الباردة.
* إن المـــنطقة ترتـــبط بشكل مباشر بالأمن القومى المصرى ولاسيما الأمن المـــائى وعلـــيه فـــإن السياسة المصرية تتحرك بشكل مستقل للدفاع عن مصـــالحها وتأميـــنها بغـــض النظر عن تعارضها مع الأهداف والمصالح الأمريكية.
* الحيلولة دون تغيير خريطة التوازن الإقليمى فى البحيرات العظمى، ولعل موقـــف تجمـــع تنمية الجنوب الأفريقى (السادك) من الصراع فى الكونغو الديمقراطـــية مـــن خلال دعم السلطة الشرعية للرئيس لوران كابيلا يمثل خطوة مهمة يمكن لمصر أن تستغلها فى محاولة تسوية سلمية للصراع.
* ولعـــل إشـــكاليات وقضايا الصراع التى تشهدها منطقة البحيرات العظمى تؤكـــد مـــا ذكرناه فى موضوع أخر من أهمية التعاون السياسى والتنسيق الأمـــنى بيـــن دول حـــوض النيل كمقدمة ضرورية لتفعيل جهود التعاون الإقلـــيمى فى مجال موارد المياه بما يؤدى فى النهاية إلى إنشاء سلطة عليا لإدارة وتنظيم استغلال الموارد المائية فى منطقة حوض النيل.

الفهـــرس

١- انظر وراجع: علاء الحديدى، السياسة الخارجية المصرية تجاه مياه نهر النيل، السياسة الدولية عدد ١٠٤ ابريل ١٩٩١، ص ص ١٢٠-١٢١ ولمزيد من التفصيلات حول هذا الموضوع انظر: حمدى عبدالرحمن، إمكانية تدعيم الأمن المائى العربى، فى مصطفى كامل السيد (محرر)حتى اتنشب حرب عربية - عربية أخرى (القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة، ١٩٩٣، ص ص ٥٠٥-٥٠٦).

٢- انظر تقرير عن المؤتمر بعنوان:

Comprehensive Water Resourees Development of the Nile Basin : To Benefil All, Kigali.Rawanda February 23-27,1988.(hup;/www, lecconile,org).

٣- انظر فى ذلك: رشدى سعيد وآخرين، أزمة مياه النيل – إلى أين القاهرة، مركز البحوث العربية، ١٩٨٨،ص٢٢.

٤- أنظر عرضاً تحليلياً للتصور الأثيوبى فى : عبدالملك لمناقشة التصور الأثيوبى لقضايا مياه النيل، الأهرام، ١٥ أبريل ١٩٩٨، ص١١.

٥- حول أهمية المنطقة الاستراتيجية بشكل عام ، انظر.

Richard Griggs, The Great Lakes Conflict: Strategies for Building Long- Term Peace Center for World Indigenous Studies, Durban,1997,pp.1-2.

٦- حول الجذور التاريخية للصراع فى المنطقة، أنظر وراجع:

JJ Maquet The Premise of Inequality. Oxford: Oxford Unversity Press, 1961. . Newbury. The Cohesion of Oppression: Clientship and Ethnicity in Rwanda 1860-1960, New York: Columbia university press.1988 and R. Lemarchand, Rwanda and Burundi, London: Pall Mall Press.1970.

٧- انظر: حمدى عبدالرحمن حسن، قضايا فى النظم السياسية الأفريقية، القاهرة: مركز دراسات المستقبل الأفريقى، ١٩٩٨، ص ص٨٧-٩٠.

٨ - يرفض بعض الباحثين مقولة الصراع التاريخي بين التوتسي والهوتو إذ يؤكد جورج أنزنجولا - انتاجا أنه على عكس الأساطير التي روجها الاستعمار فإن الصراع بين التوتسي والهوتو ليس صراعاً ممتداً عبر القرون بين رعاة حاميين (التوتسي) ومزارعين بانتوين (الهوتو). فالتوتسي ليسوا من الشعوب الحامية وإنما هم من البانتو ويشاركون الهوتو ثقافتهم البانتوية حيث أنهم يتحدثون لغة واحدة هي الكينيا رواندا أو الكيروندي " أنظر في ذلك:

George – Nzongola Ntalaja." Crisis in the Great Lakes Region " Southern (SAPES, Harare)vol.10.No.2.November 1996.pp.5-6.

٩- على سبيل المثال كان النظام الإقطاعي لمملكة التوتسي في رواندا يستند على تبريرات أيديولوجية تؤخذ على مقولة الانقسام والتمايز بين البشر، وطبقاً للأسطورة السائدة فإن أول ملك لروندا أنجب ثلاثة أبناء هم: جاتوا وجاهوتو وجاتوتسي. وفي سعية لأختيار خليفة له أعطى كل واحد منهم إناء مملوءاً بالحليب وطلب منهم حراسته طوال الليل. فما كان من الجاتوا إلا أن شرب الحليب على الفور أما الجاهوتو فقد غلبة النعاس فانسكب الحليب من بين يديه وعاد بنصف إناء في اليوم التالي، وقد ظل الجاتوتسي مستيقظاً وممسكاً بإناء الحليب. لم يكن بمستغرب إذن أن يختار الملك ابنه الجاتوتسي خليفة له في الحكم وينزهه عن العمل اليدوي، ويتخذ الجاهوتو خادماً له مدى الحياه أما الجاتوا فقد عوقب بالطرد والنفي من البلاد. وليس بخاف أن هذا التبرير الذي لايخلو من مسحة أسطورية يفسر هيمنة التوتسي طيلة أربعة قرون. أنظر :

Crisis in the great Lakes Region (hup;/www, synapsa. netl)p,3.

١٠- طرحت كاثرين نيوبري تحليلاً جيداً للفترة الاستعمارية في الإقليم من خلال رؤيتها لمنطقة جنوب غرب رواندا. أنظر في ذلك:

C.New Bury, op.cit.

١١- لمزيد من المعلومات أنظر:

L. Dorsey. Historical Dictionary of Rwanda, London: Scarecrow Press, 4

١٢- أنظر دراسة:

Gerald Prunier, The Rwanda, Crisis: History of a Genocide, New York: Columbia University Press, 1995 and see also African Rights. Rwanda: Death, Despair and Defiance London: African Rights, 1995.pp.131-183.

١٣- المرجع السابق، ص ص ١٥٠-١٨٣.

١٤- المرجع السابق، ص ص٦٢٨-٦٥١.

١٥- طبقاً لاتفاق اروشا الذى نص على تقاسم السلطة بين الهوتو والتوتسى فقد منحت الجبهة الوطنية الرواندية (التوتسى) خمسة مناصب وزارية - من بينها وزارة الداخلية - وذلك من إجمالى واحد وعشرين وزيراً، على أن المتشددين من الهوتو تملكهم الخوف من النتائج السياسية المترتبة على مثل هذا الاتفاق، أنظر فى ذلك:

C.Newburg " Background to Genocide : Rwanda " issue,vol.23.No.2,1995,p.15.

١٦- حول أحداث بورندى عام ١٩٧٢ وتأثيرها على بلورة الهوية الاثنية لدى الهوتو أنظر:

Werren Weinstein " Conflict and Confrontation in Central Africa: The Revolt in Burudi 1972. Africa Today (London)vol.19.No.4.fall 1972.p.27.

١٧- أنظر: حمدى عبدالرحمن، مرجع سابق،ص ٢٣٨.

١٨- اعتمدنا فى هذا الجزء على:

Ntalaja. Op.cit,.pp.6-7.

١٩- International Crisis Group, North Kivio : Into the Quamire ? 13 August 1998 (www.mtl-crisi-group.org.)pp.17-18.

٢٠- أنظر:

Ntalaja. Op.cit,.p.7.

٢١- صدر هذا المرسوم بتأثير من قائد الأركان فى الجيش الزائيرى أنذاك يسينجانا وريما وهو من التوتسى، أنظر:

Ibid,.p.6.

٢٢- لمزيد من التفصيلات حول إشكالية المواطنة فى زائير طيلة عهد الرئيس الراحل موبوتو أنظر تقرير:

International Crisis Group, Op.cit,.pp.17-19.

٢٣- حول تأثير اللاجئين الروانديين على دول الجوار أنظر:

Folajinmi Colabode Adisa, The Comfort of Strangers: The Impact of Rwanda Refugees on Neighouring Countries, Nairobi: MNCHS.1996.pp.2-89.

٢٤- أنظر:

Ntalaja. Op.cit,.p.7.

٢٥- مقــاتلو الماى ماى Mai Mai ينتمون إلى جماعات إثنية عدة شمال وجنوب كــيفو. وأغلب هؤلاء المقاتلين من صغار السن الذين تتراوح أعمارهم بين الحاديــة عشرة والتاسعة عشرة، وهم يؤمنون بقوى السحر الخارقة. ويعكس انخراطهم فى العمل المسلح طبيعة الواقع السياسى والاقتصادى والاجتماعى الــذى يتســم بغــياب فرص العمل أمامهم. وعلى الرغم من غياب الأهداف الاســتراتيجية لديهــم وعدم قدرتهم على تنظيم حرب عصابات شاملة فإنهم يستطيعون القيام بأعمال شديدة العنف على مستوى محدود طبقاً لقاعدة الكر والفر.

٢٦- حول أسباب ومبررات التمرد على نظام حكم الرئيس كابيلا أنظر:

Virginia Gidley – Kitchin " Fingers in the pie ". Focus on Africa (BBC World Service)1998.(www.bbe.co.uk).

٢٧- حول تطور الصراع فى الكونغو بعد الإطاحة بنظام موبوتو أنظر:

Kessing's Record of World Events.vol.44,No.7/8,1998.pp.426-27.

٢٨- حــول التغيرات التى شهدها النظام الدولى بعد انتهاء الحرب الباردة وأثرها على عملية صنع قرار السياسة الخارجية الأمريكية أنظر:

Todd,J.Moss " US Policy and Democratisation in Africa : The Limits of Liberal Universalism . " The Journal of Modern Africa Studies.vol.33.No.2.1995.pp.189-193.

٢٩- أنظر:

Ibid,.p.103.

٣٠- أنظر هذه الملاحظات فى:

Warren Christiper " The United States and Africa : A New Relationship " Remarks Delivered at 23 rd African – American Institute Conference, Reston. Va. May 21.1993.p.2.

٣١- أنظر:

Susan Rice, US Africa Policy, Statement Before the Subcommillee on Africa. House Foreign Relations Committee. Washington DC., March 1998,p.1.

٣٢- أنظر:

G.Kabwit " Zaire : The Roots of the Continuing Crisis " The Iournal of Modern African Studies. Vol .17.No.3,1979.pp.381-407.

٣٣- أنظر فى ذلك:

Richard W.Hull. " The Challenge to the United States in Africa ". Current History. Vol.90.No.556.May 1991.pp.145-196.

٣٤- أنظر:

Daniel Volman, " Why the US Changed its Congo Policy " . New African (London),July /August 1997.p.10.

٣٥- أنظر:

Ibid,.p.10.

٣٦- أنظــر وراجــع تفصيلات هذه الوثائق فى موقع البيت الأبيض على شبكة المعلومات الدولية بعنوان:

Countering Genocide and PromotingHuman Rights " at " (http:/ whitehouse. Gov/ Africa).

٣٧- أنظــر: كريســتيان توردينــى " الــنزاع الإقليمى وسط أفريقيا والشركة الأمريكية / الإسرائيلية ترجمة على جونى، شئون الأوسط (بيروت)، العدد ٦٠ أذار / مارس١٩٩٧ ،ص ٢٢.

٣٨- لمــزيد مــن التفصــيلات أنظر: علاء سالم " إسرائيل والقرن الأفريقى : المــنطقات الاستراتيجية وأنماط التحرك، التعاون، المجلد ١٠، العدد ٣٩، ١٩٩٥،ص ص ١٤٤-١٨٨.

٣٩- أنظر: توردينى، مرجع سابق،ص٢٢.

٤٠- حول: توصيف الصراع فى الكونغو وآفاق المستقبل أنظر: عبدالله الأشعل " صــراع الكونغو وآفاق التسوية فى البحيرات العظمى، السياسة الدولية، عدد ١٣٤، أكتوبر ١٩٩٨،ص ص٢١٧-٣١٩.

٤١- أنظر: مارى – لوركولسون نيفين سميث، قوات التوتسى تتحول ضد كابيلا ترجمة ريهام حسن، جريدة الجرائد العالمية،(القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات) ١٨ أغسطس ١٩٩٨،ص٧.

٤٢- أنظر: توردينى، مرجع سابق،ص٢٢.

٤٣- أنظر: عبدالملك عودة، وحمدى عبدالرحمن، التعاون الإقليمى فى القرن الأفريقى وحوض النيل، السياسة الدولية عدد ١٠٤، أبريل ١٩٩١،ص ص ٤٨٢-٤٨٥.

٤٤- يضم تجمع التكونسيل كافة دول حوض النيل العشرة على أن أثيوبيا وأريتريا وبوروندى وكينيا لاتتمتع بالعضوية الكاملة وإنما تقبل فقط بصفة المراقب: أنظر تفصيلات غايات وأنشطة هذا التجمع فى (htp:/ www. Tecconil.org).

ختاما : يمكن الأشارة إلى عدة ملاحظات :

* أولا : أنـــه علـــى حيـــن تستهدف الأستراتجيات السلمية إدارة الأختلافات القائمة في المجتمع ، فإن الأستراتجيات القسرية هدفت في كثير من الأحيان إلـــى الاختلاف وإقامة مجتمع متجانس أثنياعلى حساب الجماعات المغايرة فـــي المجـــتمع ، عـــبر الأعـــتماد بالأساس على أداتى الاستئصال الإثنى والترحيل الجبرى .
* ثانـــياً: أن تلـــك الاستراتجيات – كما سف البيان- بمثابة الإطار العام أو الفلسفة التى تحكم الرؤية العامة للنظام السياسى فى تعامله مع واقع التعددية ، وأن فاعليـــتها تعـــتمد في جانب كبير على تطبيق تلك الرؤى في أرض الواقع وتحويلها إلى سياسات تنفيذية.
* ثالثا: انطلاقا من النقطة السابقة ، يمكن القول أن نجاح النظام السياسى فى إدارة الـــتعددية الإثنـــية يعتمد بدرجة كبيرة وأساسية على حجم ما يتوافر للـــنظام من إمكانات وقدرات ، وإمكانية التوصل إلى تسوية لما ينجم عن التعددية من صراعات ، الأكثر من ذلك أن قدرات النظام تتحكم فى كثير من الأحيان في طبيعية الاستراتجية المتبعة في إدارة التعددية.
* وعلى الجانب يمكن القول أن هناك علاقة طردية بين شدة الأنقسام .
* حاصـــل القـــول ، أنه يصعب قبول إمكانية نجاح أى من الأستراتجيات أو السياســـات منفردة في أدارة كافة أشكال التعددية الإثنية وما ينجم عنها من صـــراعات ، حيث يتطلب الأمر مزيدا من البحث التفصيلى لكل حالة على حدا فى ظروفها واعتبارتها .

" السلام والبناء فى منظمة البحيرات العظمى "

بحث حول

دور الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية

السفير / أحمد حجاج

الأمين العام للجمعية الأفريقية بالقاهرة

والأمين العام المساعد السابق لمنظمة الوحدة الفريقية

أولا الأمم المتحدة ودروها :

١- فى القرار رقم ١٢٥٨ الذى أصدره مجلس الأمن فى ٦ أغسطس ١٩٩٩، نصت الفقرة الثامنة منه على إرسال مجموعة من المراقبين العسكريين إلى الكونجو الديمقراطية مكونة من ٩٠ فرداً، الى جانب مجموعة من المختصين المدنيين وبمجموعات حقوق الإنسان، ولم يقتصر الأمر على الكونجو فقط وإنما إلى دول البحيرات العظمى الموقعة على اتفاقيات " لوزاكا " الخاصة بوقف إطلاق النار فى هذه المنطقة الحساسة فى أفريقيا حيث أنها تقع بالفعل فى قلب القارة وتؤثر الأحداث فيها على دول عديدة مجاورة وغير مجاورة.

٢- وخول مجلس الأمن أيضاً ارسال ضباط اتصال الى المراكز المؤقتة التابعة للجنة العسكرية المشتركة Joint Military Commission (JMC) التى نصت عليها الاتفاقيات، وإذا سمحت الظروف الأمنية بذلك فى المناطق التى يسيطر عليها الثوار ضد الحكومة المركزية وذلك لمدة محدودة لاتتعدى ثلاثة أشهر .وطلب المجلس من الأمين العام أن يعد تقارير دورية حول الأوضاع فى الكونجو وتواجد الأمم المتحدة هناك ومساعدتها فى إقرار السلام.

٣- مـــن المعـــروف أن اتفاقـــية وقف إطلاق النار التى وقعت فى " لوزاكا " (عاصـــمة زامبـــيا) فـــى ١٠ يوليو ١٩٩٩ قد وقعت من قبل الدول الستة المعنـــية بالنزاع فى الكونجو (زيمبابوى ــ انجولا ــ ناميبيا ــ أوغندا ــ رواندا ــ إضافة إلى حكومة الكونجو المركزية) ولو أن حركتى التمرد فى الكونجـــو وهمـــا " حـــركة تحريـــر الكونجـــو Maxement for the Liberation of the Congo (MIC) والحـــركة الكونجولـــية من أجل الديمقراطـــية Congalese Rolly for Democracy رفضتا التوقيع علـــى الاتفاقية، وإن كان " جان بييسربمبا " زعيم الحركة الأولى قد وقعها فيما بعد فى لوزاكا فى أول أغسطس ١٩٩٩.

٤- وبعـــد جهـــود مضـــنية قامت بها الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية ورئـــيس زامبيا فى ذلك الوقت (الرئيس شيلوبا) الى جانب حكومة جنوب أفريقـــيا أمكن الحصول على توقيع حركة التمرد الثانية فى ٣١ أغسطس. وأعقـــب ذلـــك اجتماع يوم ٣ سبتمبر للجنة السياسية التى نص عليها فى الاتفاقـــية على المستوى الوزارى من أجل قيام نوع من التنسيق السياسى لتطبـــيق الاتفاقية. ووافقـــت اللجنة على أن يكون للأمـــم المتحدة ومنظمة الوحـــدة الأفريقية عضوية دائمة فى عملها وأن تكون زامبيا عضواً مراقباً كما قررت أن تقوم اللجنة العسكرية الدائمة بإنشاء مقر لها فى زامبيا، على أن تنتقل فيما بعد فى أقرب فرصة الى الكونجو الديمقراطية نفسها. كما تم اقرار ميزانية لها مقدارها خمسة ملايين دولار.

٥- واجتمعت اللجنة العسكرية الدائمة فى كمبالا بمشاركة الدول الست وحركتى الـــتمرد وبحضور الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية تحت رئاسة أحد العسكريين الجزائريين. وطبقاً لاتفاقية لوزاكا فان هذه اللجنة مسئولة بالقيام بعمليات حفظ السلام حتى يتم تعيين قوة لحفظ السلام بواسطة الأمم المتحدة نفســـها وكذلـــك فى مراقبة وقف إطلاق النار. وقرر اجتماع كمبالا إرسال مراقبين الى أربع مناطق والتحقيق من انتهاكات وقف إطلاق النار. كما

تلقت اللجنة معلومات حول أماكن تمركز القوات المختلفة فى الكونغو.
وطلبت بورندى ــ التى لم توقع على الاتفاقية ــ الانضمام الى اللجنة ولم يتم قبولها فى اجتماع كمبالا.

٦- وبـــناء على طلب من الأمم المتحدة، فان كل الأطراف ــ فيما عدا أنجولا وحكومة الكونجو الديمقراطية ــ قدمت ضمانات مكتوبة لسلامة أفراد الأمم المــتحدة مـــن عسكريين ومدنيين فى المناطق التى توجد تحت سيطرتها. وقدمت أنجولا مثل هذه الضمانات فيما بعد.

٧- وأعقـــب اجــتماع كمبالا اجتماع للجنة السياسية فى لوزاكا فى ١٥ أكتوبر حيـــث لاحظت أنه بالرغم من تأخر إرسال مراقب منظمة الوحدة الأفريقية ــ لقلـــة الموارد المالية ــ فإن أطراف الاتفاقية استمروا فى احترام وقف إطـــلاق الـــنار. وأعربـــت اللجنة تقديرها لحكومة زامبيا وجنوب أفريقيا وناميبيا وأوغندا وزيمبابوى ولمنظمة الوحدة الأفريقية على المساهمات التى قدمـــتها الــــى ميزانية اللجنة العسكرية المشتركة الى جانب مساهمات من بلجـــيكا وفرنســـا وألمانـــيا وبريطانيا وايرلندا والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبــــى، وأعربت اللجنة عن قلقها من " بطئ الأمم المتحدة فى معالجة الطلـــب المقدم إليها لإرسال قوات حفظ السلام الى الكونجو الديمقراطية "، فى حين " أن طلبات مماثلة من قبل مناطق أخرى تتلقى ردا سريعاً ومناسباً من الأمم المتحدة " وطالبت من الأمم المتحدة أن تتعامل مع هذا الموضوع بالجدية التى يستحقها، وبالفعل لوحظ فى السنوات الأخيرة أن تعامل الأمم المتحدة مع موضوعات أفريقية وخاصة فى مجال إرسال قوات حفظ السلام كان بطيئاً بالمقارنة مع ماتقدمة الأمم المتحدة إلى مناطق أخرى بسخاء مثل منطقة البلقان.

٨- كما طالبت اللجنة الأطراف الكونجولية بمساعدة الأمين العام لمنظمة الوحدة الأفريقـــية بســـرعة إجراء المشاورات الضرورية من أجل تعيين " مسهل محـــايد " neutral focilitator لإجراء المفاوضات بين هذه الأطراف من أجـــل الـــبدأ على الفور بعملية المصـــالحة والحوار الوطنى

حيـث أن اتفاقية لوزاكا تنص على إقامة هذا الحوار بين حكومة الكونجو والمعارضـة المسـلحة وأيضاً المعارضة غير المسلحة والمجتمع المدنى. وتنص الاتفاقية أيضاً على مساعدة منظمة الوحدة الأفريقية فى عقد مثل هذا الحـوار تحـت رئاسـة هذا " المسهل المحايد " الذى يتم اختياره بواسطة الأطـراف الكونجولـية نفسـها وبالرغم أن اختيار هذا المسهل ــ رئيس بتسـوانا السابق ماسيرى ــ قد قبل بواسطة حكومة الكونجو الديمقراطية، إلا أن حـركة الـتمرد لـم توافق عليه على الفور. وكانت منظمة الوحدة الأفريقية ومنظمة الفرانكفونية قد اقترحتا اسم الرئيس " ماسيرى ".

٩- ومـن الجدير بالذكر أن الأمم المتحدة وضعت عدة شروط لإرسال قواتها الـى الكونجو من ضمنها أن يكون للقوات الحرية الكاملة فى الحركة سواء مـن جانـب المراقبين العسكريين أو الإداريين حيث اشتكت القوة من أن حكومـة كينشاسا تعرقل تحركاتها وخاصة الى المناطق التى تسيطر عليها قوات التمرد.

١٠- وقد عين الأمين العام للأمم المتحدة فى ١٨ أغسطس سنة ٢٠٠٠ الجنرال عبدالسـلام أبوبكر (رئيس نيجيريا السابق) كمبعوثه الخاص الى الكونجو وفـوض بالقـيام بأى اتصالات يراها مع السلطات وزعماء دول المنطقة. وتـبع ذلـك إخطـار حكومة كينشاسا له موافقتها على إرسال قوات الأمم المـتحدة إلـى عدة مناطق، ولكنها اعترضت على إرسال قوات من دولة معيـنة لا توافـق على مشاركتها. وقد أخطر ذلك الأمين العام لأن يخطر مجلـس الأمـن فى سبتمبر ٢٠٠٠ إلى عدم حدوث أى تقدم، وأعقب ذلك إصدار المجلس قراراً رقم ١٣١٦ بمد فترة قوات الأمم المتحدة فى الكونجو لفـترة شهرين، ثم إصدار قراراً آخر بمدها لفترة أخرى محددة وهو مايتم حتى الآن.

١١- ومن العرض السابق يتضح أن دور الأمم المتحدة كان يرتبط بمواقف الدول الكبرى المؤثرة، فحين كانت الولايات المتحدة ــ لأسباب

سياسية واقتصادية ــ تبدى اهتماماً بالكونجــو كانت الأمم المتحدة تبدى دوراً نشــطاً. وينطبق ذلك بدرجات مختلفة بموقف كل من فرنسا وبلجيكا (الدولة الاســتعمارية السابقة). وقد أصدرت الأمم المتحدة تقريراً أحدث ضجة كبيرة ذكــرت فيه أن بعض الدول المتدخلة فى النزاع تقوم عن طريق قواتها بنهب ثروات الكونجو وأن ذلك من أهم أسباب النزاع. ومن المتوقع أن يستمر دور الأمم المتحدة دون فعالية كبيرة حتى يتم حسم الصراع الداخلى فى هذه الدول المترامية الأطراف التى لاتستطيع أى حكومة مركزية أن تسيطر عليها، فى حين ستبقى محل الاهتمام شركات المناجم العالمية من أجل استغلال ثرواتها الطبيعية.

ثانياً : منظمة الوحدة الأفريقية والوضع فى منطقة البحيرات العظمى:

رواندا:

١- شكل الوضع فى منطقة البحيرات العظمى مصدر قلق كبير لمنظمة الوحدة الأفريقية منذ سنوات عديدة وساهمت المنظمة بخطوات مختلفة فى التصدى لهــذا الوضــع ســواء بالنســبة لرواندا أو بوروندى أو جمهورية الكونجو الديمقراطــية. ولــم يستطع المجتمع الدولى نفسه التصدى لهذه الأوضاع المعقدة من حيث عدم تمكن المنظمات الدولية أو حتى الدول الكبرى التدخل لمــنع نشوب النزاعات المسلحة فى هذه المنطقة وخاصة بالنسبة لموضوع الإبــادة البشرية الذى حدث فى رواندا حيث ووجهت بمشكلة معالجة الآثار الإنسانية التى نتجت عنها سواء من حيث الأعداد الضخمة من اللاجئين أو المشردين فى مختلف دول المنطقة.

٢- ولهذا وافقت منظمة الوحدة الأفريقية فى نوفمبر ١٩٩٧ على تكوين " لجنة عليا " من شخصيات دولية للقيام ببحث عميق لكل المسائل المتعلقة بالإبادة البشــرية الــتى وقعت فى رواندا عام ١٩٩٤ بما فيها تلك التطورات التى ســبقت هــذه الإبادة إلى الأحداث التى أدت إلى سقوط " نظام موبوتو فى الكونجو " . وكان الهدف من هذا البحث أو التحقيق هو أن تستخلص

المـنظمة الدروس المستفادة من أجل منع حدوث مثيلاتها فى المستقبل فى أفريقـيا. وقـد تـم تشكيل هذه اللجنة بالفعل من عدة شخصيات دولية من أفريقيا وأوربا وقدمت تقريراً معمقا إلى القمة الأفريقية فيما بعد.

بوروندى:

٣- وقد أدى النزاع المسلح الداخلى فى بوروندى والذى أسفر عن مقتل عشرات الألـوف مـن الأشخاص وخاصة من المدنيين إلى تحرك معين من جانب المـنظمة التى عينت الرئيس التانزانى السابق (والراحل) نيريرى مفوضاً عاماً لهذا الملف وخلفه بعد ذلك الرئيس نلسون مانديلا. وقد نظمت المنظمة مؤتمـر قمـة فى " أروشا " بتانزانيا فى ابريل ١٩٩٧ حيث استمعت إلى تقريـر مـن نيريرى وكذلك من رئيس بوروندى " بيويا ". وقد حثت القمة حكومـة بورنـدى إلى إنهاء العمل بما كان يسمى بمعسكرات " التجميع " والـتى كانت تجمع فيها المدنيين من أجل منع انخراط واختفاء المتمردين فـيما بينهم حتى يتفرغ الجيش لمحاربتهم.ولكن هذه الخطة أدت الى مآس كبـيرة للمدنيين. وكان الهدف من هذه الدعوة هو تسهيل المفاوضات بين الأطراف المختلفة وخاصة سماح الحكومة للشخصيات العامة من " الهوتو " (الذيـن يشـكلون الأغلبية فى مواجهة حكومة التوتسى الأقلية) من حرية الحـركة وتولى المناصب المختلفة. كما قررت القمة تخفيف العقوبات التى كانـت قد فرضت من قبل على حكومة بوروندى بحيث ألغيت كلها فيما عدا الحظر على توريد السلاح.

٤- وفى أغسطس ١٩٩٧ تم الاتفاق على عقد أول جولة من مفاوضات السلام بين الأطراف المختلفة، ولكنها لم تنفذ بسبب طلب حكومة بوروندى تأجيلها وعـدم السـماح لرئـيس البرلمان (من الهوتو) بحضورها. ولكن رئيس جمهوريـة تانزانيا عقد قمة أخرى فى دار السلام فى سبتمبر ١٩٩٧ دعت مـرة أخرى حكومة بوروندى الى وقف المحاكمات التى كانت تجريها لعدة شخصيات بارزة وضمان حرية حركة كل من رئيس البرلمان ورئيس

الجمهورية السابق وإلى إنهاء معسكرات " التجميع " وأكدت مرة أخرى فى زعامـــة " نيريرى " لعملية السلام فى بورندى. ولكن كل هذه القرارات لم تـــؤد إلى دفع عملية السلام وخاصة إصرار حكومة بورندى على ضرورة عدم انفراد نيريرى بهذه العملية وأهمية تعيين شخصيات مساعدة أخرى له. وقد رافق ذلك تدهور الوضع الأمنى إلى حد كبير. وحاولت منظمة الوحدة الأفريقـــية الاستعانة بنفوذ بعض قادة الدول للتدخل لتهدئة الأوضاع، وقام الأميـــن العـــام للمنظمة بإيفاد لجنة من بعض السفراء إلى هذه الدول لهذا الغـــرض. وقدمـــت اللجـــنة تقريراً ذكرت فيه أن استمرار العقوبات على بورندى يؤثر بصفة خاصة على المدنيين.

٥- وقـــد استمرت المباحثات بين الحكومة والمتمردين فى أروشا بعد ذلك بعد ضـــغوط دولية ومحلية حتى أمكن التوصل إلى اتفاق حول طبيعة المشكلة والديموقراطـــية الداخلية والسلم والأمن وتولت لجانا فرعية بحث كل نقطة مـــن هذه النقاط، ووافق ذلك نوع من التصالح الوطنى داخلياً ولكنه لم يكن كـــاملاً وأنشـــأت ســـكرتارية مـــنظمة الوحدة الأفريقية مكتباً دائما لها فى بورنـــدى لمـــتابعة كل المسائل المتعلقة بالعملية السلمية، وقام الأمين العام بزيارة لبوروندى نفسها للمتابعة. وسبق ذلك اجتماع قادة المنطقة فى اروشا قرروا فيه إنهاء كل العقوبـــات على بورندى. وعقد القـــادة قمة أخرى فى يولـــيو ٢٠٠١ لضـــمان الاتفاقـــية التى وقعت بين الأطراف المختلفة بعد مجهـــودات شاقة من جانب الرئيس السابق مانديلا بالرغم من وجود بعض النقاط التى لم تستكمل بعد فيما يتعلق برئيس الحكومة فى الفترة الانتقالية. وقـــد قامـــت حكومـــة جـــنوب أفريقيا بإرسال عدة مئات من جنودها إلى بورونـــدى للإشـــراف على تطبيق الاتفاقية. وتم الاتفاق مع بلجيكا (الدولة المستعمرة السابقة) على تقديم مساعدات للمساعدة فى عملية التطبيق.

٦- ومـــن أهـــم التبعات التى لازالت تعرقل التطبيق الفعلى لاتفاقية السلام فى أروشـــا هو عدم توقيع أربعة أحزاب بورندية على الاتفاقية، ولذلك عقدت

قمة إقليمية فى نيروبى سنه ٢٠٠٠ لإقناعها بالتوقيع. وأعلنت حكومة بورنـدى اسـتعدادها للـتفاوض مـع الجماعـات المسلحة إما منفردة أو كمجموعـة، ولكن المجموعات المسلحة أعلنت أن الوقت لم يحن بعد لعقد هـذه المفاوضات ولم توافق الا بعد تدخلات إقليمية ودولية عديدة.وتوافق ذلـك مع عقد مؤتمر للدولة المانحة لبوروندى فى بارميس فى ديسمبر عام ٢٠٠٠ أسـفر عن تعهدات دولية بقيمة ٤٤٠ مليون دولار. كما قام رئيس الجـابون الحـاج/ عمـر بونجو لأول مرة بعقد اجتماع فى ليبرفيل ثم قام رئيس بورندى مع زعماء الجماعات المسلحة إلى جانب رئيس الكونجو.

٧- ولا يـزال الأمـن غير مستقر فى عدة مناطق من بوروندى مما أثر على عمليات الإغاثة الإنسانية ولم تستعد الثقة بالكامل بين كل الأطراف بالرغم من إنشاء لجنة خاصة لمراقبة تطبيق الاتفاقية.

الكونجو الديمقراطية:

٨- استحوذ موضوع تدهور الأوضاع فى الكونجو الديمقراطية على جل اهتمام أميـن عـام مـنظمة الوحدة الأفريقية وخاصة بعد القتال — الذى لايزال مسـتمراً بيـن الحكومـة المركـزية التى يرأسها الرئيس كابيلا (الابن) والجماعـات الـتى تؤيدها كل من أوغندا ورواندا. وقد عقد فى الفترة من أغسـطس ١٩٩٨ وحتى فبراير ١٩٩٩ أكثر من سبعة عشر اجتماعاً على مستوى عال لمحاولة حل هذه المشكلة بالإضافة إلى المحاولات التى قام بها بعض رؤساء الدول سواء منفردين أو بصفة مشتركة.

٩- وعمل الأمين العام للمنظمة على مناشدة الحكومة وقادة حركات التمرد على وقـف إطـلاق الـنار مؤكداً فى نفس الوقت على ضرورة المحافظة على اسـتقلال ووحـدة أراضى جمهورية الكونجو الديمقراطية حيث أنه كانت محـاولات — ولـد ستتر — من جانب بعض الحركات المسلحة للانفصال بإجـزاء من الكونجو وضمها إلى تلك الدولة أو هذه. وأرسل الأمين العام بعثة خاصة لكنشاسا وعواصم دول المنطقة فى أغسطس ١٩٩٨. وفى نفس

الشـــهر عقدت قمة فى زيمبابوى ـــ بإعتبار الرئيس موجابى رئيساً لتجمع دول الجـــنوب الأفريقـــية فـــى ذلك الوقت ـــ ضمت أيضاً رؤساء أنجولا والكونجـــو وناميبـــيا ورواندا وأوغندا وتانزانيا وزامبيا اتفقت على تكوين لجـــنة للتحقـــيق فى موضوع التدخلات الأجنبية فى الكونجو (وهو تعبير يقصـــد به تدخل رواندا أو أوغندا بمساعدة المتمردين). ويلاحظ أن الجهاز المركـــزى لآلـــية فـــض المنازعات التابعة للمنظمة كانت تؤكد دائماً على اســـتقلال ووحدة أراضى الكونجو وإدانة الالتجاء أوللعمليات المسلحة من أجل تسوية منازعات سياسية.

١٠- وفـــى نفـــس الوقـــت عقـــد وزراء دفاع مجموعة " السادك " فى الجنوب الأفـــريقى اجتماعاً فى هرارى طالبت فيه دول المجموعة بمساعدة حكومة الكونجـــو علـــى التصـــدى لمحـــاولات الغزو الأجنبية، وفى نفس الوقت (أغســـطس ١٩٩٨) دعا الرئيس مانديلا إلى قمة إقليمية فى بريتوريا دعت إلـــى وقـــف فـــورى لإطلاق النار وتمركز القوات فى أماكنها والبدء فى مفاوضـــات سياسية وطالبوا أمين عام منظمة الوحدة الأفريقية بإنشاء آلية لتطبـــيق ذلك. وعقد الأمين العام للمنظمة أيضاً اجتماعاً مع أمين عام الأمم المـــتحدة علـــى هامش قمة عدم الانحياز فى جنوب أفريقيا لهذا الغرض. ووافق ذلك تعديل البرلمان البورندى على الاتفاقية فى نوفمبر سنه ٢٠٠٠ وتبعها فى عام ٢٠٠١ عدة اجتماعات للجنة مراقبة التطبيق.

١١- أدى تدخـــل بعـــض الدول المجاورة للكونجو فى النزاع المسلح وتأييد تلك الجماعـــة أو تلـــك إلى تعقيد الموقف بالنسبة لمنظمة الوحدة الأفريقية. فقد وضح تماماً أن أوغندا تحت حجه منع الجماعات المسلحة من الإغارة على أراضـــيها، قد أرسلت قواتها إلى داخل الكونجو وبدأت فى دعم لإحدى هذه الجماعات. أما رواندا فتحت حجه منع متمردى الهوتو من استخدام أراضى الكونجـــو للإغـــارة علـــى روانـــدا، فقد توغلت قواتها إلى جانب إحدى الجماعات الأخرى، هذا بالإضافة إلى الاتهامات – التى ثبتت فيما

بعـد مـن أن الدول المتدخلة أصبحت تستغل هذا التدخل من أجل نهب ثروات الكونجو. ومن الناحية الأخرى تدخلت أنجولا لمنع الإمدادات التى كانـت قوات " اليونيتا " المعارضة تتلقاها من أراضى الكونجو، وتدخلت زيمـبابوى وناميبـيا لأسباب عقائدية، وإن لم يمنع ذلك اتهام قادة قوات زيمـبابوى مـن نهـب ثـروات الكونجو بعلم الحكومة المركزية التى لاتستطيع دفع نفقات إقامة وإعاشة القوات الزيمبابوية التى تشكل العمود الفقرى للتصدى للجماعات المسلحة.

١٢- وسـاهمت المـنظمة بجهـد فى الاعداد لمؤتمرى " شلالات فيكتوريا " (فى زيمبابوى) وبرتيوريا لقاء الدول الإقليمية فى أغسطس ١٩٩٨ ثم فى المؤتمـر الثالـث فـى زيمبابوى فى سبتمبر من نفس العام وقمة دول " السـادك " فى موريشيس فى نفس الشهر ومؤتمر ليبيريفيل ونيروبى فى نفـس العام. كما عقدت آلية فض المنازعات اجتماعاً على مستوى القمة فـى بوركينا فاسو فى ديسمبر ١٩٩٨ ومؤتمراً آخر فى ناميبيا فى يناير ١٩٩٩. كما بحثت مشكلة الكونجو فى مشاورات غير رسمية على هامش قمـة عـدم الانحـياز فى جنوب أفريقيا وقمة فرنسا/ أفريقيا فى باريس وتركـزت المشـاورات حول أفضل السبل لإشتراك حركات التمرد فى مباحثات السلام. ولكن كل هذه الاجتماعات لم تؤد إلى نتيجة ملموسة.

١٣- وتـراوح المشـكلة الكونجولـية مكانها فى الوقت الحالى، ويبدو أن جميع الأطـراف قـد تعبت من الحرب، فأنجولا لم يعد لها قوات داخل الكونجو وخاصة بعد موت سافيمين زعيم حركة " يونيتا " وقرب التوصل إلى اتفاق بيـن الحكومـة والحـركة. أمـا زيمبابوى فلا تزال لها قوات وإن كانت الأحداث الداخلية بها وضبط عقوبات دول الكومنولث بالإضافة إلى التكلفة العالية للقوات، قد تدفعها فى المستقبل لسحبها. وبالنسبة لأوغندا فإنها قلقت من تواجدها العسكرى إلى جانب أنها فى نزاع " مستتر " مع رواندا حليفتها السابقة. رواندا هى الوحيدة التى لازال لديها قوات وليس

لديهـــا النية لسحبها قريباً بدعوى حماية أراضيها من مهاجمة متمردى " الهوتو " لها. وبالنسبة للحكومة المركزية فى كينشاسا فإن سيطرتها على أقالــيم الكونجـــو الشاسعة محدودة جداً ومواردها الاقتصادية فى تقلص. وبالنســبة لحركات التمرد فإنها لم تعد تحظى بالدعم الذى كانت تتمتع به مـــن قــبل. وقــد عقدت جولة من المباحثات فى أديس أبابا بين أطراف الـــنزاع ولكــنها فشلت، ثم إنتقلت الى جنوب أفريقيا التى تستضيف منذ أســـابيع كل هذه الأطراف. ولايلوح فى الأفق إمكانية نجاحها قريباً. وقد حاولت ليبيا بعض المحاولات قبل عقد قمة بين رؤساء الكونجو والكونجو والتشـــاد وأرتريا، بالرغم من توقيع اتفاق سمى " بمعاهدة سرت " إلا أنه لـــم ينفذ على الإطلاق حيث تضمن فعلا إرسال قوات سلام أفريقية تحل محل القوات الرواندية والأوغندية وتهربت حكومة البلدين من الاتفاقية.

- ومـــن العـــرض الســـابق نجـــد أن قلة الموارد المالية أدى إلى عدم تدخل المـــنظمة بفاعلية فى الكونجو واتخذت فقط دوراً سياسياً محدودا بالاتصال بالأطراف المختلفة وبعض القوى الكبرى. وعقد الموضوع وجود تدخلات أفريقية من عدة دول فى الصراع المسلح إلى عرقلة دور نشط للمنظمة.

"ندوة التوتسى وأزمة البحيرات العظمى "، معهد البحوث والدراسات الأفريقية
جامعة القاهرة ، ٢١-٢٢ ابريل ٢٠٠٢ : ص ٣٩٨ : ٤٠٤

الصراع بين التوتسى والهوتو وجهة نظر ميدانية

السفيرة/ منى عمر *

السيدات والسادة

* عندما طلب منى التحدث عن الهوتو والتوتسى، تسارعت إلى ذهنى صور عن بلاد بديعة الجمال، حباها الله بسحر المناظر الطبيعية والمناخ المعتدل، تلـك البلاد هى رواندا وتوأمتها بوروندى، وللحظات شعرت بسعادة الحبيب عـندما يطلب منه أن يتحدث عن محبوبته، ولكنى تداركت الموقف عندما تذكـرت أن المطلـوب الحديث عنه هو الهوتو والتوتسى ، وهو موضوع شـائك حساس، علمتنا التجربة خلال فترة خدمتنا فى رواندا عدم الخوض فـيه أو الحديث عنه، وكان ذلك بدافع من حرص الحكومة الرواندية على عـدم تكريس عملية تقسيم الشعب كمحاولة للقضاء على الأسباب التى أدت فـى الماضـى القريب والبعيد إلى اندلاع الحروب الأهلية فى تلك البقعة الخلابة من وسط أفريقيا.
* ومـرة أخرى تداعت الذكريات متمثلة فى صورة بشعة لايمكن أن أنساها مهمـا حييـت، وهى صورة مئات الجثث مكدسة، فى أحد مواقع المذابح الجماعـية فـى روانـدا، ولاأقـول جثث فهى أشلاء، كميات من السيقان والأذرع والجماجم وبقايا الملابس والمخلفات تقوم الحكومة الرواندية ــ فى ذكرى المذابح من كل عام وهو الشهر الجارى (أبريل) باستخراجهـا مـن

نائب مساعد وزير الخارجية للعلاقات الأفريقية.

أحد المواقع التى شهدت هذه المذابح البشعة لإعادة دفنها بشكل أكثر تكريماً للبشرية، وتدعو السفارات وممثلى المنظمات الدولية للمشاركة لتذكير العالم كله ببشاعة ماجرى وحتى لاينسى الروانديون ولاينسى العالم، عل ذلك أن يكون رادعاً عن تكرار المأساة.

* وحيث أننى على ثقة أن السادة الأفاضل الذين سبقونى قد تناولوا باقتدار الخلفيات التاريخية والتفسيرات والتحليلات العلمية، وحيث أن الشئ الوحيد الذى قد أنفرد به هو تجربتى العملية ومعايشتى على أرض الواقع للأوضاع فى رواندا والتفاعل القائم بين الهوتو والتوتسى بإيجابياته وسلبياته، فقد فكرت أن أتناول فترة ما بعد المذابح، أى التجربة الجارية، وهى تجربة الحكومة الانتقالية فى رواندا، والتى شرفت بمعايشة جزء منها من خلال عملى سفيراً لمصر فى رواندا فى الفترة من ٩٧ إلى ٢٠٠٠.
* فى البداية، أشير إلى أننى وصلت كيجالى وفى ذهنى تخوف من صورة رسمتها التقارير الإخبارية عن أحداث ١٩٩٤ تعبر فيها عن قيام نصف شعب بقتل نصفه الآخر، وتوقعت أن أقابل شعباً غليظاً فظ القلب العنف سمته الرئيسية، وغادرت رواندا وأنا أبكى من شدة تأثرى من طيبة شعبها ودماثة خلقة وحسن عشرته.
* ولكننى أعترف أيضاً أننى كنت جاهلة بحجم المأساة التى عانى منها هذا الشعب ومازال، أنها مأساة بكافة أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية، مأساة لايعيها إلا من يعايشها أو يعايش آثارها.
* إن القصص التى تدوى فى أركان الدولة يصعب تصديقها زوج يقتل زوجته وأبناءه منها لأنها من التوتسى وهو من الهوتو، تمثيل بالأحياء أمام أفراد عائلاتهم، وأطفال يتم وأدهم أحياء بعد تقطيع أطرافهم إلى آخره. والجرم الذى يعاقبون عليه هذا العقاب القاسى هو انتماءهم للتوتسى أو لمعتدلى الهوتو.
* لقد دمرت هذه المذابح الدولة بالكامل سواء هيكلها البنيانى أو المجتمع من الداخل، قضت على كوادرها يتمت أطفالها... هل تتخيلون جامعة يقتل كافة أعضاء هيئة التدريس فيها. نادى روتارى فى اجتماع له يقوم أعضاءه من الهوتو بذبح التوتسى من أعضاءه كنيسة يحتمى بداخلها أهل الناحية فيبلغ عنهم القس ويوصد الأبواب حتى تأتى الجماعات المتطرفة لتفجرهم بالكامل ... حتى الدين تم استغلاله.

* جانــب إيجــابى وحيد فى هذه المذابح كان موقف السكان المسلمين .. لم يشــتركوا فــيها بل احتمى بعضهم البعض .. الهوتو منهم والتوتسى دون تفــرقة . جمعهــم الإســلام فلم يفرقهم بشر . وقد أشاد رئيس الجمهورية الروا ندى الحالى ــ فى أكثر من مناسبة بموقف المسلمين، بل وزادت أعداد الذيــن اعتنقوا الدين الاسلامى عقب هذه الأحداث. هذا هو الميراث الثقيل الذى أتت الحكومة الروا ندية فى ظله، بلد مدمر ومجتمع ممزق.
* واستناداً إلى مقررات أروشا، التى كانت فى حد ذاتها من بين أسباب اندلاع المذابــح، تــم تشكيل الحكومة الروا ندية الانتقالية التى وزعت السلطة فيها علــى أســاس حــزبى وليس على أساس عرقى، فى محاولة للقضاء على مظاهر التمييز الاثنى التى دامت لعقود وتسببت فى إنكار الكثير من حقوق المواطنة للهوتو أحياناً وللتوتسى أحياناً أخرى.
* ويمكــن القول أن شريعة نظام الحكم القائم حالياً فى رواندا قد استمدت من عدة عناصر **أهمها :ــ**

١-الشــرعية الأمنــية:الناتجة عن نجاح الحركة فى وقف المذابح وانتشال أبــناء الشــعب الــروا ندى، خاصــة التوتسى منهم، من الفناء، والتصدى لجماعــات الهوتــو المتطرفة المعروفة باسم الانترهاموى وأفراد الجيش الــروا ندى الســابق، فضــلا عن حماية حدود رواندا، خاصة الغربية من الهجمات التى تشنها هذه الجماعات من أراضى بعض الدول المجاورة.

٢-الشــرعية الدستورية: الناتجة عن التزام هذه الحكومة بمقررات أروشا فــيما يتعلق بتقسيم السلطة على أساس حزبى وليس عرقى، ومن ثم فبينما كان الرئيس الروا ندى السابق " بيزيمونجو " من الهوتو، فإن الرئيس الحالى " كاجامى " من التوتسى ولكن ينتمى كلاهما لجبهة ال RPF كما تم توزيع الحقائب الوزارية على نفس الأساس. وحيث أن التركيز فى موضوع حديثنا هــو عــن العلاقة بين الهوتو والتوتسى وليس على تقييم أعمال الحكومة الروا ندية بصفة عامة، أود الإشارة إلى مايلى:

- لقـد بذلـت الحكومة الرواندية التى تولت الحكم بعد المذابح، كافة الجهود الممكـنة للقضاء على التقسيم الفعلى القائم بين السكان إلى هوتو وتوتسى، فأصـدرت بطاقـة الهوية الجديدة دون أى إشارة كما كان سابقاً، للانتماء القـبلى أو الدينى للمواطن، كما جردت الخطاب الاعلامى من أية إشارات فى هذا الصدد وصار من المتوقع أن تسأل الشخص هل أنت من الهوتو أو من التوتسى فتكون إجابته " أنا روانـدى " وقد بدأ هذا الخوف من الحكومة الـتى جعلـت مجـرد الإشارة الى نوعية الانتماء القبلى جرماً يتم العقاب والحرمان من الوظائف الخ بسببه.
- كـان الاقتناع بأنه لتجنب تكرار مأساة المذابح، يجب إزالة فكرة أنه يمكن لمن يرتكب جريمة القتل أن تمر جريمته بدون عقاب، وبررت أهمية إقامة نظـام سياسـى جديد قائم على حكم القانون واحترام حقوق الإنسان وهنا بـدأت العقبات الحقيقية على ضوء عدم وجود الموارد البشرية أو المادية القـادرة علـى تحقيق ذلك، فالنظام القضائى للدولة دمر تماماً عام ١٩٩٤ فالقضـاة ووكلاء النيابة والمحامين إما قتلوا أو شاركوا فى القتل وهربوا مـن البلاد، ولم يبق سوى ٤٠ محامى فى رواندا مطلوب منهم التعامل مع حوالى ١٥٠ ألف معتقل.
- وبـدأت الحكومـة تبحث عن البدائل : فطلبت من المجتمع الدولى لإقامة المحكمـة الجنائـية الدولية لرواندا، ولكنها اكتشفت أنه إزاء أسلوب عمل المـنظمات الدولـية، فـإن هذه المحكمة لن تكفى للتكامل مع هذه المشكلة القائمة وأنه على الروانديين تناولها بأنفسهم.
- واطلعـت علـى الـتجارب الخاصة بالدول الأخرى مثل لجان المصالحة والحقـيقة فـى شـيلى وجـنوب أفريقيا. وخلصت منها إلى أنه بينما من الضرورى إنشاء آلية للاعتراف والمسامحة، خاصة لصغار الجنود الذين شاركوا فى المذابح تنفيذاً لأوامر رؤساءهم، إلا أن فكرة العفو العام على الإطلاق.

- وقـررت الحكومة الفصل بن الحالات وفقاً لدرجة المسئولية بحيث تكون المجموعة الأولى خاصة بأوئك الذين يثبت أنهم مخططو المذابح أو أولئك الذيـن اسـتخدموا الاغتصاب وبـتر الأعضاء التناسلية كأدوات للمذابح ويخضـع هؤلاء فى حالة ثبوت التهم عليهم للعقوبة القصوى وفقاً للقانون الرواندى، وهى عقوبة الإعدام. أما الأفراد الذين يصنفون فى المجموعات الثلاثة الأخرى فلهم الفرصة للاعتراف وطلب التخفيف من العقوبات.
- كمـا أنشأت صندوقاً لتعويض الناجين من المذابح، وضعت فيه الحكومة ٥ % مـن دخلها السنوى؛ ودعت حكومات الدول الأخرى والمجتمع الدولى للمشاركة فيه.
- ومـنذ بدأت المحاكمات عام ١٩٩٧، تعاملت المحاكم الرواندية مع حوالى خمسـة آلاف حالـة، وهو إنجاز غير متوقع خاصة وأن المحكمة الجنائية الدولـية لرواندا، وبميزانية تفوق عشرة أضعاف ميزانية الجهاز القضائى الـرواندى، لم تتعامل مع أكثر من مائة حالة ولم تحاكم مايزيد على عشرة منهم حتى مايو العام لماضى.
- إلا أنه بات من الواضح أن النظام القضائى التقليدى لن يكفى لتحقيق هدف الانـتهاء السـريع مـن تحقيق المصالحة الوطنية ومعاقبة من يتم إدانتهم والإفراج عمن تثبت براءتهم، ثم الالتفات لعملية بناء الدولة وتحقيق التنمية فـيها، ولـذا قررت الحكومة اللجوء إلى الوسائل التقليدية لحل المنازعات والمعـروفة باسم " جاتشاتشا " أو العدالة الشعبية، ومن خلالها يتم التعامل مع كافة المجموعات ما عدا المجموعة الأولى.
- وفقاً لنظام " الجاتشاتشا " يقوم المواطنون الرواندیون العاديون بدور القضاة والمحلفيـن والشهود والهدف ليس توقيع العقاب ولكن إعادة الانسجام بين أبناء المجتمع الواحد. وتم تعديل النظام ليرضى المعايير الدولية بقدر

الإمكـان فوضعت هذه المحاكم الشعبية تحت إشراف المحكمة العليا. وقد بدأت هذه المحاكم بالفعل فى ممارسة عملها ونجحت فى إنهاء عدد كبير من الحالات

التى يفرج عنهم فى الحال إذا لم يثبت تورطها ــ بشهادة الشهود ــ فى أى من حالات القتل.

* إلا أنـــه وبالـــرغم مـــن الجهود الحقيقية التى تبذلها الحكومة فإن المجتمع الـــرواندى مازال يعانى من الهشاشة البالغة، بل أن عوامل جديدة ظهرت أضافت أبعاداً جديدة للانقسامات القائمة، وإن كانت غير معلنة.

<u>وتوضح خريطة المجتمع الرواندى حالياً وجود الجماعات التالية:</u>

١- مجموعة " التوتسى " أعضاء الجبهة الرواندية الوطنية التى نجحت فى دخـــول كـــيجالى ووقـــف المذابح، وتولى أعضاؤها المراكز الحساسة فى الدولة. وهم لايتحدثون سوى الانجليزية وعاشوا معظم حياتهم خارج رواندا فـــى المـــنفى، واتجاهـــاتهم ثوريـــة ويميلون للتعامل مع الولايات المتحدة وبريطانيا، ومعاداة فرنسا وبلجيكا لاعتقادهم أنهما وراء معظم ماتعانى منه رواندا حالياً من مشاكل.

٢- مجموعـــة الهوتـــو المتعاونيـــن مع المجموعة السابقة والذين يتولون مناصـــب حكومية عالية ويشاركون فى إدارة الدولة متمتعين بقدر من ثقة النخـــبة الحاكمة. ومن الملاحظ أن بعض أعضاء هذه المجموعة يحاولون المغالاة أكثر من أعضاء المجموعة السابقة فى ادانه المذابح.

٣- مجموعـــة " الـــناجون مـــن المذابـــح "، سواء من التوتسى أو الهوتو المعتدليـــن، ولايتحدثون سوى اللغة الفرنسية ويرون أنهم أحق من غيرهم بـــإدارة البلاد حيث عاشوا المذابح بكافة تفاصيلها ولم يهربوا، إلا أنهم فى غالبيـــتهم من الطبقات السفلى للمجتمع، غير متعلمين وبالتالى غير قادرين على منافسة العائدين من الخارج بأفكار جديدة ومستوى أفضل من التعليم.

٥- ولايمكـــن أن نغفل مجموعة الهوتو المتطرفين، ممن يطلق عليهم الانترهاموى أو أعضاء الجيش الرواندى السابق، والذين هربوا من روانـــدا عند نجاح الجبهة فى دخول كيجالى، وقد استمروا فى شن حملاتهـــم الهجومية ضد الرونديين من المناطق التى هربوا إليها قرب الحدود

الكونغولــية الرواندية،وبســببهم برر الروانديون تدخلهم فى أزمة الكونغو الحالــية. وقد عايشت بنفسى حالة عدم الأمن وعدم الاستقرار التى شهدتها رواندا حتى عام ١٩٩٨ إزاء هجمات هذه الجماعات.

* تســتمر الحكومــة الــرواندية الحالية فى بذل الجهود لتحقيق استراتيجية مــتوازية قائمة على رأب الصدع القائم فى المجتمع، وتحقيق أفضل معدل للتنمــية فى الوقت نفسه، وفى سبيل تحقيق ذلك فطنت القيادة السياسية إلى أن ترســيخ مبادئ المشاركة السياسية ينبغى أن يتم بالتوازى مع المحافظة على الوحدة الوطنية التى لن تتحقق إلا فى ظل مشاركة شعبية مباشرة فى الترشــيح لمناصــب الإدارة المحلــية والنيابية المختلفة، مع عدم توسيط مؤسسات قد تشغل من جديد المشاعر القبلية فى المجتمع الروانـدى.
* وبالرغم من أن الطريق مازال طويلاً لتحقيق الهدف المنشود، إلا أن هناك مؤشــرات إيجابــية، فقد شهدت الانتخابات المحلية إقبالاً جماهيرياً تجاوز نسبة ال ٩٥% وإن تميزت بعدم فعالية الأحزاب السياسية.

<u>السيدات والسادة..</u>

* لقــد ظهرت العديد من النظريات لإيجاد الحلول لمشكلة العلاقة بين الهوتو والتوتســى، وذهب البعض إلى حد اقتراح فصلهما فى دولتين، وهو قطعاً حل مرفوض حيث أن إقامة دولة على أساس إثنى أو قبلى يفتح الباب أمام إنقســام القــارة الأفريقــية ككل إلى دويلات كما يثير المزيد من الحروب ويعــوق أيــة احتمالات لتحقيق التقدم والتنمية فى عالم يتميز بالاتجاه إلى الاندماج والتكتلات الاقتصادية.
* وفــى رأى أن الاتجــاه التدريجى لتحقيق المصالحة الوطنية ومنع تكرار مأســاة ١٩٩٤ والذى تنتهجه الحكومة الرواندية الحالية، هو أفضل الحلول المطروحة مع العمل على تحقيق التنمية التى توفر ــ لكافة أبناء الشعب ــ بغض النظر عن انتماءاتهم القبلية أو الدينية فرصة معيشية جيدة، وبالتالى تنفى الحاجة إلى التنافس والتقاتل فى سبيل تحقيق الحياة الكريمة.

"ندوة التوتسى وأزمة البحيرات العظمى "، معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ،
٢١-٢٢ ابريل ٢٠٠٢ : ص ٤٠٥ : ٤٠٨

التوتسى وأزمة البحيرات العظمى
الموقف الاقليمى والدولى ومبادرات الحل

السفير/ إبراهيم موكيبى

١- عنوان الندوة مفصل:

* مـــن المفترض أن الندوة تقوم بتحليل الأزمة والبحث عن الأسباب الجذرية والصراعات التى ساعدت على ظهور هذه الأزمة.
* ليس من العدالة أن تواجه الندوة أى اتهام قبل أن تبحث فى الأزمة وتحللها وكأن الندوة أصدرت الحكم على التوتسى!!
* قال تعالى " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها " صدق الله العظيم

المذابح الجماعية ضد التوتسى:

* يذكـــر التاريخ أم من اقل من ٥٠ عاماً تعرضت قبيلة التوتسى إلى المذابح البشرية الجماعية Grnocidal مرتين.
* ففـــى الخمســـينيات قـــتل الآلاف مـــن التوتسى على يد الهوتو أمام أعين المستعمرات البلجيكيون، وشرد الآلاف إلى البلدان المجاروة بمافيها أوغندا.
* وفـــى عـــام ١٩٩٤ ذبـــح مايقـــرب من مليون توتسى على يد حكومة " Habyolimana"

التوتسى يتحدون قرار منعهم من الرجوع إلى بلادهم :

* مـــن الغريب أن الرئيس الراحل " جابياليجانا " أصدر قراراً بمنع التوتسى مـــن الـــرجوع إلـــى رواندا، بزعمة من أن رواندا بلد صغير لايمكنها أن تستوعب الهوتو والتوتسى!!

* بالطبع كان هذا القرار يتنافى مع مثاق " جنيت " الخاص بحقوق اللاجئين بمافـيها حــق العودة الطوعية إلى أوطانهم. ولذلك حمل التوتسى البنادق وعادوا إلى وطنهم بالقوة.
* المجتمع الدولى والإقليمي فشل في الدفاع وإنقاذ التوتسى من المجزرة:
* للأسـف الشـديد عـندما كـان الهوتو يذبحون الأطفال والنساء والرجال بلارحمة كان المجتمع الدولى ينظر إلى هذه المجزرة بلا شعور ولاحركة.
* أما عن هيئة الأمم المتحدة الذين كانوا فى " Kigoli "وضعوا البنادق على أكتافهم وغادروا البلاد!!
* وأخـيراً منظمة الوحدة الأفريقية فقد لزمت هى أيضاً الصمت لأن مبادئ المـنظمة لاتسـمح لأي دولة أن تتدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى مهما كانت الظروف !!

<u>موقف أوغندا تجاه مبدأ عدم التدخل في الشئون الداخلية:</u>

* ولو أن أوغندا تحترم مبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى، نحن نرفض أن تستغل بعض الحكومات هذا المبدأ كغطاء لارتكاب مجازر بشرية ضد الشعوب الأفريقية.
* ونحن نؤيد أن فى هذه الحالة لابد أن نعطى الأولوية لميثاق منظمة الوحدة الأفريقية بخصوص حقوق الإنسان للشعوب الأفريقية.
* يجب على الدول الأفريقية أن تتحرك وتدافع عن الشعوب الأفريقية فى أى بلد ترتكب فيه مجازر بشرية كما حدث فى رواندا.
* قـد رأيـنا المجـتمع الدولى يتحرك فى مثل هذه الأحوال كما حدث فى " بوسنيا ".
* تجـاهل المجـازر البشرية فى رواندا من قبل المجتمع الدولى يمثل أكبر برهان لتهميش أفريقيا و الأفريقيين .
* قـبل أن أستمر فى الكلام أود أن أشير إلى نقطة هامة وهى " أن الصراع بيـن التوتسـى والهوتو مبدئياً لم يكن صراعاً اثنياً، وانما هو صراع بين طبقتين :

طبقة الهوتو : أغلبهم مزارعون.

طبقة التوتسى: غالبيتهم رعاه الأبقار.

ملحوظة: الطبقة الحاكمة قائمة على النظام الملكى.

* يأتى السؤال الذى فشل الكثير فى الإجابة عليه بطريقة موضوعية لأنهم لم يعيشـــوا أو يفهموا حجم وأبعاد المجازر البشرية التى حلت فى رواندا عام ١٩٩٤.

والسؤال هو: لماذا توغلت رواندا فى الصراع الذى يجرى فى الكونغو ؟

والإجابـــــة: لايمكن الإجابة على هذا السؤال بأمانة وصدق إلا إذا رجعنا إلى مجازر ١٩٩٤ فى رواندا.

* الجديــر بالذكــر أن بعد الإطاحة بحكومة " Hobyolimana " على أيدى اللاجئين التوتسى هرب جميع جنود الهوتو ــ مرتكبى الجرائم ــ بمعداتهم العســكرية وهــناك لقوا التعاطف و المساندة من حكومة الرئيس السابق " موبوتو " ومن بعده " كابيلا " وبدأ هؤلاء القتلة يهاجمون كل مونغلى ينتمى إلـــى الجنس التوتسى وكادوا يكررون سيناريو مجزرة ١٩٩٤، كما كانوا يقومون بحملات عسكرية داخل رواندا ويقتلون المدنيين العزل.

* ومن هنا ٠٠٠كان من الضرورى على حكومة رواندا القيام بعمليات حربية داخل الكونغو لسببين:ــ

أولا: وقف عمليات القتل ضد الكونغوليين ذوي الأصل التوتسى.

ثانــيا : حمايـــة حدود رواندا وسكانها من الهجمات والمجازر البشرية من المسلحين الذين قاموا بحرب الابادة فى ١٩٩٤.

* والمعــروف أن أوغــندا دخلــت بجيوشها الكنغو لنفس الأسباب ــ أسباب إنسانية وأمنية.

<u>الموقف الدولى والمبادرات الإقليمية:</u>

* من الطبيعى أن منذ بداية الصراع فى مجازر رواندا، جرى عدة اتصالات وزيارات واجتماعات على المستوى الدولى والإقليمي.

- وأهـــم هـــذه المبادرات : اتفاقية " لوساكلا " التى أجريت عام ١٩٩٩ بين جميع أطراف النزاع . وتنص هذه الاتفاقية على :

وقف القتال .

الانسحاب .

تجريد السلاح من مرتكبى المجازر البشرية والإرهابيين.

عقد حوار بين جميع الأطراف المتنازعة فى الكنغو.

نشر قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام فى المنطقة.

رقم الإيـــداع
٢٠٠٣/١٦٩٧٥